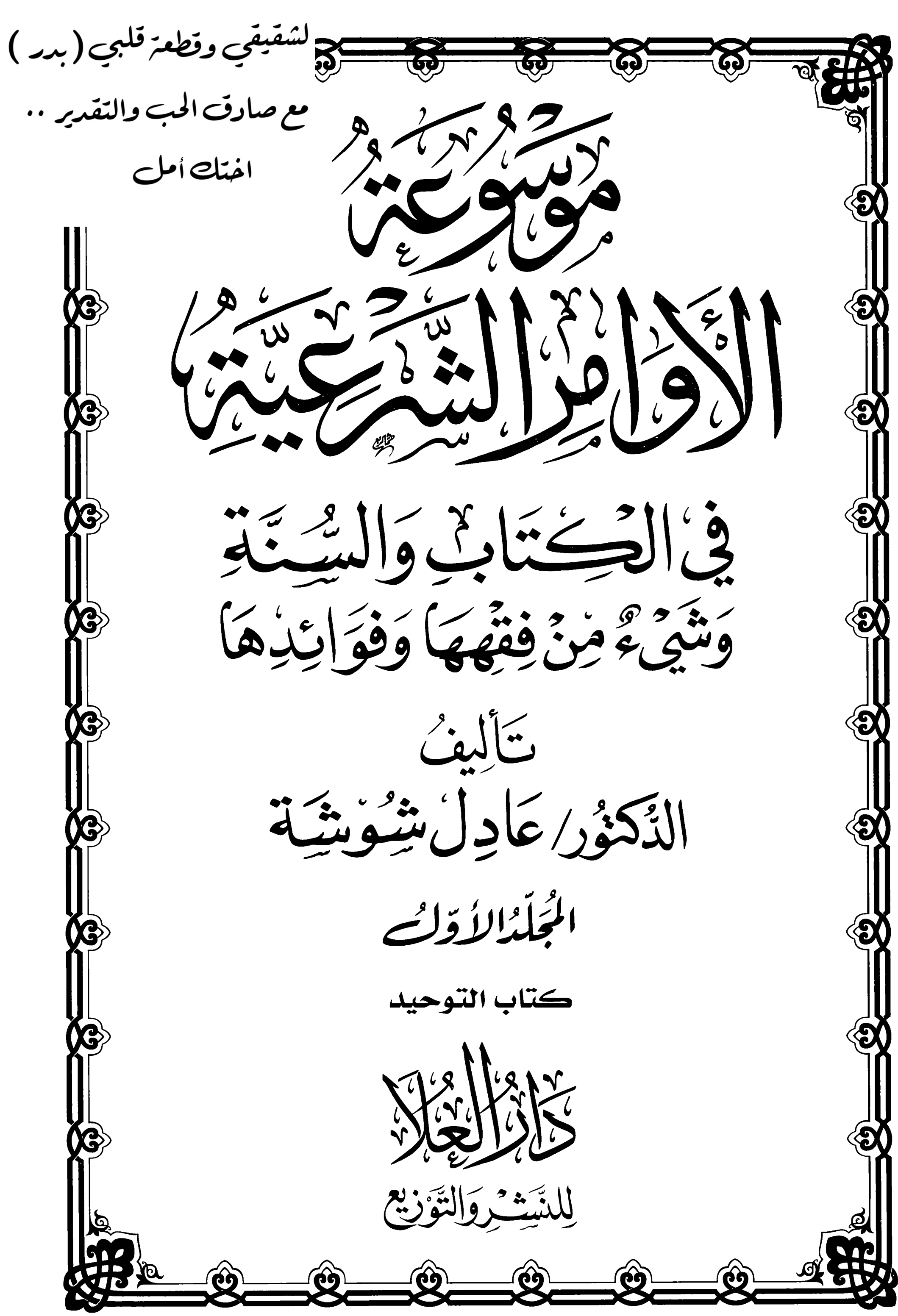
إهداء :

لشقيقي وقطعة قلبي (بدر)

مع صادق الحب والتقدير ..

اختك أمل



موسوعة الأوامر الشرعية

في الكتاب والسنة وشيء من فقهها وفوائدها

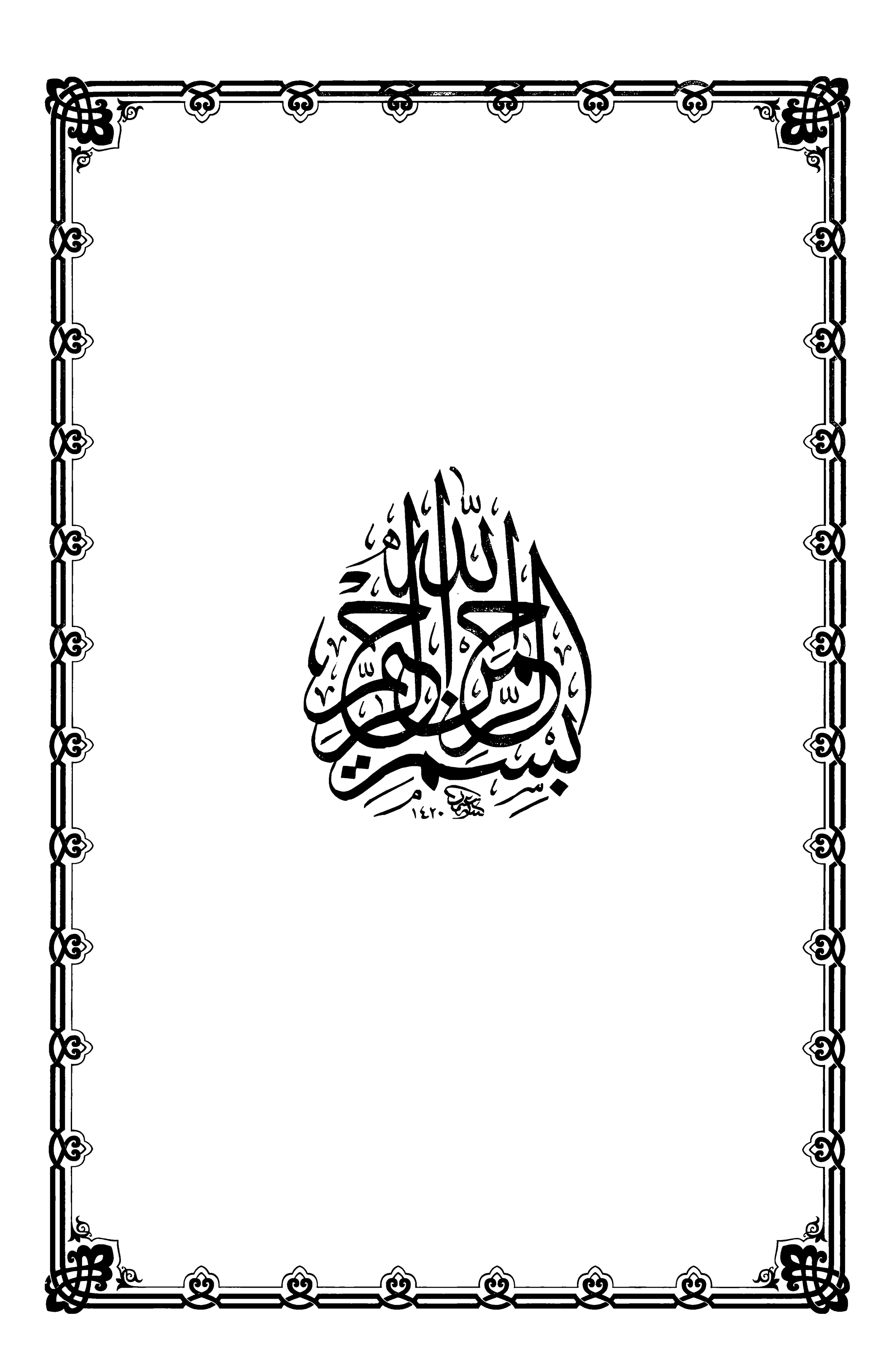
تأليف

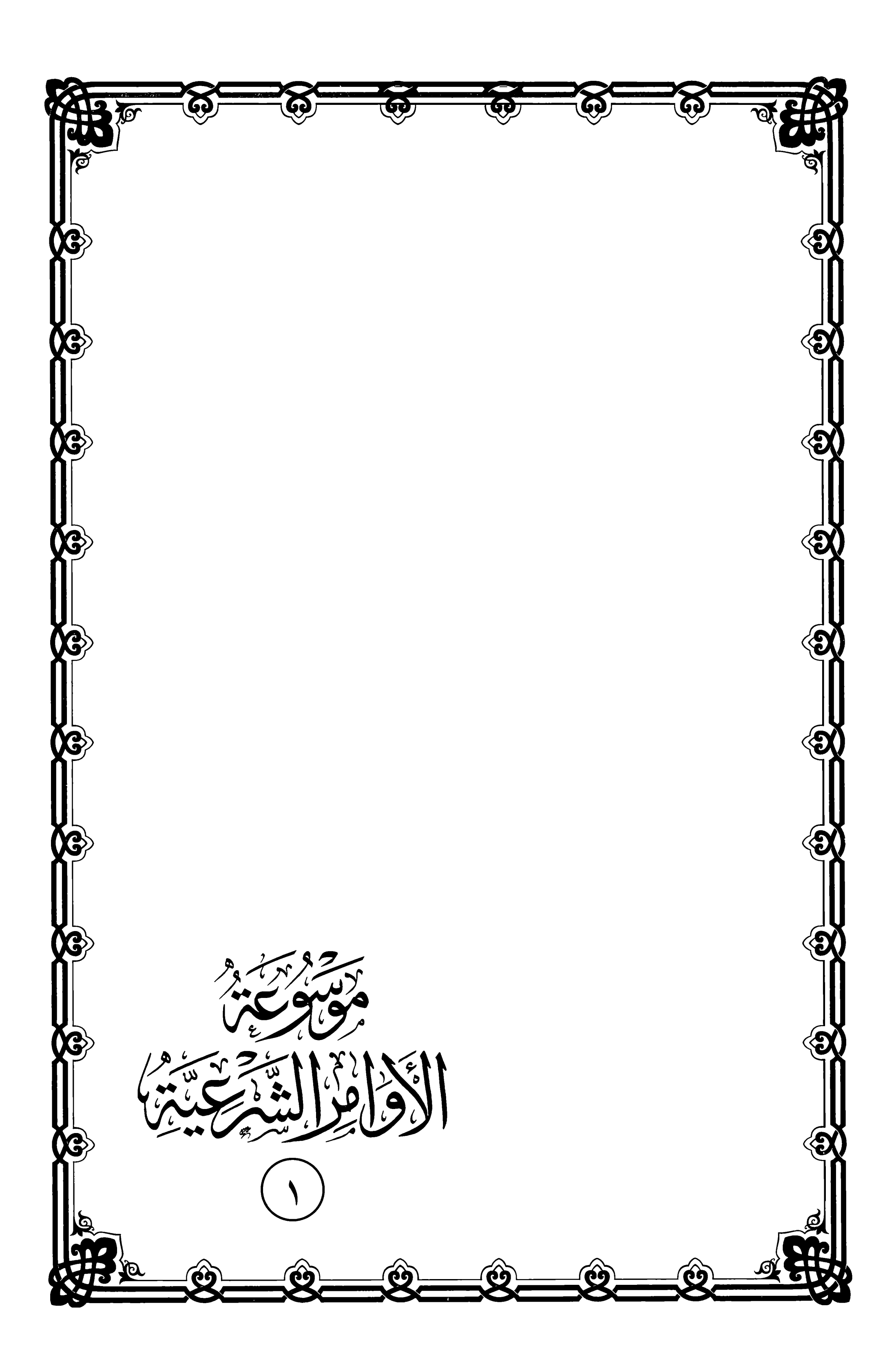
الدكتور/ عادل شوشة

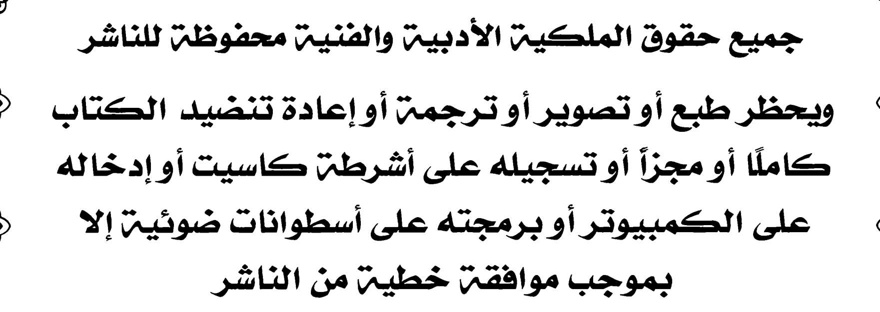
المجلد الأول

كتاب التوحيد

دار العلا للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠


موسوعة
الأوامر الشرعية
١



الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

رقم الإيداع	2017 / 26261
الترقيم الدولي	978 - 977 - 85370 - 1 - 7

دار العلا للنشر والتوزيع

محمول: ٠١٠٠١٥٨٣٦٢٦ - ٠١١١٤٧٤٤٢٩٧ تليفاكس: ٣٣٢٥٥٨٢٠

E-mail: daralola@hotmail.com

توزيع دار ابن القيم - السعودية - الرياض. هاتف: ٤٣١٥٨٨٢ فاكس: ٤٣١٨٨٩١

E-mail: ebnalqayyam@hotmail.com

توزيع دار ابن عفان - ج.م.ع - القاهرة - ١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

ت: ٢٥٠٦٦٤٢٠ فاكس: ٣٥٦٩٢٨٥٠ - ٠١٠٠١٥٨٣٦٢٦

E-mail: ebnaffan@hotmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

❍ **ثم أما بعد:**

فالله تبارك وتعالىٰ أوجب طاعته وطاعة رسوله ﷺ علىٰ كل إنسان، وحث علىٰ الاستقامة علىٰ أمره في كل زمانٍ ومكان، ونهىٰ عن معصيته ومعصية رسوله عليه الصلاة والسلام في غير آية من كتابه الكريم فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠-٢١].

وقال الله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨- ٢٠٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

فهذه النصوص تبين وجوب امتثال ما أمر الله به في كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ وخطورة البعد عن شرع الله وتنحيته عن الحياة واتباع أهواء الذين لا يعلمون.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالىٰ في تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨-١٩]: «أي: ثم شرعنا لك شريعة كاملة، تدعو إلىٰ كل خير، وتنهىٰ عن كل شر، من أمرنا الشرعي ﴿فَٱتَّبِعۡهَا﴾ فإن في اتباعها السعادة الأبدية، والصلاح والفلاح.

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: الذين تكون أهويتهم، غير تابعة للعلم، ولا ماشية خلفه، وهم كل من خالف شريعة الرسول ﷺ هواه وإرادته؛ فإنه من أهواء الذين لا يعلمون.

﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ﴾ أي: لا ينفعونك عند الله، فيحصلوا لك الخير، ويدفعوا عنك الشر، إن اتبعتهم علىٰ أهوائهم، ولا يصلح أن توافقهم وتواليهم، فإنك وإياهم متباينون.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، بسبب تقواهم، وعملهم بطاعته»[1]. اهـ

ويعلق الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ علىٰ هذه الآية فيقول: «فالشريعة التي جعله ربه عليها تتضمن ما أمره به، ورضيه له، وكل عمل وحب وذوق ووجد وحال لا تشهد له هذه الشريعة التي جعله عليها فباطل وضلال، وهو من أهواء الذين لا يعلمون فليس لأحد أن يتبع ما يحبه فيأمر به، ويتخذه دينًا، وينهىٰ عما يبغضه ويذمه إلا بهدىٰ من الله، وهو شريعته التي جعل عليها رسوله، وأمره والمؤمنين باتباعها ولهذا كان السلف يسمون كل من خرج عن الشريعة في شيء في الدين من أهل الأهواء، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء؛ يذمونهم بذلك ويحذرون عنهم ولو ظهر عنهم ما ظهر من العلم والعبادة والزهد والفقر والأحوال والخوارق»[2]. اهـ

وقد بين لنا نبينا ﷺ في غير حديث وجوب الاستقامة علىٰ أمر الله واتباع سنة رسول الله ﷺ؛ ففي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلت يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»[3].

وعن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ علىٰ الوضوء إلا مؤمن**»[4].

وعن عبد الرحمن بن عمر السلمي عن العرباض بن سارية وكان ممن

---

(١) تفسير السعدي (٤/ ٤٧٩، ٤٨٠).

(٢) بدائع التفسير (٤/ ١٤٧).

(٣) مسلم (٣٨).

(٤) ابن ماجه (٢٧٨) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٢٤).

أنزل الله فيهم ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ﴾ [التوبة: ٩٢]، قال: فدخلنا فسلمنا عليه وقلنا: أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال: صلىٰ رسول الله ﷺ وقال أبو عاصم (أحد رجال السند): صلىٰ بنا رسول الله ﷺ الصبح يومًا فأقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها الأعين ووجلت منها القلوب قال: قلنا: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال أبو عاصم في حديثه: فأوصنا قال: «**أوصيكم عباد الله بتقوىٰ الله والسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًّا؛ فإنه من يعش منكم فسيرىٰ بعدي اختلافًا كثيرًا، وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»(١).

وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتىٰ قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني النذير العريان فالنجاء؛ فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، وانطلقوا علىٰ مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا علىٰ مكانتهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واستباحهم؛ فذلك مثلي ومثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق»(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا فقال: «**هذا سبيل الله**» ثم خطَّ في جانبه خطوطًا يمينًا وشمالًا ثم قال: «**هذه سُبل**» زاد يزيد بن هارون «**متفرقة علىٰ كل سبيل منها شيطان يدعو**» ثم قرأ هذه الآية ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾(٣) [الأنعام: ١٥٣].

---

(١) رواه بطوله اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٧٥)، وحسنه البغوي في شرح السنة (١٠٢)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٨/ ١).

(٢) البخاري (٦٤٨٢)، مسلم (٢٢٨٣).

(٣) رواه أحمد من عدة طرق في المسند (١/ ٤٣٥)، والطبري في التفسير (٨٨/ ٨)، والحاكم وصححه (٣١٨/ ٢)، وحسنه الألباني في حاشية المشكاة (١/ ٥٩).

وعن أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون...**» الحديث، إلى أن قال فيه: «**فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم ألا هلم ألا هلم فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك؛ فأقول: فسحقًا فسحقًا فسحقًا**»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا ينتزع العلم من الناس بعد إذ أعطاهموه انتزاعًا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم، فيضلون ويضلون**»(٣).

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكانت منها طائفة طيبة فقبلت الماء، وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت طائفة منها أجادب أمسكت الماء فنفع شربها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ؛ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولا تقبل هدى الله الذي أرسلت به**»(٤).

وعليه فالمطلوب من العبد الاستقامة، وهي السداد، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة فإن زل عنها فالتفريط والإضاعة... فالاستقامة كلمة جامعة، آخذة

---

(١) الترمذي (٢٦٦٣)، وقال حسن صحيح، وحسنه البغوي في شرح السنة (١٠١).

(٢) مسلم (٣/ ٣٧٣ نووي).

(٣) حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ١٨٦).

(٤) البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله علىٰ حقيقة الصدق والوفاء بالعهد، والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلىٰ أمر الله.

وينبغي علىٰ المؤمنين أن يستسلموا بكلياتهم لله في ذوات أنفسهم، وفي الصغير والكبير من أمرهم أن يستسلموا الاستسلام الذي لا تبقىٰ بعده بقية ناشزة من تصور أو شعور، ومن نية أو عمل، ومن رغبة أو رهبة، لا تخضع لله ولا ترضىٰ بحكمه وقضاه استسلام الطاعة الواثقة المطمئنة الراضية.

والله سبحانه لما دعا الذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة حذرهم أن يتبعوا خطوات الشيطان؛ فإنه ليس هناك إلا اتجاهان اثنان، إما الدخول في السلم كافة، وإما اتباع خطوات الشيطان، إما هدىٰ وإما ضلال، إما إسلام وإما جاهلية، إما طريق الله وإما طريق الشيطان، وإما هدىٰ الله وإما غواية الشيطان.

وبمثل هذا الحسم ينبغي أن يدرك المسلم موقفه، فلا يتلجلج ولا يتردد ولا يتحير بين شتىٰ السبل وشتىٰ الاتجاهات.

إنه ليست هنالك مناهج متعددة للمؤمن أن يختار واحدًا منها، أو يخلط واحدًا منها بواحد.. كلا! إنه من لا يدخل في السلم بكليته، ومن لا يسلم نفسه خالصة لقيادة الله وشريعته، ومن لا يتجرد من كل تصور آخر ومن كل منهج آخر ومن كل شرع آخر.. إن هذا في سبيل الشيطان، سائر علىٰ خطوات الشيطان.

ليس هنالك حل وسط، ولا منهج بين بين، ولا خطة نصفها من هنا ونصفها من هناك، إنما هناك حق وباطل، هدىٰ وضلال، إسلام وجاهلية، منهج الله أو غواية الشيطان، والله يدعو المؤمنين في الأُولىٰ إلىٰ الدخول في السلم كافة، ويحذرهم في الثانية من اتباع خطوات الشيطان، ويستجيش ضمائرهم

ومشاعرهم، ويستثير مخاوفهم بتذكيرهم بعداوة الشيطان لهم، تلك العداوة الواضحة البينة، التي لا ينساها إلا غافل، والغفلة لا تكون مع الإيمان.

فالمؤمن الطائع المستسلم لأمر الله يمتثل دين الله رغبة فيما عنده ولا يجد في صدره أدنىٰ حرج من هذا الامتثال والاتباع عملا بقوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢- ٣].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ مبينًا الطوائف التي تكون في صدورها حرج من القرآن: «والله تعالىٰ رفع الحرج عن الصدور بكتابه، وكانت قبل إنزال الكتاب في أعظم الحرج والضيق، فلما أنزل كتابه، ارتفع به عنها ذلك الحرج، وبقي الحرج والضيق علىٰ من لم يؤمنوا به، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ومن آمن به من وجه؛ دون وجه ارتفع عنه الحرج والضيق من الوجه الذي آمن به دون ذلك الوجه. فمن أقر أنه منزل من عند الله أنزله علىٰ رسوله، ولم يقر بأنه كلامه الذي تكلم به، بل جعله مخلوقًا من مخلوقاته كان في صدره من الضيق والحرج ما يناسب ذلك، ومن أقر بأنه تكلم بشطره وهو المعاني دون شطره الاخر؛ وهو حروفه كان من الحرج منه ما يناسب ذلك، ومن زعم أنه غير كاف في معرفة الحق وأن العباد يحتاجون معه إلىٰ معقولات، وآراء ومقاييس، وقواعد منطقية، ومباحث عقلية، ففي صدره منه أعظم حرج.

وأعظم حرج منه من اعتقد أن فيه ما يناقض العقل الصريح، ويشهد العقل بخلافه، وكذلك من زعم أن آياته لا يستفاد منها علم ولا يقين، ففي صدره منه من الحرج ما الله به عليم ومن زعم أن الخطاب به خطاب جمهوري يخيل للعامة ما ينتفعون به ما ليس له حقيقة في نفس الأمر؛ ففي صدره منه أعظم

حرج، ومن زعم أن أجل ما فيه وأشرفه وأفضله وهو قسم التوحيد المتضمن للأسماء والصفات، مجازات واستعارات وتشبيهات لا حقائق؛ ففي صدره منه أعظم حرج. فكل هذه الطوائف في صدورهم منه حرج وريب، وليس في حقهم هدىٰ ولا شفاء، ولا رحمة...»(١).

ويقول أيضًا: «ولا تجد ظالمًا فاجرًا إلا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته فتدبر هذا المعنىٰ ثم ارض لنفسك ما شئت»(١).

فمن أراد النجاة فعليه بالسير علىٰ الكتاب والسنة والحذر من مخالفتهما واتباع البدع والأهواء قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

يعلق الشاطبي رحمه الله تعالىٰ علىٰ هذه الآية فيقول: «فالسبيل القصد هو طريق الحق، وما سواه جائر عن الحق أي: عادل عنه، وهي طرق البدع والضلالات، أعاذنا الله من سلوكها بفضله، وكفىٰ بالجائر أن يحذر منه، فالمساق يدل علىٰ التحذير والنهي.

وعن التستري: ﴿قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: طريق السنة ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞ﴾ يعني إلىٰ النار، وذلك الملل والبدع.

وعن مجاهد: ﴿قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: المقتصد منها بين الغلو والتقصير وذلك يفيد أن الجائر هو الغالي أو المقصر، وكلاهما من أوصاف البدع»(٢).اهـ

وهدي رسول الله هو أفضل الهدي وأكمله والسير عليه علامة علىٰ محبته ﷺ والتي هي فرع عن محبة الله تعالىٰ ونحن سنُسأل بين يدي الله عن مدىٰ

(١) بدائع التفسير (٢/ ١٩١، ١٩٢).

(٢) الاعتصام (١/ ٧٨، ٧٩) (باختصار) ت: سليم الهلالي.

استجابتنا لهدي محمد ﷺ قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٥-٦٦].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ عند هذه الآية أي: «فلا يسألهم ربهم عن موجبات عقولهم بل عما أجابوا رسله فعليه يقع الثواب والعقاب»[(١)].

ويقول في ميميته المشهورة:

وبالسنة الغراء كن متمسكًا ... هي العروة الوثقىٰ التي ليس تفصم

تمسك بها مسك البخيل بماله ... وعض عليها بالنواجذ تسلم

وإياك ما أحدث الناس بعدها ... فمرتع هاتيك الحوادث أوخم

وهيء جوابًا عندما تسمع الندا ... من الله يوم العرض: ماذا أجبتم؟

به رسلي لما أتوكم فمن يجب ... سواهم سيخزىٰ عند ذاك ويندم[(٢)]

وقال أيضًا في نونيته البليغة:

ويرون أن أمامهم يوم اللقا ... لله مسألتان شاملتان

ماذا عبدتم ثم ماذا قد ... أجبتم من أتىٰ بالحق والبرهان

هاتوا جوابا للسؤال وهيئوا ... أيضا صوابًا للجواب يداني

وتيقنوا أن ليس ينجيكم سوىٰ ... تجريدكم لحقائق الإيمان

تجريدكم توحيده سبحانه ... عن شركة الشيطان والأوثان

وكذاك تجريد اتباع رسوله ... عن هذه الآراء والهذيان

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٥١).

(٢) طريق الهجرتين (ص: ٥٢) ط. دار الحديث.

والله مـا ينجـي الفتـىٰ عـن ربـه ... شـيء سـوىٰ هـذا بـلا روغـان[١]

وهذه الآية وإن كانت في المشركين والكفار فإن فيها توجيهًا لكل مسلم بأن يخاف ويعد الجواب لهذا السؤال العظيم في الموقف الرهيب.

ويحاسب نفسه في الدنيا عن مدىٰ إجابته للرسول ﷺ واستسلامه لشرعه وتفقد نفسه لئلا يكون قد قدم علىٰ ما جاء به الرسول ﷺ ذوقًا أو عقلًا أو رأيًا لرجل من الرجال، ولذلك حذر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ الحاكم والمفتي من التعصب لأقوال الأئمة وتقديمها علىٰ الكتاب والسنة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ سيسألهم عن رسوله ﷺ وما جاء به، يقول رحمه الله تعالىٰ: «ولا يسع الحاكم والمفتي غير هذا البتة، فإن الله سائلهما عن رسول الله ﷺ وما جاء به، لا عن الإمام المعين وما قاله، وإنما يسأل الناس في قبورهم ويوم معادهم عن الرسول ﷺ، فيقال له في قبره: **ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم** ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ولا يسأل أحد قط عن إمام ولا شيخ ولا متبوع غيره، بل يسأل عمن اتبعه وأتم به غيره، فلينظر بماذا يجيب؟ وليعد للجواب صوابًا»[٢]. اهـ

ويقول أيضًا في موطن آخر: «... قال أبو العالية: كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فالسؤال عماذا كانوا يعبدون هو السؤال عنها نفسها، والسؤال عماذا أجابوا المرسلين سؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية إليها هل سلكوها وأجابوا الرسل لما دعوهم إليه؛ فعاد الأمر كله إليها، وأمر هذا شأنه حقيق بأن تنعقد عليه الخناصر ويعض عليه بالنواجذ، ويقبض فيه علىٰ الجمر، ولا يؤخذ بأطراف الأنامل»[٣]. اهـ

---

(١) شرح قصيدة ابن القيم (٣٧٣/ ٢).

(٢) إعلام الموقعين (٤/ ٢٩٥) ط مكتبة ابن تيمية.

(٣) طريق الهجرتين (ص: ٢٨٣).

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالىٰ في تفسيره لهذه الآية: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ هل صدقتموهم، واتبعتموهم أم كذبتموهم وخالفتموهم؟ ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: «لم يحيروا عن هذا السؤال جوابًا، ولم يهتدوا إلىٰ الصواب، ومن المعلوم أنه لا ينجي في هذا الموضع إلا التصريح بالجواب الصحيح المطابق لأحوالهم؛ من أننا أجبناهم بالإيمان والانقياد، ولكن لما علموا تكذيبهم لهم وعنادهم لأمرهم؛ لم ينطقوا بشيء، ولا يمكن أن يتساءلوا ويتراجعوا بينهم؛ فبماذا يجيبون به؛ ولو كان كذبًا»[١]. اهـ

ولقد حذرنا الله في كتابه من البعد عن هدي رسول الله ﷺ فقال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالىٰ في تفسيره لهذه الآية: «وقوله ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي: عن أمر رسول الله ﷺ، سبيله ومنهاجه، وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود علىٰ قائله وفاعله، كائن من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**[٢].

فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنًا أو ظاهرًا ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا، بقتل أو حدٍّ أو حبس أو نحو ذلك.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه قال: فهذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثلي ومثلكم كمثل**

---

(١) تفسير السعدي عند الآية (٦٥، ٦٦) من سورة القصص.

(٢) البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب اللاتي يقعن في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه ويتقحمن فيها، قال: فذلك مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار: هلم عن النار فتغلبوني وتقتحمون فيها»[١]، أخرجاه من حديث عبد الرزاق[٢]. اهـ

فمعرفة الأوامر الشرعية وامتثالها وعدم تضيعها سبيل نجاة وسعادة في الدارين، ولذا قال الإمام ابن القيم، ما معناه: «كمال الإنسان بالإيمان والتقوىٰ، وكمال التقوىٰ بفعل ما أمر الله به، واجتناب ما نهىٰ الله عنه».

وترك الأمر أعظم عند الله من ارتكاب النهي؛ لأن الله نهىٰ آدم عن الأكل من الشجرة فأكل منها فتاب، فتاب الله عليه.

وإبليس أُمر أن يسجد لآدم مع الملائكة فلم يسجد واستكبر، فطرده الله ولعنه.

وارتكاب النهي غالبًا مصدره الشهوة والحاجة، وذنب ترك الأمر في الغالب الكبر والعزة.

والجنة لا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من كبر، ويدخلها من مات علىٰ التوحيد وإن زنىٰ وسرق.

وفعل المأمورات أحب إلىٰ الله من ترك المنهيات كما قال ﷺ حين سئل أي الأعمال أحب إلىٰ الله؟ فقال: «**الصَّلاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا**»، قال: ثُمَّ أيٌّ؟ قال: «**ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**»، قال: ثُمَّ أيٌّ؟ قال: «**الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[٣].

وفعل ما يحبه الله من الطاعات والمأمورات مقصود بالذات، وترك المنهي مقصود لتكميل فعل المأمور، فهو منهي عنه لأجل كونه يخل بفعل المأمور أو

---

(١) مسلم (٢٢٨٤) ورواه البخاري من طريق أخرىٰ (٦٤٨٣).

(٢) تفسير ابن كثير عند الآية (٦٣) من سورة النور.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

يضعفه أو ينقصه، كما نهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عن الخمر والميسر؛ لكونهما يصدان عن ذكر الله وعن الصلاة.

فالمنهيات قواطع وموانع صادة عن فعل المأمورات التي يحبها الله.

إذا عُرف هذا ففعل ما يحبه الله مقصود بالذات، ولهذا يُقدِّر ما يكرهه ويسخطه لإفضائه إلىٰ ما يحب، كما قدر المعاصي والكفر والفسوق لما ترتب علىٰ تقديرها مما يحبه الله من لوازمها من الجهاد والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحصول التوبة من العبد، والتضرع إليه والاستكانة، واتخاذ الشهداء، وإظهار عدل الله وعفوه وانتقامه وعزته، وحصول الموالاة والمعاداة لأجله.

وفي فعل المأمورات حياة القلب وغذاؤه، وزينته وسروره، وقرة عينه، ولذته ونعيمه، وترك المنهيات بدون ذلك لا يحصِّل له شيئًا من ذلك.

❍ وللعباد أربع حالات:

فمن فعل المأمورات وترك المنهيات فهذا ناج مطلقًا.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ومن فعل المأمورات، وفعل المنهيات، فهو إما ناجٍ مطلقًا إن غلبت حسناته علىٰ سيئاته، وإما ناج بعد عقوبته علىٰ سيئاته وتمحيصه.

ومن ترك المأمورات وترك المنهيات، فهو هالك غير ناج، ولا ينجو إلا بفعل المأمور وهو التوحيد، فمتىٰ خلا قلبه من التوحيد رأسًا فهو هالك، وإن لم يعبد مع الله غيره.

ومن ترك المأمورات وفعل المنهيات وهو هالك غير ناج كسابقه.

فإن عبد معه غيره عُذب علىٰ ترك التوحيد المأمور به، وفعل الشرك المنهي عنه.

والطاعات والمعاصي إنما تتعلق بالأمر أصلًا، وبالنهي تبعًا.

فالمطيع ممتثل المأمور، والعاصي تارك المأمور، واجتناب المناهي من تمام امتثال الأوامر ولوازمه.

فلو أن العبد اجتنب المنهي عنه، ولم يفعل ما أمر به، لم يكن مطيعًا، وكان عاصيًا، بخلاف ما لو أتىٰ بالأمر، وارتكب النهي، فإنه وإن عُد عاصيًا مذنبًا، فهو مطيع بامتثال الأمر، عاصٍ بارتكاب النهي.

امتثال الأمر عبودية وتقرب وخدمة، وتلك العبادة التي خلق الله لأجلها الخلق، بخلاف النهي فإنه أمر عدمي لا كمال فيه من حيث هو عدم، بخلاف الأمر فإنه أمر وجودي مطلوب الحصول.

والله عَزَّوَجَلَّ جعل جزاء المأمورات عشرة أمثالها، وجزاء المنهيات مثلًا واحدًا كما قال سبحانه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وهذا يدل علىٰ أن فعل ما أمر الله به أحب إليه من ترك ما نهىٰ عنه، وإن كان كلًّا منهما مقصود ومطلوب.

ولما كان امتثال الأوامر الواردة في الكتاب والسنة بهذه الأهمية في دين الله عَزَّوَجَلَّ حرصت علىٰ أن أجمع لي ولإخواني وأخواتي من المسلمين والمسلمات هذه الموسوعة المباركة الموسومة بـ«**موسوعة الأوامر الشرعية في الكتاب والسنة وشيء من فقهها وفوائدها**» لنستعين بها علىٰ معرفة المطلوب منا من الواجبات والمستحبات ومن ثم تطبيقها وجعلها واقعا عمليًّا فنحيا بدين الله ونجعله واقعًا عمليًّا في دنيانا؛ فتتنزل البركات والرحمات، ونفوز بخير الدنيا والآخرة، فلا سعادة ولا فلاح ولا نجاة في الدنيا والآخرة إلا بالإيمان والأعمال الصالحة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ

فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه: ٧٤ - ٧٦].

ونتحصل علىٰ الثواب العاجل والآجل الذي يتمنن الله به علىٰ من امتثل أوامره وفعل الطاعات بإخلاص لله واتباع لهدي رسول الله ﷺ؛ فثواب الله العاجل للعبد علىٰ الطاعات:

الأنس بالله.. ومحبته.. والتلذذ بمعرفته وطاعته وعبادته.. والرضا بقضائه.. والطمأنينة بذكره.. وبسط الرزق.. والكفاية والهداية.. وغير ذلك مما عجله الله سبحانه من ثواب الطاعات في الدنيا.

❍ **أما ثواب الطاعات الآجل فأنواع:**

أحدها: النعيم المادي كالمطاعم والمشارب، والحور والقصور والولدان المخلدون للخدمة ونحو ذلك.

الثاني: النعيم الروحاني كالتعزز بجوار الله وقربه، وسماع كلامه وسلامه، وتبشيره بالرحمة والرضوان.

الثالث: رضا الرحمن، ورؤية رب العالمين، وهما أعلىٰ نعيم الجنان كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢].

عملي في الكتاب

❍ **هذا وقد حرصت أثناء جمعي لهذه الموسوعة المباركة على ما يلي:**

جمع أهم الأوامر الشرعية الواردة في القرآن الكريم وصحيح السنة وتبويبها علىٰ طريقة الجوامع لتشمل التوحيد والعبادات والمعاملات والفضائل والآداب والأخلاق.

تقسيم كل كتاب من كتب الموسوعة إلىٰ أبواب تحت كل باب أهم الأوامر الواردة فيه من الكتاب والسنة.

حرصت قدر المستطاع علىٰ أن يكون التبويب خلاصة فقه الباب؛ ليكون التبويب وما تحته بمثابة متن يتضح من خلاله الأمر المطلوب فعله، وبيان درجته هل هو واجب أم مستحب؟ والأدلة الواردة فيه.

ثم أتبعت ذلك بفقه الباب[1] لمن أراد التوسع في المسألة من ناحية ولبيان ما يتعلق بالباب من فوائد وأحكام مستفادة نصًّا أو من ظاهر النص ومنطوقه، وسواء كان الحكم المستفاد من المنطوق صريحًا بدلالة المطابقة أو التضمن، أو غير صريح بدلالة الالتزام سواء ما كان منها بدلالة الاقتضاء أو الإشارة أو التنبيه والإيماء، أو كان الحكم مستفادًا من مفهوم النص سواء كان من مفهوم الموافقة المساوي للمنطوق (لحن الخطاب) أو الأولىٰ من المنطوق (فحوىٰ الخطاب) أو مفهوم المخالفة (دليل الخطاب) سواء ما كان منه بمفهوم الصفة أو الشرط أو غيرها من طرق استنباط الأحكام الشرعية من النصوص راعيت كل ذلك أثناء جمع الأحكام المستفادة من النصوص من مظانها.

---

(١) عدا أبواب الفضائل والآداب فقد اكتفيت فيها بذكر النصوص الواردة في الباب ووضع فقه الباب في العنوان طلبا للاختصار وللعزم علىٰ إفرادها بموسوعة مستقلة إن شاء الله تعالىٰ.

ثم بينت الحكم النهائي بأسلوب سهل ميسر بعيدًا عن التعقيد.

وفي بعض الأبواب ذكرت أهم التفريعات المتعلقة بالباب المذكور التي يُحتاج إليها وتوضيح كل ما يتعلق بالباب من أحكام وفوائد؛ لتكون الصورة كاملة في ذهن القارئ ولا يحتاج إلىٰ البحث عنها في مظانها تسهيلًا علىٰ القارئ الكريم وتوضيحًا لأهم المطلوب منه في هذا الباب.

حرصت في المسائل الخلافية سيما التي قوي فيها الخلاف علىٰ الإشارة إلىٰ الخلاف بأسلوب سهل بسيط ملخص وذكر أهم أدلة كل فريق مع الترجيح علىٰ وفق ما تقتضيه قواعد الأصول.

هذا وقد اعتمدت واستفدت في جمع وعزو الأقوال والتفريعات علىٰ بعض الكتب المعاصرة والتي تميزت بالتحرير والتدقيق في جمع أقوال أهل العلم مع عدم إهمال النظر في كتب الأئمة المتقدمين والعزو إليها في مظانه من الكتاب.

وذكرت أهم القضايا والتطبيقات المعاصرة التي نحتاج إليها في واقعنا المعاصر وبذلك أكون جمعت بين حُسنيين؛ فمن أراد الاختصار والحكم النهائي بأدلته من الكتاب والسنة نظر إلىٰ التبويب المتضمن للحكم النهائي وإلىٰ ما تحته من النصوص ومن أراد التوسع ومعرفة كل ما يتعلق بالباب من أحكام وفوائد نظر إلىٰ فقه الباب.

ومما يميز هذه الموسوعة أيضًا إضافة إلىٰ ما ذكر أنها تربط القارئ الكريم بالنصوص الواردة في الكتاب والسنة فالنص هو الأصل، ومن نظر في الأدلة الواردة تحت كل باب علم النصوص الواردة في الباب ثم بعد ذلك يطلع علىٰ الأقوال الواردة في الباب فيفهم الأقوال في ضوء تلك النصوص.

وهذا له أثره في تسديد الفهم واختيار القول الذي أعمل الأدلة الواردة في الباب دون إهمال أحدها أو علىٰ الأقل سيحرص علىٰ توجيه وفهم بقية

النصوص الواردة في الباب، وبذلك تقل نسبة الخطأ؛ فمن المعلوم أن من أراد الإصابة في أي مسألة من مسائل الدين عليه أن يجمع النصوص الواردة في الباب وأخذ الحكم من مجموع تلك النصوص.

خرجت الآيات والأحاديث المذكورة في الكتاب بطريقة مختصرة بعيدة عن الإسهاب الممل والاختصار المخل مع الحكم علىٰ كل حديث بما تقتضيه قواعد مصطلح الحديث، واستبعدت الأحاديث الضعيفة والموضوعة فلم أستدل إلا بحديث مقبول بعد النظر في إسناده والحكم عليه.

أَتْبَعْت هذه المقدمة بفصل مختصر فيه أهم المباحث الأصولية المتعلقة بالأمر والتي يحتاج إلىٰ معرفتها بل وإتقانها وإتقان أقوال أهل العلم فيها كل من أراد السداد في استنباط الأحكام الشرعية من النصوص المتعلقة بالأوامر والمقام لا يتسع للتفصيل فيها إنما هي إشارات وإرشادات توضح أهمية فهم هذه المباحث وترشد إلىٰ ضرورة النظر في المطولات لإتقانها فهي بداية للمبتدئ وتذكير للمنتهي.

وأخيرًا أسأل الله سبحانه أن ينفع بهذا العمل وبما بذل فيه ـ من نفائس الأنفاس وجهد وسهر وطول فكر وكبير بحث لاختيار حكم أو تسديد لفظة أو اختيار فكرة ـ مؤلفه وناشره وقارئه وأن يجعله ذخرًا لنا يوم لقاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه حامدًا مصليًا مسلمًا

د. عادل شوشة

مصر ـ المنصورة

فصل
في بيان بعض المباحث الأصولية المتعلقة بالأمر

❍ **تعريف الأمر:**

الأمر: قول يتضمن طلب الفعل علىٰ وجه الاستعلاء.

❍ **شرح التعريف:**

فخرج بقولنا (قول) الإشارة، فلا تسمىٰ أمرًا وإن أفادت معناه.

وخرج بقولنا (طلب الفعل) النهي؛ لأنه طلب ترك، والمراد بالفعل الإيجاد، فيشمل القول المأمور به.

وخرج بقولنا (علىٰ وجه الاستعلاء) الالتماس والدعاء وغيرهما مما يستفاد من صيغة الأمر بالقرائن.

❍ **صيغ الأمر:**

المقصود بصيغة الأمر الألفاظ التي تستعمل في لغة العرب ويستفاد منها طلب الفعل، وقد دل الاستقراء علىٰ أن الألفاظ التي تستعمل لطلب الفعل أربع صيغ أصلية وخمسة غير الأصلية.

❍ **(أولا) - صيغ أصلية:**

(١) **فعل الأمر**: وهو ما جاء علىٰ وزن (افعل) نحو قوله تعالىٰ: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [سبأ: ١١]، وقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وهذه الصيغة أكثر الصيغ استعمالًا في لغة العرب وفي النصوص الشرعية.

(٢) **اسم فعل الأمر**: وهو ما ناب عن الفعل ودل عليه مثل كلمة «عليكم» في

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [المائدة١٠٥]، وكلمة «عليك» في قوله ﷺ: «**عليك بالرفق، وإياك والعنف**» صححه الألباني.

(٣) **المضارع المجزوم بلام الأمر**: أي فعل المضارع المقترن بلام الأمر نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقوله ﷺ: «**من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**» متفق عليه.

(٤) **المصدر النائب عن فعل الأمر**: وهو الذي يقع جزاءً لشرط وهو المصدر الدال علىٰ الطلب نحو قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]، أي: فاضربوا رقابهم، ونحو قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ﴾ [المجادلة: ٤]، أي: فليصم شهرين متتابعين، أو فليطعم ستين مسكينًا، وقوله ﷺ: «**صبرًا آل ياسر إن موعدكم الجنة**» صححه الألباني.

○ **ثانيًا الصيغ غير الأصلية هي:**

(١) **بلفظ الأمر**: نحو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

(٢) وبلفظ الفرض، نحو قوله ﷺ: «**فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِيْ يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ**» البخاري.

(٣) وبلفظ الكتب، نحو قوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٣].

(٤) وبلفظ الوجوب، نحو قوله ﷺ: «**مَنْ أَعْتَقَ شِرْكًا لَهُ فِيْ مَمْلُوْكٍ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْتِقَ كُلَّهُ**» البخاري.

(٥) أن يكون تركه مقرونًا بوعيد، نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا﴾ [الفتح: ١٣].

○ ما تقتضيه صيغ الأمر:

صيغة الأمر عند الإطلاق تقتضي وجوب المأمور به، وقد يخرج عن الوجوب إلىٰ معانٍ، منها:

الندب، نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

الإباحة، نحو قوله تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

الوعيد، نحو قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

الامتنان، نحو قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨].

التعجيز، نحو قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

التهديد، نحو قوله تعالىٰ: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [السجدة: ٤٠].

الإرشاد إلىٰ ما فيه مصلحة، نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

التأديب، نحو قول الرسول ﷺ: «**يَا غُلَامُ! سَمِّ الله وَكُلْ بِيَمِيْنِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيْكَ**» البخاري.

الدعاء، نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

صيغة الأمر عند الإطلاق هل تفيد التكرار أم المرة؟

○ لصيغة الأمر ثلاث حالات:

الحالة الأولي: أن ترد مقيدة بالمرة، كقولك مثلًا (أكرم خالدًا مرة واحدة)،

أو كقولك (أكرم محمدًا مرات)، ففي هذه الحالة يعمل بمقتضىٰ القيد.

الحالة الثانية: أن ترد مقيدة بالشرط كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، ففي هذه الحالة يتكرر فعل المأمور به بتكرر الشرط أو الصفة.

الحالة الثالثة: أن ترد مجردة من أي قيد من هذه القيود، وذلك بأن ترد مطلقة غير مقيدة بمرة ولا بمرات ولا بشرط ولا بصفة، ففي هذه الحالة تدل علىٰ طلب الماهية وإدخالها في حيز الوجود دون إشعار بتكرار ولا بمرة، غير أنه يشترط لتحقيق الماهية المرة الواحدة.

صيغة الأمر عند الإطلاق هل تفيد الفور أم التراخي؟

صيغة الأمر عند الإطلاق تفيد المبادرة بفعل والفورية ومن الأدلة علىٰ أنه للفور قوله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، والمأمورات الشرعية خير، والأمر بالاستباق إليها دليل علىٰ وجوب المبادرة، ولأن النبي ﷺ كره تأخير الناس ما أمرهم به من النحر والحلق يوم الحديبية، حتىٰ دخل علىٰ أم سلمة رضي الله عنها فذكر لها ما لقي من الناس، ولأن المبادرة بالفعل أحوط وأبرأ، والتأخير له آفات ويقتضي تراكم الواجبات حتىٰ يعجز عنها.

○ الواجب:

الواجب لغة: الساقط واللازم.

واصطلاحًا: ما أمر به الشارع علىٰ وجه الإلزام ويثاب فاعله امتثالًا ويستحق تاركه مع القدرة العقاب.

○ ملاحظات على التعريف:

١- يخرج بقولنا (ما أمر به الشارع) المحرم والمكروه والمباح.

٢- وخرج بقولنا (علىٰ وجه الإلزام) المندوب.

٣- وقولنا يثاب فاعله امتثالًا يفيد أن من فعل الواجبات الشرعية بنية التقرب بها إلىٰ الله تعالىٰ فله أجره أما من فعلها بدون هذه النية فلا أجر له ومع ذلك فقد تسقط عنه المطالبة كمن أخذت منه الزكاة قهرًا، وقلنا يستحق تاركه العقاب؛ لأنه تحت مشيئة الله إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له.

○ الفرق بين الواجب والفرض:

الجمهور علىٰ أن الواجب هو الفرض خلافًا للأحناف فإنهم فرقوا بينهما من جهة الدليل فقالوا إن الفرض: ما أمر به الشارع علىٰ وجه الإلزام وكان دليل لزومه قطعيًّا (كنصوص القرآن والمتواتر من الحديث)، والواجب: هو ما أمر به الشارع علىٰ وجه الإلزام وكان دليل لزومه ظنيًّا كأخبار الآحاد.

○ وأثر هذا التفريق عندهم يظهر في أمرين:

١- اللزوم في الواجب أقل منه في الفرض ومن ثم يختلف العقاب.

٢- منكر الفرض يكفر ومنكر الواجب لا يكفر.

هذا وذهب فريق من أهل العلم إلىٰ القول بأن الخلاف في هذه المسألة لفظي؛ لأن الجميع متفقون علىٰ أن الأمر بفعل الواجب والفرض علىٰ وجه الإلزام.

فالجمهور مقرون بأن دليل الواجب قد يكون ظنيًّا وقد يكون قطعيًّا لكنهم يسوون بينهما؛ لأن كلا منهما لازم علىٰ المكلف، وهذا القدر كاف؛ لأن يكون شيئًا واحدًا، وأما البحث في قوة الدليل وكون المنكر يكفر أو لا يكفر فإن هذا مجاله الأدلة التفصيلية وليس الأدلة الإجمالية فهو اعتبار فقهي وليس اختلافًا بين الأصوليين.

○ أنواع أدلة الوجوب:

الشرع يدل علىٰ الوجوب بأمور منها:

١- صيغ الأمر وهي ثلاث:

أ- فعل الأمر نحو: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

ب- الفعل المضارع المقترن بلام الأمر نحو: ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾.

ج- اسم فعل الأمر نحو: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ أي: ألزموا كتاب الله.

٢- ألفاظ موضوعه في اللغة للإيجاب والإلزام منها:

لفظ: (فرض) وما اشتق منه نحو: «**خمس صلوات افترضهن الله**».

لفظ: (كتب) وما اشتق منه نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾.

لفظ: (وجب) وما اشتق منه نحو حديث «**تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب**».

لفظ: (الأمر) وما اشتق منه نحو: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾.

لفظ (الحق) وما اشتق منه نحو: ﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ ونحو: «**أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم**».

٣- الوعيد على الترك نحو: ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا﴾.

❍ **أقسام الواجب:**

ينقسم الواجب إلى أقسام متعددة باعتبارات مختلفة:

١- باعتبار ذاته: فينقسم باعتبار ذاته إلى قسمين:

أ- معين: وهو ما لا يقوم غيره مكانه كالصوم والصلاة.

ب- مبهم أو مخير، وهو ما طلبه الشارع لا بعينه ولكن ضمن أمور معلومة، وللمكلف أن يختار واحدًا منها مثاله كفارة اليمين.

٢- باعتبار وقته: وينقسم بهذا الاعتبار إلى:

أ- **واجب موسع**: وهو ما يسع وقته لفعل عبادة من جنسه كالصلاة.

ب- **واجب مضيق**: وهو ما لا يسع وقته لعبادة من جنسه كصيام رمضان.

ج- **واجب مطلق**: وهو ما ليس له وقت محدد كالأمر بالمعروف وصلة الرحم.

٣- **باعتبار قدره**: وينقسم بهذا الاعتبار إلىٰ:

أ- **واجب مقدر (محدد) وهو**: ما قدَّره الشرع بحدٍّ أو بعدد كفريضة صلاة الصبح مثلًا، وكفريضة الزكاة.

ب- **واجب غير مقدر (غير محدد) وهو**: ما ليس له تقدير وارد في الشرع كنفقة القريب؛ فهي إنما يطلب بها لسد الحاجة لا غير.

٤- **باعتبار فاعله**: وهو ينقسم بهذا الاعتبار إلىٰ:

أ- **الواجب العيني**: (فرض العين) وهو: ما يتوجه فيه الطلب اللازم إلىٰ كل مكلف، فلا يكفىٰ فيه قيام البعض دون البعض ولا تبرأ ذمة المكلف منه إلا بأدائه، فالمنظور في الواجب الفعل نفسه والفاعل نفسه فالفعل واجب من كل مكلف كالصلاة والصيام.

ب- **الواجب الكفائي**: (فرض الكفاية) هو: ما طلب الشارع حصوله من جماعة المكلفين لا من كل فرد منهم فإن قام به البعض سقط عن الباقين وإن لم يقم به أحد أثم جميع القادرين؛ فالنظر هنا إلىٰ الفعل لا إلىٰ الفاعل: كغسل الميت ودفنه.

هذا وقد يؤول واجب الكفاية إلىٰ أن يكون واجبًا عينيًّا، فلو كانت البلد مضطرة إلىٰ قاضيين وكان هناك عشرة يصلحون للقضاء فإن توليه واجب

كفائي علىٰ العشرة أما إن لم يكن هناك غير اثنين فإنه يكون واجبًا عينيًّا عليهما.

❍ **مسائل في الواجب:**

المقدور عليه الذي لا يتم الواجب إلا به فهو واجب:

إن تنفيذ بعض الواجبات قد يستحيل إلا بعمل شيء آخر معه أو قبله فهذا الشيء الآخر يكون حينئذ واجبًا فهو واجب لغيره وليس واجبًا لذاته.

مثاله: الطهارة للصلاة والسفر إلىٰ مكة للحج.

ما لا يتم الوجوب إلا به فليس تحصيله بواجب:

إن وجوب الزكاة لا يكون إلا بملك النصاب ولا يجب علىٰ المرء تحصيل النصاب من أجل أن تجب عليه الزكاة.

الواجبات تتفاوت:

تتفاوت الواجبات تفاوتًا عظيمًا فمنها ما هو أركان للإسلام كما في حديث «**بني الإسلام علىٰ خمس**»، ومنها ما هو دون ذلك.

❍ **المندوب:**

المندوب لغة: من الندب وهو الدعاء إلىٰ أمر مهم، والمندوب هو المدعو إليه.

وفي الاصطلاح: هو ما طلب الشارع فعله لا علىٰ وجه الإلزام ويثاب فاعله امتثالًا ولا يعاقب تاركه.

❍ **وللمندوب أسماء أخرى:**

منها: (السنة - النفل أو النافلة ـ الفضيلة - الرغيبة - التطوع - المستحب) ومعانيها كلها متقاربة.

❍ **الأدلة التي يثبت بها حكم المندوب:**

يدل الشرع للمندوبات بأمور منها:

١- **الترغيب في الفعل:** نحو حديث «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

٢- ذكر الثواب عليه «**من بنىٰ لله مسجدًا بنىٰ الله له بيتًا في الجنة**».

٣- الأمر مع قرينه صارفة له عن الوجوب «**صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب، ثم قال: لمن شاء**».

٤- فعل النبي ﷺ لما يتقرب به دون دليل يدل علىٰ الوجوب كصومه يوم الإثنين والخميس.

❍ مسائل في المندوب:

هل يثبت المستحب بالدليل الضعيف؟

لا؛ لأن الاستحباب حكم شرعي لابد لإثباته من دليل صحيح.

هل تتفاوت المستحبات؟

نعم تتفاوت فتطوعات الصلاة مثلًا تتفاوت؛ فالوتر وركعتا الفجر لم يكن رسول الله ﷺ يتركهما حضرًا ولا سفرًا، وهناك سنن رواتب هي دونها في الترتيب وهناك سنن غير راتبه هي دون سابقتها وهكذا.

هل يتعلق اللوم والذم بترك النوافل؟

نعم يتعلق بتركها لوم وذم إذا واظب الإنسان علىٰ تركها خاصة المؤكد منها وكذلك إذا تواطأ أهل بلدة علىٰ الامتناع عنها كنكاح مثلًا فلا يصح تركه من قبل الأمة كلها وكذلك جماعة المسجد.

❍ هل يجب المندوب بالشروع فيه؟

لا يجب علىٰ الراجح لحديث مسلم عن عائشة قالت: دخل علىٰ النبي ﷺ ذات يوم فقال: «**هل عندكم شيء**»؟ قلنا: لا، قال: «**فإني إذًا صائم**» ثم أتانا يومًا آخر فقلنا: أهدىٰ لنا حيس فقال: «**أرينيه فلقد أصبحت صائمًا**»؛ فأكل.

ما هي علاقة المستحب بالواجب؟

المستحب خادم للواجب فهو دافع قوىٰ علىٰ الالتزام بالواجبات بالإضافة إلىٰ أنه يجبر النقص فيها يقول الشاطبي: المندوب إذا اعتبرته اعتبارًا أعم وجدته خادمًا للواجب؛ لأنه إما مقدمة له أو تذكار به سواء كان من جنسه واجب أو لا، فالذي من جنس الواجب كنوافل الصلوات مع فرائضها، والذي من غير جنسه كالسواك وتعجيل الإفطار.

ومعنىٰ كلامه، أن من حافظ علىٰ المندوبات حافظ علىٰ الواجبات ومن قصر في المندوبات فهو عرضة لأن يقصر في الواجبات.

بعض القواعد الهامة المتعلقة بالأمر:

أوردت في هذا المبحث مجموعة من القواعد التي ينصح بالاطلاع عليها وعلىٰ أقوال العلماء فيها وترجيحاتهم من المطولات لمن أراد السداد في استنباط الأحكام الشرعية من النصوص المتعلقة بالأوامر وقد ذكرت مع كل قاعدة صيغها المختلفة والقواعد ذات العلاقة التي من شأنها أن تخدم معنىٰ القاعدة ومضمونها الكلي، كأن تكون أصلًا لها أو فرعًا منبثقًا عنها أو قيدًا أو شرطًا لها، أو مكمِّلة لها بمزيد من التوضيح والبيان، أو تكون مخالفة لها[1]، أو قسيمًا من قسائمها، إلىٰ غيرها من وجوه العلاقة المحتملة الأخرىٰ، وأوضح ذلك بجوار كل قاعدة من القواعد ذات علاقة بالقاعدة الأصل؛ فأذكر بجوارها مثلًا مخالفة أو أخص أو مكملة لتوضيح نوع العلاقة، ولأن المقام لا يتسع للشرح والبيان فأكتفي بذكر القواعد والعزو للمصادر التي تحدثت عنها بالتفصيل تسهيلًا علىٰ القارئ الكريم في الوصول إلىٰ أقوال أهل العلم في القاعدة المشار إليها والخلاف فيها والترجيح إن وجد.

---

(١) أذكر القواعد المخالفة لمعرفة الخلاف إن وجد وأقوال أهل العلم في القاعدة وبيان نوع الخلاف ومن ثم معرفة إذا كان القاعدة متفق عليها أم لا.

○ وهذا أوان الشروع في المقصود وذكر القواعد التي ينصح بالاطلاع عليها وهي(١):

١- لفظ الأمر حقيقة في القول المخصوص مجاز في غيره(٢):

○ صيغ أخرى للقاعدة:

١- الأمر حقيقة في القول المخصوص اتفاقًا وفي الفعل مجاز(٣).

٢- صيغة الأمر حقيقة في القول المخصوص ومجاز في غيره(٤).

٣- لفظة الأمر حقيقة في القول المخصوص مجاز في الفعل(٥).

٤- الأمر حقيقة في القول المخصوص وفي الفعل مجاز(٦).

---

(١) انظر: معلمة زايد للقواعد الفقهية (٣١/ ١٣١: ٣٣٧).

(٢) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج لابن السبكي (٢/ ٨) ومعنى القاعدة أن الأمر لفظ يستعمل حقيقة في القول الطالب للفعل وهو ما يعبر به عند الأصوليين بالقول المخصوص، وإذا استعمل في غيره من المعاني مثل أن يطلق لفظ الأمر ويراد به الفعل أو الحادثة، كما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧] أو يراد به الشيء، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ١٨] أو يراد به الحال والشأن، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥] أو يراد به الحكم، كما في قوله تعالى ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] فهو على سبيل المجاز.

(٣) انظر: مختصر المنتهى لابن الحاجب مع شرحه رفع الحاجب لابن السبكي (٢/ ٤٨٥)؛ ومع شرحه للعضد (ص١٦١)، وجمع الجوامع لابن السبكي؛ ومعه شرح المحلي وحاشية البناني (١/ ٣٦٧)؛ والتحرير وشرحه التحبير للمرداوي (٥/ ٢١٥٥، ٢١٥٨)؛ والتقرير والتحبير لابن أمير الحاج (١/ ٣٥٧)؛ والمختصر في أصول الفقه للبعلي (ص٩٧)؛ وغاية الوصول في شرح لب الأصول للشيخ زكريا الأنصاري (ص٥٠)؛ وإجابة السائل شرح بغية الآمل للصنعاني (ص٢٧٣).

(٤) الإبهاج لابن السبكي (٢/ ١٣).

(٥) انظر: المحصول في علم أصول الفقه للفخر الرازي (٢/ ٩)؛ والتحرير للكمال ابن الهمام مع شرحه التقرير والتحبير لابن أمير الحاج (١/ ٣٥٦)؛ والتحرير مع شرحه تيسير التحرير لأمير بادشاه (١/ ٣٣٣)؛ وتيسير التحرير لأمير بادشاه (١/ ٣٣٤).

(٦) القواعد لابن اللحام (ص٢١٣).

٥- لفظ الأمر حقيقة في القول مجاز في الفعل[١].

○ قواعد ذات علاقة:

١- لفظ الأمر مشترك بين القول المخصوص والفعل[٢] (مخالفة).

٢- الأمر مشترك بينه وبين الشأن والطريقة ونحو ذلك[٣] (مخالفة).

٣- لفظ الأمر وما تصرف منه حقيقة في القول الدال بالوضع علىٰ طلب الفعل[٤] (أخص).

٤- الأمر للوجوب[٥] (مكملة).

٥- الأمر والنهي يأتيان في صورة الخبر[٦] (مكملة).

٦- إخبار الشارع يراد به الأمر مجازًا[٧] (مكملة).

٢- الأَمرُ المُطلَقُ لِلوُجُوبِ[٨]:

○ صيغ أخرى للقاعدة:

١- الأمر يقتضىٰ الوجوب ما لم تقم قرينة تصرفه إلىٰ غيره[٩].

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٢/ ٣٤٣).

(٢) انظر: الإبهاج لابن السبكي (٢/ ٨).

(٣) المختصر في أصول الفقه للبعلي (ص٩٧).

(٤) التمهيد في تخريج الفروع علىٰ الأصول للإسنوي (ص٣٢٦).

(٥) المحلىٰ لابن حزم الظاهري (٩/ ١٠٦، ١٤٨)؛ والتمهيد لأبي الخطاب الكلوذاني (٢/ ٣٢٧)؛ والمحصول للفخر الرازي (٢/ ٥٠، ٦٢)؛ ونهاية الوصول في دراية الأصول للهندي (٣/ ١١٨٧).

(٦) انظر: أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص (٣/ ١٤٢)، وشرح الكوكب المنير لابن النجار (٣/ ٦٦).

(٧) شرح التلويح علىٰ التوضيح لمتن التنقيح للسعد التفتازاني (١/ ٢٨١).

(٨) شرح التلويح للتفتازاني (١/ ٢٩١، ٢٩٢)؛ والتحبير للمرداوي (٢/ ٦٠٥)، و(٣/ ١٠٤١)، وتحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد للعلائي (ص١٢٨).

(٩) القواعد والفوائد الأصولية لابن اللحام (ص١٥٩).

٢- الأمر المجرد عن قرينة حقيقةٌ في الوجوب[١].

٣- الأصل في الأمر الوجوب[٢].

٤- موجب الأمر الوجوب[٣].

٥- الأمر للوجوب[٤].

○ قواعد ذات علاقة بالقاعدة المذكورة:

١- الأمر المجرد عن قرينة حقيقة للندب[٥] (مخالفة).

٢- الأمر المجرد عن قرينة حقيقة في الإباحة[٦] (مخالفة).

٣- الأمر المجرد عن قرينة للاشتراك اللفظي بين الوجوب والندب[٧] (مخالفة).

٤- الأمر المجرد عن قرينة حقيقة في القدر المشترك بين الوجوب والندب[٨] (مخالفة).

---

(١) التحبير شرح التحرير للمرداوي (٥/ ٢٢٠٢)، وفي معناها: «الأمر المجرد عن القرينة يقتضي الوجوب» الإبهاج لابن السبكي (٢/ ٦٧)، وفي معناها: «إذا ورد الأمر متجردا عن القرائن اقتضىٰ الوجوب» روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة (١/ ٥٥٢).

(٢) المسودة في أصول الفقه لآل تيمية (ص٥)، وإجابة السائل شرح بغية الآمل للصنعاني (ص٣٦).

(٣) قواطع الأدلة لابن السمعاني (١/ ٥٤)، وكشف الأسرار لعبد العزيز البخاري (٢/ ٤٧٧)، وفي معناها: «مقتضىٰ الأمر الوجوب» التبصرة للشيرازي (ص٦٢).

(٤) المستصفىٰ للغزالي (٢/ ٨٩)، والمحصول للفخر الرازي (٢/ ٢٨)، و(٦٢)، و(٦٩)، والإحكام للآمدي (٢/ ١٤٧، ١٤٨)، و(١٥٠)، و(١٥٣)، و(٣/ ٤٨).

(٥) التحبير شرح التحرير للمرداوي (٥/ ٢٢٠٤).

(٦) التحبير شرح التحرير للمرداوي (٥/ ٢٢٠٨).

(٧) التحبير شرح التحرير للمرداوي (٥/ ٢٢٠٦).

(٨) التحبير شرح التحرير للمرداوي (٥/ ٢٢٠٥).

٥- للأمر صيغة موضوعة في اللغة[١] (أصل).

٦- الأمر والنهي يأتيان في صورة الخبر[٢] (مكملة).

٧- النهي المطلق للتحريم[٣] (مكملة).

٨- المبادرة إلىٰ الفهم دليل الحقيقة[٤] (اللزوم).

٩- الأصل في كل كلام حمله علىٰ ظاهره[٥] (اللزوم).

٣- الأمر لا ينحصر في صيغة افعل[٦]:

○ صيغ أخرى للقاعدة:

١- صيغة الأمر افعل وما يقوم مقامها[٧].

٢- المعتبر في الأمر صيغة افعل ونحوه[٨].

٣- الأمر لفظه صيغة افعل ونظائرها[٩].

٤- الأمر صيغة افعل وما في معناها[١٠].

---

(١) التبصرة في أصول الفقه للشيرازي (ص١٢).
(٢) أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص (٣/ ١٤٢).
(٣) البرهان لإمام الحرمين (١/ ٢٨٠).
(٤) العقد المنظوم للقرافي (٢/ ٤٠٩).
(٥) كشف الأسرار لعبد العزيز البخاري (٢/ ٢٨٨).
(٦) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤٠٩).
(٧) الإبهاج لابن السبكي (٢/ ١٦).
(٨) تيسير التحرير لأمير بادشاه (١/ ٣٣٦).
(٩) تيسير التحرير لأمير بادشاه (١/ ٣٣٣).
(١٠) المطلع علىٰ أبواب المقنع لمحمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي (ص٣٩٣).

○ **قواعد ذات علاقة:**

١- للأمر صيغة موضوعة في اللغة[١] (أصل).

٢- الأمر والنهي يأتيان في صورة الخبر[٢] (عموم وخصوص).

٣- إخبار الشارع يراد به الأمر مجازًا[٣] (أخص).

٤- الأمر للوجوب[٤] (مكملة).

٥- الأمر بالشيء أمر بلوازمه[٥] (مكملة).

٦- الأمر حقيقة في القول المخصوص مجاز في الفعل[٦] (مكملة).

٧- ما جاز أن يعلق الحكم عليه نطقا جاز أن يعلق الحكم عليه استنباطًا[٧] (اللزوم).

٤- أدنى درجات الأمر الندب أو الإباحة[٨]:

○ **صيغ أخرى للقاعدة:**

١- أقل مراتب الأمر الإباحة أو الندب[٩].

---

(١) التبصرة في أصول الفقه للشيرازي (ص١٢).

(٢) أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص (٣/ ١٤٢)؛ وشرح الكوكب المنير لابن النجار (٣/ ٦٦).

(٣) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح للسعد التفتازاني (١/ ٢٨١).

(٤) التمهيد لأبي الخطاب الكلوذاني (٢/ ٣٢٧)، المحصول للفخر الرازي (٢/ ٥٠، ٦٢)؛ نهاية الوصول للهندي (٣/ ١١٨٧).

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٥٣١).

(٦) جمع الجوامع لابن السبكي ومعه شرح المحلي وحاشية البناني (١/ ٣٦٧)، التحرير وشرحه التحبير للمرداوي (٥/ ٢١٥٥، ٢١٥٨)، التقرير والتحبير لابن أمير الحاج (١/ ٣٥٧)؛ المختصر في أصول الفقه للبعلي (ص٩٧).

(٧) شرح اللمع للشيرازي (٢/ ٨٣٩).

(٨) المبسوط للسرخسي (٨/ ١٢٧)؛ كشف الأسرار لعبد العزيز البخاري (١/ ٤٨)؛ بدائع الصنائع للكاساني (٤/ ١٣٤).

(٩) الإحكام لابن حزم (٧/ ٣٣٨).

٢- مقتضىٰ الأمر الندب أو الإباحة[١].

٣- إذا صُرِف الأمر عن الوجوب جاز أن يحتج به علىٰ الندب أو الإباحة[٢].

قواعد ذات علاقة:

١- أقل أحوال النهي الكراهة[٣] (مقابلة).

٢- الأمر المطلق للوجوب[٤] (مكملة).

٥- إذا ورد أمر بشيء يتعلق بالمأمور وكان عند المأمور وازع يحمله على الإتيان به فلا يحمل ذلك الأمر على الوجوب[٥]:

○ قواعد ذات علاقة:

١- الأمر المطلق للوجوب[٦] (مكملة).

٢- للأمر صيغة موضوعة في اللغة[٧] (مكملة).

٣- الأمر بالشيء أمر بلوازمه[٨] (مكملة).

---

(١) أصول السرخسي (١/ ٤٤).

(٢) القواعد لابن اللحام.

(٣) المغني لابن قدامة (١/ ٦٢).

(٤) التحبير شرح التحرير للمر داوي (٢/ ٦٠٥).

(٥) التمهيد في تخريج الفروع علىٰ الأصول للإسنوي (ص٣٤٣)، مختصر من قواعد العلائي وكلام الإسنوي لابن خطيب الدهشة (٢/ ٤٠٦).

(٦) تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد للعلائي (ص١٢٨)، شرح التلويح للتفتازاني (١/ ٢٩١، ٢٩٢)، التحبير للمرداوي (٢/ ٦٠٥)، و(٣/ ١٠٤١).

(٧) التبصرة في أصول الفقه للشيرازي (ص١٢).

(٨) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (١٠/ ٥٣١).

٤- داعي الطبع أقوى من داعي الشرع[1] (اللزوم).

٥- قوة الداعي الطبعي قادحة في الظن المستفاد من الوازع الشرعي[2] (اللزوم).

٦- ما يجوز تركه لا يكون واجبًا[3] (اللزوم).

٧- ما جاز أن يعلق الحكم عليه نطقا جاز أن يعلق الحكم عليه استنباطا[4] (اللزوم).

٦- الأمر المطلق لا يدل على تكرار ولا على مرة[5]:

○ صيغ أخرى للقاعدة:

١- الأمر المطلق لا يدل بذاته لا على التكرار ولا على المرة[6].

٢- الأمر المطلق لا يفيد التكرار ولا يدفعه[7].

٣- الأمر المطلق لا يكون محتملا للتكرار[8].

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز ابن عبد السلام (٢/ ٣٠)، ومثلها: «داعية الطبع تجزئ عن تكليف الشرع» الأشباه والنظائر لابن السبكي (١/ ٣٦٨)، و: «الوازع الطبيعي مغن عن الإيجاب الشرعي» الأشباه والنظائر لابن السبكي (١/ ٣٦٨)، و«الوازع الطبعي أقوى من الوازع الشرعي» قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز ابن عبد السلام (٢/ ١١٩)، وانظر: تهذيب الفروق لمحمد المكي المالكي (٤/ ٢١٦).

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز ابن عبد السلام (٢/ ٢٩).

(٣) نفائس الأصول في شرح المحصول للقرافي (٤/ ١٥٩٢).

(٤) شرح اللمع في أصول الفقه للشيرازي (٢/ ٨٣٩).

(٥) التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للإسنوي (ص٣٥٦)، نهاية السول للإسنوي (١/ ١٧٢)؛ هداية العقول للحسين بن القاسم (٢/ ١٤٩)؛ الكاشف لذوي العقول لابن لقمان (ص١٤٤).

(٦) الإبهاج لابن السبكي (٢/ ٤٨).

(٧) المنهاج للبيضاوي مع شرحه الإبهاج لابن السبكي (٢/ ٤٨).

(٨) كشف الأسرار عن أصول البزدوي لعلاء الدين البخاري (١/ ١٨٥).

٤- الأمر المطلق لا يدل علىٰ التكرار(١).

❍ قواعد ذات علاقة:

١- الأمر المطلق لا يقتضي الفور ولا التكرار(٢) (عموم وخصوص).

٢- الأمر المطلق يدل علىٰ التكرار المستوعب لزمان العمر(٣) (مخالفة).

٣- الأمر المطلق يدل علىٰ المرة(٤) (مخالفة).

٤- الأمر المطلق مشترك بين التكرار والمرة(٥) (مخالفة).

٥- النهي يقتضي التكرار(٦) (مكملة).

٦- الأمر للوجوب(٧) (مكملة).

---

(١) انظر: إجابة السائل شرح بغية الآمل للصنعاني (ص٢٨٢، ٢٨٣)، التبصرة للشيرازي (ص٤٩)؛ الإحكام للآمدي (٢/ ١٦١)؛ شرح مختصر الروضة للطوفي (٢/ ٣٧٤)؛ نهاية السول للإسنوي (١/ ١٧٥)؛ المدخل إلىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران (ص٢٢٧).

(٢) الإحكام للآمدي (٤/ ٣٢).

(٣) الإبهاج لابن السبكي (٢/ ٤٨)، ومثلها: «الأمر المطلق للتكرار» الإحكام للآمدي (٢/ ١٦٠)، و«الأمر المطلق يوجب التكرار المستوعب لجميع العمر» كشف الأسرار عن أصول البزدوي للعلاء البخاري (١/ ١٨٤)، و«يدل علىٰ التكرار المستوعب لزمان العمل» نهاية السول للإسنوي (١/ ١٧٢).

(٤) نهاية السول للإسنوي (١/ ١٧٢).

(٥) نهاية السول للإسنوي (١/ ١٧٢).

(٦) قواطع الأدلة لابن السمعاني (١/ ٥٢)؛ والإبهاج (٢/ ٥٢، ٥٣)، والمدخل لابن بدران (ص٢٣٥).

(٧) التمهيد في أصول الفقه لأبي الخطاب (٢/ ٣٢٧)؛ المحصول للفخر الرازي (٢/ ٥٠، ٦٢)، نهاية الوصول للهندي (٣/ ١١٨٧).

٧- تكرار الأمر بالشيء يقتضي تكرار المأمور به(١) (مكملة).

○ صيغ أخرى للقاعدة:

١- الأمر إذا تكرر يقتضي تكرار المأمور به(٢).

٢- الأمر المتكرر يفيد تكرار المأمور به(٣).

٣- إذا تكرر الأمر بالفعل الواحد اقتضىٰ الاستئناف(٤).

٤- إذا تكرر الأمر بالشيء اقتضىٰ ذلك وجوب تكرار المأمور به(٥).

○ قواعد ذات علاقة:

١- تكرار الأمر بالشيء لا يقتضي التكرار(٦) (مخالفة).

٢- تكرار الأمر بالشيء لا يحمل علىٰ تأكيد ولا تكرار إلا بدليل(٧) (مخالفة).

٣- التأسيس أولىٰ من التأكيد(٨) (اللزوم).

---

(١) إحكام الفصول في أحكام الأصول للباجي (ص٩٤)؛ التبصرة للشيرازي (ص٢٩).

(٢) العدل والإنصاف للورجلاني (١/ ٧٤).

(٣) التمهيد في أصول الفقه لأبي الخطاب الكلوذاني (٢/ ١٧٧).

(٤) اللمع في أصول الفقه للشيرازي (ص٧).

(٥) المسودة في أصول الفقه لآل تيمية (ص٢٣)، وفي معناها: «يجب تكرار المأمور به بتكرار الأمر به» التقريب والإرشاد الصغير للباقلاني (٢/ ١٣٩)، و«إذا تكرر الأمر تكرر المأمور به» منهاج الوصول لأحمد المرتضىٰ (١/ ٢٧٤).

(٦) إحكام الفصول للباجي (ص٩٤)؛ التبصرة في أصول الفقه للشيرازي (ص٣٠)، العدل والإنصاف للورجلاني (١/ ٧٤)، التقريب والإرشاد الصغير (٢/ ١٣٩)، التمهيد لأبي الخطاب (١/ ٢١٠).

(٧) إحكام الفصول للباجي (ص٩٤).

(٨) إجابة السائل شرح بغية الآمل للصنعاني (ص٢٨٤)، وفي معناها: «الأصل التأسيس» شرح الكوكب المنير لابن النجار (٣/ ٧٤)، و«اللفظ إذا دار بين أن يفيد فائدة تأكيدية وبين أن يفيد فائدة تأسيسية كان حمله علىٰ الفائدة التأسيسية أولىٰ» نهاية الوصول في دراية الأصول لصفي الدين الهندي (٣/ ١٠١٢)، و«فائدة التأسيس أظهر من فائدة التأكيد» تحفة المسؤول في شرح =

٤- إعمال الكلام أولىٰ من إهماله[١] (اللزوم).

٥- تنزيل اللفظ علىٰ فائدتين أولىٰ من الحمل علىٰ واحدة[٢] (اللزوم).

٨- الأمر المعلق بشرط أو صفة لا يقتضي التكرار:

○ صيغ أخرى للقاعدة:

١- الأمر المعلق بشرط أو صفة لا يقتضي تكرار المأمور به بتكرر الشرط والصفة[٣].

٢- الأمر المعلق بالشرط والصفة غير مقتض للتكرار[٤].

٣- الأمر المعلق بشرط أو صفة لا يفيد التكرار[٥].

○ قواعد ذات علاقة:

١- الأمر المعلق بشرط أو صفة يقتضي التكرار[٦] (مخالفة).

٢- الأمر المعلق بشرط أو صفة لا يقتضي التكرار لفظًا ويقتضيه قياسًا[٧] (مخالفة).

= مختصر منتهىٰ السول للرهوني (٣/ ٦٥).

(١) الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص١٥٠)؛ الوصول إلىٰ قواعد الأصول للتمرتاشي (ص١٤٤).

(٢) المجموع شرح المهذب للإمام النووي (١٠/ ٧١).

(٣) الإبهاج لابن السبكي (٢/ ٥٥)، وفي معناها: «صيغة الأمر المعلق بشرط أو صفة ليس للتكرار» مسلم الثبوت لابن عبد الشكور مع شرحه فواتح الرحموت للأنصاري (٢/ ٣٨٦).

(٤) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢/ ١٦٣)، التبصرة للشيرازي (ص٢٨).

(٥) المحصول في علم أصول الفقه للفخر الرازي (٢/ ١٠٧).

(٦) الإبهاج لابن السبكي (٢/ ٥٥)، وفي معناها: «الأمر المعلق بشرط أو صفة يفيد التكرار» المحصول للرازي (٢/ ١٠٧)، و: «الأمر المعلق بشرط أو صفة يقتضي تكرار المأمور به بتكرر الشرط والصفة» الإحكام للآمدي (٢/ ١٦١)، و: «إذا علق الأمر بشرط فإنه يقتضي التكرار» انظر: التبصرة للشيرازي (ص٢٨).

(٧) المنهاج للبيضاوي مع شرحه نهاية السول للإسنوي (١/ ١٧٤)، والمحصول للرازي (٢/ ١٠٧)؛ والإبهاج لابن السبكي (٢/ ٥٦)، ونهاية السول (١/ ١٧٤).

٣- الأمر المعلق بشرط لا يقتضي التكرار دون المعلق بصفة[١] (مخالفة).

٤- الأمر المطلق لا يدل علىٰ تكرار ولا علىٰ مرة[٢] (مكملة).

٥- الأمر للوجوب[٣] (مكملة).

٦- تكرار الأمر بالشيء يقتضي تكرار المأمور به[٤] (مكملة).

٩- الأمر بالأمر بالشيء أمر بذلك الشيء[٥]:

○ صيغ أخرى للقاعدة:

١- الآمر بالأمر بالشيء يكون آمرًا به[٦].

٢- الأمر بالأمر بالشيء أمر به[٧].

٣- الأمر بالأمر بالشيء يكون أمرًا به[٨].

٤- الأمر بالأمر أمر[٩].

○ قواعد ذات علاقة:

١- الأمر بالأمر بالشيء لا يكون أمرًا به[١٠] (مخالفة).

---

(١) الإبهاج لابن السبكي (٢/ ٥٥).

(٢) التمهيد في تخريج الفروع علىٰ الأصول للإسنوي (ص٣٥٦).

(٣) التمهيد في أصول الفقه لأبي الخطاب (٢/ ٣٢٧)؛ والمحصول للفخر الرازي (٢/ ٥٠، ٦٢)؛ ونهاية الوصول للهندي (٣/ ١١٨٧).

(٤) إحكام الفصول في أحكام الأصول للباجي (ص٩٤)؛ والتبصرة للشيرازي (ص٢٩).

(٥) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور (٨/ ٤٠١)، شرح طلعة الشمس لابن حميد (١/ ٥٨).

(٦) فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٥٢)، المصفىٰ لابن الوزير (ص٤٥٦) دار الفكر، التحرير لابن الهمام مع شرحه تيسير التحرير (١/ ٣٦١).

(٧) عون المعبود شرح سنن أبي داوود للعظيم آبادي (٦/ ١٨٠).

(٨) شرح الزرقاني علىٰ موطأ مالك (١/ ٤٩٣).

(٩) تهذيب الفروق لمحمد المالكي (١/ ١٧٧)، و(٣/ ١٣٦).

(١٠) المحصول للفخر الرازي (٢/ ٢٥٣)؛ ونفائس الأصول للقرافي (٢/ ٣٥٥).

٢- الأمر بالشيء أمر بلوازمه[١] (مكملة).

٣- إعمال الكلام أولىٰ من إهماله[٢] (مكملة).

٤- الأمر للوجوب[٣] (مكملة).

٥- إخبار الشارع يراد به الأمر مجازًا[٤] (مكملة).

١٠- الأمر بعد الحظر يرفع الحظر ويكون كما قبل الحظر[٥]:

❍ صيغ أخرى للقاعدة:

١- الأمر بعد الحظر لدفع الحظر السابق وإعادة حال الفعل إلىٰ ما كان قبل الحظر[٦].

٢- الأمر بعد الحظر يدل علىٰ رجوع الحكم إلىٰ ما كان عليه قبل التحريم[٧].

٣- الأمر بعد الحظر لما كان عليه المأمور به من الحكم قبل المنع[٨].

٤- الأمر بعد الحظر لما طرأ الحظر عليه إباحة كان أو وجوبًا[٩].

٥- الأمر بعد حظر حكمه حكم ما كان قبل الحظر[١٠].

٦- الأمر بعد الحظر لما اعترض الحظر عليه[١١].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (١٠/ ٥٣١).

(٢) الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص١٥٠)؛ والوصول إلىٰ قواعد الأصول للتمرتاشي (ص١٤٤).

(٣) المحلىٰ لابن حزم الظاهري (٩/ ١٠٦، ١٤٨)، والتمهيد لأبي الخطاب (٢/ ٣٢٧).

(٤) شرح التلويح علىٰ التوضيح لمتن التنقيح للسعد التفتازاني (١/ ٢٨١).

(٥) المسودة في أصول الفقه لآل تيمية (ص١٩).

(٦) التحبير شرح التحرير في أصول الفقه للمرداوي (٥/ ٢٢٥١).

(٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (١/ ٣٢٨).

(٨) التقرير والتحبير لابن أمير الحاج (١/ ٣٦٧).

(٩) فواتح الرحموت بشرح مسلَّم الثبوت للأنصاري (١/ ٤٠٥).

(١٠) القواعد لابن اللحام (ص٢٢٢).

(١١) تيسير التحرير لأمير بادشاه (١/ ٣٤٥).

○ قواعد ذات علاقة:

١- الأمر بعد الحظر يقتضي الإباحة[١] (مخالفة).

٢- الأمر الوارد عقيب الحظر والاستئذان للوجوب[٢] (مخالفة).

٣- يتوقف في الأمر بعد الحظر[٣] (مخالفة).

٤- الأمر بعد الحظر لا يبقىٰ علىٰ حقيقته[٤] (اللزوم).

٥- الأمر للوجوب[٥] (مكملة).

٦- الأمر للإباحة[٦] (مكملة).

٧- الأمر بعد الاستئذان يكون كالأمر بعد الحظر[٧] (موافقة).

١١- أمر الجمع بصيغة الجمع يقتضي العموم فيهم[٨]:

○ **صيغ أخرى للقاعدة:**

١- إذا أمر جمعًا بصيغة جمع دل ذلك علىٰ الاستغراق[٩].

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل (٣/ ٣١١)، تفسير البيضاوي (٥/ ٣٣٩)، السيل الجرار للشوكاني (٣/ ٣٩٠).

(٢) المحصول في علم أصول الفقه للفخر الرازي (٢/ ٩٦).

(٣) شرح طلعة الشمس لابن حميد السالمي (١/ ٤١)، وانظر: المصفىٰ في أصول الفقه لابن الوزير (ص٤٣٣).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٢٨)؛ ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن المباركفوري (٥/ ٢٨٨).

(٥) التمهيد لأبي الخطاب (٢/ ٣٢٧)؛ والمحصول للفخر الرازي (٢/ ٥٠، ٦٢)؛ ونهاية الوصول للهندي (٣/ ١١٨٧).

(٦) تيسير التحرير لأمير بادشاه (١/ ١٥٩).

(٧) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٥٨٥)، التمهيد في تخريج الفروع علىٰ الأصول للإسنوي (ص٢٧٣).

(٨) نفائس الأصول في شرح المحصول للقرافي (٤/ ١٩١٢).

(٩) التمهيد في تخريج الفروع علىٰ الأصول للإسنوي (ص٤٢١).

٢- إذا أمر جمعًا بصيغة الجمع أفاد الاستغراق فيهم[١].

٣- إذا أمر جمعًا بصيغة جمع أفاد الاستغراق[٢].

٤- الأمر لجماعة بلفظ يعمهم يقتضي وجوبه علىٰ كل واحد منهم إلا لدليل[٣].

○ قواعد ذات علاقة:

١- العام بصيغة الجمع في أصل اللغة لا يعبر به عن الواحد[٤] (اللزوم).

٢- ألفاظ العموم ظاهرة في الاستغراق[٥] (اللزوم).

٣- كل ما صح الاستثناء منه مما لا حصر فيه فهو عام[٦] (اللزوم).

٤- إذا وردت صيغة العموم في محل يقبل العموم وجب حمله علىٰ العموم[٧] (اللزوم).

٥- تركيب الحكم علىٰ كل جماعة بصيغة الجمع تدل لغة تناول الحكم لكل واحد[٨] (أعم).

---

(١) المحصول في علم أصول الفقه للفخر الرازي (٢/ ٣٦٣).

(٢) نهاية السول للإسنوي (١/ ١٩٠).

(٣) مختصر الروضة وشرحه للطوفي (٢/ ٤٠٣).

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٢/ ٤١١).

(٥) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٣/ ٤٣٧).

(٦) شرح المحلي علىٰ جمع الجوامع مع البناني (١/ ٤١٨)؛ وتهذيب الفروق لمحمد المالكي (٢/ ١٢٨)؛ وغاية الوصول شرح لب الأصول لزكريا الأنصاري (ص٢٧)، و(٦٢).

(٧) العقد المنظوم في الخصوص والعموم للقرافي (ص٤٢١).

(٨) فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت للأنصاري (١/ ٢٧٢).

٦- عموم الشمول كلية يحكم فيه علىٰ كل فرد فرد[١] (بيان).

٧- للعموم صيغ مخصوصة موضوعة له خاصة به[٢] (بيان).

١٢- كل فعل كسبي أحبه الشارع أو أحب فاعله فهو مأمور به[٣]:

❍ قواعد ذات علاقة:

- كل فعلٍ كسبيّ مقتَه الشارع أو مقتَ فاعله لأجله فهو منهيٌّ عنه[٤]. (قاعدة مقابلة).

١٣- تعجب الرب سبحانه إن تعلق بحسن الفعل دل على الأمر به وإن تعلق بقبح الفعل دل على النهي عنه[٥]:

❍ قواعد ذات علاقة:

الأوامر تتبع المصالح والنواهي تتبع المفاسد (قاعدة أصل).

١٤- ذكر مصالح الأفعال إذن أو ترغيب وذكر مفاسدها نهي أو ترهيب[٦]:

❍ صيغ أخرى للقاعدة:

ذكرُ ما في الفعلِ من مصلحة يدلُّ علىٰ الإذن، وذكرُ ما فيها من مفسدةٍ يدلُّ

---

(١) إرشاد الفحول إلىٰ تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني (ص٣٩٧)؛ والمدخل إلىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران (ص٢٤٤).

(٢) نهاية الوصول في دراية الأصول لصفي الدين الهندي (٤/ ١٣٦٣).

(٣) الإمام في بيان أدلة الأحكام لعز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ص٨٧)، وانظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٤/ ٨١١).

(٤) الامام في بيان أدلة الأحكام للعز بن عبد السلام (ص١٠٦).

(٥) الإمام في بيان أدلة الأحكام للعز بن عبد السلام (ص١٣٣).

(٦) الإمام في بيان أدلة الأحكام لعز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ص٢٠٠).

علىٰ النَّهي[١].

○ قواعد ذات علاقة:

١- الأوامرُ تتبعُ المصالحَ والنواهي تتبع المفاسد (قاعدة أصل).

٢- وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد (قاعدة أصل).

٣- الطاعة أو المعصية تعظم بحسب المصلحة أو المفسدة الناجمة عنها (قاعدة مكملة).

١٥- نفي الأمر لا يستلزم ثبوت النهي[٢]:

○ قواعد ذات علاقة:

١- الشيء يثبت ضمنًا إذا كان من جنس المتبوع[٣] (اللزوم).

٢- الأمر بالشيء ساكت عن ضده[٤] (اللزوم).

٣- لا حكم للأمر والنهي في الضد[٥] (للزوم).

إلىٰ هنا انتهىٰ ما أردت جمعه في هذا المبحث من القواعد المتعلقة بالأمر والله أسأل أن ينفعني وإياكم بها، وأن يتقبل مني ومنكم صالح الأعمال، وأن يجعل هذا العمل وسائر مؤلفاتي وتحقيقاتي ذخرًا لي يوم لقاه، وأن ينفع بها كاتبه وناشره وقارئه إنه ولي ذلك ومولاه.

---

(١) الإمام في بيان أدلة الأحكام للعز بن عبد السلام (ص١٩٨).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٢٥٠)؛ ونيل الأوطار للشوكاني (٦/ ٢٣٥).

(٣) نهاية المحتاج للرملي (١/ ١٥٢).

(٤) شرح المغني للخبازي (١/ ٨٤)، وفي معناها: «الأمر بالشيء ليس نهيًا عن ضده» نهاية السول (١/ ٥٠)؛ وإرشاد الفحول (ص٣٦٤)، و: «ليس الأمر بالشيء نهيًا عن ضده» المستصفىٰ للغزالي (١/ ١٥٤)، و: «الأمر بالشيء ليس بنهي عن ضده» التمهيد لأبي الخطاب الكلوذاني (١/ ٣٣٠).

(٥) شرح المغني للخبازي (١/ ٨٤).

هذا وقد تلطَّفت إلىٰ قلبك أيها القارئ الكريم بحثِّي إياك علىٰ حظِّك من فنونٍ من القول، وضروبٍ من الوصايا، وأرجو أن يكون صوابي عندك فيه مُتقبَّلًا، وخطئي فيها عندك مُتَأوَّلًا، لا لأنِّي أهل لذلك، ولكن لأنَّك حقيق به، وله خليق والله وحده المؤمَّل، وهو المستعان وعليه التُّكلان، ولا حول ولا قوة إلا به[1].

وصلِّ اللهم وزد وبارك علىٰ نبينا محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

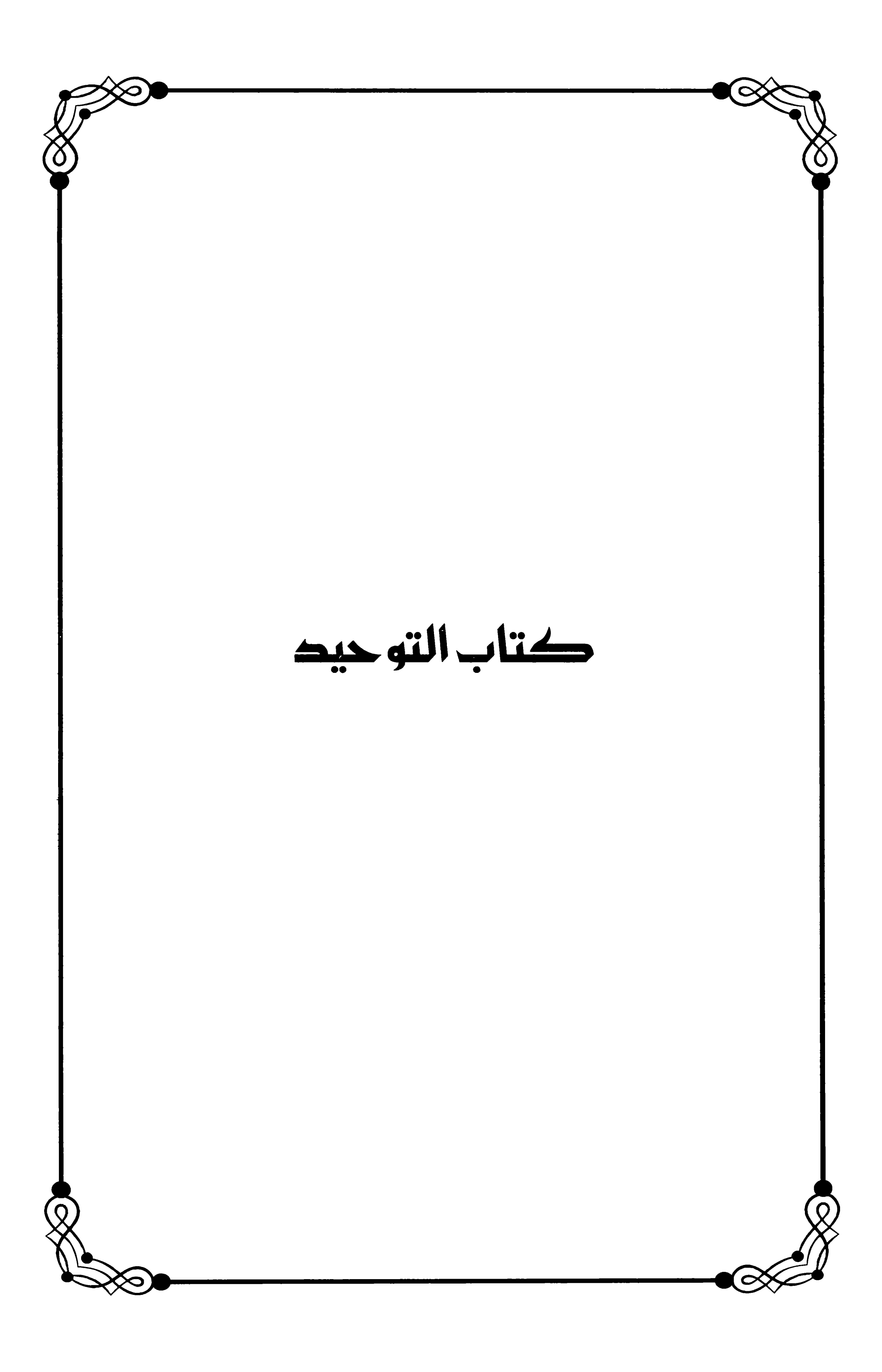
وكتبه

د. عادل شوشة

مصر ـ المنصورة

---

(١) مقتبس من مقدمة أبي حيان لـ «الذخائر والبصائر» (١/ ٩) عن ارتياض العلوم (ص١٢).



كتاب التوحيد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كتاب التوحيد

باب وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة

قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٩-٧٠].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الشورى: ١٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يرضىٰ لكم ثلاثًا ويسخط لكم ثلاثًا، يرضىٰ لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم. ويسخط لكم ثلاثًا، قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال**»(١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي فَإِنِّي لَا أَدْرِي لِعَلِّي لَا أَلْقَاكُم بَعْدَ يَوْمِي هَذَا فِي هَذَا الْمَوْقِفِ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، دِمَاؤُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ حَرَامٌ إِلَىٰ يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ، فَذَكَرَ الْخُطْبَةَ إِلَىٰ قَوْلِهِ فَاعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ قُولِي فَإِنِّي قَدْ بَلَّغْتُ وَتَرَكْتُ فِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ﷺ**»(٢).

---

(١) مسلم (١٧١٥).

(٢) حسن: أخرجه المروزي في السنة (٦٨)، والآجري في الشريعة (١٧٠٥)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٤٤٩)، وغيرهم من طريق إِسْمَاعِيل بْن أَبِي أُوَيْسٍ حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ الدِّيلِيِّ، =

وعن العرباض بن سارية قال ﷺ: «**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[(١)].

وعَنِ الْمِقْدَام بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَام فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ**»[(٢)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ**»[(٣)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا**»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّىٰ قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ**»، ثُمَّ قَالَ: «**ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ**»[(٤)].

= عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما مرفوعًا.

* فيه إسماعيل بن أبي أويس وأبوه: كلاهما صدوق.

(١) **حسن**: سنن ابن ماجه (٤٣) ومسند أحمد (١٦٨٣٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٤٦٠٤)، وأحمد في مسنده (١٧١٧٤)، وابن حبان في صحيحه (١٢) من حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) البخاري (٧٢٨٠).

(٤) البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

وعَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: قَرَأَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧] قَالَ: «هَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، وَخِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ لَوْ أَطَاعَهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُوا، فَكَيْفَ بِكُمُ اليَوْمَ؟»[١].

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: «جَاءَتْ مَلاَئِكَةٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَىٰ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ»[٢].

وعَنْ أَبِي مُوسَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَىٰ قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَىٰ مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ»[٣].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي في سننه (٣٢٦٩)، وابن الأعرابي في معجمه (٤١٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢٣٨٧)، من طريق أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: قَرَأَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ... فذكره موقوفًا.

(٢) البخاري (٧٢٨١)، وغيره من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) البخاري (٦٤٨٢)، ومسلم (٢٢٨٣).

وعن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «**لَا اسْتَطَعْتَ**»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ(١).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَىٰ مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ فَصَامَ حَتَّىٰ بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ، فَصَامَ النَّاسُ، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَرَفَعَهُ، حَتَّىٰ نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، ثُمَّ شَرِبَ، فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ، فَقَالَ: «**أُولَئِكَ الْعُصَاةُ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ**»(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَىٰ بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَىٰ، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنَ الْهُدَىٰ، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ...**»(٣).

وعَنْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قال: خَرَجَ جَيْشٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَا أَمِيرُهُمْ حَتَّىٰ نَزَلْنَا الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ فَقَالَ لِي عَظِيمٌ مِنْ عُظَمَائِهِمْ: أَخْرِجُوا إِلَيَّ رَجُلًا أُكَلِّمُهُ وَيُكَلِّمُنِي، فَقُلْتُ: لَا يَخْرُجُ إِلَيْهِ غَيْرِي، فَخَرَجْتُ مَعَ تَرْجُمَانِهِ حَتَّىٰ وُضِعَ لَنَا مِنْبَرَانِ، فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ، فَقُلْنَا: «نَحْنُ الْعَرَبُ، وَنَحْنُ أَهْلُ الشَّوْكِ وَالْقَرَظِ، وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ اللهِ، كُنَّا أَضْيَقَ النَّاسِ أَرْضًا، وَأَشَدَّهُ عَيْشًا، نَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ، وَيُغِيرُ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ بِشَرِّ عَيْشٍ عَاشَ بِهِ النَّاسُ، حَتَّىٰ خَرَجَ فِينَا رَجُلٌ لَيْسَ بِأَعْظَمِنَا يَوْمَئِذٍ شَرَفًا، وَلَا بِأَكْثَرِنَا مَالًا، فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ، يَأْمُرُنَا بِأَشْيَاءَ لَا نَعْرِفُ، وَيَنْهَانَا عَمَّا كُنَّا عَلَيْهِ وَكَانَتْ عَلَيْهِ آبَاؤُنَا، فَشَنِفْنَا لَهُ، وَكَذَّبْنَاهُ وَرَدَدْنَا عَلَيْهِ

---

(١) مسلم (٢٠٢١) وغيره من حديث سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) مسلم (١١١٤)، وغيره من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) مسلم (٦٥٤) وغيره من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ موقوفًا.

مَقَالَتَهُ، حَتَّىٰ خَرَجَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ غَيْرِنَا، فَقَالُوا: نَحْنُ نُصَدِّقُكَ وَنُؤْمِنُ بِكَ، وَنَتَّبِعُكَ وَنُقَاتِلُ مَنْ قَاتَلَكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَخَرَجْنَا إِلَيْهِ، فَقَاتَلْنَاهُ فَقَتَلَنَا، وَظَهَرَ عَلَيْنَا وَغَلَبَنَا، وَتَنَاوَلَ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ، فَلَوْ يَعْلَمُ مَنْ وَرَائِي مِنَ الْعَرَبِ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا جَاءَكُمْ حَتَّىٰ يُشْرِكَكُمْ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ»، فَضَحِكَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ صَدَقَ، قَدْ جَاءَتْنَا رُسُلُنَا بِمِثْلِ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُكُمْ، فَكُنَّا عَلَيْهِ حَتَّىٰ ظَهَرَتْ فِينَا مُلُوكٌ، فَجَعَلُوا يَعْمَلُونَ فِيهَا بِأَهْوَائِهِمْ، وَيَتْرُكُونَ أَمْرَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنْ أَنْتُمْ أَخَذْتُمْ بِأَمْرِ نَبِيِّكُمْ لَمْ يُقَاتِلْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبْتُمُوهُ، وَلَمْ يُشَارِرْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ظَهَرْتُمْ عَلَيْهِ، فَإِذَا فَعَلْتُمْ مِثْلَ الَّذِي فَعَلْنَا فَتَرَكْتُمْ أَمْرَ نَبِيِّكُمْ، وَعَمِلْتُمْ مِثْلَ الَّذِي عَمِلُوا بِأَهْوَائِهِمْ يُخَلَّىٰ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَلَمْ تَكُونُوا أَكْثَرَ عَدَدًا مِنَّا وَلَا أَشَدَّ قُوَّةً مِنَّا، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: فَمَا كَلَّمْتُ رَجُلًا أَذْكَرَ مِنْهُ[1].

وعن طَلْحَةَ بن عبيد الله قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِقَوْمٍ عَلَىٰ رُءُوسِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «**مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟**» فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَهُ، يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَىٰ فَيَلْقَحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا**» قَالَ فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: «**إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللهِ شَيْئًا، فَخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[2].

---

(١) إسناده حسن: أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده (٧٣٥٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٥٦٤) من طريق مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ موقوفًا.

* فيه عمرو بن علقمة، قال الهيثمي: ثقة، وقال ابن حجر علىٰ إسناد محمد بن عمرو عن أبيه عن جده: هذا إسناد حسن.

(٢) مسلم (٢٣٦١).

❍ **من فقه الباب:**

لقد أمر الله الأمة بالاجتماع واتحاد الكلمة وجمع الصف علىٰ أن يكون أساس هذا الاجتماع الاعتصام بالكتاب والسنة، ونهىٰ عن التفرق وبين خطورته علىٰ الأمة في الدارين، ولتحقيق ذلك أمرنا بالتحاكم إلىٰ كتاب الله تعالىٰ في الأصول والفروع ونهينا عن كل سبب يؤدي إلىٰ التفرق.

فالطريق الصحيح إلىٰ النجاة هو التمسك بكتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ فإنهما حصن حصين وحرز متين لمن وفقه الله تعالىٰ.

فقد أمر الله تعالىٰ بالاعتصام بحبل الله، وحبل الله هو عهد الله أو هو القرآن كما قال المفسرون، إذ العهد الذي أخذه الله علىٰ المسلمين هو الاعتصام بالقرآن والسنة. فقد أمر الله تعالىٰ بالجماعة ونهىٰ عن التفرق والاختلاف. قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]. وهذا شامل لأصول الدين وفروعه الظاهرة والباطنة.

وأن ما جاء به الرسول يتعين علىٰ العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول علىٰ حكم الشيء كنص الله تعالىٰ لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد علىٰ قوله.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]؛ فقد أمر الله تعالىٰ عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، وزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾ [الأنفال: ٢٠] أي تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال الحافظ ابن كثير: «أطيعوا الله، أي اتبعوا كتابه، وأطيعوا الرسول أي خذوا سنته، وأولي الأمر منكم أي فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله»، وقوله ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، قال مجاهد: أي إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله.

وهذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلىٰ الكتاب والسنة كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورىٰ: ١٠] فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩] أي ردوا الفصل في الخصومات والجهالات إلىٰ الكتاب والسنة ومن لا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنًا بالله ولا اليوم الآخر، وقوله ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ [النساء: ٥٩] أي التحاكم إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع إليهما في فصل النزاع خير ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] أي وأحسن عاقبة ومآلا كما قال السدي وقال مجاهد: «وأحسن جزاء وهو قريب»[1].

وقد بشر النبي ﷺ المتمسكين بسنته من أمته بأعظم بشارة وأشرف مقصد يطلبه كل مؤمن ويسعىٰ إلىٰ تحقيقه من كان في قلبه أدنىٰ مسكة من إيمان ألا وهو الفوز بدخول الجنة. جاءت هذه البشرىٰ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ. قالوا ومن يأبىٰ يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبىٰ**»[2]، وأي إباء ورفض للسنة أعظم من مخالفة أمره ﷺ؟ وذلك بالإحداث والابتداع في الدين.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٤).

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

ومعلوم أن الفرقة الناجية هي التي كانت علىٰ مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهي الجماعة.

○ **التحذير من البدع:**

البدعة لغة: هي الاختراع علىٰ غير مثال سابق ومن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] أي مخترعهما.

وشرعًا: ما خالف الكتاب والسنة، أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات المحدثة في الدين.

خطر البدع: إن البدع والمحدثات في الدين لها خطورة عظيمة، وآثار سيئة علىٰ الفرد والمجتمع بل وعلىٰ الدين كله أصوله وفروعه؛ فالبدع: إحداث في الدين، وقول علىٰ الله بغير علم وشرع في الدين بما لم يأذن به الله، والبدعة سبب في عدم قبول العمل وتفريق الأمة، والمبتدع يحمل وزره ووزر من تبعه في بدعته، كما أن البدعة سبب في الحرمان من الشرب من حوض النبي ﷺ فعن سهل بن سعد الأنصاري، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا فَرَطُكم علىٰ الحوض من مرّ علي شرب، ومن شرب لا يظمأ أبدًا. ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول إنهم من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقًا سحقًا لمن غيّر بعدي**»[١].

والفرط: الذي يسبق إلىٰ الماء.

أسباب البدعة: للبدع أسباب كثيرة أعظمها البعد عن كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، الأمر الذي يؤدي إلىٰ الجهل بمصادر التشريع.

ومن أسباب انتشار البدع، التعلق بالشبهات والاعتماد علىٰ العقل المجرد

---

(١) البخاري (٦٥٨٣)، ورقم (٦٥٨٤)، وصحيح مسلم (٢٢٩٠).

وجلساء السوء، والاعتماد علىٰ الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدل بها المبتدعة علىٰ بدعهم، والتشبه بالكفار، وتقليد أهل الضلال ونحو ذلك من الأسباب الخطيرة.

خطر البدع: من تأمل الكتاب والسنة وجد أن البدع في الدين محرمة ومردودة علىٰ أصحابها من غير فرق بين بدعة وأخرىٰ، وإن كانت تتفاوت درجات التحريم بحسب نوعية البدعة.

ومن المعلوم أن النهي عن البدع قد ورد علىٰ وجه واحد في قول النبي ﷺ: «**إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»[١]، وقوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٢]؛ فدل الحديثان علىٰ أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنىٰ ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوع البدعة فمنها ما هو كفر صراح كالطواف بالقبور تقربًا إلىٰ أصحابها معتقدًا نفعها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم، ومنها ما هو من وسائل الشرك كالبناء علىٰ القبور، والصلاة والدعاء عندها، ومنها ما هو فسق ومعصية كإقامة الأعياد التي لم ترد في الشرع، والأذكار المبتدعة والتبتل والصيام قائمًا في الشمس.

فطريق الخلاص وعنوان السعادة التمسك بكتاب الله تعالىٰ، ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكذلك التمسك بالسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ فإنهما أي الكتاب والسنة هما المصدران الوحيدان

(١) صحيح: أحمد في المسند (١/ ٤٣٥)، وأبو داود في السنن (٤٠١٢) والدارمي في السنن (١٠٠).
(٢) البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

لعقيدة الإسلام وشريعته. فأي منهج جانب هذا الطريق فإنه منهج خاسر، فالتمسك بالسنة هو سبيل المؤمنين، وطريق الوصول إلىٰ مرضاة رب العالمين، والحصن الحصين، وهذا هو المنهج الذي يحفظ الله به الأمة من بدع المبتدعين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين. وهو الطريق الذي صلحت به أحوال الأمة في صدر الإسلام، ولا فلاح لنا ولا نجاح إلا بالرجوع إليه. يقول إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»، وما صلح به أولها هو العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومما ينبغي علىٰ المسلم في هذا الجانب أن يكون العمل بالكتاب والسنة مقيدًا بفهم السلف الصالح ومنهجهم لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فاتباع سبيل المؤمنين وهم الصحابة وأتباعهم من الأئمة المهديين بإحسان هو سبيل النجاة نسأله تعالىٰ أن يوفق الأمة الإسلامية للتمسك بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ واتباع سبيل المؤمنين.

باب الأمر بلزوم الجماعة

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٠-٣٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣].

وقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٦-١٩].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ»**(١).

وعن الحَارِث الأَشْعَرِيّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ....** فذكر الحديث إلىٰ أن قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ،**

---

(١) أخرجه ابن منده في الإيمان (١٠٨٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٩٠٢)، والطبراني في الأوسط (١٦٥٩)، وغيرهم من حديث عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ(١) **وَالجِهادُ وَالهِجْرَةُ**(٢) **وَالجَمَاعَةُ**(٣)، **فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ**(٤) **فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ**(٥) **مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَىٰ دَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ**(٦) **فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ**(٧)»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَلَّىٰ وَصَامَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ صَلَّىٰ**

---

(١) أَيْ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلأَمِيرِ فِي غَيْرِ الْمَعْصِيَةِ.

(٢) الْهِجْرَةُ: الِانْتِقَالُ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَمِنْ دَارِ الْكُفْرِ إِلَىٰ دَارِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ دَارِ الْبِدْعَةِ إِلَىٰ دَارِ السُّنَّةِ، وَمِن الْمَعْصِيَةِ إِلَىٰ التَّوْبَةِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «**الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ**» تحفة الأحوذي (٧/ ١٨٣)..

(٣) **الْمُرَادُ بِالْجَمَاعَةِ**: الصَّحَابَةُ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِن التَّابِعِينَ، وَتَابِعِي التَّابِعِينَ مِنْ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ، أَيْ: آمُرُكُمْ بِالتَّمَسُّكِ بِهَدْيِهِمْ وَسِيرَتِهِمْ، وَالِانْخِرَاطِ فِي زُمْرَتِهِمْ. تحفة الأحوذي (٧/ ١٨٣).

(٤) فِي رواية (فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ) والْمُرَاد بِالْخُرُوج: السَّعْيُ فِي حَلِّ عَقْدِ الْبَيْعَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لِذَلِكَ الْأَمِيرِ وَلَوْ بِأَدْنَىٰ شَيْء، فَكُنِّيَ عَنْهَا بِمِقْدَارِ الشِّبْر؛ لِأَنَّ الْأَخْذَ فِي ذَلِكَ يَئُولُ إِلَىٰ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ. (فتح) - (ج ٢٠/ ص ٥٨).

(٥) **الرِّبْقَةُ فِي الْأَصْلِ**: عُرْوَةٌ فِي حَبْلٍ، يُجْعَلُ فِي عُنُقِ الْبَهِيمَةِ أَوْ يَدِهَا، تُمْسِكُهَا، فَاسْتَعَارَهَا لِلْإِسْلَامِ، يَعْنِي: مَا شَدَّ الْمُسْلِمُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ عُرَىٰ الْإِسْلَامِ، أَيْ: حُدُودِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ. تحفة (٧/ ١٨٣).

(٦) هذا إِيذَانٌ بِأَنَّ التَّمَسُّكَ بِالْجَمَاعَةِ وَعَدَمَ الْخُرُوجِ عَنْ زُمْرَتِهِمْ مِنْ شَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْخُرُوجَ مِنْ زُمْرَتِهِمْ مِنْ دَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»، فَعَلَىٰ هَذَا يَنْبَغِي أَنْ تُفَسَّرَ دَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ بِسُنَنِهَا عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ، لِأَنَّهَا تَدْعُو إِلَيْهَا. تحفة الأحوذي (ج ٧/ ص ١٨٣).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّىٰ كَثُرُوا، وَكَانَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّىٰ تَدَاعَوْا، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ. فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ فَقَالَ: «**مَا بَالُ دَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ؟ دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**».

(٧) أَيْ: مِنْ جَمَاعَاتِ جَهَنَّمَ، وجُثَىٰ: جَمْعُ جُثْوَةٍ، كَخُطْوَةٍ، وَخُطًىٰ، وَهِيَ الْحِجَارَةُ الْمَجْمُوعَةُ، وَرُوِيَ «مِنْ جُثِيٍّ» بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ، جَمْعُ جَاثٍ، مِنْ جَثَا عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَقُرِئَ بِهِمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]. فتح الباري (ج١٣ص ١٩٩).

وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَىٰ اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللهِ»(١).

وعن الْعِرْبَاضِ بْنَ سَارِيَةَ، قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ(٢) مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ(٣)، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ(٤)، فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ، فَقَالَ: **«عَلَيْكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا(٥)، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ(٦)، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ(٧) ضَلَالَةٌ»**(٨).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (٢٨٦٣)، وأحمد في مسنده (١٧١٧٠)، والآجري في الشريعة (٤) من طريق زيد بن سلام عن أبي سلام عن الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) **الوَجَل**: الخوف والخشية والفزع.

(٣) **ذَرَفت العيون**: سال منها الدمع.

(٤) أَيْ: كَأَنَّك تُوَدِّعنا بِهَا، لِمَا رَأَىٰ مِنْ مُبَالَغَتِهِ ﷺ فِي الْمَوْعِظَة. عون (١٠/ ١٢٧).

(٥) **وإن عبدًا حبشيًّا**: يُرِيدُ بِهِ طَاعَةَ مَنْ وَلَّاهُ الْإِمَامُ عَلَيْكُمْ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَلَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«الْأَئِمَّة مِنْ قُرَيْش»**، وَقَدْ يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي الشَّيْءِ بِمَا لَا يَكَادُ يَصِحُّ فِي الْوُجُود، كَقَوْلِهِ ﷺ: **«مَنْ بَنَىٰ لِلهِ مَسْجِدًا وَلَوْ مِثْلَ مَفْحَصِ قَطَاةٍ، بَنَىٰ الله لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّة»** وَقَدْرُ مَفْحَصِ الْقَطَاةِ لَا يَكُونُ مَسْجِدًا لِشَخْصٍ آدَمِي، وَنَظَائِرُ هَذَا الْكَلَام كَثِير. عون المعبود (١٠/ ١٢٧).

(٦) **العَضُّ**: المراد بهُ الالتزام وشدة التمسك.

والنواجذ: هي أواخُر الأسنان، وقيل: التي بعد الأنياب.

(٧) **الْمُرَاد بِالْبِدْعَةِ**: مَا أُحْدِثَ مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ فِي الشَّرِيعَةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَأَمَّا مَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ مِنْ الشَّرْعِ يَدُلُّ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ بِبِدْعَةٍ شَرْعًا، وَإِنْ كَانَ بِدْعَة لُغَة، فَقَوْلُهُ ﷺ: **«كُلّ بِدْعَة ضَلَالَة»** مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِم، لَا يَخْرُجُ عَنْهُ شَيْء، وَهُوَ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الدِّين، وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي كَلَامِ السَّلَفِ مِنْ اِسْتِحْسَانِ بَعْض الْبِدَع، فَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي الْبِدَعِ اللُّغَوِيَّة، لَا الشَّرْعِيَّة، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي التَّرَاوِيح: «نِعْمَتْ الْبِدْعَة هَذِهِ»، وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ «إِنْ كَانَتْ هَذِهِ بِدْعَة، فَنِعْمَتْ الْبِدْعَة» وَمِنْ ذَلِكَ: أَذَانُ الْجُمُعَةِ الْأَوَّل، زَادَهُ عُثْمَان لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَأَقَرَّهُ عَلِيٌّ، وَاسْتَمَرَّ عَمَلُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ. عون المعبود (١٠/ ١٢٧).

(٨) **صحيح بمجموع طرقه**: أخرجه الترمذي في سننه (٢٦٧٦)، وابن ماجه في سننه (٤٣)، وابن أبي عاصم في =

وعَنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ فَخَطَّ خَطًّا فَقَالَ: «**هَذَا الصِّرَاطُ**» ثُمَّ خَطَّ حَوْلَهُ خِطَطًا، فَقَالَ: «**وَهَذِهِ السُّبُلُ، فَمَا مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا وَعَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»(١).

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ(٢) فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ(٣)**»(٤).

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ: «**مَنْ لَمْ يَشْكُرِ**

= السنة (٥٤) من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ، عَنِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.

- وأخرجه أبو داود في سننه (٤٦٠٧)، والمروزي في السنة (٧٠)، والحاكم في مستدركه (٣٣٢)، وغيرهم من طريق عَبْد الرَّحْمَنِ بْن عَمْرٍو السُّلَمِيُّ، وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ، قَالَا: أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.

(١) **صحيح بمجموع طرقه**: أخرجه أحمد في مسنده (٤١٤٢)، الطيالسي في مسنده (٢٤١)، والحاكم في مستدركه (٣٢٤١) وغيرهم من طريق عَاصِمٌ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ الله رضي الله عنه مرفوعًا.

* فيه عاصم وهو ابن بهدلة: صدوق.

- وأخرجه البزار في مسنده (١٦٩٤) من طريق الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) **عليك بالجماعة**: أَيْ اِلْزَمْهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ بَعِيدٌ عَنْ الْجَمَاعَة، وَيَسْتَوْلِي عَلَىٰ مَنْ فَارَقَهَا. عون المعبود - (ج ٢/ ص ٦٦).

(٣) **الْقَاصِيَة**: الشَّاةُ الْمُنْفَرِدَةُ عَنْ الْقَطِيع، الْبَعِيدَةِ عَنْهُ، أَيْ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَتَسَلَّطُ عَلَىٰ الخَارِجِ عَنْ الْجَمَاعَةِ وَأَهْلِ السُّنَّة. شرح سنن النسائي (٢/ ١٠٦).

(٤) **حسن**: أخرجه أبو داود في سننه (٥٤٧) والنسائي في سننه (٨٤٧) وأحمد في مسنده (٢١٧١٠)، وغيرهم من طريق زَائِدَةُ، حَدَّثَنَا السَّائِبُ بْنُ حُبَيْشٍ، عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيِّ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه مرفوعًا.

* فيه السائب بن حبيش: صدوق، قال الدارقطنى: صالح الحديث.

الْقَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ. التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاخْتَارَ مُحَمَّدًا فَبَعَثَهُ بِرِسَالَاتِهِ وَانْتَخَبَهُ بِعِلْمِهِ ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بَعْدَهُ فَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابَهُ فَجَعَلَهُمْ أَنْصَارَ دِينِهِ وَوُزَرَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ فَمَا رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ وَمَا رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ قَبِيحًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ قَبِيحٌ»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَىٰ لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ**(٣)**، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**(٤)**،**

---

(١) **حسن**: أخرجه أحمد في مسنده (١٨٤٤٩) والبزار في مسنده (٣٢٨٢) والبيهقي في الشعب (٤١٠٥) وغيرهم من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

* فيه الجراح بن مليح: صدوق.

(٢) **صحيح موقوفًا**: أخرجه الطيالسي في مسنده (٢٤٣)، والطبراني في الكبير (٨٥٨٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٧٥) من طريق الْمَسْعُودِيُّ، عَنْ عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا.

(٣) **قِيلَ وَقَالَ**: أَيْ حِكَايَةُ أَقَاوِيلِ النَّاسِ، وَالْبَحْثِ عَنْهَا، فَيَقُول: قَالَ فُلَان كَذَا، وَقِيلَ كَذَا، وَالنَّهْيُ عَنْهُ إِمَّا لِلزَّجْرِ عَن الِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، وَإِمَّا لِشَيْءٍ مَخْصُوص مِنْهُ، وَهُوَ مَا يَكْرَهُهُ الْمَحْكِيّ عَنْهُ. فتح الباري (١٧/ ٩٨).

(٤) **وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**: اخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ مِنْهُ، هَلْ هُوَ سُؤَالُ الْمَال، أَوْ السُّؤَالُ عَنْ الْمُشْكِلَاتِ وَالْمُعْضِلَات، أَوْ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ؟، وَالْأَوْلَىٰ حَمْلُهُ عَلَىٰ الْعُمُوم وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاء إِلَىٰ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ كَثْرَةُ سُؤَالِ إِنْسَانٍ بِعَيْنِهِ عَنْ تَفَاصِيلِ حَاله، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُهُ الْمَسْئُولُ غَالِبًا، وَثَبَتَ عَنْ جَمْعٍ مِنْ السَّلَفِ كَرَاهَةُ تَكَلُّفِ الْمَسَائِلِ الَّتِي يَسْتَحِيلُ وُقُوعُهَا عَادَةً أَوْ يَنْدُرُ جِدًّا، وَإِنَّمَا كَرِهُوا ذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِن التَّنَطُّع، وَالْقَوْلِ بِالظَّنِّ، إِذْ لَا يَخْلُو صَاحِبُهُ مِن الْخَطَأ، وَأَمَّا مَا تَقَدَّمَ فِي اللِّعَان، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا، وَكَذَا فِي التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِه تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] فَذَلِكَ خَاصٌّ بِزَمَانِ نُزُولِ الْوَحْي، وَيُشِيرُ إِلَيْهِ =

وَإِضَاعَةِ الْمَالِ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي(٢)، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»(٣).

= حَدِيثُ: «أَعْظَمُ النَّاسِ جُرْمًا عِنْدَ اللهِ، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِه»، وَثَبَتَ أَيْضًا ذَمُّ السُّؤَالِ لِلْمَالِ، وَمَدْحِ مَنْ لَا يُلْحِفُ فِيهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِم: «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ: لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ جَائِحَة» وَفِي السُّنَنِ قَوْلُه ﷺ لِابْنِ عَبَّاس: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ».
وَقَدْ اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ، وَالْمَعْرُوفُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّهُ جَائِز؛ لِأَنَّهُ طَلَبٌ مُبَاحٌ، فَأَشْبَهَ الْعَارِيَّة، وَحَمَلُوا الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ عَلَىٰ مَنْ سَأَلَ مِنْ الزَّكَاةِ الْوَاجِبَةِ مِمَّنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، لَكِنْ قَالَ النَّوَوِيّ فِي «شَرْح مُسْلِم»: اِتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ النَّهْيِ عَن السُّؤَالِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَة، قَالَ: وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا فِي سُؤَالِ الْقَادِرِ عَلَىٰ الْكَسْبِ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ، أَصَحُّهُمَا: التَّحْرِيمُ لِظَاهِرِ الْأَحَادِيث. وَقَالَ الْفَاكِهَانِيّ: يُتَعَجَّبُ مِمَّنْ قَالَ بِكَرَاهَةِ السُّؤَالِ مُطْلَقًا، مَعَ وُجُودِ السُّؤَال فِي عَصْر النَّبِيّ ﷺ ثُمَّ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ غَيْرِ نَكِير، فَالشَّارِعُ لَا يُقِرُّ عَلَىٰ مَكْرُوه.
قُلْت: يَنْبَغِي حَمْلُ حَالِ أُولَئِكَ عَلَىٰ السَّدَاد، وَأَنَّ السَّائِلَ مِنْهُمْ غَالِبًا مَا كَانَ يَسْأَلُ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ الشَّدِيدَة. وَفِي قَوْله: «مِنْ غَيْر نَكِير» نَظَر، فَفِي الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الْوَارِدَةِ فِي ذَمِّ السُّؤَالِ كِفَايَةٌ فِي إِنْكَارِ ذَلِكَ. فتح الباري (ج ١٧/ ص ٩٨).

(١) مسلم (١٧١٥)، وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ: كُلُّ مَنْ يَأْمُرُ بِحَقٍّ، وَكَانَ عَادِلًا، فَهُوَ أَمِيرُ الشَّارِع؛ لِأَنَّهُ تَوَلَّىٰ بِأَمْرِهِ وَبِشَرِيعَتِهِ، وَيُؤَيِّدُهُ تَوْحِيدُ الْجَوَابِ فِي الْأَمْرَيْنِ، وَهُوَ قَوْلُه «فَقَدْ أَطَاعَنِي» أَيْ: عَمِلَ بِمَا شَرَعْتُه، وَوَقَعَ عِنْد أَحْمَد وَأَبِي يَعْلَىٰ وَالطَّبَرَانِيِّ مِنْ حَدِيث اِبْن عُمَر قَالَ: كَانَ رَسُول الله ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابه، فَقَالَ: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ الله، وَإِنَّ مِنْ طَاعَةِ الله طَاعَتِي؟، قَالُوا: بَلَىٰ نَشْهَد، قَالَ: فَإِنَّ مِنْ طَاعَتِي أَنْ تُطِيعُوا أُمَرَاءَكُمْ». وَالْحِكْمَةُ فِي الْأَمْرِ بِطَاعَتِهِمْ، الْمُحَافَظَةُ عَلَىٰ اِتِّفَاقِ الْكَلِمَة، لِمَا فِي الِافْتِرَاقِ مِنْ الْفَسَاد. فتح الباري (ج ٢٠/ ص ١٥٢).

(٣) البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

وعَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ قَالَ: انْطَلَقْتُ إِلَىٰ حُذَيْفَةَ بِالْمَدَائِنِ لَيَالِيَ سَارَ النَّاسُ إِلَىٰ عُثْمَانَ، فَقَالَ: يَا رِبْعِيُّ، مَا فَعَلَ قَوْمُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: عَنْ أَيِّ بَالِهِمْ تَسْأَلُ؟ قَالَ: مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ، فَسَمَّيْتُ رِجَالًا فِيمَنْ خَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَاسْتَذَلَّ الْإِمَارَةَ**[1] **لَقِيَ اللهَ وَلَا وَجْهَ لَهُ عِنْدَهُ**[2]»[3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ**[4]**، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**[5]**، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ**[6] **يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَىٰ عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ**

---

(١) أي عصىٰ الأمراء وحرص علىٰ نيل الإمارة بالكيد تارة وشق عصا الجماعة تارة أخرىٰ.

(٢) **وَلَا وَجْهَ لَهُ عِنْدَهُ**: أَيْ لَا حُجَّةَ لَهُ فِي فِعْلِه، وَلَا عُذْرَ لَهُ يَنْفَعُهُ. النووي (٦/ ٣٢٣).

(٣) **حسن**: أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٢٨٣)، والحاكم في مستدركه (٤٠٩)، وغيرهما من طريق رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، قَالَ: أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ...فذكره مرفوعًا.

(٤) **مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ**...: فِي الْحَدِيثِ حُجَّةٌ فِي تَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَىٰ السُّلْطَانِ وَلَوْ جَارَ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ عَلَىٰ وُجُوبِ طَاعَةِ السُّلْطَانِ الْمُتَغَلِّبِ، وَالْجِهَادِ مَعَهُ، وَأَنَّ طَاعَتَهُ خَيْرٌ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ، وَتَسْكِينِ الدَّهْمَاءِ، وَحُجَّتُهُمْ هَذَا الْخَبَرُ وَغَيْرُه مِمَّا يُسَاعِدُهُ.
وَلَمْ يَسْتَثْنُوا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا وَقَعَ مِنْ السُّلْطَانِ الْكُفْرُ الصَّرِيح، فَلَا تَجُوزُ طَاعَتُهُ فِي ذَلِكَ، بَلْ تَجِبُ مُجَاهَدَتُهُ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهَا. فتح (٢٠/ ٥٨).

(٥) **الْمُرَاد بِالْمِيتَةِ الْجَاهِلِيَّة**: حَالَةُ الْمَوْت، كَمَوْتِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَىٰ ضَلَال، وَلَيْس لَهُ إِمَامٌ مُطَاع، لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَعْرِفُونَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَمُوتُ كَافِرًا، بَلْ يَمُوتُ عَاصِيًا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ التَّشْبِيهُ عَلَىٰ ظَاهِره، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ يَمُوتُ مِثْلَ مَوْتِ الْجَاهِلِيِّ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ جَاهِلِيًّا، أَوْ أَنَّ ذَلِكَ وَرَدَ مَوْرِدَ الزَّجْرِ وَالتَّنْفِير، وَظَاهِرُهُ غَيْر مُرَاد. فتح (٢٠/ ٥٨).

(٦) **عمية**: الأمر الذي لا يستبين وجهه، وقيل كناية عن جماعة مجتمعين علىٰ أمر مجهول لا يعرف أنه حق أو باطل.

عَلَىٰ أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَىٰ مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»(١).

وعَنْ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ مَاتَ بِغَيْرِ إِمَامٍ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»**(٢).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»**(٣).

وعَنْ نَافِعٍ، قَالَ: جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ(٤) مَا كَانَ، زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ**(٥)**، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»**(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٨)، وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد في مسنده (١٦٨٧٦)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٧٣٧٥)، وابن أبي عاصم في اسنة (١٠٥٧)، وغيرهم من طريق عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.

* فيه عاصم بن أبي النجود: صدوق علىٰ أمامته في القراءات.

(٣) البخاري (٧٠٥٣) ومسلم (١٨٤٩) وغيرهما من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٤) **أمر الحرة**: كَانَتْ وَقْعَة الْحَرَّة فِي سَنَة ثَلَاث وَسِتِّينَ، وَسَبَبُهَا أَنَّ أَهْل الْمَدِينَة خَلَعُوا بَيْعَة يَزِيد بْنِ مُعَاوِيَة لَمَّا بَلَغَهُمْ مَا يَتَعَمَّدُهُ مِنْ الْفَسَاد، فَأَمَّرَ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْن حَنْظَلَة بْن أَبِي عَامِر، وَأَمَّرَ الْمُهَاجِرُونَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْن مُطِيع الْعَدَوِيَّ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ بْن مُعَاوِيَة مُسْلِمَ بْن عَقَبَة الْمُرِّيّ فِي جَيْشٍ كَثِير، فَهَزَمَهُمْ، وَاسْتَبَاحُوا الْمَدِينَة، وَقَتَلُوا ابْن حَنْظَلَة، وَقُتِلَ مِنْ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ كَثِير جِدًّا. (فتح) - (ج ١٤/ ص ٢١).

(٥) **لا حُجَّةَ لَهُ**: أَيْ لَا حُجَّةَ لَهُ فِي فِعْلِه، وَلَا عُذْرَ لَهُ يَنْفَعهُ. النووي (٦/ ٣٢٣).

(٦) أخرجه مسلم (١٨٥١) غيره من حديث عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما مرفوعًا.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ[١] فَلَيْسَ مِنَّا[٢]، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»[٣].

❍ من فقه الباب:

❍ ذم التفرق والاختلاف:

لقد ذم الله التفرق ونهىٰ عن الطرق والأسباب المؤدية إليه، وقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة التي تحذر من التفرق والاختلاف وتبين سوء عاقبته وأنه من أعظم أسباب الخذلان في الدنيا، والعذاب والخزي وسواد الوجوه في الآخرة. قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٥-١٠٧]. قال ابن عباس: «تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة».

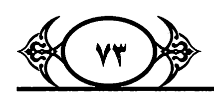
وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) أَيْ: حَمَلَ السِّلَاح عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ لِقِتَالِهِمْ بِهِ بِغَيْرِ حَقّ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَخْوِيفِهِمْ، وَإِدْخَالِ الرُّعْبِ عَلَيْهِمْ، وَكَأَنَّهُ كَنَّىٰ بِالْحَمْلِ عَنْ الْمُقَاتَلَة أَوْ الْقَتْل، لِلْمُلَازَمَةِ الْغَالِبَة. (فتح) - (ج ٢٠/ ص ٧٤).

(٢) فَلَيْسَ مِنَّا: أَيْ: لَيْسَ عَلَىٰ طَرِيقَتنَا، أَوْ لَيْسَ مُتَّبِعًا لِطَرِيقَتِنَا، لِأَنَّ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِم عَلَىٰ الْمُسْلِم أَنْ يَنْصُرَهُ وَيُقَاتِلَ دُونَهُ، لَا أَنْ يُرْعِبَهُ بِحَمْلِ السِّلَاحِ عَلَيْهِ، لِإِرَادَةِ قِتَالِهِ أَوْ قَتْله، وَهَذَا فِي حَقِّ مَنْ لَا يَسْتَحِلُّ ذَلِكَ، فَأَمَّا مَنْ يَسْتَحِلُّهُ، فَإِنَّهُ يَكْفُرُ بِاسْتِحْلَالِ الْمُحَرَّم، لَا بِمُجَرَّدِ حَمْلِ السِّلَاح. وَالْأَوْلَىٰ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ السَّلَفِ إِطْلَاقُ لَفْظِ الْخَبَرِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَأْوِيلِهِ، لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي الزَّجْر، وَكَانَ سُفْيَانُ بْن عُيَيْنَةَ يُنْكِرُ عَلَىٰ مَنْ يَصْرِفُهُ عَنْ ظَاهِره، فَيَقُولُ مَعْنَاهُ لَيْسَ عَلَىٰ طَرِيقَتنَا، وَيَرَىٰ أَنَّ الْإِمْسَاكَ عَنْ تَأْوِيلِهِ أَوْلَىٰ، لِمَا ذَكَرْنَاهُ. وَالْوَعِيدُ الْمَذْكُورُ لَا يَتَنَاوَلُ مَنْ قَاتَلَ الْبُغَاةَ مِنْ أَهْلِ الْحَقّ، فَيُحْمَلُ عَلَىٰ الْبُغَاةِ، وَعَلَىٰ مَنْ بَدَأَ بِالْقِتَالِ ظَالِمًا. (فتح) - (ج ٢٠/ ص ٧٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٠١) وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.



﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

فقد دلت الآيات علىٰ ذم التفرق وخطورته علىٰ الأمة في الدنيا والآخرة، وأنه سبب هلاك أهل الكتاب وهم اليهود والنصارىٰ، وسبب كل انحراف وقع في الناس.

وأما السنة فقد جاءت فيها أحاديث كثيرة في ذم التفرق والاختلاف والحث علىٰ الجماعة والائتلاف فمن قوله ﷺ: «**ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا علىٰ اثنتين وسبعين ملة. وإن هذه الأمة ستتفرق علىٰ ثلاث وسبعين ملة**».

فقد أخبر النبي ﷺ بافتراق أمته علىٰ ثلاث وسبعين فرقة وفي بعض الروايات اثنتان وسبعون في النار، لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي ﷺ، إما في الدين فقط وإما في الدين والدنيا ثم يؤول إلىٰ الدين. وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط. وعلىٰ كل حال فإن الفرقة والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة والرسول ﷺ يحذر أمته منه لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلامة.

الاختلاف والتفرق سبب هلاك الأمم السابقة: إذا تأملنا القرآن والسنة وجدنا أن سبب هلاك الأمم السابقة هو التفرق وكثرة الاختلاف لاسيما الاختلاف في الكتاب المنزل عليهم.

قال حذيفة رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه: «أدرك هذه الأمة، لا تختلف في الكتاب كما اختلفت فيه الأمم قبلهم»، لما رأىٰ أهل الشام وأهل العراق يختلفون في حروف القرآن الاختلاف الذي نهىٰ عنه رسول الله ﷺ. فأفاد ذلك شيئين:

أحدهما: تحريم الاختلاف في مثل هذا.

والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا، والحذر من مشابهتهم. قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]. وقوله: ﴿وَمَا

ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩].

ومن السنة ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم علىٰ أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»(١). فقد أمرهم الرسول ﷺ في هذا الحديث بالإمساك عما لم يؤمروا به، معللا بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال، ثم الاختلاف علىٰ الرسل بالمعصية أي بمخالفتهم لما أمرتهم به أنبياؤهم.

هل الاختلاف رحمة: يدعي بعض الناس أن الاختلاف رحمة اعتمادًا علىٰ حديث موضوع: «اختلاف أمتي رحمة». وهذا القول مردود بالكتاب والسنة والعقل.

وقد دل القرآن علىٰ أن الاختلاف لا يتفق مع الرحمة بل هو ضدها، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

والحديث الذي استدل به أصحاب هذه الدعوىٰ باطل ولا يصح بحال، ولا يوجد في شيء من كتب السنة، وهذا كافٍ في بطلان هذه الدعوىٰ، يضاف إلىٰ ذلك مخالفته للمعقول، فإنه لا يتصورَ عاقل أن الاختلاف رحمة، بعد ما عرفنا المفاسد الخطيرة الناتجة عنه من التشاحن والتباغض والتهاجر بل وربما القتال والحروب التي كثيرًا ما ثارت بين الناس بسبب الاختلاف، حتىٰ في بعض مسائل الفروع.

طريق الخلاص من الفرقة والاختلاف: ومن المعلوم أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هي الجماعة. والجماعة هم الذين يسيرون وفق منهج النبي ﷺ وأصحابه لا يعدلون عن ذلك ولا يحيدون عنه يمينًا أو شمالًا.

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في الاعتصام: «إن الجماعة ما كان عليه النبي وأصحابه

---

(١) البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)، وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

والتابعون لهم بإحسان». فطريق الخلاص هو اتباع منهج أهل السنة والجماعة قولًا وعملًا واعتقادًا، وعدم مخالفتهم أو الشذوذ عنهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

باب وجوب توحيد الله جل جلاله
وبيان حقيقته

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الأنعام: ١٥١] الآيات.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ

لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ [فاطر: ٤٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ؟**» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**»(١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَىٰ الْيَمَنِ: «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»(٢).

---

(١) البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (٣٠) وغيرهما من حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩)، وغيرهم من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبِي كَانَ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَكَانَ وَكَانَ، فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: «**فِي النَّارِ**» قَالَ: فَكَأَنَّهُ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ أَبُوكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ**» قَالَ: فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدُ، وَقَالَ: لَقَدْ كَلَّفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ تَعَبًا، مَا مَرَرْتُ بِقَبْرِ كَافِرٍ إِلَّا بَشَّرْتُهُ بِالنَّارِ[1].

○ من فقه الباب:

التوحيد هو الاعتقاد الجازم الذي لا يتطرقُ إليه شك بأن الله عَزَّوَجَلَّ ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، وأنه وحده الخالق الذي يدبر الكون كله، وأنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه وأن كل معبود سواه فهو باطل، وأن يُفردَ بالعبادة مع كمال المحبة والذُّلِّ والخضوع، وأنه المتّصف بصفات الكمال فله الأسماءُ الحسنىٰ والصِّفاتُ العُلا، وهو سبحانه منزَّهٌ عن كل عيب ونقص[2].

والتوحيد: مراد الله من عباده، وهو أحب شيء إلىٰ الله، وهو المقصود من خلق الجن والإنسان، بل خلق الكون كله.

والتوحيد: ألطف شيء وأنزهه، وأنظفه وأصفاه، فأدنىٰ شيء يخدشه ويدنسه ويؤثر فيه، فهو كالثوب الأبيض يدنسه أدنىٰ أثر، وكالمرآة الصافية جدًا أدنىٰ شيء يؤثر فيها.

ولهذا تشوشه وتؤثر فيه اللحظة واللفظة والشهوة الخفية.

فإن بادر صاحبه وقلع ذلك الأثر بضده، وإلا استحكم وصار طبعًا يتعسر

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه في سننه (١٥٧٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطيّة لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرحه العلامة محمد بن صالح العثيمين، (١/ ٥٥ – ٥٩).

عليه قلعه والتخلص منه.

❍ **وقوة التوحيد والإيمان تقهر ما يضادها وتحرقه:**

فمن الناس من يكون توحيده عظيمًا كبيرًا، ينغمر فيه كثير من الذنوب ويستحيل فيه، بمنزلة الماء الكثير الذي يخالطه أدنىٰ نجاسة أو وسخ، فيغتر به صاحب التوحيد الذي هو دونه، فيخلط توحيده الضعيف بما خالط به صاحب التوحيد العظيم توحيده فيسقط ويهلك.

وصاحب المحاسن الكثيرة والغامرة للسيئات، يسامَح بما لا يسامَح به مَنْ أتىٰ مثل تلك السيئات، وليست له تلك المحاسن.

فما حصلت المطالب إلا بالتوحيد، ولا دفعت الشدائد إلا بالتوحيد، ولا ظفر بالجنة إلا بالتوحيد، ولا نجاة من النار إلا بالتوحيد، ولا يلقي في الكرب العظام إلا الشرك، ولا ينجي منها إلا التوحيد، فالتوحيد مفزع الخلائق كلها، وهو ملجؤها وحصنها وغياثها.

❍ **ولله عَزَّوَجَلَّ على كل عبد ثلاثة أمور:**

أمر يأمره به.. وقضاء يقضيه عليه.. ونعم ينعم بها عليه.

فواجبه في الأمر الطاعة.. وواجبه في القضاء الصبر.. وواجبه في النعم الشكر.. وهو لا ينفك عن هذه الثلاثة.

والتقصير والغفلة والنسيان من طبيعة البشر، فلا بدَّ له مع تلك الثلاثة من الاستغفار الكثير المستمر، لعظمة حجم النقص، والتقصير في حق الرب.

❍ **والقضاء نوعان:**

إما مصائب.. وإما معائب.

وأحب الخلق إلىٰ الله، وأقربهم إليه، من عرف عبوديته في هذه المراتب

ووفاها حقها، وأبعدهم منه من جهل عبوديته في هذه المراتب كلها. فعبوديته في الأمر امتثاله إخلاصًا واقتداء برسول الله ﷺ.

وعبوديته في النهي اجتنابه خوفًا من الله، وإجلالًا له، وحياءً منه، ومحبة له.

وعبوديته في قضاء المصائب الصبر عليها، ثم الرضا بها، وهو أعلىٰ منه، ثم الشكر عليها، وهو أعلىٰ من الرضا.

وهذا إنما يتأتىٰ منه إذا تمكن حب الله من قلبه، وعلم حسن اختياره له، وبره به، ولطفه به، وإحسانه إليه بالمصيبة وإن كرهها.

وعبوديته في قضاء المعائب المبادرة إلىٰ التوبة منها، ووقوفه أمام ربه في مقام الاعتذار والانكسار، مستيقنًا أنه لا يرفعها إلا هو، ولا يقيه شرَّها سواه، وأنها إن استمرت أبعدته من قربه، وطردته من بابه.

فيراها من الضر الذي لا يكشفه غيره، حتىٰ إنه ليراها أعظم من ضر البدن، فهو عائذ برضاه من سخطه، وبعفوه من عقوبته، وبه منه، مستجير وملتجئ إليه.

يعلم يقينًا أنه إذا تخلىٰ عنه، وخلىٰ بينه وبين نفسه، وقع في أمثالها أو شر منها، وأنه لا سبيل إلىٰ الإقلاع عنها والتوبة منها إلا بتوفيقه سبحانه وإعانته، وأن ذلك كله بيده سبحانه لا بيد غيره.

ويستيقن أنه أعجز وأضعف وأقل من أن يوفق نفسه، أو يأتي بما يرضي سيده بدون إذنه ومشيئته وإعانته.

فهو ملتجئ إليه، ملق نفسه بين يديه، يعلم أن الخير كله بيديه، وأنه ولي نعمته، أعطاها له بدون سؤال، وابتدأه بها من غير استحقاق، وأجراها عليه، وساقها إليه، مع تبغضه إليه بإعراضه وغفلته ومعصيته، فحظه وحقه سبحانه الحمد والشكر والثناء، وحظ العبد الندم والنقص والعيب والتقصير.

فالحمد كله لله رب العالمين، والفضل كله منه، والمنَّة كلها له، والخير كله في يديه.

فمنه سبحانه الإحسان، ومن العبد الإساءة، ومنه التودد إلىٰ العبد بنعمه، ومن العبد التبغض إلىٰ ربه بمعاصيه.

وأما عبودية النعم: فمعرفتها والاعتراف بها أولًا، وعدم إضافتها إلىٰ سواه وإن كان سببًا، فهو مسببه ومقيمه، فالنعمة منه وحده بكل وجه واعتبار، ثم الثناء بها عليه، ومحبته عليها، وشكره باستعمالها في طاعته.

ومن لطائف التعبد بالنعم أن يستكثر قليلها عليه.. ويستقل كثير شكره عليها.. ويعلم أنها وصلت إليه من سيده من غير ثمن بذله فيها.. وأنها لله لا للعبد.. فلا تزيده النعمة إلا انكسارًا وذلًا وتواضعًا ومحبة للمنعم.. وكلما جدد الله له نعمة أحدث لها عبودية ومحبة، وخضوعًا وذلًا.. وكلما أحدث له قبضًا أحدث له رضىً.. وكلما أحدث العبد ذنبًا أحدث له توبة وانكسارًا واعتذارًا.

فهذا هو العبد الكيِّس: الذي عرف أن مولاه واحد، بيده كل شيء، ومنه كل شيء، فأحبه وتولاه، ولزم بابه.

فليس للعبد غير باب سيده وفضله وإحسانه، وأن سيده إن تخلىٰ عنه وأهمله هلك، لأنه ليس له من يعوذ به ويلوذ به غير سيده، وهو عبد مربوب مدبر مأمور منهي، يتصرف بحكم العبودية لا بحكم الاختيار لنفسه، وليس عند العبد عمل إلا تنفيذ أوامر سيده، والعمل بما يرضيه.

فهؤلاء هم عبيد الطاعة الذين آمنوا بربهم، وهم المضافون إليه سبحانه في قوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٥].

ومن عداهم عبيد القهر والربوبية وهم الكفار، وشأنهم شأن الملوك

والأحرار، وإضافتهم إليه كإضافة سائر المخلوقات إليه، وهي إضافة مبنية على الملك والاقتدار. لا على الطاعة والامتثال.

○ والعبد حقًّا من يعبد ربه في جميع أحواله:

فيكون عبدًا مطيعًا من جميع الوجوه صغيرًا أو كبيرًا، غنيًّا أو فقيرًا، معافى أو مبتلى، بالقلب واللسان والجوارح.

فالعبد وما يملك لسيده ومولاه، لا يتصرف إلا بأمره، وكيف يكون له في نفسه تصرف، ونفسه بيد ربه، وناصيته بيده، وقلبه بين إصبعين من أصابعه.

وموته وحياته، وسعادته وشقاوته، وعافيته وبلاؤه، كله إليه سبحانه، ليس إلى العبد منه شيء، بل هو ومن في العالم العلوي والسفلي في قبضته سبحانه، فكيف يرجو أو يخاف غيره؟.

فمن شهد ذلك صار فقره وضرورته إلى ربه وصفًا لازمًا له، ومتى شهد الناس كذلك لم يفتقر إليهم، ولم يعلق أمله ورجاءه بهم، فاستقام توحيده وتوكله وعبوديته ومعرفته.

○ ومعرفة الله نوعان:

الأولى: معرفة إقرار: وهي التي اشترك فيه جميع الناس، المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

الثانية: معرفة توجب الحياء من الله، والمحبة له، وتعلق القلب به، والشوق إليه، والأنس به، ومحبته، والإنابة إليه، والفرار من الخلق إليه.

وهذه أعلى المعارف وأعظمها، وتفاوت الخلق فيها لا يحصيه إلا الذي عرفهم بنفسه، وكشف لقلوبهم من معرفته ما أخفاه عن سواهم.

وكل يعبد الله ويطيعه ويتلذذ بذلك بحسب تلك المعرفة، وما كشف له منها، وقد قال أعرف الخلق به: «**لا أحصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»[1].

والتوحيد هو الأصل العام الذي يرتبط بجميع الأعمال، وهو القاعدة التي ترجع إليها جميع التكاليف والفرائض، وتستمد منها الحقوق والواجبات. فيجب قبل الدخول في الأوامر والنواهي.. وقبل الدخول في التكاليف والفرائض.. وقبل الدخول في الشرائع والأحكام.. أن يعترف الناس بربوبية الله وحده لهم في حياتهم.. كما يعترفون بألوهيته وحده لهم في عقيدتهم.

لا يشركون معه أحدًا في ألوهيته.. ولا يشركون معه أحدًا في ربوبيته.

فالشرك بكل أقسامه وصوره هو المحرم الأول، لأنه يجر إلىٰ كل محرم، وهو المنكر الأول الذي يجر إلىٰ كل منكر.

فيجب فورًا حشد الإنكار كله له، حتىٰ يعترف الناس أن لا إله لهم إلا الله.. ولا رب لهم إلا الله.. ولا حاكم لهم إلا الله.. ولا مشرع لهم إلا الله.

فمعرفة التوحيد أول واجب، وأعظم واجب علىٰ كل إنسان كما قال سبحانه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

○ **والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا الله أمور:**

أحدها: بل أعظمها التفكر في سنن الله وآياته الكونية، وآياته الشرعية، ثم تدبر أسماء الله وصفاته وأفعاله الدالة علىٰ كماله وعظمته وجلاله، فذلك يوجب بذل الجهد في التأله والتعبد للرب الكامل الصفات.

الثاني: العلم بأن الله هو المتفرد بالخلق والتدبير، ومنه يعلم أنه المستحق

---

(١) مسلم (٤٨٦).

للعبادة، المتفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأن الله وحده هو المتفرد بهبة النعم الظاهرة والباطنة، المادية والروحية، الدنيوية والأخروية، فذلك يوجب تعلق القلب به، محبة ورغبة، وخوفًا ورهبة.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه، القائمين بتوحيده، من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين.

الخامس: معرفة الطواغيت التي فتنت الناس، وصرفتهم عن دين الله وكتبه ورسله، وأنها ناقصة باطلة من جميع الوجوه، لا تملك لنفسها ولا لعبَّادها نفعًا ولا ضرًّا.

السادس: أن خواص الخلق الذين هم أكمل الخليقة أخلاقًا وعلمًا، وهم الأنبياء والرسل والملائكة والعلماء الربانيون قد شهدوا بذلك كما قال سبحانه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

○ وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) مركبة من جملتين:

(لا إله) نفي.. (إلا الله) إثبات.

فالنفي أن يخرج فكره ويقينه عما سوىٰ الله، من الأرض إلىٰ السماء.. ومن الذرة إلىٰ أعظم جبل.. ومن قطرة الماء إلىٰ البحر.. ومن البعوضة حتىٰ الفيل.. ومن النملة حتىٰ جبريل.. ومن أصغر مخلوق إلىٰ أكبر مخلوق.

فكل هذه مخلوقات ليس بيدها ولا بيد غيرها من المخلوقات نفع ولا ضر، فكلها ليست بإله، وإنما هي مخلوقة مملوكة مقهورة بأمر الله.

(إلا الله): إثبات الألوهية لله وحده، فيركز فكره ويقينه بأن الله وحده هو

الإله الواحد الأحد القهار، فيعبده وحده ويطيعه، فإذا اعتقد ذلك أتبعه بشهادة أن محمدًا رسول الله، فيتبعه في أقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته، لأن الله بعثه إلينا رحمة بنا وبالعالمين جميعًا، لنقتدي به كما قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

○ قد فطر الله الناس على التوحيد، والفطرة فطرتان:

الأولىٰ: فطرة تتعلق بالقلب، وهي معرفة الله، ومحبته، وإيثاره علىٰ ما سواه.

الثانية: فطرة تتعلق بالبدن، وهي فطرة عملية، وقد أشار إليها النبي ﷺ بقوله: «**الْفِطْرَةُ خَمْسٌ -أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ- الْخِتَانُ، وَالاسْتِحْدَادُ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَنَتْفُ الإِبِطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ**»[1].

فالأولىٰ تزكي الروح وتطهر القلب، والثانية تزكي البدن وتطهره وتجمله.

وحقيقة التوحيد: التعلق بالله وحده ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، وعدم التعلق بغيره، أو الالتفات إلىٰ ما سواه.

فحصول الضرر والنفع.. واختلاف الليل والنهار.. وتبدل الحر بالبرد.. وحصول الجوع والشبع.. والأمن والخوف.. والصحة والمرض.. والعزة والذلة.. والفقر والغنىٰ.. ليست بذاتها.. بل أمر الله وحده لا شريك له كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

فالموحد لا يتعلق قلبه بالأسباب النافعة كالطعام والدواء مثلًا، ولا يتعلق بالأسباب الضارة كالنار والسموم، بل يتعلق قلبه بالله وحده، الذي له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، وبيده مقاليد الأمور و﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الحديد: ٥].

---

(١) البخاري (٥٨٨٩)، ومسلم (٢٥)، واللفظ له.

○ **والتوحيد يقوم على ثلاثة أصول:**

الأول: الاعتقاد واليقين بوحدانية الله، ومكانه القلب.

الثاني: النطق والإقرار، ومكانه اللسان.

الثالث: العمل الذي هو تنفيذ الأوامر والنواهي، ومكانه الجوارح.

باب فضل التوحيد

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وعَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ

شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» قَالَ الوَلِيدُ، حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ، عَنْ عُمَيْرٍ، عَنْ جُنَادَةَ وَزَادَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ(١).

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا المُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: **«مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»**(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ:** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]»(٣).

وعَنْ يَزِيدَ بْنِ صُهَيْبٍ الْفَقِيرِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ جابِرٍ فَذَكَرَ الْخَوَارِجَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يُعَذَّبُونَ بِذُنُوبِهِمْ، فَيَكُونُونَ فِي النَّارِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونُوا، ثُمَّ يُعَيِّرُهُمْ أَهْلُ الشِّرْكِ فَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَا نَرَىٰ مَا كُنْتُمْ تُخَالِفُونَا فِيهِ مِنْ تَصْدِيقِكُمْ وَإِيْمَانِكُمْ نَفَعَكُمْ، لِمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُرِيَ أَهْلَ الشِّرْكِ مِنَ الحَسْرَةِ، فَمَا يَبْقَىٰ مُوَحِّدٌ إِلَّا أَخْرَجَهُ اللهُ»** ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢](٤).

---

(١) البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) مسلم (٩٣).

(٣) البخاري (٣٣٦٠)، ومسلم (١٢٤)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) حسن: أخرجه النسائي في الكبرىٰ (١١٢٠٧)، والطبراني في الأوسط (١١٢٠٧) من طريق حَاتِم بْن إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الصَّيْرَفِيُّ وَهُوَ بَسَّامٌ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ صُهَيْبٍ الْفَقِيرِ عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

=

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**»(١).

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**» قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**» قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**» قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهَا فَيَسْتَبْشِرُوا، قَالَ: «**إِذًا يَتَّكِلُوا**»، فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذُ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمِّهِ: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، **قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦](٣).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «**أَسْلِمْ**»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ**

= * فيه حاتم بن إسماعيل، وبسام الصيرفي: كلاهما صدوق. قلت: وهذا إسناده حسن.

(١) البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣)، وغيرهما من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢)، وغيرهما من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥)، وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»(١).

وعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَعُودُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا خَالُ، قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» فَقَالَ: أَوَ خَالٌ أَنَا أَوْ عَمٌّ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لا بَلْ خَالٌ**»، فَقَالَ لَهُ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، قَالَ: خَيْرٌ لِي؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»(٢).

وعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ: «**أَسْلِمْ**» قَالَ: أَجِدُنِي كَارِهًا. قَالَ: «**أَسْلِمْ، وَإِنْ كُنْتَ كَارِهًا**»(٣).

وعن أَبِي ذَرٍّ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ**» ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ: «**عَلَىٰ رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**» قَالَ: فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ وَهُوَ يَقُولُ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ(٤).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزِعْنَا، فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا؟ فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (١٢٥٤٣)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٣٥١٢)، وابن منده في التوحيد (١٨٤)، وغيرهم من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (١٢٠٦١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٨٠٢)، وغيرهما من طريق حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) البخاري (١٢٣٧)، ومسلم (٩٤) وغيرهما من حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه مرفوعًا.

رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ - وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ - فَاحْتَفَزْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَبُو هُرَيْرَةَ**» فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**مَا شَأْنُكَ؟**» قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وَهَؤُلَاءِ النَّاسُ وَرَائِي، فَقَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**» وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، قَالَ: «**اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَخَرَرْتُ لِاسْتِي، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً، وَرَكِبَنِي عُمَرُ، فَإِذَا هُوَ عَلَىٰ أَثَرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**» قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ، فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لِاسْتِي، قَالَ: ارْجِعْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عُمَرُ، مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا فَعَلْتَ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ، وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَخَلِّهِمْ**»[1].

وعَنْ الصُّنَابِحِيِّ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: مَهْلًا، لِمَ تَبْكِي؟ فَوَاللهِ لَئِنْ اسْتُشْهِدْتُ لَأَشْهَدَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ شُفِّعْتُ لَأَشْفَعَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ اسْتَطَعْتُ لَأَنْفَعَنَّكَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا حَدَّثْتُكُمُوهُ، إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمُوهُ الْيَوْمَ، وَقَدِ أُحِيطَ بِنَفْسِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ:

---

(١) أخرجه مسلم (٣١) وغيره من حديث أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

«مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهِ أَنْجَتْهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ أَصَابَهُ قَبْلَهُ مَا أَصَابَهُ»(٢).

وعَنْ عُثْمَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرٍ، قَالَ: فَنَفِدَتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ، قَالَ: حَتَّىٰ هَمَّ بِنَحْرِ بَعْضِ حَمَائِلِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ جَمَعْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ، فَدَعَوْتَ اللهَ عَلَيْهَا، قَالَ: فَفَعَلَ، قَالَ: فَجَاءَ ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ، وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ، قَالَ: وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَذُو النَّوَاةِ بِنَوَاهُ، قُلْتُ: وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَىٰ؟ قَالَ: كَانُوا يَمُصُّونَهُ وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ، قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهَا قَالَ حَتَّىٰ مَلَأَ الْقَوْمُ أَزْوِدَتَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٤).

وعَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩) من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (٩٠٦)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٤٦) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦) وغيره من حديث عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧) من طريق أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»(١).

❍ من فقه الباب:

❍ من فوائد التوحيد:

أنه أكبر دعامة للرغبة في الطاعة؛ لأن الموحد يعمل لله سبحانه وتعالى، وعليه، فهو يعمل سرا وعلانية، أما غير الموحد، كالمرائي مثلا، فإنه يتصدق ويصلي، ويذكر الله إذا كان عنده من يراه فقط، ولهذا قال بعض السلف: «إني لأود أن أتقرب إلىٰ الله بطاعة لا يعلمها إلا هو».

أنه سبب في مغفرة الذنوب والنجاة من النار كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] وفي قوله ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ بيان أن مَا دُونَ الشِّرْكِ تَحْتَ إِمْكَانِ الْمَغْفِرَة، وَالْمُرَادُ بِالشِّرْكِ فِي هَذِهِ الْآيَة: الْكُفْر؛ لِأَنَّ مَنْ جَحَدَ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَثَلًا كَانَ كَافِرًا، وَلَوْ لَمْ يَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخر، وَالْمَغْفِرَةُ مُنْتَفِيَةٌ عَنْهُ بِلَا خِلَاف. وَقَدْ يَرِد الشِّرْكُ وَيُرَادُ بِهِ مَا هُوَ أَخَصُّ مِنْ الْكُفْر، كَمَا فِي قَوْله تَعَالَىٰ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ١]. قَالَ ابْن بَطَّال: الْآيَة تَرُدُّ عَلَىٰ مَنْ يُكَفِّرُ بِالذُّنُوبِ، كَالْخَوَارِجِ، وَيَقُول: إِنَّ مَنْ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ يُخَلَّدُ فِي النَّار، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ مَنْ مَاتَ عَلَىٰ كُلِّ ذَنْبٍ سِوَىٰ الشِّرْك. (فتح - ج١ص١٢٧).

أن الموحدين لهم الأمن وهم مهتدون، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي في سننه (٢٦٣٩)، وابن ماجه في سننه (٤٣٠٠)، وأحمد في مسنده (٦٩٩٤) وغيرهم من طريق عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما مرفوعًا.

وفي قوله ولم يلبسوا: أَيْ: لَمْ يَخْلِطُوا، تَقُول: لَبَسْتُ الْأَمْرَ بِالتَّخْفِيفِ، أَلْبَسَهُ بِالْفَتْحِ فِي الْمَاضِي وَالْكَسْرِ فِي الْمُسْتَقْبَل، أَيْ: خَلَطْتَه. وَتَقُول: لَبِسْتُ الثَّوْب أَلْبَسُهُ بِالْكَسْرِ فِي الْمَاضِي، وَالْفَتْح فِي الْمُسْتَقْبَل، وَقَالَ مُحَمَّد بْنُ إِسْمَاعِيل التَّيْمِيُّ فِي شَرْحه: خَلْطُ الْإِيمَان بِالشِّرْكِ لَا يُتَصَوَّر فَالْمُرَاد أَنَّهُمْ لَمْ تَحْصُل لَهُمْ الصِّفَتَانِ: كُفْر مُتَأَخِّر عَنْ إِيمَان مُتَقَدِّم. أَيْ: لَمْ يَرْتَدُّوا، وَيَحْتَمِل أَنْ يُرَاد أَنَّهُمْ لَمْ يَجْمَعُوا بَيْنهمَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، أَيْ: لَمْ يُنَافِقُوا، وَهَذَا أَوْجَه. (فتح – ح٣٢).

قال الحافظ في الفتح ح٣٢: الصَّحَابَةُ فَهِمُوا مِنْ قَوْله ﴿بِظُلْمٍ﴾ عُمُومَ أَنْوَاع الْمَعَاصِي، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِم النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا بَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الظُّلْم، وَهُوَ الشِّرْك، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ لِلظُّلْمِ مَرَاتِبَ مُتَفَاوِتَة، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: كَانَ الشِّرْكُ عِنْد الصَّحَابَةِ أَكْبَرَ مِنْ أَنْ يُلَقَّبَ بِالظُّلْمِ، فَحَمَلُوا الظُّلْمَ فِي الْآيَة عَلَىٰ مَا عَدَاهُ- يَعْنِي مِنْ الْمَعَاصِي- فَسَأَلُوا عَنْ ذَلِكَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَة. وَفِي الْمَتْن مِن الْفَوَائِد: الْحَمْلُ عَلَىٰ الْعُمُوم، حَتَّىٰ يَرِدَ دَلِيلُ الْخُصُوص، وَأَنَّ النَّكِرَةَ فِي سِيَاقِ النَّفْي تَعُمُّ، وَأَنَّ الْخَاصَّ يَقْضِي عَلَىٰ الْعَامّ، وَالْمُبَيِّنُ عَن الْمُجْمَلِ، وَأَنَّ اللَّفْظَ يُحْمَلُ عَلَىٰ خِلَافِ ظَاهِرِهِ لِمَصْلَحَةِ دَفْع التَّعَارُضِ، وَأَنَّ دَرَجَاتِ الظُّلْم تَتَفَاوَت، وَأَنَّ الْمَعَاصِي لَا تُسَمَّىٰ شِرْكًا، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا فَلَهُ الْأَمْن، وَهُوَ مُهْتَدٍ، فَإِنْ قِيلَ: فَالْعَاصِي قَدْ يُعَذَّب، فَمَا هُوَ الْأَمْنُ وَالِاهْتِدَاءُ الَّذِي حَصَلَ لَهُ؟، فَالْجَوَاب أَنَّهُ آمِنٌ مِن التَّخْلِيد فِي النَّار، مُهْتَدٍ إِلَىٰ طَرِيقِ الْجَنَّة، وَالله أَعْلَم. اهـ

وبالتوحيد تقبل الأعمال وبضده ترد علىٰ صاحبها فينبغي حفظ التوحيد فالتوحيد كالجوهرة يجب حفظه من النفس والهوىٰ والشيطان.

والتوحيد والإيمان أعظم شيء في خزائن الله، وأغلىٰ شيء يعطاه أحد، يؤتيه الله من يعلم أنه يصلح له، ويمنعه ممن يعلم أنه لا يصلح له، والله عَزَّ وَجَلَّ وحّد نفسه في الأسماء والصفات والأفعال.

فلا شبيه له ولا مثيل في أسمائه وصفاته، ولا خالق إلا هو، ولا رب سواه.

ووحَّد نفسه في الألوهية، فلا يعبد إلا الله وحده لا شريك له.

ووحَّد نفسه في الأمر والنهي، فلا حكم إلا لله الحكيم العليم.

ووحَّد نفسه في الملك، فهو مالك الملك كله، وله الخلق والأمر كله.

والتوحيد الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلىٰ آخرهم هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وإفراده وحده بالعبادة.

والعبادة حق الله وحده، لاحظ فيها لملك مقرب، ولا نبي مرسل، فضلًا عن غيرهم من الأحياء والأموات والمخلوقات.

والتوحيد كالمرآة أدنىٰ شيء يؤثر فيه ويخدشه وينقصه، فهو يدخل في النيات والإرادات، والأقوال والأفعال.

فمن عبد الله ليلًا ونهارًا، ثم دعا نبيًّا أو وليًّا عند قبره، فقد اتخذ إلهين اثنين، ولم يشهد أن لا إله إلا الله.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

ومن ذبح ألف أضحية لله، ثم ذبح لنبي أو غيره، فقد اتخذ إلهين اثنين، ولم يشهد أن لا إله إلا الله.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وهكذا.. في كل نية.. وفي كل عمل.

فمن أخلص العبادات كلها لله، ولم يشرك فيها غيره، فهو الذي شهد أن لا إله إلا الله.

ومن جعل فيها مع الله غيره فهو المشرك الظالم الجاحد.

قال الله تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [النحل: ٥١-٥٢].

وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

والتوحيد: مفزع أولياء الله وأعدائه.

فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها كما قال الله عنهم: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وأما أولياؤه فينجيهم من كرب الدنيا والآخرة.

ولذلك فزع إليه نوح ﷺ فأنجاه الله، ومن آمن به، وأغرق من كفر كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الصافات: ٧٥-٧٦].

وفزع إليه إبراهيم ﷺ فنجاه الله من النار، وجعلها بردًا وسلامًا عليه كما قال سبحانه: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٦٩].

وفزع إليه يونس ﷺ فنادى ربه، وهو في بطن الحوت في ظلمات البحر فنجاه الله كما قال سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وفزع إليه محمد ﷺ في الهجرة إلىٰ المدينة فحفظه الله، وفي بدر فنصره الله كما قال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩].

وفزع إليه أتباع الرسل، فنجوا مما عُذب به المشركون في الدنيا، وما أعد الله لهم من العذاب في الآخرة.

ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك لم ينفعه؛ لأن الإيمان عند معاينة الموت لا يقبل، وهذه سنة الله في عباده لا تتبدل كما قال سبحانه: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨].

وأشعة لا إله إلا الله تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور في القلوب، وتفاوت أهلها في ذلك النور لا يحصيه إلا الله عز وجل.

فمن الناس من نور (لا إله إلا الله) في قلبه كالشمس.. ومنهم من نورها في قلبه كالقمر.. ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري.. ومنهم من نورها في قلبه كالمشعل العظيم.. ومنهم من نورها في قلبه كالسراج المضيء.. وآخر كالسراج الضعيف.. وهكذا.

ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم علىٰ هذا المقدار، بحسب ما في قلوب المؤمنين من نور هذه الكلمة.

وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتىٰ إنه ربما وصل إلىٰ حال لا يصادف معه شبهة، ولا شهوة، ولا ذنبًا إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده الذي لم يشرك بالله شيئًا.

فأي شبهة، أو شهوة أو ذنب أو معصية دنت من هذا النور أحرقها، فسماء

إيمانه قد حرست من كل سارق لحسناته، فلا ينال منها السارق إلا عند غفلته، فإذا استيقظ وعلم ما سرق منه استنقذه من سارقه، أو حصل أضعاف مكسبه.

فهو هكذا مع لصوص الجن والإنس، ليس كمن فتح لهم خزائنه، وولى الباب ظهره، وتركهم يسرقون ويفسدون.

وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه فقط.

بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها.

ولا يحصل هذا بمجرد قول اللسان فقط، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار، فلا بدَّ من قول القلب وقول اللسان.

وصلاح الحياة واستقامتها إنما تتم إذا كان الآمر في المملكة واحدًا، فإن تعدد الآمرون بالحركات تعارضت حركات البشر بعضهم مع بعض وتعاندت، ثم فسدت الحياة والأحياء.

فالوحدانية أساس استقامة حركة الحياة.

فكما نوحده سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، كذلك نوحده بعبادته وطاعته وحده لا شريك له.

فنطيع أمره وحده، ونجتنب نهيه وحده، ونؤمن به وحده.. ونتوكل عليه وحده، ونعبده وحده، ونستعين به وحده.

فلكي لا تتعاند الأقوال والأفعال، والأوامر والحركات، لا بدَّ أن يكون الهدف واحدًا، والآمر واحدًا، فإن اختلفت الأهداف، وتعدد الآمرون كان الفساد والفوضىٰ.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

والعابد حقًا من يأتمر بأوامر الله في جميع الأحوال، والشعائر كالصلاة والأذكار تعينك وتعطيك القوة ليزيد إيمانك، فيسهل عليك امتثال أوامر الله في كل حال.

فكلمة التوحيد وزنها عظيم، فلو كانت لا إله إلا الله في كفة، وسبع أرضين بجبالها وسهولها.. وبحارها وأنهارها، ومدنها وقراها.. وإنسها وجنها.. وحيواناتها وطيورها.. وذهبها وفضتها، ومعادنها وحديدها.. وترابها ونباتها، وما في ظاهرها وما في باطنها..

والسموات وما فيها من النجوم والكواكب.. السماء الأولىٰ بملائكتها.. وهكذا إلىٰ السابعة.. والجنة وكل ما فيها من القصور والحور، والولدان والغلمان، والأنهار، وجبريل وميكائيل وإسرافيل.. والصور وكل ما تحت العرش في كفة.

فلو وضعت السموات والأرض وما فيهما كما سبق في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، لمالت بهن لا إله إلا الله.

فمن كانت في قلبه كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) كيف يكون وزنه عند الله؟ وكيف تكون منزلته عند الله؟

وكيف تكون جنته يوم القيامة؟

والدين أول ما يبنىٰ من أصوله، ويكمل بفروعه، كما أنزل الله بمكة أصوله: من التوحيد والإيمان، والأمثال والقصص، والوعد والوعيد. ثم أنزل بالمدينة

لما صار له قوة فروعه الظاهرة: من الأذان والإقامة، وصلاة الجمعة والجماعة، والجهاد والصيام، وتحريم السرقة والزنا، والخمر والميسر، وغير ذلك من واجباته ومحرماته.

فأصوله تمد فروعه وتثبتها وتقويها، وفروعه تكمل أصوله وتحفظها. وإذا جرد العبد التوحيد لله، خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله.

فيرىٰ أن إعماله فكره في أمر عدوه، وخوفه منه، واشتغاله به من نقص توحيده، وإلا فلو جرد توحيده لكان له فيه شغل شاغل، والله يتولىٰ حفظه والدفاع عنه، فإن الله يدافع عن الذين آمنوا.

وبحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه، فإن كمل إيمانه كان دفع الله عنه أتم وأكمل، وإن مَزج مُزج له، وإن كان مرة ومرة، كان الله له مرة ومرة.

والتوحيد الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلىٰ آخرهم هو إفراد الله بالعبادة كلها، ليس فيها حق لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، فضلًا عن غيرهم، فمن عبد الله ليلًا ونهارًا، ثم دعا نبيًا أو وليًا عند قبره فقد اتخذ إلهين اثنين: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١].

ومن ذبح لله ألف أضحية، ثم ذبح لنبي أو غيره، فقد اتخذ إلهين اثنين، وهذا هو الشرك الذي حذرنا الله منه، وأمرنا بالتوحيد في جميع الأحوال كما قال سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فمن أخلص العبادات كلها لله، ولم يشرك فيها غيره، فهو المؤمن الموحد الذي شهد أن لا إله إلا الله، ومن عبد الله وعبد معه غيره فهو المشرك، ومن عبد غيره من دونه فهو الكافر الجاحد.

والناس كلهم مأمورون بالتوحيد، وعبادة الله وحده لا شريك له كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

والتوحيد يرد الأشياء كلها إلىٰ الله وحده خلقًا وإيجادًا، وبقاء واستمرارًا، ونفعًا وضرًا، ونجاة وهلاكًا، وحياة وموتًا، وغنىٰ وفقرًا.

والكفر والشرك يرد الأشياء كلها إلىٰ غير الله.

فالتوحيد أعدل العدل.. والشرك أظلم الظلم.

○ ومن علامات ضعف التوحيد واليقين:

ضعف الدعاء، وهو غير تركه، فتركه استكبار.. وعدم الكلام عن عظمة الله.. وعدم التحدث بنعمه.. وقلة ذكره.. وقلة حمده وشكره.. وعدم الثناء عليه.. وعدم نشر دينه وشرعه.. وقلة ذكر أسمائه وصفاته.. وتعظيم المخلوق.. وكثرة ذكره.. وثقل الطاعات عليه.. وخفة المعاصي عليه.. وقلة الرغبة في سماع كلامه.. وعدم الطمأنينة والسكينة في مجالس الذكر.

والله عَزَّوَجَلَّ واحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

هو وحده أحكم الحاكمين، وأحسن الخالقين، وخير الرازقين، له الخلق والأمر، وبيده النفع والضر، وله ملك الدنيا والآخرة.

وهو وحده الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه، ويكشف السوء، ويفرج الكربات، ويقيل العثرات.

وهو وحده الذي يهدي خلقه في ظلمات البر والبحر، ويرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته، وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده.

وهو سبحانه الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، أنزل من السماء ماءً

فأخرج به من الثمرات ما لا يحصيه إلا هو، الذي عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات، وسبحت بحمده الأرض والسماوات.

وهو سبحانه الذي لا تسكن الأرواح إلا بحبه، ولا تطمئن القلوب إلا بذكره، ولا تزكو العقول إلا بمعرفته، ولا تحيا القلوب إلا بلطفه، ولا يقع أمر إلا بإذنه، ولا يزول إلا بأمره، ولا يزيد ولا ينقص إلا بعلمه ومشيئته.

وهو سبحانه الذي لا يهتدي ضال إلا بهدايته، ولا يستقيم معوج إلا بتقويمه، ولا يتخلص من مكروه إلا برحمته، ولا يحفظ شيء إلا بكلاءته، ولا يحصل شيء إلا بإذنه، ولا يفتتح أمر إلا باسمه، ولا يتم شيء إلا بحمده.

وهو سبحانه الذي لا يُدرك محبوب إلا بتيسيره، ولا تنال سعادة إلا بطاعته، الذي وسع كل شيء رحمة وعلمًا، وأوسع كل مخلوق فضلًا وبرًّا.

وهو سبحانه الرب الحق، الإله الحق، الملك الحق، المتفرد بالكمال المطلق من كل الوجوه، المتفرد بالجلال المطلق من كل الوجوه، المتوحد بالجمال المطلق من كل الوجوه، المبرأ من النقائص والعيوب من كل الوجوه.

لا يبلغ المثنون وإن استوعبوا جميع الأوقات بكل أنواع الثناء ثناء عليه، بل ثناؤه علىٰ نفسه أعظم وأكبر وأشمل من ثناء الخلق عليه.

سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

إن مدلول كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) يقتضي أن تكون الحاكمية العليا لله وحده في حياة البشر، كما أن له الحاكمية العليا في تدبير الكون سواء.

فهو سبحانه الحاكم الذي يحكم في الكون والعباد بقضائه وقدره، وهو الحاكم الذي يحكم في حياة العباد بمنهجه وشريعته.

وبناء علىٰ هذا لا يعتقد المسلم أن لله شريكًا في خلق الكون وتدبيره وتصريفه.. ولا يتقدم بالشعائر التعبدية إلا لله وحده.. ولا يتلقىٰ الشرائع والأوامر في شئون الحياة إلا من الله وحده.. ولا يسمح لطاغوت من العبيد أن يشرع أو يحكم في شيء من هذا كله مع الله.

والمرض المنتشر في العالم اليوم هو تصدع جدار التوحيد، فالناس يتوجهون في عباداتهم إلىٰ الله، ويتوجهون في قضاء حاجاتهم إلىٰ غير الله، من الناس والأحوال والأشياء والأحجار والأشجار والأموات والحيوانات.

ولإزالة هذا المرض الخطير نتوجه إلىٰ الله في كل شيء، فهو الذي بيده كل شيء، وعنده خزائن كل شيء، والقادر علىٰ كل شيء.

نتوجه إلىٰ الله وحده لقضاء حوائجنا في جميع الأحوال، والله بيده خزائن الأموال، وبيده تغيير الأحوال، ولا ننظر إلىٰ أحوالنا مهما كانت شديدة، فالله علىٰ كل شيء قدير: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فإبراهيم ﷺ ليس معه قوة ولا جيش، ولكن الله معه، فقلب الله سبحانه سلاح الأعداء وهو النار من ضار إلىٰ نافع، وصارت النار بأمر الله بردًا وسلامًا علىٰ خليل الرحمن.

والمشركون في بدر معهم قوة الأسباب، والمؤمنون مع رسول الله قلة في العدد والعدة، لكن الله معهم، فتوجهوا إليه فنصرهم، وأهلك أعداءهم.

فالمؤمن حقًا هو الذي يعلم ويتيقن أن الملك والتصريف والتدبير بيد الله تعالىٰ لا بيد غيره.

فلا يرىٰ نفعًا ولا ضرًا.. ولا حركة ولا سكونًا.. ولا ظلمة ولا نورًا.. ولا خفضًا ولا رفعًا.. ولا قبضًا ولا بسطًا.. ولا حياة ولا موتًا... إلا والله عَزَّوَجَلَّ

خالقه وفاعله ومدبره، فلا يحصل في ملكه سبحانه حركة ولا سكون، ولا حياة ولا موت، ولا نفع ولا ضر إلا بإذنه وأمره وإرادته سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

وأهل التوحيد متفاوتون في توحيدهم علمًا ومعرفة وحالًا تفاوتًا لا يحصيه إلا الله الذي خلقهم ويعلم سرهم ونجواهم.

فأكمل الناس توحيدًا الأنبياء والرسل، والمرسلون منهم أكمل في ذلك.

وأولو العزم من الرسل أكمل توحيدًا: وهم نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأكمل أولي العزم توحيدًا الخليلان محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فقد قاما بالتوحيد بما لم يقم به غيرهما، علمًا ومعرفة، وحالًا وجهادًا، ودعوة للخلق إلىٰ ربهم.

فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل، ودعوا إليه، وجاهدوا الأمم من أجله، وصبروا علىٰ إبلاغه.

ولهذا أمر الله نبيه ﷺ أن يقتدي بهم فيه كما قال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ولما قاموا بحقيقة التوحيد جعلهم الله أئمة الخلائق، يهدون بأمره، ويدعون إليه، وجعل الخلائق تبعًا لهم كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

إن التوحيد هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأخذ بها الميثاق عليهم في ذات أنفسهم، وهم بعد في عالم الذر.

فالاعتراف بربوبية الله وحده فطرة في الكيان البشري، فطرة أودعها الخالق

فيه، وشهدت بها علىٰ نفسها بحكم وجودها ذاته كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٤].

فالله عَزَّوَجَلَّ قد فطر البشرية كلها علىٰ التوحيد، أما الرسالات فتذكير وتحذير لمن ينحرفون عن فطرتهم الأولىٰ، فيحتاجون إلىٰ التذكير والتحذير فالتوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالق البشر منذ بداية خلقهم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

فلا حجة لهم في نقض الميثاق، حتىٰ لو لم يبعث الله إليهم بالرسل يذكرونهم ويحذرونهم، ولكن رحمة الله وحدها اقتضت ألا يكلهم إلىٰ فطرتهم هذه فقد تنحرف، وألا يكلهم إلىٰ عقولهم فقد تضل، فبعث إليهم الرسل مبشرين ومنذرين ومذكرين، لئلا يكون للناس علىٰ الله حجة بعد الرسل.

ألا ما أعظم قدرة الخلاق العليم، إنه مشهد عجيب فريد حين يتملاه الخيال البشري جهد طاقته، وحينما يتصور تلك الخلايا التي لا تحصىٰ وهي تجمع وتستشهد وتخاطب خطاب العقلاء، وتستجيب استجابة العقلاء، فتعترف وتقر وتشهد، ويؤخذ عليها الميثاق في الأصلاب.

إنه مشهد عظيم، مشهد الذرية المكنونة في عالم الغيب، المستكنة في ظهور بني آدم قبل أن تظهر إلىٰ العالم المشهود، تقف أمام الذي خلقها وفطرها، فيسألها ألست بربكم؟

فتعترف كلها لله بالربوبية.. وتقر له سبحانه بالعبودية.. وتشهد له سبحانه

بالوحدانية.. وهي منثورة كالذر في الكثرة والحجم.

إن الإنسان ليصيبه الذهول.. ويرتعش من أعماقه.. وهو يتملىٰ هذا المشهد العظيم.. ويتصور هذا الذر السابح.. وفي كل خلية حياة.. وفي كل خلية استعداد كامن للاستماع والفهم والإجابة.. وفي كل خلية إنسان كامل الصفات ينتظر الإذن له بالنماء والظهور.. ويقطع علىٰ نفسه العهد والميثاق بالتوحيد قبل أن يبرز إلىٰ حيز الوجود.

قال النبي ﷺ: **«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] الآيَة[1].

وقد أنشأ الله البشر مفطورين علىٰ الاعتراف له بالربوبية وحده، أودع هذا في فطرة كل حي فهو ينشأ عليه، حتىٰ ينحرف عنه بفعل فاعل يفسد إيمانه، ويميل به عن فطرته كما قال النبي ﷺ: **«يقول الله تعالىٰ: وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»**[2].

فالتوحيد ميثاق معقود بين الفطرة وخالقها، مودع في كل خلية منذ نشأتها، وهو ميثاق أقدم من الرسل والرسالات، وفيه تشهد كل خلية بربوبية الله سبحانه.

فلا سبيل إلىٰ الاحتجاج بعد ميثاق الفطرة وشهادتها، ولا سبيل إلىٰ أن يقول أحد إنه غفل عن كتاب الله الهادي إلىٰ التوحيد، وعن رسالات الله التي دعت إلىٰ هذا التوحيد.

---

(١) البخاري (١٣٥٩)، واللفظ له، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) مسلم (٢٨٦٥).

أو يقول إني خرجت إلىٰ هذا الوجود فوجدت آبائي علىٰ الشرك، ولم يكن أمامي سبيل إلىٰ معرفة التوحيد، إنما ضل آبائي فضللت فهم المسئولون وحدهم، فلن يقبل هذا كله يوم القيامة: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

ولكن الله رؤوف بالعباد، يعلم أن فطرتهم هذه تتعرض لعوامل الانحراف، فرحمة منه بعباده قدر ألا يحاسبهم علىٰ عهد الفطرة هذا، كما أنه لا يحاسبهم علىٰ ما أعطاهم من عقل يميزون به، حتىٰ يرسل إليهم الرسل، ويفصل لهم الآيات، ليستنقذ فطرهم من الانحراف، ويستنقذ عقولهم من ضغط الهوىٰ والضعف والشهوات.

ولو كان الله تبارك وتعالىٰ يعلم أن الفطر والعقول تكفي وحدها للهدىٰ، دون رسل ولا رسالات، ودون تذكير وتفصيل للآيات، لأخذ الله عباده بها.

ولكنه سبحانه رحمهم بعلمه، فجعل الحجة عليهم هي الرسالة، كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٤].

يرجعون إلىٰ فطرتهم وعهدها مع الله، وإلىٰ ما أودعه الله في نفوسهم من قوىٰ البصيرة والإدراك.

وذلك كفيل بانتفاض حقيقة التوحيد في القلوب التي ضلت، وردها إلىٰ بارئها الوحيد، الذي فطرها علىٰ عقيدة التوحيد، ثم رحمها فأرسل إليها الرسل بالآيات للتذكير والتحذير.

وفطرة الله التي فطر الناس عليها هي عهد الله الذي عقده مع البشر، المركوز في طبيعة كل حي أن يعرف خالقه، ويتجه إليه وحده بالعبادة.

فإذا نقض هذا العهد العظيم فقد دخل في الشرك الذي لا يغفر الله لصاحبه.

ولماذا يتخذ العبد وليًا من دون الله؟

إن كان يتولاه لينصره ويعينه.. فالله هو فاطر السموات والأرض.. وهو خير الناصرين.

وإن كان يتولاه ليرزقه ويطعمه، فالله هو الرزاق المطعم للخلائق كلها.

ففيم الولاء لغير صاحب السلطان المنعم الرزاق؟: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤].

وقد كان كفار قريش يرفعون يدًا للإيذاء والحرب والتنكيل، ويمدون يدًا أخرىٰ للإغراء والمصالحة واللين، وفي وجه هذه المحاولة المزدوجة أمر الله رسوله أن يقذف هؤلاء بالاستنكار العنيف، والحسم الصريح بقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ولماذا يتخذ العبد وليًّا من دون الله؟

ولماذا يعرض نفسه للشرك الذي نهىٰ الله عنه؟

ولماذا يخالف الإسلام الذي أمره الله به؟

إن كان ذلك كله رجاء جلب نفع أو دفع ضر في هذه الحياة الدنيا، فهذا كله بيد الله، وله القدرة المطلقة في عالم الأسباب، وله القهر علىٰ العباد، وبيده وحده النفع والضر، والعطاء والمنع: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

وهل يكون الإنسان مسلمًا لله في عبادته، بينما هو يتلقىٰ من غير الله في شئون الحياة، وبينما هو يخضع لغير الله، ويستنصر بغير الله، ويتولىٰ غير الله؟

والمحبة الصادقة لله تقتضي توحيد المحبوب في كل شيء، وأن لا يشرك بينه وبين غيره في محبته، التي تستلزم كمال التعظيم لله، مع كمال الذل له، وكل محبة لغير الله فهي عذاب ووبال علىٰ صاحبها.

ومن أعرض عن محبة الله، وذكره، والشوق إلىٰ لقائه، ابتلاه بمحبة غيره، وعذبه بها في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة.

فإما أن يعذبه بمحبة الأوثان، أو بمحبة الصلبان، أو بمحبة المردان.. أو بمحبة النسوان.. أو بمحبة الدينار.. أو بمحبة الغناء والفحش.. وغيرها مما هو في غاية الحقارة والهوان.

والإنسان عبد محبوبه كائنًا ما كان: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

والله سبحانه رب السموات والأرض وما فيهن، وهو الخالق وحده، القاهر وحده، الذي له الأمر كله، وما سواه مخلوق مربوب مقهور مأمور، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

والله سبحانه هو الواحد القهار.. المدبر للكون والحياة، العليم بالظواهر والبواطن، والحق والباطل، والباقي والزائل.

فمن آمن به ووحده واستجاب لأمره فله الجنة، ومن أشرك به ولم يستجب لأمره فله النار ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨].

وهو سبحانه القائم على كل نفس بما كسبت، وهو الرقيب المسيطر عليها في كل حال، فكيف يجعل له البشر شريكًا الله خالقه ومالكه، وهو رقيب عليه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

إن هؤلاء ستروا نفوسهم عن دلائل الهدى.. فحقت عليهم سنة الله.. ومن اقتضت سنة الله ضلاله.. لأنه سار في طريق الضلال فلن يهديه أحد.. لأن سنة الله لا تتوقف إذا حقت بأسبابها على العباد.

والكفار إن أصابتهم قارعة في الدنيا فهو عذاب، وإن حلت قريبًا من دارهم فهو الرعب والقلق وتوقع الشر، وإلا فجفاف القلب من بشاشة الإيمان عذاب، وحيرة القلب بلا طمأنينة الإيمان عذاب.

ومواجهة كل حادث وكل مصيبة بلا إدراك الحكمة عذاب، ثم عذاب الآخرة بعد ذلك أدوم وأشق: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١].

إن المؤمن حقًا هو الذي يعلم أن إلهه هو الذي يستحق أن يكون ربًا لا رب سواه، ولا حاكم سواه، ولا مشرع سواه، ولا متصرف سواه، ولا معبود سواه، ولا مالك سواه.

ومن ثم فهو يعبد الله وحده، ويدين له وحده، لا في أوقات الصلاة فحسب، بل في كل شأن من شئون الحياة.

وقد أنزل الله الكتاب بالحق على رسوله ﷺ.. الحق الواحد الذي يصرف السموات والأرض.. ويصرف أهل السموات والأرض.. وهو المنهج الذي يسير عليه البشر في أنحاء الأرض بعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، وقيام الحياة كلها على أساس هذا التوحيد.

والقلب الذي يوحد الله، يدين لله، وحده لا شريك له، ولا يحني هامته لأحد سواه، ولا يطلب شيئًا من غيره.

والقلب الذي يوحد الله، يؤمن بوحدة الناموس الإلهي الذي يصرف الوجود كله، ويؤمن بأن الدين الذي اختاره الله للبشر لا تصلح حياة البشر إلا به، ولا تستقيم مع الكون الذي يعيشون فيه إلا باتباعه، ومن ثم لا يختار غير ما اختاره الله من النظم والسنن والأحكام، ولا يتبع إلا شريعة الله المتسقة مع نظام الوجود كله، ونظام الحياة الشامل.

وكذلك تبدو آثار التوحيد في التصورات والمشاعر، كما تبدو في السلوك والتصرفات، وترسم للحياة كلها منهاجًا كاملًا واضحًا متميزًا وفق أمر الله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو الذي يسير في هذه الحياة علىٰ هدىٰ، لأن قلبه وبصره معلقان بإله واحد، يستمد منه الهدىٰ والتوجيه، ويعتصم بحبله، لا يزوغ عنه بصره، ولا يتجه إلىٰ غير فكره.

ويخدم سيدًا كريمًا غنيًا قويًا واحدًا، يعرف ماذا يرضيه فيفعله، ويعرف ماذا يغضبه فيجتنبه.

وبذلك تجتمع الطمأنينة وتتوحد، فالحمد لله الذي اختار لعباده طريق الأمن والإيمان، والراحة والطمأنينة، وطريق الاستقامة والاستقرار.

هل يليق بالناس مع هذه النعمة الكبرىٰ أن ينحرفوا عنه، ويقفوا بباب غيره؟.. ويعرضوا عن باب الغني، ويقفوا بباب الفقير؟.. وماذا يملك الفقير؟ وماذا يعطي؟.. وماذا يملك العاجز للعاجز؟.

وهل يقضي الحاجات إلا الملك العزيز الجبار، الغني الكريم؟ الملك

الذي كل شيء ملكه.. الغني الذي كل شيء في خزائنه.. العزيز الذي كل شيء تحت قهره.. الكريم الذي كل شيء من فضله.. العفو الغفور الذي يغفر الذنوب جميعًا.. الرحمن الذي يرحم الخلائق كلها.. التواب الذي يتوب علىٰ من أناب إليه.. الودود الذي يتحنن إلىٰ عباده بنعمه.. الخلاق الذي خلق الكون وما فيه.

هو الأول الذي ليس قبله شيء.. الآخر الذي ليس بعده شيء.. الظاهر الذي ليس فوقه شيء.. الباطن الذي ليس دونه شيء.. العليم الذي لا يخفىٰ عليه شيء: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠١-١٠٣].

إذا طلعت الشمس ميز الإنسان بين الذهب والحجر.. وإذا جاء نور الإيمان والتوحيد في القلب ميز العبد بين الكبير والصغير، والقوي والضعيف، ومن يستحق العبادة ممن لا يستحقها، وميز بين الدنيا والآخرة، ورأىٰ كل شيء علىٰ حقيقته، ورأىٰ الحق حقًا، ورأىٰ الباطل باطلًا.

والتوحيد والإيمان حق الله علىٰ العباد، فينبغي تذكيرهم دائمًا بهذا الحق، وقيمة الإنسان عند الله بإيمانه وتوحيده وصفاته لا بذاته، ففي المخلوقات من هو أكبر منه، وأقوىٰ منه كما قال النبي ﷺ: **«إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»**(١).

وشريعة الله للبشر إنما هي جزء من تشريعه وتصريفه للكون، فالأوامر الكونية والشرعية للمخلوقات كلها بيد الله وحده، ومخالفة الأوامر الشرعية زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

وللعبد رب واحد هو ملاقيه، وبيت هو قادم إليه، فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه، ويعمر بيته قبل انتقاله إليه.

وإن من المؤسف حقًّا أننا نقف ضد مرتكب الجريمة في حق المخلوق وهذا حق، ولا نقف ضد مرتكب جريمة الكفر والشرك في شأن أحكم الحاكمين، وهذا حق أكبر من ذلك وأوجب: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وقال النبي ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّ الإسْلامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»[١].

الله تبارك وتعالىٰ يريد منا تحقيق التوحيد في حياتنا، وحياة البشرية كلها، كما حققه الله في الكون كله، وفطر كل مخلوق علىٰ التسبيح بحمده.

فخلق الله القلوب للتوحيد والإيمان واليقين.. وخلق اللسان لذكره وتكبيره.. وحمده والثناء عليه.. والدعوة إليه.. وتعليم دينه.

وخلق الجوارح لعبادته وطاعته وتنفيذ أوامره.

وكما يحرك الله الكون كله وما فيه بالسنن الكونية، كذلك هو يحب سبحانه من البشر أن يتحركوا بالسنن الشرعية التي أرسل بها رسله، وأنزل بها كتبه، لأن له الخلق والأمر في الكون كله.

فلا سعادة للبشرية في الدنيا والآخرة، ولا طمأنينة لها إلا بالإيمان والتوحيد.

فيطمئن كل قلب، وتحصل له السكينة بالإيمان بالله وتوحيده وذكره.

---

(١) البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) وغيرهما من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما مرفوعًا.

باب وجوب الإيمان بربوبية الله على خلقه وتوحيده فيها

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ١٠-١١].

وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]

وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]،

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ

﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وعن مطرف، قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ رسول الله ﷺ: فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «**السيد الله تبارك وتعالىٰ**» قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا، فقال: «**قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان**»(١).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»(٢).

والنصوص في الباب أكثر من أن نحصيها في مثل هذا الموضع.

❍ **من فقه الباب:**

❍ **توحيد الربوبية:**

تعريفه: أ- لغة: الربوبية مصدر من الفعل ربب، ومنه الربُّ، فالربوبية صفة الله، وهي مأخوذة من اسم الرب، والرب في كلام العرب يطلق علىٰ معان: منها المالك، والسيد المطاع، والمُصْلِح.

---

(١) **صحيح**: أبو داود (٤١٩٣) وغيره بإسناد صحيح.

(٢) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه الترمذي في سننه (٢٥١٦)، وأحمد في مسنده (٢٦٦٩)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٢٥٥٦) وغيرهم من طريق قَيْسِ بْنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ حَنَشٍ الصَّنْعَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما مرفوعًا.

* فيه قيس بن الحجاج: صدوق. وللحديث طرق كثير يصح بها.

ب- **أما في الاصطلاح:** فإن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله.

ومنها الخلق والرزق والسيادة والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكم، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب علىٰ العبد أن يؤمن بذلك كله.

أدلته: من الكتاب والسنة سبق ذكرها في أول الباب.

أما دلالة العقل: دل العقل علىٰ وجود الله تعالىٰ وانفراده بالربوبية وكمال قدرته علىٰ الخلق وسيطرته عليهم، وذلك عن طريق النظر والتفكر في آيات الله الدالة عليه. وللنظر في آيات الله والاستدلال بها علىٰ ربوبيته طرق كثيرة بحسب تنوع الآيات وأشهرها طريقان:

الطريق الأول: النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية وهو ما يعرف بـ (دلالة الأنفس)، فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة علىٰ تفرد الله وحده بالربوبية لا شريك له، كما قال تعالىٰ: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧]، ولهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجائب صنع الله لأرشده ذلك إلىٰ أن له ربًّا خالقًا حكيمًا خبيرًا؛ إذ لا يستطيع الإنسان أن يخلق النطفة التي كان منها؟ أو أن يحولها إلىٰ علقة، أو يحول العلقة إلىٰ مضغة، أو يحول المضغة عظامًا، أو يكسو العظام لحمًا؟

الطريق الثاني: النظر في آيات الله في خلق الكون وهو ما يعرف بـ (دلالة الآفاق)، وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدالة علىٰ ربوبيته، قال الله تعالىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

ومن تأمل الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه

السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وبحار وأنهار، وما يكتنف ذلك من ليل ونهار وتسيير هذا الكون كله بهذا النظام الدقيق؛ دله ذلك علىٰ أن هناك خالقًا لهذا الكون، موجدًا له مدبِّرًا لشؤونه، وكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل فكره في بدائع الكائنات علم أنها خُلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب براهين ودلالات علىٰ جميع ما أخبر به الله عن نفسه وأدلة علىٰ وحدانيته.

وقد جاء في بعض الآثار أن قوما أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد؟».

فقالوا: «هذا محال لا يمكن أبدًا؛ فقال لهم: إذا كان هذا محالًا في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله؟».

فنبه إلىٰ أن اتساق العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليل علىٰ وحدانية خالقه وتفرده.

❍ الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب:

إن توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد فهناك أيضًا توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وسيأتي بيانهما قريبًا ولذا فإنه لا يصح إيمان أحد ولا يتحقق توحيده إلا إذا وحد الله في ربوبيته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام، ولا ينجي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه أي بتوحيد الألوهية الذي هو إفراد الله بالعبادة.

ولذا يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، والمعنىٰ أي: ما يقر أكثرهم بالله ربًّا وخالقًا ورازقًا ومدبرًا- وكل ذلك من

توحيد الربوبية - إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره من الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع.

وبهذا المعنىٰ للآية قال المفسرون من الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله وهم مشركون».

وقال عِكْرِمَة: «تسألهم من خلقهم ومن خلق السماوات والأرض فيقولون الله فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره».

وقال مجاهد: «إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره».

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بن زيد: «ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربُّه، وأنَّ الله خالقُه ورازقُه، وهو يشرك به، ألا ترىٰ كيف قال إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧]».

والنصوص عن السلف في هذا المعنىٰ كثيرة، بل لقد كان المشركون زمن النبي ﷺ مقرين بالله ربا خالقا رازقا مدبرا، وكان شركهم به من جهة العبادة حيث اتخذوا الأنداد والشركاء يدعونهم ويستغيثون بهم وينزلون بهم حاجاتهم وطلباتهم.

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه علىٰ إقرار المشركين بربوبية الله مع إشراكهم به في العبادة، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن

سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبر شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك من خصائص الرب سبحانه، ويقرون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرا ولا نفعا استقلالا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا تسمع ولا تبصر، ويقرون أن الله هو المتفرد بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلىٰ أوثانهم شيء من ذلك، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق والرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائط، يشفعون لهم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زلفىٰ؛ ولذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلود فيها واستباح رسوله ﷺ دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققوا لازم توحيد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة.

وبهذا يتبين أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإتيان بلازمه توحيد الألوهية لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة علىٰ الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفراد الله وحده بالعبادة. فإذا لم يأت بذلك فهو كافر والعياذ بالله.

○ مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية:

بالرغم من أن توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطر، مجبولة عليه النفوس، متكاثرة علىٰ تقريره الأدلة، إلا أنه وجد في الناس من حصل عنده انحراف فيه، **ويمكن تلخيص مظاهر الانحراف في هذا الباب فيما يلي:**

١- جحد ربوبية الله أصلًا وإنكار وجوده سبحانه، كما يعتقد ذلك الملاحدة الذين يسندون إيجاد هذه المخلوقات إلىٰ الطبيعة، أو إلىٰ تقلب الليل والنهار، أو نحو ذلك ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

٢- جحد بعض خصائص الرب سبحانه وإنكار بعض معاني ربوبيته، كمن ينفي قدرة الله علىٰ إماتته أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع له أو دفع الضر عنه، أو نحو ذلك.

٣- إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير الله سبحانه، فمن اعتقد وجود متصرف مع الله عَزَّوَجَلَّ في أي شيء من تدبير الكون من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معاني الربوبية فهو مشرك بالله العظيم.

فيجب علىٰ الإنسان أن يوحد الله في ربوبيته ولا يعكر صفو هذا النوع من التوحيد وذلك بالاعتقاد الجازم بأن لهذا الكون ربًا واحدًا تفرد بخلقه وملكه وتدبيره وتصريف شئونه رزقًا وقدرة وفعلًا وإحياء وإماتة ونفعًا وضرًّا لا رب سواه، يفعل وحده ما يشاء ويحكم ما يريد، يعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده ملكوت السموات والأرض وهو علىٰ كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، غني عما سواه، له الأمر كله وبيده الخير كله، ليس له شريك في أفعاله، ولا غالب له علىٰ أمره، بل الخلق جميعًا بمن فيهم الملائكة والإنس والجن عبيد له، لا يخرجون عن ملكه وقدرته وإرادته سبحانه، وأفعاله لا تدخل تحت حصر، ولا

يحصرها عدد، وكل تلك الخصائص هي حق له وحده لا شريك له، لا يستحقها أحد سواه، ولا يجوز نسبتها ولا إثبات شيء منها لغير الله عَزَّوَجَلَّ.

باب وجوب الإيمان بألوهية الله جَلَّجَلَالُهُ وتوحيده فيها

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وما من رسول إلا قال لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

وقال النبي ﷺ لمعاذ: «**أتدري ما حق الله علىٰ العباد وما حق العباد علىٰ الله. قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد علىٰ الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي ﷺ معاذا نحو اليمن قال له: «**إنك تقدم علىٰ قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلىٰ أن يوحدوا الله تعالىٰ فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات**».... الحديث(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار**»(٣).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار**»(٤).

والنصوص في الباب أكثر من أن تحصىٰ في مثل هذا الموطن.

○ من فقه الباب:

توحيد الألوهية: الألوهية مشتقة من اسم الإله، أي المعبود المطاع، فالإله اسم من أسماء الله الحسنىٰ، والألوهية صفة من صفات الله العظيمة، فهو سبحانه المألوه المعبود الذي يجب أن تألهه القلوب وتخضع له وتذل وتنقاد؛ لأنه سبحانه الرب العظيم، الخالق لهذا الكون، المدبر لشؤونه، الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، ولهذا فإن الذل والخضوع لا ينبغي إلا له، فحيث كان متفردا بالخلق والإنشاء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب أن

---

(١) البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (٣٠) وغيرهما من حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩)، وغيرهم من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٩٧).

(٤) أخرجه مسلم (٩٣).

ينفرد وحده بالعبادة دون سواه لا يشرك معه في عبادته أحد.

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة، وذلك بأن يعلم العبدُ علمَ اليقِين أن الله وحده هو المألوه المعبود علىٰ الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة في أحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله تعالىٰ، فإذا علم العبد ذلك واعترف به حقا أفرد الله بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبرِّ الوالدين وصلة الأرحام، ويقوم بأصوله الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، لا يقصد بشيء من ذلك غرضا من الأغراض غير رضا ربه وطلب ثوابه.

ولقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة علىٰ وجوب إفراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها وقد سبق ذكر النصوص المبينة لذلك في أول الباب.

بيان أهمية هذا النوع من التوحيد وأنه أساس دعوة الرسل.

لا ريب أن توحيد الألوهية هو أعظم الأصول علىٰ الإطلاق وأكملها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، ولذا كان هذا التوحيد زبدة دعوة الرسل وغاية رسالتهم وأساس دعوتهم، يقول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة أن توحيد الألوهية هو مفتاح دعوة الرسل، وأن كل رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص العبادة له، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم

مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [الأعراف: ٨٥].

بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم.

توحيد العبادة هو مفتتح دعوات الرسل جميعهم، فما من رسول بعثه الله إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو توحيد الله، ولذا كانت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم في ذلك، فالأنبياء يدعونهم إلىٰ توحيد الله وإخلاص العبادة له، والأقوام يصرون علىٰ البقاء علىٰ الشرك وعبادة الأوثان إلا من هداه الله منهم.

قال الله تعالىٰ عن قوم نوح عليه السلام: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [نوح: ٢٣-٢٤]، وقال عن قوم هود عليه السلام: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٢]، ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٥٣].

وقال عن قوم صالح عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢].

وقال عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

وقال عن كفار قريش: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٤-٧].

وقال: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن

كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤١-٤٤].

فهذه النصوص وما جاء في معناها تدل أوضح دلالة أن المعترك والخصومة بين الأنبياء وأقوامهم إنما كان حول توحيد العبادة والدعوة إلىٰ إخلاص الدين لله.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم علىٰ الله**»(١).

وثبت في الصحيح أيضا عن النبي ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه علىٰ الله**»(٢).

❍ وجوب إفراد الله بالعبادة:

❍ معنى العبادة والأصول التي تُبنى عليها:

العبادة في اللغة: الذل والخضوع، يقال: بعير معبد، أي: مذلل، وطريق معبد: إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام.

وشرعًا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

❍ وهي تبنى على ثلاثة أركان:

الأول: كمال الحب للمعبود سبحانه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

---

(١) صحيح البخاري (٥٢)، وصحيح مسلم (٢٢).
(٢) صحيح مسلم (٢٣).

الثاني: كمال الرجاء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الإسراء: ٥٧].

الثالث: كمال الخوف من الله سبحانه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الأركان الثلاثة العظيمة في فاتحة الكتاب في قوله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢-٤] فالآية الأولىٰ فيها المحبة؛ فإن الله منعم، والمنعم يُحبُّ علىٰ قدر إنعامه، والآية الثانية فيها الرجاء، فالمتصف بالرحمة ترجىٰ رحمته، والآية الثالثة فيها الخوف، فمالك الجزاء والحساب يخاف عذابه.

ولهذا قال تعالىٰ عقب ذلك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] أي: أعبدك يا رب هذه الثلاث: بمحبتك التي دل عليها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ورجائك الذي دل عليه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وخوفك الذي دل عليه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

○ والعبادة لا تقبل إلا بشرطين:

١- الإخلاص فيها للمعبود؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخالص لوجهه سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر: ١٤].

٢- المتابعة للرسول ﷺ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق لهدي الرسول ﷺ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(١) «أي مردود عليه».

---

(١) صحيح البخاري (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم (١٧١٨).

فلا عبرة بالعمل ما لم يكن خالصًا لله صوابًا علىٰ سنة رسول الله ﷺ، قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]: «**أخلصه وأصوبه**»، قيل: يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه؟ قال: «**إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتىٰ يكون خالصًا صوابًا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان علىٰ السنة**»[1].

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالىٰ في آخر سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

بعض أنواع العبادة. العبادة أنواعها كثيرة، فكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه قولي أو فعلي ظاهر أو باطن فهو نوع من أنواعها وفرد من أفرادها، وفيما يلي ذكر بعض الأمثلة علىٰ ذلك:

١- **فمن أنواع العبادة**: الدعاء، بنوعيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

فمن دعا غير الله عَزَّ وَجَلَّ بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حيًّا أو ميتًا، ومن دعا حيًّا بما يقدر عليه مثل أن يقول: يا فلان أطعمني، أو يا فلان اسقني، ونحو ذلك فلا شيء عليه، ومن دعا ميتًا أو غائبًا بمثل هذا فإنه مشرك؛ لأن الميت والغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا.

---

(١) حلية الأولياء: (٨/ ٩٥).

والدعاء نوعان: دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة، هو سؤال الله من خيري الدنيا والآخرة، ودعاء العبادة يدخل فيه كل القربات الظاهرة والباطنة؛ لأن المتعبد لله طالب بلسان مقاله ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها.

وكل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء والنهي عن دعاء غير الله والثناء علىٰ الداعين يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة.

٢-، ٣، ٤ - ومن أنواع العبادة: المحبة والخوف والرجاء، وقد تقدم الكلام عليها وبيان أنها أركان للعبادة.

٥- ومن أنواعها: التوكل، وهو الاعتماد علىٰ الشيء.

والتوكل علىٰ الله: هو صدق تفويض الأمر إلىٰ الله تعالىٰ اعتمادًا عليه وثقة به مع مباشرة ما شرع وأباح من الأسباب لتحصيل المنافع ودفع المضار، قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

٦-، ٧، ٨- ومن أنواع العبادة: الرغبة والرهبة والخشوع.

فأما الرغبة: فمحبة الوصول إلىٰ الشيء المحبوب، والرهبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف، والخشوع: الذل والخضوع لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي، قال الله تعالىٰ في ذكر هذه الأنواع الثلاثة من العبادة: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

٩- ومن أنواعها: الخشية، وهي الخوف المبني علىٰ العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة: ١٥٠].

١٠- ومنها الإنابة، وهي الرجوع إلىٰ الله تعالىٰ بالقيام بطاعته واجتناب معصيته، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

١١- **ومنها:** الاستعانة، وهي طلب العون من الله في تحقيق أمور الدين والدنيا، قال الله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وقال ﷺ في وصيته لابن عباس: «**إذا استعنت فاستعن بالله**»(١).

١٢- **ومنها:** الاستعاذة، وهي طلب الإعاذة والحماية من المكروه، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١-٢] وقال تعالىٰ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٤].

١٣- ومنها الاستغاثة، وهو طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك، قال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

١٤- ومنها الذبح، وهو إزهاق الروح بإراقة الدم علىٰ وجه الخصوص تقربا إلىٰ الله، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

١٥- ومنها النذر، وهو إلزام المرء نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غير واجبة، قال الله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

فهذه بعض الأمثلة علىٰ أنواع العبادة، وجميع ذلك حق لله وحده لا يجوز صرف شيء منه لغير الله.

○ والعبادة بحسب ما تقوم به من الأعضاء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبادات القلب، كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة

---

(١) صحيح بمجموع طرقه: سبق (ص١١٣).

والخشية والرهبة والتوكل ونحو ذلك.

القسم الثاني: عبادات اللسان، كالحمد والتهليل والتسبيح والاستغفار وتلاوة القرآن والدعاء ونحو ذلك.

القسم الثالث: عبادات الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة والجهاد، ونحو ذلك.

باب وجوب حماية جناب التوحيد والابتعاد عن نواقضه

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦].

وعن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترىٰ في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقىٰ ما لم يكن فيه شرك**»(١).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك**»(٢).

وعن عبد الله بن عكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**من تعلق شيئا وكل إليه**»(٣).

---

(١) صحيح مسلم (٢٢٠٠).

(٢) سنن أبي داود (٣٨٨٣)، ومستدرك (٤/ ٢٤١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وانظر: صحيح الترغيب (٨٥٥).

(٣) مسند أحمد (٤/ ٣١٠)، وسنن الترمذي (٢٠٧٢)، ومستدرك الحاكم (٤/ ٢٤١) وصححه =

وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من علق تميمة فقد أشرك**»(١).

والنصوص في الباب كثيرة وسأذكر بإذن الله طرفًا آخر منها وأتناول الموضوع بشيء من التفصيل في فقه الباب نظرًا لأهميته.

❍ **من فقه الباب:**

ينبغي علىٰ المسلم أن يحمي جناب التوحيد كي لا يقع في نواقضه من حيث لا يشعر وأن يقتدي بهدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي حرص أشد الحرص علىٰ أمته وعلىٰ حماية جناب التوحيد؛ لتكون عزيزة منيعة محققة لتوحيد الله عَزَّ وَجَلَّ، مجانبة لكل الوسائل والأسباب المفضية لما يضاده ويناقضه، قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقد أكثر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النهي عن الشرك وحذر وأنذر وأبدأ وأعاد وخص وعم في حماية الحنيفية السمحة ملة إبراهيم التي بعث بها من كل ما قد يشوبها من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص، وهذا كثير في السنة الثابتة عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأقام الحجة، وأزال الشبهة، وقطع المعذرة، وأبان السبيل.

وفيما يلي عرض يتبين من خلاله حماية المصطفىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمىٰ التوحيد وسده كل طريق يفضي إلىٰ الشرك والباطل.

❍ **الرقى:**

أ- **تعريفها:** الرقىٰ جمع رقية، وهي القراءة والنفث طلبا للشفاء والعافية، سواء كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية النبوية المأثورة.

= الحاكم. وانظر: صحيح الترمذي (٢٠٧٢).

(١) مسند أحمد (٤/ ١٥٦)، وصححه الحاكم (٤/ ٢٤٤) وانظر: الصحيحة (٤٩٢).

ب- **حكمها**: الجواز، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

فعن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترىٰ في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقىٰ ما لم يكن فيه شرك**»[١].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين[٢] والحمة[٣] والنملة»[٤][٥].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل**»[٦].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكىٰ منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: «**أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا**»[٧].

ج- **شروطها**: ولجوازها وصحتها شروط ثلاثة:

الأول: أن لا يعتقد أنها تنفع لذاتها دون الله، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله فهو محرم، بل هو شرك، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

الثاني: أن لا تكون بما يخالف الشرع كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله أو

---

(١) صحيح مسلم (٢٢٠٠).

(٢) «العين» إصابة العائن غيره بعينه بقدر الله.

(٣) «**الحمة**» **بحاء مهملة مضمومة ثم ميم مخففة**: وهي السم، ومعناه: أذن في الرقية من كل ذات سم، مثل لدغة الثعبان، أو العقرب أو نحوهما.

(٤) «**النملة**» **بفتح النون وإسكان الميم**: قروح تخرج من الجنب.

(٥) صحيح مسلم (٢١٩٦).

(٦) صحيح مسلم (٢١٩٩).

(٧) صحيح البخاري (٥٧٤٣)، وصحيح مسلم (٢١٩١).

استغاثة بالجن وما أشبه ذلك، فإنها محرمة، بل شرك.

الثالث: أن تكون مفهومة معلومة، فإن كانت من جنس الطلاسم والشعوذة فإنها لا تجوز.

وقد سئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: أيرقي الرجل ويسترقي؟ فقال: «لا بأس بذلك، بالكلام الطيب».

د- **الرقية الممنوعة:** كل رقية لم تتوفر فيها الشروط المتقدمة فإنها محرمة ممنوعة، كأن يعتقد الراقي أو المرقي أنها تنفع وتؤثر بذاتها، أو تكون مشتملة علىٰ ألفاظ شركية وتوسلات كفرية وألفاظ بدعية، ونحو ذلك، أو تكون بألفاظ غير مفهومة كالطلاسم ونحوها.

التمائم. أ- تعريفها: التمائم جمع تميمة، وهي ما يعلق علىٰ العنق وغيره من تعويذات أو خرزات أو عظام أو نحوها لجلب نفع أو دفع ضر، وكان العرب في الجاهلية يعلقونها علىٰ أولادهم يتقون بها العين بزعمهم الباطل.

ب- **حكمها:** التحريم،

بل هي نوع من أنواع الشرك؛ لما فيها من التعلق بغير الله؛ إذ لا دافع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وأسمائه وصفاته.

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك**»(١).

وعن عبد الله بن عكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**من تعلق شيئًا وكل إليه**»(٢).

---

(١) سنن أبي داود (٣٨٨٣)، ومستدرك (٤/ ٢٤١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وانظر: صحيح الترغيب (٨٥٥).

(٢) مسند أحمد (٤/ ٣١٠)، وسنن الترمذي (٢٠٧٢)، ومستدرك الحاكم (٤/ ٢٤١) وصححه الحاكم، وانظر: صحيح الترمذي (٢٠٧٢).

وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من علق تميمة فقد أشرك**»[1].

فهذه النصوص وما في معناها في التحذير من الرقىٰ الشركية التي كانت هي غالب رقىٰ العرب فنهي عنها لما فيها من الشرك والتعلق بغير الله تعالىٰ.

ج- وإذا كان المعلق من القرآن الكريم، فهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم، فذهب بعضهم إلىٰ جواز ذلك، ومنهم من منع ذلك، وقال لا يجوز تعليق القرآن للاستشفاء، وهو الصواب لوجوه أربعة:

١- عموم النهي عن تعليق التمائم، ولا مخصص للعموم.

٢- سدا للذريعة، فإنه يفضي إلىٰ تعليق ما ليس من القرآن.

٣- أنه إذا علق فلا بد أن يمتهن المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء، ونحو ذلك.

٤- أن الاستشفاء بالقرآن ورد علىٰ صفة معينة، وهي القراءة به علىٰ المريض فلا تتجاوز.

○ لبس الحلقة والخيط ونحوها:

أ- الحلقة قطعة مستديرة من حديد أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحو ذلك، والخيط معروف، وقد يجعل من الصوف أو الكتان أو نحوه، وكانت العرب في الجاهلية تعلق هذا ومثله لدفع الضر أو جلب النفع أو اتقاء العين، والله تعالىٰ يقول: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، ويقول تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦].

---

(١) مسند أحمد (٤/ ١٥٦)، وصححه الحاكم (٤/ ٢٤٤) وانظر: الصحيحة (٤٩٢).

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنه رأىٰ رجلا في يده خيط من الحمىٰ فقطعه وتلا قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦][١].

ب- حكم لبس الحلقة والخيط ونحو ذلك، محرم فإن اعتقد لابسها أنها مؤثرة بنفسها دون الله فهو مشرك شركا أكبر في توحيد الربوبية؛ لأنه اعتقد وجود خالق مدبر مع الله، تعالىٰ الله عما يشركون.

وإن اعتقد أن الأمر لله وحده وأنها مجرد سبب، ولكنه ليس مؤثرًا فهو مشرك شركًا أصغر لأنه جعل ما ليس سببًا سببًا والتفت إلىٰ غير ذلك بقلبه، وفعله هذا ذريعة للانتقال للشرك الأكبر إذا تعلق قلبه بها ورجا منها جلب النعماء أو دفع البلاء.

❍ التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها:

التبرك هو طلب البركة، وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

١- أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم، مثل القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، فمن بركته هدايته للقلوب وشفاؤه للصدور وإصلاحه للنفوس وتهذيبه للأخلاق، إلىٰ غير ذلك من بركاته الكثيرة.

٢- أن يكون التبرك بأمر غير مشروع، كالتبرك بالأشجار والأحجار والقبور والقباب والبقاع ونحو ذلك، فهذا كله من الشرك.

فعن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة[٢] يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط كما لهم

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٧).

(٢) السدرة: شجرة ذات شوك.

ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ:** ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبن سنن من كان قبلكم**»[١] فقد دل هذا الحديث علىٰ أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار ونحوها من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشرك، ولهذا أخبر في الحديث أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسىٰ: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فهؤلاء طلبوا سدرة يتبركون بها كما يتبرك المشركون، وأولئك طلبوا إلها كما لهم آلهة، فيكون في كلا الطلبين منافاة للتوحيد؛ لأن التبرك بالشجر نوع من الشرك، واتخاذ إله غير الله شرك واضح.

وفي قوله ﷺ في الحديث: «**لتركبن سنن من كان قبلكم**» إشارة إلىٰ أن شيئا من ذلك سيقع في أمته ﷺ، وقد قال ذلك عليه الصلاة والسلام ناهيا ومحذرا.

❍ النهي عن أعمال تتعلق بالقبور:

لقد كان الأمر في صدر الإسلام علىٰ منع زيارة القبور لقرب عهدهم بالجاهلية حماية لحمىٰ التوحيد وصيانة لجنابه، ولما حسن الإيمان وعظم شأنه في الناس ورسخ في القلوب واتضحت براهين التوحيد وانكشفت شبهة الشرك جاءت مشروعية زيارة القبور محددة أهدافها موضحة مقاصدها.

فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**زوروا القبور فإنها تذكر الموت**»[٣].

---

(١) **صحيح**: سنن الترمذي (٢١٨٠).

(٢) صحيح مسلم (٩٧٧).

(٣) صحيح مسلم (٩٧٥).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة**»[١].

وعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلىٰ المقابر فكان قائلهم يقول: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية**»[٢].

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل علىٰ أن مشروعية زيارة القبور بعد المنع من ذلك إنما كانت لهدفين عظيمين وغايتين جليلتين:

الأولىٰ: التزهيد في الدنيا بتذكر الآخرة والموت والبلىٰ، والاعتبار بأهل القبور مما يزيد في إيمان الشخص ويقوي يقينه ويعظم صلته بالله، ويذهب عنه الإعراض والغفلة.

الثانية: الإحسان إلىٰ الموتىٰ بالدعاء لهم والترحم عليهم وطلب المغفرة لهم وسؤال الله العفو عنهم.

هذا الذي دل عليه الدليل، ومن ادعىٰ غير ذلك طولب بالحجة والبرهان.

ثم إن السنة قد جاءت بالنهي عن أمور عديدة متعلقة بالقبور وزيارتها، صيانة للتوحيد وحماية لجنابه، يجب علىٰ كل مسلم تعلمها ليكون في أمنة من الباطل وسلامة من الضلال، ومن ذلك:

١- النهي عن قول الهجر عند زيارة القبور. ففي حديث عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أنه كان في مجلس فيه رسول الله ﷺ فقال: «**إني كنت نهيتكم أن تأكلوا لحوم الأضاحي إلا ثلاثًا، فكلوا وأطعموا وادخروا ما بدا لكم، وذكرت لكم أن**

---

(١) مسند أحمد (٣/ ٣٨)، ومستدرك الحاكم (١/ ٥٣١).

(٢) صحيح مسلم (٩٧٥).

لا تنتبذوا في الظروف الدباء والمزفت والنقير والحنتم انتبذوا فيما رأيتم واجتنبوا كل مسكر، ونهيتكم عن زيارة القبور، فمن أراد أن يزور فليزر، ولا تقولوا هجرا»(١)، والمراد بالهجر كل أمر محظور شرعًا، ويأتي في مقدمة ذلك الشرك بالله بدعاء المقبورين وسؤالهم من دون الله والاستغاثة بهم وطلب المدد والعافية منهم، فكل ذلك من الشرك البواح والكفر الصراح، وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث عديدة صريحة في المنع من ذلك والنهي عنه ولعن فاعله، ففي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: «**ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إنِّي أنهاكم عن ذلك**»(٢). فدعاء الأموات وسؤالهم الحاجات وصرف شيء من العبادة لهم شرك أكبر، أما العكوف عند القبور وتحري إجابة الدعاء عندها ومثله الصلاة في المساجد التي فيها القبور فهو من البدع المنكرة.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ قال في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٣).

٢- الذبح والنحر عند القبور. فإن كان ذلك تقربا إلىٰ المقبورين ليقضوا حاجة للشخص فهو شرك أكبر وإن كان لغير ذلك فهو من البدع الخطيرة التي هي من أعظم وسائل الشرك لقوله ﷺ: «**لا عقر**(٤) **في الإسلام**»، قال عبد الرزاق: «كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة»(٥).

---

(١) **صحيح**: النسائي (٢١٠٦) وغيره بإسناد صحيح.

(٢) صحيح مسلم (٥٣٢).

(٣) صحيح البخاري (١٣٣٠)، وصحيح مسلم (٥٣١).

(٤) أي لا ذبح عند القبر، وفي معناه التصدق عنده بخبز ونحوه. كذا في «فيض القدير».

(٥) **صحيح**: سنن أبي داود (٣٢٢٢).

٣، ٤، ٥، ٦، ٧- رفعها زيادة علىٰ التراب الخارج منها، وتجصيصها، والكتابة عليها، والبناء عليها، والقعود عليها؛ فكل ذلك من البدع التي ضلت بها اليهود والنصارىٰ وكانت من أعظم ذرائع الشرك، فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «نهىٰ رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنىٰ عليه، وأن يزاد عليه، أو يكتب عليه»[1].

٨- الصلاة إلىٰ القبور وعندها. فعن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تصلوا إلىٰ القبور، ولا تجلسوا عليها**»[2].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**الأرض كلها مسجد، إلا المقبرة والحمام**»[3].

٩- بناء المساجد عليها. وهو بدعة من ضلالات اليهود والنصارىٰ كما في حديث عائشة: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[4].

١٠- اتخاذها عيدا. وهو من البدع التي جاء النهي الصريح عنها لعظم ضررها، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدا**[5] **ولا**

---

(١) صحيح مسلم (٩٧٠)، وسنن أبي داود (٣٢٢٥)، ورقم (٣٢٢٦).

(٢) صحيح مسلم (٩٧٢).

(٣) **صحيح**: سنن أبي داود (٤٩٢)، وسنن الترمذي (٣١٧)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي والألباني انظر: صحيح الجامع (٢٧٦٧).

(٤) صحيح البخاري (١٣٣٠)، وصحيح مسلم (٥٣١).

(٥) العيد هو الذي يعود ويتكرر مثل عيد الفطر وعيد الأضحىٰ، فكون الإنسان يكرر الزيارة لقبر الرسول ﷺ كل يوم من أجل السلام فكأنه يتخذه عيدا، فنهىٰ الرسول ﷺ عن ذلك، أمر المسلم أن يصلي ويسلم عليه وهو في أي مكان كان لأن لله ملائكة سياحين يبلغون الرسول السلام وهذا من يسر هذا الدين إذ ليس باستطاعة كل مسلم أن يأتي إلىٰ المدينة.

تجعلوا بيوتكم قبورا، وحيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني»(١).

١١- شد الرحال إليها، وهو أمر منهي عنه لأنه من وسائل الشرك فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصىٰ**»(٢).

○ **التوسل:**

أ- **تعريفه:** التوسل مأخوذ في اللغة من الوسيلة، والوسيلة والوصيلة معناهما متقارب، فالتوسل هو التوصل إلىٰ المراد والسعي في تحقيقه.

وفي الشرع يراد به التوصل إلىٰ رضوان الله والجنة؛ بفعل ما شرعه وترك ما نهي عنه.

ب- **معنىٰ الوسيلة في القرآن الكريم:** وردت لفظة «الوسيلة» في القرآن الكريم في موطنين:

١- **قوله تعالىٰ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

٢- **قوله تعالىٰ:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٧].

والمراد بالوسيلة في الآيتين، أي: القربة إلىٰ الله بالعمل بما يرضيه، فقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الأولىٰ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنىٰ الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائل والحسن البصري

---

(١) سنن أبي داود (٢٠٤٢)، ومسند أحمد (٢/ ٣٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد[١].

وأما الآية الثانية فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: «نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين يعبدونهم لا يشعرون»[٢].

وهذا صريح في أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلىٰ الله تعالىٰ من الأعمال الصالحة والعبادات الجليلة، ولذلك قال: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ أي يطلبون ما يتقربون به إلىٰ الله وينالون به مرضاته من الأعمال الصالحة المقربة إليه.

ج- **أقسام التوسل:** ينقسم التوسل إلىٰ قسمين: توسل مشروع، وتوسل ممنوع.

١- **التوسل المشروع:** هو التوسل إلىٰ الله بالوسيلة الصحيحة المشروعة، والطريق الصحيح لمعرفة ذلك هو الرجوع إلىٰ الكتاب والسنة ومعرفة ما ورد فيهما عنها، فما دل الكتاب والسنة علىٰ أنه وسيلة مشروعة فهو من التوسل المشروع، وما سوىٰ ذلك فإنه توسل ممنوع.

والتوسل المشروع يندرج تحته ثلاثة أنواع: الأول: التوسل إلىٰ الله تعالىٰ باسم من أسمائه الحسنىٰ أو صفة من صفاته العظيمة، كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك الرحمن الرحيم أن تعافيني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي وترحمني، ونحو ذلك.

ودليل مشروعية هذا التوسل قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٠).

(٢) صحيح مسلم (٣٠٣٠)، وانظر: صحيح البخاري رقم (٤٧١٤).

الثاني: التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بعمل صالح قام به العبد، كأن يقول: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي، أو يقول: اللهم إني أسألك بحبي لنبيك محمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عني، أو أن يذكر الداعي عملا صالحا ذا بال قام به فيتوسل به إلىٰ ربه، كما في قصة أصحاب الغار الثلاثة التي سيرد ذكرها.

ويدل علىٰ مشروعيته قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار الثلاثة كما يرويها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر، فأووا إلىٰ غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي علىٰ فرق من أرز فذهب وتركه، وأني عمدت إلىٰ ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا، وأنه أتاني يطلب أجره، فقلت له: اعمد إلىٰ تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز، فقلت له: اعمد إلىٰ تلك البقر، فإنها من الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت**[1] **عنهم الصخرة، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتىٰ يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل**

(١) فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه، كما في حديث سالم.

انتظر حتىٰ طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت عنهم الصخرة حتىٰ نظروا إلىٰ السماء، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وإني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتىٰ قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا»[1].

الثالث: التوسل إلىٰ الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجىٰ إجابة دعائه، كأن يذهب المسلم إلىٰ رجل يرىٰ فيه الصلاح والتقوىٰ والمحافظة علىٰ طاعة الله، فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج كربته وييسر أمره.

ويدل علىٰ مشروعية هذا النوع أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعو لهم بدعاء عام ودعاء خاص.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: **اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا**، قال أنس: ولا والله ما نرىٰ في السماء من سحاب ولا قزعة[2] ولا شيئًا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستًّا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة- ورسول الله ﷺ قائم يخطب-

---

(١) البخاري (٣٤٦٥).

(٢) سحاب متفرق.

فاستقبله قائمًا فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: **اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم علىٰ الآكام والجبال والظراب ومنابت الشجر**، قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس». قال شريك: فسألت أنسا: أهو الرجل الأول؟ قَال: لا أدري[1].

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ لما ذكر أن في أمته سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وقال: «**هم الذي لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلىٰ ربهم يتوكلون**» قام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**أنت منهم**»[2].

٢- **التوسل الممنوع**: هو التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة، وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض، منها:

١- التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بدعاء الموتىٰ والغائبين والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأكبر الناقل من الملة.

٢- التوسل إلىٰ الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، وهذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلىٰ الشرك الأكبر.

٣- التوسل إلىٰ الله بجاه الأنبياء والصالحين ومكانتهم ومنزلتهم عند الله، وهذا محرم، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنه توسل لم يشرعه الله ولم يأذن به، قال تعالىٰ: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس: ٥٩]، ولأن جاه الصالحين ومكانتهم عند

---

(١) صحيح البخاري (١٠١٣)، وصحيح مسلم رقم (٨٩٧).

(٢) صحيح البخاري (٥٧٠٥)، وصحيح مسلم (٢١٨).

الله إنما تنفعهم هم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]، ولذا لم يكن هذا التوسل معروفا في عهد النبي ﷺ وأصحابه، وقد نص علىٰ المنع منه وتحريمه غير واحد من أهل العلم:

قال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أوليائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام».

د- شبهات وردها في باب التوسل. قد يورد المخالفون لأهل السنة والجماعة بعض الشبهات والاعتراضات في باب التوسل؛ ليتوصلوا بها إلىٰ دعم تقريراتهم الخاطئة، وليوهموا عوام المسلمين بصحة ما ذهبوا إليه، ولا تخرج شبهات هؤلاء عن أحد أمرين:

الأول: إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة يستدل بها هؤلاء علىٰ ما ذهبوا إليه، وهذه يفرغ من أمرها بمعرفة عدم صحتها وثبوتها، ومن ذلك:

١- **حديث:** «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم»، أو «إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم»، وهو حديث باطل لم يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث.

٢- **حديث:** «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور»، أو «فاستغيثوا بأهل القبور»، وهو حديث مكذوب مفترىٰ علىٰ النبي ﷺ باتفاق العلماء.

٣- **حديث:** «لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه»، وهو حديث باطل مناقض لدين الإسلام، وضعه بعض المشركين.

٤- حديث: **«لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت علىٰ قوائم العرش مكتوبًا:**

لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلىٰ اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك»[1] وهو حديث باطل لا أصل له، ومثله حديث: «**لولاك ما خلقت الأفلاك**».

فمثل هذه الأحاديث المكذوبة والروايات المختلقة الملفقة لا يجوز لمسلم أن يلتفت إليها فضلا عن أن يحتج بها ويعتمدها في دينه.

الثاني: أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ يسيء هؤلاء فهمها ويحرفونا عن مرادها ومدلولها، ومن ذلك:

١- **ما ثبت في الصحيح**: «أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا قحطوا استسقىٰ بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون»[2].

ففهموا من هذا الحديث أن توسل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما كان بجاه العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومكانته عند الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن المراد بقوله: «كنا نتوسل إليك بنبينا [أي بجاهه] فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا» [أي بجاهه].

وهذا ولا ريبِ فهم خاطئ وتأويل بعيد لا يدل عليه سياق النص لا من قريب ولا من بعيد؛ إذ لم يكن معروفًا لدىٰ الصحابة التوسل إلىٰ الله بذات النبي ﷺ أو جاهه، وإنما كانوا يتوسلون إلىٰ الله بدعائه حال حياته كما تقدم بعض هذا المعنىٰ، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يرد بقوله: «إنا نتوسل إليك بعم نبينا» أي ذاته أو جاهه، وإنما أراد دعاءه، ولو كان التوسل بالذات أو الجاه معروفا عندهم لما عدل عمر عن التوسل بالنبي ﷺ إلىٰ التوسل بالعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل ولقال له

---

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (ج ١/ ٨٨ ح ٢٥).

(٢) صحيح البخاري (١٠١٠).

الصحابة إذ ذاك كيف نتوسل بمثل العباس ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق، فلما لم يقل ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره علم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل لا بذاته.

وبهذا يتبين أن الحديث ليس فيه متمسك لمن يقول بجواز التوسل بالذات أو الجاه.

٢- **حديث عثمان بن حنيف**: «أن رجلًا ضرير البصر أتىٰ النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: **إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك**، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: **اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلىٰ ربي في حاجتي هذه لتقضىٰ لي، اللهم فشفعه في**»، رواه الترمذي وأحمد وقال البيهقي إسناده صحيح[1].

ففهموا من الحديث أنه يدل علىٰ جواز التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين، وليس في الحديث ما يشهد لذلك، فإن الأعمىٰ قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره، فقال له: «إن شئت صبرت وإن شئت دعوت»، فقال: فادعه، إلىٰ غير ذلك من الألفاظ الواردة في الحديث المصرحة بأن هذا توسل بدعاء النبي ﷺ لا بذاته أو جاهه؛ ولذا ذكر أهل العلم هذا الحديث من معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمىٰ أعاد الله عليه بصره ولهذا أورده البيهقي في دلائل النبوة[2].

وأما الآن وبعد موت النبي ﷺ فإن مثل هذا لا يمكن أن يكون لتعذر دعاء

---

(١) سنن الترمذي (٣٥٧٨)، ومسند أحمد (٤/ ١٣٨).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ١٦٧).

النبي ﷺ لأحد بعد الموت، كما قال النبي ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

والدعاء من الأعمال الصالحة التي تنقطع بالموت.

وعلىٰ كل فإن جميع ما يتعلق به هؤلاء لا حجة فيه؛ إما لعدم صحته، أو لعدم دلالته علىٰ ما ذهبوا إليه.

○ **الغلو:**

أ- **تعريفه:** الغلو في اللغة هو مجاوزة الحد، بأن يزيد في حمد الشيء أو ذمه علىٰ ما يستحق.

وفي الشرع: هو مجاوزة حدود ما شرع الله لعباده سواء في العقيدة أو العبادة.

ب- **حكمه:** التحريم؛ لما جاء من النصوص في النهي عنه والتحذير منه وبيان سوء عواقبه علىٰ أهله في العاجل والآجل. قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**»(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطعون**»، قالها ثلاثا(٣).

---

(١) صحيح مسلم (١٦٣١).

(٢) المسند (١/ ٣٤٧)، والمستدرك (١/ ٦٣٨).

(٣) صحيح مسلم (٢٦٧٠).

وعن **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله**»(١).

والمراد هذا الحديث، أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارىٰ في عيسىٰ فادعوا فيه الربوبية والألوهية، وإنما أنا عبد الله فصفوني بما وصفني به ربي، وقولوا: عبد الله ورسوله، فأبىٰ الضلال إلا مخالفة لأمره وارتكابا لنهيه وناقضوه أعظم المناقضة فغلوا فيه وبالغوا في إطرائه وادعوا فيه ما ادعت النصارىٰ في عيسىٰ أو قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب وتفريج الكروب وشفاء الأمراض ونحو ذلك مما هو مختص بالله وحده لا شريك له، وكل ذلك من الغلو في الدين.

❍ وضد التوحيد الشرك، وهو ثلاثة أقسام:

١ـ شرك أكبر مناف لأصله لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، فمن مات عليه فهو مخلد في النار، وهو أن يجعل العبد لله ندًّا في عبادته، يدعوه كما يدعو الله ويقصده ويتوكل عليه ويرجوه ويحبه ويخشاه كما يحب الله ويخشاه.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

٢ ـ شرك أصغر مناف لكماله، وهو كل وسيلة أو ذريعة يتطرق بها إلىٰ الشرك الأكبر، مثل الحلف بغير الله ويسير الرياء.

٣ ـ الشرك الخفي، وهو الذي يتعلق بالنيات والمقاصد، وقد يكون أكبر أو أصغر كما هو موضح في الأول والثاني.

عن محمود بن لبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف**

(١) صحيح البخاري (٣٤٤٥).

عليكم الشرك الأصغر، قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء»[1].

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر: بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، أهمها ما يلي:

١- أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة.

٢- أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

٣- أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها.

٤- أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليه الجنة، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب.

وضد الإيمان الكفر وهو: عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل عن شك وريب، أو إعراض عن ذلك حسدًا وكبرًا أو اتباعًا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة.

والكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار، والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

○ أولا: الكفر الأكبر. وهو خمسة أنواع:

أ- **كفر التكذيب**، وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهرا أو باطنا فقد كفر، والدليل قوله تعالىٰ:

---

(١) حسن: أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٦٣٠).

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

٢- **كفر الإباء والاستكبار**، وذلك بأن يكون عالما بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكبارا وعنادا، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

٣- **كفر الشك**، وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٣٥-٣٨].

٤- كفر الإعراض، والمراد الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ﷺ، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣].

٥- كفر النفاق، والمراد النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٣].

❍ والنفاق على ضربين:

١ - نفاق اعتقاد وهو كفر أكبر ناقل من الملة وهو ستة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول، أو بغض ما جاء به، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصار دين الرسول.

٢- ونفاق عملي، وهو كفر أصغر لا ينقل من الملة، إلا أنه جريمة كبيرة وإثم عظيم، ومنه ما ذكره النبي ﷺ في الحديث حيث قال: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**»(٢).

ثانيا: الكفر الأصغر وهو لا يخرج صاحبه من الملة ولا يوجب الخلود في النار وإنما عليه الوعيد الشديد، وهو كفر النعمة، وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلىٰ حد الكفر الأكبر. ومن الأمثلة عليه:

ما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

وفي قوله ﷺ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة علىٰ الميت»(٣).

وفي قوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض**»(٤).

فهذا وأمثاله كفر دون كفر وهو لا يخرج من الملة الإسلامية.

لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (٦٧).

(٤) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥).

عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩-١٠]، فسماهم الله عَزَّوَجَلَّ مؤمنين مع الاقتتال.

ولقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، فدلت الآية الكريمة علىٰ أن كل ذنب دون الشرك تحت المشيئة أي إن شاء الله عذبه بقدر ذنبه وإن شاء عفا عنه من أول وهلة، إلا الشرك به فإن الله لا يغفره كما هو صريح في الآية وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

باب وجوب الإيمان بأنه لا يعلم الغيب إلا الله

قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]،

وقال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الكهف: ٢٦]،

وقال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

وقال الله تعالىٰ عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال تعالىٰ عن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ٢٣]

وقال تعالىٰ لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾

وقال تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي

بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١-٣٢].

وعن عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متىٰ يجيء المطر**»(١).

وعن عن مسروق، قال: كنت متكئا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم الفرية علىٰ الله: من زعم أن محمدًا رأىٰ ربه فقد أعظم الفرية علىٰ الله، والله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورىٰ: ٥١] وكنت متكئًا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، أليس يقول الله ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] قالت: أنا والله أول من سأل عن هذا رسول الله ﷺ قال: «**إنما ذاك جبريل، ما رأيته في الصورة التي خلق فيها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عظم خلقه ما بين السماء والأرض**»، ومن زعم أن محمدًا كتم شيئًا مما أنزل الله عليه فقد أعظم الفرية علىٰ الله، يقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾ [المائدة: ٦٧]، ومن زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم الفرية علىٰ الله، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل: ٦٥](٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٣٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (٣٠٦٨).

○ **من فقه الباب:**

الغيب هو كل ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وقد استأثر الله عَزَّوَجَلَّ بعلمه واختص نفسه سبحانه بذلك.

كما دلت عليه النصوص السابق ذكرها والله جَلَّجَلَالُهُ قد يطلع بعض خلقه علىٰ بعض الأمور المغيبة عن طريق الوحي، كما قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجن: ٢٦-٢٨]، وهذا من الغيب النسبي الذي غاب علمه عن بعض المخلوقات دون بعض، أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا هو سبحانه، ومن ذا الذي يدعي علمه وقد استأثر الله به.

ولهذا فإن الواجب علىٰ كل مسلم أن يحذر من الدجاجلة والكذابين المدعين لعلم الغيب المفترين علىٰ الله، الذين ضلوا في أنفسهم وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل، كالسحرة والكذابين والمنجمين، وغيرهم.

وفيما يلي عرض لجملة من أعمال هؤلاء التي يدعون بها علم الغيب، ويضلون بها عوام المسلمين وجهالهم، ويفسدون بها عقيدتهم وإيمانهم.

١- **السحر**: وهو في اللغة ما خفي ولطف سببه.

وفي الاصطلاح هو عزائم ورقىٰ وعقد يؤثِّر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه بإذن الله، وهو كفر، والساحر كافر بالله العظيم، وما له في الآخرة من خلاق، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ

مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ومنه النفث في العقد، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١-٥].

٢- **التنجيم**: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية علىٰ الحوادث الأرضية التي لم تقع، فعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اقتبس علما من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**»(١).

٣- **زجر الطير والخط في الأرض**: فزجر الطير والتفاؤل والتشاؤم بأسمائها وأصواتها وممرها، والخط في الأرض، أو الضرب بالحصىٰ من ادعاء علم الغيب.

٤- **الكهانة**: وهي ادعاء علم الغيب، والأصل فيها استراق الجن السمع من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**من أتىٰ كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ**»(٢).

٥- **كتابة حروف أبا جاد**: وذلك بأن يجعل لكل حرف منها قدرًا معلومًا من العدد ويجري علىٰ ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة، ثم يحكم عليها بالسعود أو النحوس ونحو ذلك.

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في النجوم: «ما أرىٰ

---

(١) **حسن**: أبو داود (٣٤٢٤) وغيره بإسناد حسن.

(٢) **صحيح**: سنن أبي داود (٣٩٠٤)، ومسند أحمد (٢/ ٤٢٩)، المستدرك (١/ ٥٠) قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

من فعل ذلك له عند الله من خلاق»[١].

٦- القراءة في الكف والفنجان ونحو ذلك مما يدعي به بعض هؤلاء معرفة الحوادث المستقبلة من موت وحياة وفقر وغنىٰ وصحة ومرض ونحو ذلك.

٧- **تحضير الأرواح**: ويزعم أربابه أنهم يستحضرون أرواح الموتىٰ ويسألونها عن أخبار الموتىٰ من نعيم وعذاب وغير ذلك، وهو نوع من الدجل والشعوذة الشيطانية، ويراد منها إفساد العقائد والأخلاق والتلبيس علىٰ الجهال وأكل أموالهم بالباطل والتوصل إلىٰ دعوىٰ علم الغيب.

٨- **التطير**: وهو التشاؤم بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرها، وهذا باب من الشرك وهو من إلقاء الشيطان وتخويفه.

فعن عمران بن حصين مرفوعًا: «**ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتىٰ كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ**»[٢].

هذا وأسأل الله جل جلاله أن يصلح أحوال المسلمين، ويمنحهم الفقه في الدين، ويعيذهم من خداع المجرمين وتلبيس أولياء الشياطين.

باب وجوب الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى وتوحيده فيها

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]....

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٢٦).

(٢) **صحيح بشواهده**: مسند البزار (٩/ ٥٢) (٣٥٧٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١١٧) رجاله رجال الصحيح.

وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي**»(٢).

○ من فقه الباب:

يجب علىٰ المسلم الاعتقاد بتفرد الله عَزَّوَجَلَّ بأحسن الأسماء وأكمل الصفات، التي تَعرَّف للعباد ببعضها في كتابه أو سنة خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ.

وهذا الاعتقاد يقوم علىٰ أصلين عظيمين:

أحدهما: أن الله له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ الدالة علىٰ صفات الكمال ولا نقص فيها بوجه من الوجوه، فلا يماثله ولا يشاركه فيها شيء من المخلوقات.

فمن أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (الحيّ) وله صفة (الحياة) التي يجب أن تُثبت له عَزَّوَجَلَّ علىٰ وجه الكمال اللائق به، وهذه الحياة حياة كاملة دائمة، اجتمع فيها أنواع

---

(١) البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) أخرجه أحمد (٤٣١٨)، وانظر: السلسلة الصحيحة رقم (١٩٩).

الكمالات من علم وقدرة وغير ذلك، لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء. قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثاني: أن الله تعالىٰ منزه عن صفات النقص والعيب مطلقًا،كالنوم والعجز والجهل والظلم وغير ذلك، كما أنه تعالىٰ منزه عن مماثلة المخلوقين، فيلزم نفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه الرسول ﷺ عن ربه مع اعتقاده أن الله موصوف بكمال ضد ما نفىٰ عنه، فإذا نفينا عنه السِّنة والنوم فنفي السِّنة فيه إثبات كمال القيومية، ونفي النوم فيه إثبات كمال الحياة، وهكذا كل نفي عن الله عَزَّوَجَلَّ، فهو يتضمن إثبات كمال ضده، فهو الكامل وما سواه ناقص، قال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [فاطر: ٤٤]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ [مريم: ٦٤].

والإيمان بأسماء الله وصفاته وأفعاله: هو الطريق الأوحد لمعرفة الله وعبادته، وذلك أن الله غيّب عن الخلق في الحياة الدنيا رؤيته عيانًا، وفتح لهم هذا الباب العلمي الذي من خلاله يعرفون ربهم وإلههم ومعبودهم، ويعبدونه وفق هذه المعرفة الصحيحة السليمة، فالعابد إنما يعبد موصوفه، فالمعطل يعبد عدمًا والممثل يعبد صنمًا، والمسلم يعبد الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحدًا.

وينبغي أن يراعىٰ عند إثبات أسماء الله الحسنىٰ الأمور الآتية:

١ - الإيمان بثبوت جميع الأسماء الحسنىٰ الواردة في القرآن والسنة من غير أن يزاد عليها أو ينقص منها.

قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ

ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

وثبت في السنة أن النبي ﷺ سمع رجلًا يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم؛ فقال النبي ﷺ: «**تدرون بما دعا الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطىٰ**»(١).

٢ ـ الإيمان بأن الله هو الذي سمىٰ نفسه ولا يسميه أحد من خلقه، وهو عَزَّوَجَلَّ الذي مدح نفسه بهذه الأسماء، وليست محدثة مخلوقة.

٣ ـ الإيمان بأن أسماء الله الحسنىٰ دالة علىٰ معان في غاية الكمال الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، فيجب الإيمان بتلك المعاني، كما يجب الإيمان بتلك الأسماء.

٤ـ وجوب احترام معاني تلك الأسماء وعدم التعرض لها بالتحريف أو التعطيل.

٥ ـ الإيمان بما يقتضيه كل اسم من تلك الأسماء من الأحكام وما يترتب عليها من الأفعال والآثار.

ولتوضيح هذه الأمور الخمسة نضرب مثلًا علىٰ ذلك باسم الله (السميع) فيجب فيه مراعاة ما يأتي:

أ ـ الإيمان بثبوت اسم «السميع» اسمًا من أسماء الله الحسنىٰ لوروده في القرآن والسنة.

ب ـ الإيمان بأن الله هو الذي سمىٰ نفسه بذلك وتكلم به وأنزله في كتابه العزيز.

ج ـ الإيمان بأن «السميع» تضمن معنىٰ السمع وهو صفة من صفاته.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (١٤٩٥)، والنسائي في سننه (١٣٠٠)، وأحمد في مسنده (١٢٦١١)، وغيرهم من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

د ـ وجوب احترام صفة السمع التي دل عليها اسم (السميع)، وعدم تحريف معناها أو تعطيله.

هـ ـ الإيمان بأن الله يسمع كل شيء، وأن سمعه وسع جميع الأصوات والإيمان بالأثر المترتب علىٰ ذلك الإيمان من وجوب مراقبة الله وخشيته وخوفه، واليقين التام بأن الله عَزَّوَجَلَّ لا تخفىٰ عليه خافية.

وينبغي أن يراعىٰ في إثبات صفات الله العلىٰ ما يأتي:

١ ـ إثبات جميع الصفات الواردة في القرآن والسنة لله عَزَّوَجَلَّ حقيقة من غير تحريف ولا تعطيل.

٢ ـ الاعتقاد الجازم بأن الله تعالىٰ متصف بصفات الكمال، ومنزه عن صفات النقص والعيب.

٣ ـ عدم مماثلة صفات الله بصفات المخلوقين، فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء لا في صفاته ولا في أفعاله. قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

٤ ـ اليأس التام من معرفة كيفية تلك الصفات؛ لأنه لا يعلم كيف صفة الله غيره، فذلك لا سبيل لمخلوق إليه.

٥ ـ الإيمان بما ترتب علىٰ تلك الصفات من أحكام وما تقتضيه من آثار، فلكل صفة عبودية.

ولتوضيح هذه الأمور الخمسة نضرب مثلًا علىٰ ذلك بصفة «الاستواء» فيجب فيها مراعاة ما يأتي:

١ ـ إثبات صفة الاستواء والإيمان بها لورودها في النصوص الشرعية، قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

٢ ـ إثبات صفة الاستواء لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ وجه الكمال اللائق به تعالىٰ، وأن معناها علو الله وارتفاعه علىٰ عرشه حقيقة، كما يليق بجلاله وغناه.

٣ ـ عدم مماثلة استواء الخالق علىٰ العرش باستواء المخلوقين، فالله غني عن العرش لا يحتاج إليه، وأما استواء المخلوق فلازمه الافتقار والاحتياج لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

٤ ـ عدم الخوض في كيفية استواء الخالق علىٰ العرش؛ فذلك أمر غيبي لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

٥ ـ الإيمان بالحكم والأثر المترتب علىٰ ذلك من إثبات عظمة الله وجلاله وكبريائه اللائق به الذي دل عليه علوه سبحانه المطلق علىٰ الخلق أجمعين، واتجاه القلوب إليه في العلو كما يقول الساجد «سبحان ربي الأعلىٰ».

قواعد مهمة في باب الأسماء والصفات.

○ القاعدة الأولى القول في الصفات كالقول في الذات:

الله تعالىٰ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا صفاته، ولا أفعاله؛ فإذا كان لله ذات حقيقية لا تماثل الذوات بلا خلاف فكذلك الصفات الثابتة له في الكتاب والسنة، هي صفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات فالقول في الذات والصفات من باب واحد.

وهذه قاعدة عظيمة يناقش بها من ينكر الصفات مع إثباته الذات فإن إثبات الذات للرب عَزَّوَجَلَّ محل إجماع الأمة.

فإذا قال قائل: لا أثبت الصفات لأن في إثباتها تشبيهًا لله بخلقه.

يقال له: أنت تثبت لله ذاتًا حقيقية وتثبت للمخلوقين ذواتًا أفليس هذا تشبيهًا علىٰ قولك!! فإن قال: إنما أثبت ذاتًا لله لا تشبه الذوات ولا يسعه غير

هذا. قيل له يلزمك هذا في باب الصفات فإن كانت الذات لا تشبه الذوات وهو حق فكذلك صفات الذات الإلهية لا تشبه الصفات؛ فإن قال: كيف أثبت صفة لا أعلم كيفيتها؟ قلنا له: كما تثبت ذاتًا لا تعلم كيفيتها.

○ القاعدة الثانية القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر:

القول في بعض صفات الله من حيث الإثبات والنفي كالقول في البعض الآخر وهذه القاعدة يخاطب بها من يثبت بعض الصفات وينكر البعض الآخر. فإذا كان الرجل يثبت بعض الصفات كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها ويجعل ذلك كله حقيقة ثم ينازع في صفة المحبة والرضا والغضب وغيرها، ويجعل ذلك مجازًا فيقال له: لا فرق بين ما أثبته وبين ما نفيته فالقول في أحدهما كالقول في الآخر؛ فإن كنت تثبت له حياة وعلمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا لا تشبه ما يثبت للمخلوقين الذين يتصفون بهذه الصفات فكذلك يلزمك أن تثبت له محبة ورضًا وغضبًا كما أخبر هو عن نفسه من غير مشابهة للمخلوقين وإلا وقعت في التناقض.

○ القاعدة الثالثة الأسماء والصفات توقيفية:

أسماء الله وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها وعلىٰ هذا فيجب الوقوف فيها علىٰ ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالىٰ من الأسماء والصفات فوجب الوقوف علىٰ النص. قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقد كان أئمة الإسلام علىٰ هذا المنهج. قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث»، وقرر بعض أهل العلم أن العلم بالشيء حتىٰ يُمكن وصفه له ثلاثة طرق: إما رؤيته، أو رؤية مثيله، أو وصفه ممن يعرفه، وعِلْمُنَا بِرَبِّنا

وأسمائه وصفاته محصور في الطريق الثالث وهو وصفه ممن يعرفه وليس أحد أعلم بالله من الله ثم رسله الذين أوحىٰ إليهم وعلمهم فوجب لزوم طريق الوحي في أسماء الله وصفاته إذ لم نر ربنا في الدنيا فنصفه وليس له مثيل من خلقه فيوصف بوصفه، تعالىٰ ربنا وتقدس.

❍ **القاعدة الرابعة أسماء الله كلها حسنى:**

أسماء الله كلها حسنىٰ أي بالغة في الحسن غايته. قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وذلك لدلالتها علىٰ أحسن مسمىٰ وأشرف مدلول وهو الله عَزَّوَجَلَّ، ولأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالا ولا تقديرًا.

مثال ذلك: (الحي) اسم من أسماء الله تعالىٰ متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال، الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها، ومثال آخر: (العليم) اسم من أسماء الله تعالىٰ متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان، قال تعالىٰ ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلًا سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

والحسن في أسماء الله تعالىٰ يكون باعتبار كل اسم علىٰ انفراد، ويكون باعتبار جمعه إلىٰ غيره فيحصل بجمع الاسم إلىٰ آخر كمال فوق كمال.

مثال ذلك: (العزيز الحكيم) فإن الله تعالىٰ يجمع بينهما في القرآن كثيرًا فيكون كل منهما دالًّا علىٰ الكمال الخاص الذي يقتضيه وهو العزة في العزيز والحكم والحكمة في الحكيم، والجمع بينهما دال علىٰ كمال آخر وهو أن العزة لله تعالىٰ مقرونة بالحكمة فعزته لا تقتضي ظلمًا وجورًا كما يكون من بعض

أعزاء المخلوقين فإن بعضهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور، وكذلك حكمه تعالىٰ وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل، هذا والله أعلم.

باب وجوب إثبات ما أثبته الله لنفسه دون تكييف أو تشبيه أو تعطيل

عن أَبِي هُرَيْرَةَ أنه قرأ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَىٰ أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَىٰ عَيْنِهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ»، قَالَ ابْنُ يُونُسَ: قَالَ الْمُقْرِئُ: يَعْنِي: إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَعْنِي أَنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصَرًا قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَهَذَا رَدٌّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ»[1].

❍ **من فقه الباب:**

أهل السنة والجماعة يثبتون صفات الله تعالىٰ: بلا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تكييف، ويمرُّونها كما جاءت مع الإيمان بمعانيها وما تدل عليه.

أولًا: تعريف **التحريف**: لغة هو التغيير والتبديل، واصطلاحًا: تغيير ألفاظ الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا أو معانيها، **وهو ينقسم إلىٰ قسمين**:

القسم الأول: تحريف اللفظ بزيادة، أو نقص، أو تغيير شكل وذلك كقول الجهمية ومن تبعهم في استوىٰ: استولىٰ. بزيادة اللام. وكقول اليهود: حنطة لَمّا قيل لهم: قولوا حطة، وكقول بعض المبتدعة بنصب لفظ الجلالة في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٢٨)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٥٢٤)، وغيرهم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.

والقسم الثاني: تحريف المعنىٰ وهو إبقاء اللفظ علىٰ حاله وتغيير معناه وذلك كتفسير بعض المبتدعة: الغضب بإرادة الانتقام، والرحمة بإرادة الإنعام، واليد بالنعمة.

ثانيًا: تعريف التعطيل: لغة هو: الترك. والمراد به نفي الصفات الإلهية عن الله تعالىٰ وإنكار قيامها بذاته تعالىٰ أو إنكار بعضها. فيكون الفرق بين التحريف والتعطيل هو أن التعطيل نفي للمعنىٰ الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة، والتحريف: هو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة.

○ أنواع التعطيل:

التعطيل أنواع:

١- تعطيل الله عن كماله المقدس، وذلك بتعطيل أسمائه وصفاته أو تعطيل شيء من ذلك كما فعلت الجهمية والمعتزلة.

٢- تعطيل الله بترك معاملته، وذلك بترك عبادته أو بعضها، أو عبادة غيره معه.

٣- تعطيل المخلوق عن خالقه، وذلك مثل قول القائلين: إن الطبيعة هي التي أوجدت الأشياء، وإنها تتصرف بطبيعتها، وكل محرف معطل، وليس كل معطل محرفًا؛ فمن أثبت المعنىٰ الباطل، ونفىٰ المعنىٰ الحق، فهو محرِّف ومعطِّل، أما من نفىٰ الصفات فهو معطل وليس بمحرف.

ثالثًا: تعريف التكييف: هو السؤال بكيف، والمراد به تعيين وتحديد كنه الصفة بحيث يجعل لها كيفية معلومة، وليس المراد بنفي الكيفية تفويض المعنىٰ المراد من الصفات؛ بل المعنىٰ معلوم من لغة العرب، وهذا مذهب السلف كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالىٰ حينما سئل عن كيفية الاستواء فقال رحمه الله تعالىٰ: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب،

والسؤال عنه بدعة»؛ فكل صفة من صفات الله تعالىٰ تدل علىٰ معنىٰ حقيقي ثابت نؤمن به ونثبته لله، ولكننا لا نعرف كيفيتها، وهيئتها وصورتها؛ فالواجب إثبات الصفات حقيقة ومعنىٰ، وتفويض الكيفية بخلاف الواقفة الذين يفوضون معانيها.

رابعًا: تعريف التمثيل: هو بمعنىٰ التشبيه بحيث يُجعل لله شبيهٌ في صفاته الذاتية أو الفعلية، وهو قسمان:

أ - تشبيه المخلوق بالخالق، كما شبهت النصارىٰ المسيح بن مريم بالله تعالىٰ، وكما شبهت اليهود عزيرًا بالله. تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ب - تشبيه الخالق بالمخلوق، كما فعلت المشبهة الذين يقولون: له وجه كوجه المخلوق، ويد كيد المخلوق، وسمع كسمع المخلوق، ونحو ذلك من التشبيه الباطل تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

○ الإلحاد في أسماء الله وصفاته:

الإلحاد في أسماء الله تعالىٰ: هو العدول بها وبحقائقها، ومعانيها عن الحق الثابت لها. والإلحاد إما أن يكون بجحدها أو إنكارها بالكلية، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويل الفاسد، وإما بجعلها أسماء لبعض المبتدعات كإلحاد أهل الاتحاد، فيدخل في الإلحاد: التحريف، والتعطيل، والتكييف، والتمثيل، والتشبيه.

○ طريقة أهل السنة والجماعة في النفي والإثبات:

أهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبته الله لنفسه مفصلًا علىٰ حد قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، فكل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات أثبتوه لله علىٰ الوجه اللائق به تعالىٰ. وأهل السنة والجماعة ينفون ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ نفيًا إجماليًّا غالبًا علىٰ حد قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١].

والنفي يقتضي إثبات ما يضاده من الكمال فكل ما نفىٰ الله عن نفسه من النقائص ومشاركة أحد من خلقه في شيء من خصائصه فإنها تدل علىٰ ضدها من أنواع الكمال. وجمع الله النفي والإثبات في آية واحدة - أعني النفي الإجمالي والإثبات المفصل - وهي قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فهذه الآية تضمنت تنزيه الله عن مشابهة خلقه لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. وفي أول هذه الآية رد علىٰ المشبهة وهو قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، وفي آخرها رد علىٰ المعطلة وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وفي أول هذه الآية نفي مجمل، وفي آخرها إثبات مفصّل، وفيها رد علىٰ الأشاعرة الذين يقولون ببعض الصفات وينفون البعض الآخر، وفيها رد علىٰ المعتزلة الذين يقولون سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر.

فأهل السنة مذهبهم مذهب سلف هذه الأمة رحمهم الله تعالىٰ، وهو أنهم يؤمنون بكل ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه، وبكل ما أخبر به عنه رسوله ﷺ إيمانًا سالمًا من التحريف والتعطيل، ومن التكييف والتمثيل، ويجعلون الكلام في صفات الله وذاته بابًا واحدًا فالقول في الصفات كالقول في الذات، فإن كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات؛ فيجب عندهم الإيمان بأسماء الله وصفاته التي ثبتت بالكتاب والسنة الصحيحة أو بأحدهما ويجب أن تُمرّ كما جاءت بلا تكييف مع الإيمان بما دلّت عليه من المعاني العظيمة التي هي أوصاف لله ﷻ يجب وصفه بها علىٰ الوجه اللائق به بلا تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وأهل السنة والجماعة لا يقيسون الله بخلقه، فلا يجوز عندهم استعمال الأقيسة التي تقتضي المماثلة، والمساواة بين المقيس والمقيس عليه في الشؤون الإلهية، فلا يستخدمون قياس التمثيل، ولا قياس الشمول في حق الله تعالىٰ.

إنما يستخدمون في حقه سبحانه قياس الأَوْلىٰ، ومضمون هذا القياس أن كل كمال ثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالخالق به أولىٰ، وكل نقص تنزّه عنه المخلوق فالخالق أحقّ بالتنزيه عنه.

بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَضْحَكُ بلا كيف

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَضْحَكُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ: يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ الْقَاتِلِ، فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيُسْتَشْهَدُ**»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «**يَضْحَكُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ قَامَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَأَهْلُهُ نِيَامٌ، فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَيَضْحَكُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ، وَرَجُلٌ لَقِيَ الْعَدُوَّ فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ، وَثَبَتَ حَتَّىٰ رَزَقَهُ اللهُ الشَّهَادَةَ**»(٢).

وعَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ضَحِكَ رَبُّنَا عَزَّوَجَلَّ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قُلْتُ: لَنْ نُعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا(٣).

---

(١) البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه الآجري في الشريعة (٦٣٧) من طريق إِسْرَائِيل، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَبِي الْكَنُودِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ موقوفًا.

* فيه أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود: لم يسمع من أبيه شيئًا.

قلت: وتابعه أبو الكنود الأزدي، قال ابن سعد في الطبقات (٢٠٩٨): كَانَ ثِقَةً وَلَهُ أَحَادِيثُ يَسِيرَةٌ، وإن كان الحديث موقوفًا، إلا أن له حكم الرفع.

(٣) **حسن**: أخرجه ابن ماجه في سننه (١٨١)، والطيالسي في مسنده (١١٨٨)، وأحمد في مسنده (١٦١٨٧)، وغيرهم من طريق حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ يَعْلَىٰ بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

=

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فَقَالَ حِينَ رَكِبَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣-١٤] لَا إِلَهَ إِلَا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَا أَنْتَ قَالَ: ثُمَّ اسْتُضْحِكَ فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ، فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**يَعْجَبُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْعَبْدِ إِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَا أَنْتَ**»(١).

= * فيه وكيع بن حدس، ويقال ابن عدس والأول الصواب: قال الذهبي في الميزان (٩٣٥٥): لا يعرف، وقال ابن القطان: مجهول الحال، وقال ابن حِبَّان في كتاب مشاهير علماء الأمصار (٩٧٣): من الأثبات، وقال الجورقاني في كتاب الأباطيل والمناكير (٢١١): صدوق، صالح الحديث. قلت: والمثبت مقدم على النافي وعليه فهو صدوق.

* وقال ابن المديني: يعلى بن عطاء له أحاديث لم يروها غيره، ورجال لم يرو عنهم غيره، منهم وكيع بن عدس، وأهل الحجاز لا يعرفونه، وإنما روى عنه قوم بواسط.

قلت: والانفراد برواية حديث، أو بمرويات راوٍ لا يضر الثقة مثل يعلى بن عطاء، وذلك مع ما اسلفنا من توثيق وكيع بن حدس السابق ذكره.

- وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١١٢٠)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٤٦٠)، وغيرهما من طريق عَبْد الرَّحْمَنِ بْن عَيَّاشٍ السَّمَعِيّ الْأَنْصَارِيّ الْقُبَائِيّ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، عَنْ دَلْهَمِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَاجِبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ الْمُنْتَفِقِ الْعُقَيْلِيِّ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَمِّهِ لَقِيطِ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا في حديث طويل.

* فيه عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَيَّاشٍ السَّمَعِيُّ، ودَلْهَمِ بْنِ الْأَسْوَدِ: كلاهما مجهول.

انظر: كلام الألباني في الصحيحة (٢٨١٠).

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٢٦٠٢)، والترمذي في سننه (٣٤٤٦)، والنسائي في الكبرى (٨٧٤٨) وغيرهم من طريق عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ الْوَالِبِيِّ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ...فذكره مرفوعًا.

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، وسئل عَنِ الْوُرُودِ، فَقَالَ: نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ؟ قَالَ: فَتُدْعَىٰ الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّىٰ نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّىٰ لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَىٰ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقًا، أَوْ مُؤْمِنًا نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَأِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّىٰ يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّىٰ تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا[(١)].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ آخِرَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ يَمْشِي عَلَىٰ الصِّرَاطِ فَهُوَ يَكْبُو مَرَّةً وَيَمْشِي مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْهَا فَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِّيَ إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا تَسْأَلْنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَىٰ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ فَلِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي: أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١) من طريق أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما موقوفًا.

وَلَكِنْ هَذِهِ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ عَزَّوَجَلَّ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ، فَيَقُولُ عَزَّوَجَلَّ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ: أَنْ لا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ عَزَّوَجَلَّ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لا أَسْأَلُكُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ عَزَّوَجَلَّ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ وَهُوَ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنَّكَ لا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يُرْضِيكَ مِنِّي؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟» فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقَالَ: **«أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالَ: مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَزَّوَجَلَّ مِنْهُ حِينَ يَقُولُ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَدِيرٌ، فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ»**(١).

وعن سعد بن إبراهيم قَالَ: بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ مَعَ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِذْ مَرَّ شَيْخٌ جَلِيلٌ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي بَصَرِهِ بَعْضُ الضَّعْفِ، مِنْ بَنِي غِفَارٍ فَبَعَثَ إِلَيْهِ حُمَيْدٌ، فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لِي: يَا ابْنَ أَخِي، أَوْسِعْ لَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَإِنَّهُ قَدْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَجْلَسَهُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، ثُمَّ قَالَ الْحَدِيثَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُنْشِئُ السَّحَابَ، فَيَضْحَكُ أَحْسَنَ الضَّحِكِ، وَيَنْطِقُ أَحْسَنَ الْمَنْطِقِ»**(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٧)، وغيره من طريق أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٦٨٦)، وابن أبي الدنيا في المطر والرعد والبرق (٩١)، والرامهرمزي في أمثال الأحاديث (٩١)، وغيرهم من طريق إِبْرَاهِيم بْن سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ عن شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ مرفوعًا.

وعَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي الصَّفِّ، فَلَا يَلْفِتُونَ وجُوهَهُمْ حَتَّىٰ يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْعُلَىٰ مِنَ الْجَنَّةِ، يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِذَا ضَحِكَ إِلَىٰ عَبْدٍ فِي مَوْطِنٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ»(١).

❍ من فقه الباب:

قال الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ في الشريعة: اعْلَمُوا وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِلرَّشَادِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ أَنَّ أَهْلَ الْحَقِّ يَصِفُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ مِمَّنِ اتَّبَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ، وَلَا يُقَالُ فِيهِ: كَيْفَ؟ بَلِ التَّسْلِيمُ لَهُ، وَالْإِيمَانُ بِهِ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَضْحَكُ، كَذَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَنْ صَحَابَتِهِ، وَلَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَّا مَنْ لَا يُحْمَدُ حَالُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ السُّنَنُ كُلُّهَا نُؤْمِنُ بِهَا، وَلَا نَقُولُ فِيهَا: كَيْفَ؟ وَالَّذِينَ نَقَلُوا هَذِهِ السُّنَنَ: هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا السُّنَنَ فِي الطَّهَارَةِ، وَفِي الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، الحج، وَالْجِهَادِ، وَسَائِرِ الْأَحْكَامِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، فَقَبِلَهَا الْعُلَمَاءُ مِنْهُمْ أَحْسَنَ قَبُولٍ، وَلَا يَرُدُّ هَذِهِ السُّنَنَ إِلَّا مَنْ يَذْهَبُ مَذْهَبَ الْمُعْتَزِلَةِ، فَمَنْ عَارَضَ فِيهَا أَوْ رَدَّهَا، أَوْ قَالَ: كَيْفَ؟ فَاتَّهِمُوهُ وَاحْذَرُوهُ.

---

(١) صحيح، وإسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٤٧٦)، وسعيد بن منصور في سننه (٢٥٦٦)، وابن أبي عاصم في الجهاد (٢٢٨)، وغيرهم من طريق إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، نا بَحِيرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه إسماعيل بن عياش: وهو صدوق في حديث الشاميين، وشيخه شامي، وتابعه أيضًا: إسماعيل بن رافع - وهو ضعيف - كما عند ابن أبي عاصم في الجهاد (٢٢٩).

- وأخرجه الطبراني في الأوسط (٣١٦٩) من طريق ابن لَهِيعَةَ، عَنْ عَلِيٍّ أَبِي دِينَارٍ الْهُذَلِيِّ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

باب الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ مستوي على عرشه بلا كيف وأنه معنا بعلمه وإحاطته

قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦-١٧]،

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلىٰ: ١].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ لِعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨]

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَمَّا قَضَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْخَلْقَ؛ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**»(١).

وعَنْ أَبِي مُوسَىٰ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعٍ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لا يَنَامُ وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُ بِهِ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النَّارُ لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ مَنْ أَدْرَكَ بَصَرُهُ**»(٢).

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتِ، إِنَّ خَوْلَةَ

---

(١) البخاري (٧٤٢٢)، ومسلم (٢٧٥١) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩)، وغيره من حديث أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

لَتَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَيَخْفَىٰ عَلَيَّ أَحْيَانًا بَعْضُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١] الْآيَةَ(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَضَىٰ اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَىٰ صَفْوَانٍ - قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ - فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ، وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ اليُمْنَىٰ، نَصَبَهَا بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ - فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ المُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَىٰ صَاحِبِهِ فَيُحْرِقَهُ، وَرُبَّمَا لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّىٰ يَرْمِيَ بِهَا إِلَىٰ الَّذِي يَلِيهِ، إِلَىٰ الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، حَتَّىٰ يُلْقُوهَا إِلَىٰ الأَرْضِ - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ الأَرْضِ - فَتُلْقَىٰ عَلَىٰ فَمِ السَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُصَدَّقُ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا؟ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ**»(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَىٰ الصَّفَا قَالَ: فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: الْحَقَّ، فَيُنَادُونَ: الْحَقَّ، الْحَقَّ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه النسائي في سننه (٣٤٦٠)، وابن ماجه في سننه (١٨٨)، وأحمد في مسنده (٢٤١٩٥)، وغيرهم من حديث عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا موقوفًا.

ورواه البخاري في صحيحه (٩/ ١١٧) معلقًا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٠١)، وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٣٨)، وابن حبان في صحيحه (٣٧)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٥٠)، وغيرهم من حديث عَبْدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا.

❍ **من فقه الباب:**

قال الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ في الشريعة: إِنِّي أُحَذِّرُ إِخْوَانِي الْمُؤْمِنِينَ مَذْهَبَ الْحُلُولِيَّةِ الَّذِينَ لَعِبَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ فَخَرَجُوا بِسُوءِ مَذْهَبِهِمْ عَنْ طَرِيقِ أَهْلِ الْعِلْمِ، مَذَاهِبُهُمْ قَبِيحَةٌ، لَا يَكُونُ إِلَا فِي كُلِّ مَفْتُونٍ هَالِكٍ، زَعَمُوا أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حَالٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ أَخْرَجَهُمْ سُوءُ مَذْهَبِهِمْ إِلَىٰ أَنْ تَكَلَّمُوا فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِمَا يُنْكِرُهُ الْعُلَمَاءُ الْعُقَلَاءُ، لَا يُوَافِقُ قَوْلَهُمْ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ وَلَا قَوْلُ الصَّحَابَةِ وَلَا قَوْلُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنِّي لَأَسْتَوْحِشُ أَنْ أَذْكُرَ قَبِيحَ أَفْعَالِهِمْ تَنْزِيهًا مِنِّي لِجَلَالِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَعَظَمَتِهِ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّا لَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ. ثُمَّ إِنَّهُمْ إِذَا أُنْكِرَ عَلَيْهِمْ سُوءُ مَذْهَبِهِمْ قَالُوا: لَنَا حُجَّةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَا الْحُجَّةُ؟ قَالُوا: قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧] وَبِقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٣- ٤] فَلَبَّسُوا عَلَىٰ السَّامِعِ مِنْهُمْ بِمَا تَأَوَّلُوا، وَفَسَّرُوا الْقُرْآنَ عَلَىٰ مَا تَهْوَىٰ نُفُوسُهُمْ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا، فَمَنْ سَمِعَهُمْ مِمَّنْ جَهِلَ الْعِلْمَ ظَنَّ أَنَّ الْقَوْلَ كَمَا قَالُوهُ، وَلَيْسَ هُوَ كَمَا تَأَوَّلُوهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ: أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، قَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَا، وَبِجَمِيعِ مَا فِي سَبْعِ أَرَضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ، وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، وَيَعْلَمُ الْخَطْرَةَ وَالْهِمَّةَ، وَيَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ النُّفُوسُ يَسْمَعُ وَيَرَىٰ، وَلَا يَعْزُبُ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ وَمَا بَيْنَهُنَّ، إِلَا وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِهِ فَهُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ سُبْحَانَهُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَىٰ تُرْفَعُ إِلَيْهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، وَهُوَ

أَعْلَمُ بِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَرْفَعُونَهَا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِيش مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] الْآيَةُ الَّتِي بِهَا يَحْتَجُّونَ؟ قِيلَ لَهُ: عِلْمُهُ عَزَّوَجَلَّ وَاللهُ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِهِمْ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، كَذَا فَسَّرَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْآيَةُ يَدُلُّ أَوَّلُهَا وَآخِرُهَا عَلَىٰ أَنَّهُ الْعِلْمُ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ؟ قِيلَ: قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧] وَابْتَدَأَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْآيَةَ بِالْعِلْمِ، وَخَتَمَهَا بِالْعِلْمِ، فَعِلْمُهُ عَزَّوَجَلَّ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَهَذَا قَوْلُ الْمُسْلِمِينَ...وَفِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي السَّمَاءِ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦-١٧]، قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١] وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ لِعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨] وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال رَحِمَهُ اللهُ: فَهَذِهِ السُّنَنُ قَدِ اتَّفَقَتْ مَعَانِيهَا وَيُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَكُلُّهَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَا قُلْنَا: إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّهُ سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، عَلِيمٌ، خَبِيرٌ وَقَدْ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١] وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ إِذَا قَرَءُوا ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قَالُوا: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ، مِنْهُمْ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ أَنْ يَقُولُوا فِي السُّجُودِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ ثَلَاثًا، وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا

يُقَوِّي مَا قُلْنَا: أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ الْعَلِيَّ الْأَعْلَىٰ: عَلَىٰ عَرْشِهِ، فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، خِلَافَ مَا قَالَتْهُ الْحُلُولِيَّةُ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُوءِ مَذْهَبِهِمْ.

وفي الباب حديث حذيفة، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَىٰ، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَىٰ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ**»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ[(١)].

وحديث عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ**» فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١] قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧٢) وغيره من حديث حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) إسناده قابل للتحسين: أخرجه أبو داود في سننه (٨٦٩)، وابن ماجه في سننه (٨٨٧)، والطيالسي في مسنده (١٠٩٣)، وغيرهم من طريق مُوسَىٰ بْن أَيُّوبَ الْغَافِقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّىٰ إِيَاسُ بْنُ عَامِرٍ: أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه موسىٰ بن أيوب الغافقي: وثقه أبو داود، ويحيىٰ بن معين.

* فيه إياس بن عامر: ذكره يعقوب بن سفيان في «ثقات تابعي أهل مصر» في كتابه المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٠٢). أما قول ابن حجر في التهذيب أنه رأىٰ بخط الذهبي في تلخيص المستدرك: ليس بالقوي، إنما هو: ليس بالمعروف كما في المطبوع من المستدرك (٨١٨). وكذا نقله الحافظ سبط ابن العجمي في «حاشيته» علىٰ كتاب «الكاشف» للذهبي، ذكره الشيخ طارق آل ناجي في كتابه التذييل علىٰ كتب الجرح والتعديل (١٠٦). وقال العجلي: لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحاكم: مستقيم الإسناد.

قَالَ الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِمَّا يَحْتَجُّ بِهِ الْحُلُولِيَّةُ مِمَّا يُلْبِسُونَ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا عِلْمَ مَعَهُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] وَقَدْ فَسَّرَ أَهْلُ الْعِلْمِ هَذِهِ الْآيَةَ: هُوَ الأَوَّلُ: قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ، وَالْآخِرُ: بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، بَعْدَ الْخَلْقِ، وَهُوَ الظَّاهِرُ: فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ يَعْنِي مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَهُوَ الْبَاطِنُ: دُونَ كُلِّ شَيْءٍ يَعْلَمُ مَا تَحْتَ الْأَرَضِينَ، وَدَلَّ عَلَىٰ هَذَا آخِرُ الْآيَةِ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ كَذَا فَسَّرَهُ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ وَمُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَيُثْبِتُ ذَلِكَ السُّنَّةُ.

وفي الباب حديث سُهَيْلٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا، إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ، أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَىٰ شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ**» وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ(١).

قَالَ الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِمَّا يُلْبِسُونَ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا عِلْمَ مَعَهُ احْتَجُّوا بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] وَبِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَطْلُبُونَ بِهِ الْفِتْنَةَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] وَعِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ فَهُوَ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: مِمَّا جَاءَتْ بِهِ السُّنَنُ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧]، ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٠] وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

ﱡﭐﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﱠ فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ إِلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَهُ مَنْ فِي الْأَرْضِ، إِلَهٌ يُعْبَدُ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَهٌ يُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ، هَكَذَا فَسَّرَهُ الْعُلَمَاءُ فِيمَا ذَكَرْتُهُ وَبَيَّنْتُهُ مُقْنِعٌ لِأَهْلِ الْحَقِّ إِشْفَاقًا عَلَيْهِمْ، لِئَلَّا يُدَاخِلَ قُلُوبَهُمْ مِنْ تَلْبِيسِ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِمَّنْ يَمِيلُ بِقَبِيحِ مَذْهَبِهِ السُّوءِ إِلَىٰ اسْتِمَاعِ الْغِنَاءِ مِنَ الْغِلْمَانِ الْمُرْدِ يَتَلَذَّذُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُحِبُّ الِاسْتِمَاعَ مِنَ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ، وَيَرْقُصُ وَيَزْفِنُ، قَدْ ظَفَرَ بِهِ الشَّيْطَانُ فَهُوَ يَلْعَبُ بِهِ مُخَالِفًا لِلْحَقِّ، لَا يَرْجِعُ فِي فِعْلِهِ إِلَىٰ كِتَابٍ وَلَا إِلَىٰ سُنَّةٍ، وَلَا إِلَىٰ قَوْلِ الصَّحَابَةِ، وَلَا مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَلَا قَوْلِ إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا يُخْفُونَ مِنَ الْبَلَاءِ مِمَّا لَا يَحْسُنُ ذِكْرُهُ أَقْبَحُ، وَيَدَّعُونَ أَنَّ هَذَا دِينٌ يَدِينُونَ بِهِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ قَبِيحِ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَنَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

وفي الباب حديث معاوية بن الحكم السلمي: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَىٰ غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «**ائْتِنِي بِهَا**» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»(١).

وقَوْله ﷺ: «**أَيْنَ اللهُ؟، قَالَتْ: فِي السَّمَاء قَالَ: مَنْ أَنَا؟، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُول اللهِ، قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَة**» فِيهِ: دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْكَافِرَ لَا يَصِيرُ مُؤْمِنًا إِلَّا بِالْإِقْرَارِ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَبِرِسَالَةِ النبي ﷺ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَاعْتَقَدَ ذَلِكَ جَزْمًا، كَفَاهُ ذَلِكَ فِي صِحَّةِ إِيمَانِهِ، وَكَوْنِهِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَالْجَنَّة، وَلَا يُكَلَّفُ مَعَ هَذَا إِقَامَةَ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَا يَلْزَمُهُ مَعْرِفَةُ الدَّلِيل،

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧)، وغيره من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه مرفوعًا.

وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُور، وَبِاللهِ التَّوْفِيق(١).

باب الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ طه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١١-١٤] إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ.

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ النَّمْلِ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النمل: ٨-٩]

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ وَالنَّازِعَاتِ: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ٩-١٦].

وعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ أَرِنَا آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَرَاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْتَ الَّذِي نَفَخَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَعَلَّمَكَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ فَسَجَدُوا لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ**

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم - (ج ٢/ ص ٢٩٨).

عَلَىٰ أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ لَهُ آدَمُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَىٰ قَالَ: أَنْتَ نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ أَنْتَ الَّذِي كَلَّمَكَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا وَجَدْتَ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي كِتَابِ اللهِ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَلِمَ تَلُومُنِي فِي شَيْءٍ قَدْ سَبَقَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ الْقَضَاءُ قَبْلِي؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ»[(١)].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ فَقَالَ مُوسَىٰ أَنْتَ آدَمُ أَبُونَا أَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ وَأَشْقَيْتَنَا قَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ يَعْنِي التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ قَالَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ»[(٢)].

❍ **من فقه الباب:**

علىٰ المؤمن أن يثبت ما أثبته الله لنفسه دون تكييف أو تشبيه أو تعطيل أو تحريف كما سبق بيانه وأن يطهر نفسه من رجس التشبيه والتحريف قال الإمام الآجري رَحِمَهُ اللهُ: فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ ﷻ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَىٰ فَقَدْ رَدَّ نَصَّ الْقُرْآنِ وَكَفَرَ بِاللهِ الْعَظِيمِ فَإِنْ قَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ كَلَامًا فِي الشَّجَرَةِ، فَكَلَّمَ بِهِ مُوسَىٰ قِيلَ لَهُ: هَذَا هُوَ الْكُفْرُ، لِأَنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ الْكَلَامَ مَخْلُوقٌ، تَعَالَىٰ اللهُ ﷻ عَنْ ذَلِكَ وَيَزْعُمُ أَنَّ مَخْلُوقًا يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ، وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْقَوْلِ وَأَسْمَجِهِ وَقِيلَ لَهُ: يَا مُلْحِدُ، هَلْ يَجُوزُ لِغَيْرِ اللهِ أَنْ يَقُولَ: إِنَّنِي أَنَا اللهُ؟ نَعُوذُ بِاللهِ أَنْ يَكُونَ قَائِلُ هَذَا

---

(١) صحيح، وإسناده حسن: أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٠٢)، والدارمي في الرد علىٰ الجهمية (٢٩٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١٣٧)، وغيرهم من حديث عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

فيه هشام بن سعد: صدوق.

قلت: والحديث له طرق كثيرة في الصحيحين وغيرهما يصحح بها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).

مُسْلِمًا، هَذَا كَافِرٌ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَرَجَعَ عَنْ مُذْهَبِهِ السُّوءِ وَإِلَّا قَتَلَهُ الْإِمَامُ، فَإِنْ لَمْ يَقْتُلْهُ الْإِمَامُ وَلَمْ يَسْتَتِبْهُ وَعُلِمَ مِنْهُ أَنَّ هَذَا مَذْهَبُهُ هُجِرَ وَلَمْ يُكَلَّمْ، وَلَمْ يُسَلَّمْ عَلَيْهِ وَلَمْ يُصَلَّ خَلْفَهُ، وَلَمْ تُقْبَلْ شَهَادَتُهُ، وَلَمْ يُزَوِّجْهُ الْمُسْلِمُ كَرِيمَتَهُ.

بَابُ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فَيَقُولُ: مِنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُمْهِلُ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ شَطْرُ اللَّيْلِ نَزَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ**»(٢).

وعن رِفَاعَةُ بْنُ عَرَابَةَ الْجُهَنِيُّ قَالَ: صَدَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا مَضَىٰ شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ قَالَ: ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي أُعْطِيهِ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي أَسْتَجِيبُ لَهُ؟ مَنْ ذَا يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ**»(٣).

---

(١) البخاري (١١٤٥) ومسلم (٥٤٥) غيرهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) مسلم (٧٥٨) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه في سننه (١٣٦٧)، والطيالسي في مسنده (١٣٨٨)، وأحمد في مسنده (١٦٢١٥)، وغيرهم من طريق يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

=

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ يُقَالُ لَهُ عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ، وَكَانَ تَابَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ بِمَكَّةَ، ثُمَّ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَجَاءَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي مِمَّا أَنْتَ بِهِ عَالِمٌ، وَأَنَا بِهِ جَاهِلٌ، وَأْتِنِي بِمَا يَنْفَعُنِي، وَلَا تُطَوِّلْ؛ فَأَيُّ صَلَاةِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سَلِيمَةٌ؟ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: أَيُّ صَلَاةِ الْمُتَطَوِّعِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**حِينَ يَذْهَبُ ثُلُثُ اللَّيْلِ، أَوْ قَالَ: حِينَ يَنْتَصِفُ اللَّيْلُ، فَتِلْكَ السَّاعَةُ الَّتِي يَنْزِلُ فِيهَا الرَّحْمَنُ عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُذْنِبٍ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ فَأُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ، أَمْ هَلْ مِنْ عَانٍ يَرْعَنُ إِلَيَّ فَأَفُكَّ عَانَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَقَ الْفَجْرُ صَعِدَ الرَّحْمَنُ عَزَّوَجَلَّ الْعَلِيُّ الْأَعْلَىٰ**»[(١)].

وعَنْ جبير بن مطعم: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ**»؟[(٢)].

❍ **من فقه الباب:**

قَالَ الإمام الآجري: الْإِيمَانُ بِهَذَا وَاجِبٌ، وَلَا يَسَعُ الْمُسْلِمُ الْعَاقِلُ أَنْ يَقُولَ: كَيْفَ يَنْزِلُ؟ وَلَا يَرُدُّ هَذَا إِلَّا الْمُعْتَزِلَةُ وَأَمَّا أَهْلُ الْحَقِّ فَيَقُولُونَ: الْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ بِلَا كَيْفٍ، لِأَنَّ الْأَخْبَارَ قَدْ صَحَّتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَىٰ**

= * فيه يَحْيَىٰ بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: ثقة يدلس وقد صرح بالتحديث عند الدارقطني في النزول (٦٩)، وذكره ابن حجر في الطبقة الثانية من مراتب التدليس.

(١) **صحيح**: أخرجه الدارقطني في النزول (١٢) من طريق عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

قلت: رجاله ثقات، وفيه عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ: ثقة غمزه الثوري للقدر كما قال الذهبي.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (١٦٧٤٥)، والنسائي في الكبرىٰ (١٠٢٤٨)، والدارمي في سننه (١٥٢١)، وغيرهم من طريق نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ» وَالَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا هَذِهِ الْأَخْبَارَ هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا الْأَحْكَامَ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَعِلْمَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، فَكَمَا قَبِلَ الْعُلَمَاءُ عَنْهُمْ ذَلِكَ كَذَلِكَ قَبِلُوا مِنْهُمْ هَذِهِ السُّنَنَ، وَقَالُوا: مَنْ رَدَّهَا فَهُوَ ضَالٌّ خَبِيثٌ، يَحْذَرُونَهُ وَيُحَذِّرُونَ مِنْهُ. قَدْ رَوَىٰ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ بِسُنَنٍ ثَابِتَةٍ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَنْ رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قِيلَ: رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ كَذَلِكَ، وَرَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ كَذَلِكَ وَرَوَاهُ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ كَذَلِكَ، وَرَوَاهُ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ كَذَلِكَ، وَرَوَاهُ رِفَاعَةُ الْجُهَنِيُّ كَذَلِكَ، وَرَوَاهُ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ كَذَلِكَ كُلُّ هَؤُلَاءِ رَوَوْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرُهُمْ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، بِالْأَسَانِيدِ الصِّحَاحِ الَّتِي لَا يَدْفَعُهَا الْعُلَمَاءُ.

بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ بِلَا كَيْفٍ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «لَا تَقُلْ: قَبَّحَ اللهُ وَجْهَكَ، وَلَا وَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ»(٢).

○ من فقه الباب:

* قال الحافظ في الفتح (ج ٨/ ص ٣١): اخْتُلِفَ فِي الضَّمِير عَلَىٰ مَنْ يَعُود؟، فَالْأَكْثَر عَلَىٰ أَنَّهُ يَعُودُ عَلَىٰ الْمَضْرُوبِ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ الْأَمْر بِإِكْرَامِ وَجْهه، وَلَوْلَا أَنَّ الْمُرَاد التَّعْلِيل بِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِهَذِهِ الْجُمْلَة اِرْتِبَاط بِمَا قَبْلهَا.

---

(١) البخاري (٢٥٥٩)، ومسلم (٢٦١٢)، وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده (٧٤٢٠)، وابن حبان في صحيحه (٥٧١٠)، والآجري في الشريعة (٧٢٣)، وغيرهم من طريق ابْن عَجْلَانَ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه ابن عجلان: صدوق.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: أَعَادَ بَعْضُهُمْ الضَّمِيرَ عَلَىٰ اللهِ مُتَمَسِّكًا بِمَا وَرَدَ فِي بَعْض طُرُقه «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَم عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمَن**»[1]، قَالَ: وَكَأَنَّ مَنْ رَوَاهُ أَوْرَدَهُ بِالْمَعْنَىٰ مُتَمَسِّكًا بِمَا تَوَهَّمَهُ فَغَلِطَ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ أَنْكَرَ الْمَازِرِيّ وَمَنْ تَبِعَهُ صِحَّة هَذِهِ الزِّيَادَة ثُمَّ قَالَ: وَعَلَىٰ تَقْدِيرِ صِحَّتِهَا فَيُحْمَلُ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِالْبَارِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قُلْت: الزِّيَادَة أَخْرَجَهَا اِبْن أَبِي عَاصِم فِي «السُّنَّة» وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيث اِبْن عُمَر بِإِسْنَادٍ رِجَالُهُ ثِقَات، وَأَخْرَجَهَا اِبْن أَبِي عَاصِمٍ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظٍ يَرُدُّ التَّأْوِيلَ الْأَوَّل، قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ فَلْيَجْتَنِب الْوَجْه، فَإِنَّ صُورَةَ وَجْهِ الْإِنْسَان عَلَىٰ صُورَةِ وَجْهِ الرَّحْمَنِ»، فَتَعَيَّنَ إِجْرَاءُ مَا فِي ذَلِكَ عَلَىٰ مَا تَقَرَّرَ بَيْن أَهْل السُّنَّة مِنْ إِمْرَاره كَمَا جَاءَ مِنْ غَيْر اِعْتِقَادِ تَشْبِيهٍ، أَوْ مِنْ تَاوِيلِهِ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِالرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَزَعَمَ بَعْضُهمْ أَنَّ الضَّمِيرَ يَعُودُ عَلَىٰ آدَم، أَيْ: عَلَىٰ صِفَتِهِ، أَيْ خَلَقَهُ مَوْصُوفًا بِالْعِلْمِ الَّذِي فَضَلَ بِهِ الْحَيَوَان، وَهَذَا مُحْتَمَل، وَقَدْ قَالَ الْمَازِرِيّ: غَلِطَ اِبْن قُتَيْبَة فَأَجْرَىٰ هَذَا الْحَدِيث عَلَىٰ ظَاهِره وَقَالَ: صُورَةٌ لَا كَالصُّوَرِ وَقَالَ الْكَرْمَانِيُّ فِي «كِتَاب السُّنَّة» سَمِعْت إِسْحَاق بْن رَاهْوَيْهِ يَقُولُ: صَحَّ أَنَّ اللهَ خَلَقَ آدَم عَلَىٰ صُورَة الرَّحْمَن. وَقَالَ إِسْحَاق الْكَوْسَج: سَمِعْت أَحْمَدَ يَقُولُ: هُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. وَقَالَ الطَّبَرَانِيُّ فِي كِتَاب السُّنَّة: «حَدَّثَنَا عَبْد الله بْن أَحْمَد بْن

---

(١) ضعيف بهذا اللفظ: أخرجه الحارث في مسنده (٨٧٢)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٩٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٥١٧)، وغيرهم من طريق الْأَعْمَشِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاح ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا بلفظ «علىٰ صورة الرحمن».

* فيه حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ مدلس ولم يصرح بالتحديث، وقال القطان: له غير حديث عن عطاء لا يتابع عليه، وليست بمحفوظة. قال العقيلىٰ: وله عن عطاء أحاديث لا يتابع عليها.

* فيه عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ: قال ابن أبىٰ حاتم فى «المراسيل»: قال أحمد بن حنبل: لم يسمع عطاء من ابن عمر. وقال علىٰ ابن المدينىٰ، وأبو عبد الله: رأىٰ ابن عمر ولم يسمع منه.

قلت: فهو ضعيف بهذا اللفظ.

حَنْبَل قَالَ: قَالَ رَجُل لِأَبِي: إِنَّ رَجُلًا قَالَ: خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِه - أَيْ صُورَةِ الرَّجُل - فَقَالَ: كَذِب، هُوَ قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ». وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيّ فِي «الْأَدَب الْمُفْرَد» وَأَحْمَد عَنْ أَبِي هُرَيْرَة مَرْفُوعًا: «لَا تَقُولَنَّ قَبَّحَ اللهُ وَجْهَك، وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَك، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِه» وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي عَوْدِ الضَّمِيرِ عَلَىٰ الْمَقُولِ لَهُ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ أَخْرَجَهُ اِبْن أَبِي عَاصِم أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَة بِلَفْظِ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدكُمْ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْه، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَم عَلَىٰ صُورَة وَجْهه».

قَالَ الآجري رَحِمَهُ اللهُ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الزُّبَيْرِيَّ رَحِمَهُ اللهُ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَىٰ هَذَا الْحَدِيثِ، فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قِيلَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: نُؤْمِنُ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ الَّتِي جَاءَتْ، كَمَا جَاءَتْ، وَنُؤْمِنُ بِهَا إِيمَانًا، وَلَا نَقُولُ: كَيْفَ؟ وَلَكِنْ نَنْتَهِي فِي ذَلِكَ إِلَىٰ حَيْثُ انْتُهِيَ لَنَا، فَنَقُولُ مِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ كَمَا جَاءَتْ.

بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ قُلُوبَ الْخَلَائِقِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ بِلَا كَيْفٍ وَأَنه يحول بين المرء وقلبه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٨-٨٩].

وقَالَ تعالَىٰ: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف: ١٣-١٤].

وقَالَ تعالَىٰ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

وعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَزَّ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يَصْرِفُ كَيْفَ شَاءَ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قَلْبِي لِطَاعَتِكَ**»(١).

وعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ: مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**» قُلْتُ: أَتَخْشَىٰ عَلَيْنَا؟ فَقَالَ: «**إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ** عَزَّ وَجَلَّ**، مَا شَاءَ أَزَاغَ، وَمَا شَاءَ أَقَامَ**»(٢).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**»، فَيُقَالُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَخْشَىٰ عَلَيْنَا وَقَدْ آمَنَّا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٥٤) وغيره من حديث عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) صحيح وإسناده حسن: أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٢٢)، وأحمد في مسنده (٢٦٥١٩) والطيالسي في مسنده (١٧١٣) وغيرهم من طريق شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها مرفوعًا.

* فيه شهر بن حوشب: صدوق كثير الأوهام، ولكن روي من طريق عبد الحميد بن بهرام عنه، وهو ممن يحتمل في روايته، فقد قال أحمد بن حنبل: حديثه عن شهر مقارب، كان يحفظها كأنه يقرأ سورة من القرآن. قال علىٰ ابن المدينىٰ: ثقة عندنا، وإنما كان يروىٰ عن شهر بن حوشب من كتاب كان عنده.

* وأصل الحديث عند مسلم من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا.

بِكَ، وَآمَنَّا بِمَا جِئْتَ بِهِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ قُلُوبَ الْخَلَائِقِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ، إِنْ شَاءَ هَكَذَا، وَإِنْ شَاءَ هَكَذَا»(١).

وعن النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِذَا شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ» قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ»(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كَثِيرًا مِمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْلِفُ: «لَا وَمُقَلِّبِ القُلُوبِ»(٣).

○ من فقه الباب:

قوله تعالىٰ: ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾: الْمَشْهُور فِي الْآيَة أَنه يَحول بَين الْمُؤمنِ وَبَين الْكفْر، وَبَين الْكَافِرِ وَبَين الْإِيمَان، ويَحولُ بَين أهل طَاعَته وَبَين مَعْصِيَته، وَبَين أهل مَعْصِيَته وَبَين طَاعَته، وَهَذَا قَولُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجُمْهُورِ الْمُفَسّرين. الفوائد لابن القيم (ص٩٠).

* قول الصحابة في حديث أنس السابق «يَا رَسُولَ اللهِ أَتَخْشَىٰ عَلَيْنَا وَقَدْ آمَنَّا بِكَ، وَآمَنَّا بِمَا جِئْتَ بِهِ»: أَيْ أَنَّ قَوْلَك هَذَا لَيْسَ لِنَفْسِك، لِأَنَّك فِي عِصْمَةٍ مِنْ الْخَطَأِ وَالزَّلَّةِ، خُصُوصًا مِنْ تَقَلُّبِ الْقَلْبِ عَنْ الدِّينِ وَالْمِلَّةِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ تَعْلِيمُ الْأُمَّةِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا مِنْ زَوَالِ نِعْمَةِ الْإِيمَانِ؟، أَوْ الِانْتِقَالِ مِن الْكَمَالِ إِلَىٰ النُّقْصَانِ؟.تحفة (٥/ ٤٢٨).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (٢١٤٠)، وأحمد في مسنده (١٢١٠٧) من طريق الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه في سننه (١٩٩)، وأحمد في مسنده (١٧٦٣٠)، والنسائي في الكبرىٰ (٧٦٩١) من حديث النَّوَّاس بْن سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (٦٦١٧) وغيره من حديث عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

قَالَ الرَّاغِب: تَقْلِيبُ اللهِ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَار: صَرْفهَا عَنْ رَأْيٍ إِلَىٰ رَأْيٍ، وَالتَّقَلُّبُ التَّصَرُّف، قَالَ تَعَالَىٰ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ [النحل: ٤٦] قَالَ: وَسُمِّيَ قَلْبُ الْإِنْسَانِ لِكَثْرَةِ تَقَلُّبِهِ. وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْر بْن الْعَرَبِيّ: الْقَلْب جُزْء مِن الْبَدَن، خَلَقَهُ الله، وَجَعَلَهُ لِلْإِنْسَانِ مَحَلّ الْعِلْم وَالْكَلَام، وَغَيْر ذَلِكَ مِن الصِّفَات الْبَاطِنَة، وَجَعَلَ ظَاهِر الْبَدَن مَحَلَّ التَّصَرُّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ وَالْقَوْلِيَّةِ، وَوَكَّلَ بِهَا مَلَكًا يَأْمُر بِالْخَيْرِ، وَشَيْطَانًا يَأْمُر بِالشَّرِّ، فَالْعَقْل بِنُورِهِ يَهْدِيهِ، وَالْهَوَىٰ بِظُلْمَتِهِ يُغْوِيهِ، وَالْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ مُسَيْطِرٌ عَلَىٰ الْكُلِّ، وَالْقَلْبُ يَتَقَلَّبُ بَيْن الْخَوَاطِر الْحَسَنَة وَالسَّيِّئَة، وَاللَّمَّة مِن الْمَلَك تَارَةً وَمِن الشَّيْطَان أُخْرَىٰ، وَالْمَحْفُوظُ مَنْ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَىٰ. فتح الباري (١٨/ ٤٨٣)

وَمَعْنَىٰ قَوْله تعالىٰ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠] أَيْ: نُصَرِّفُهَا بِمَا شِئْنَا، كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيره، وَقَالَ الْمُعْتَزِلِيّ: مَعْنَاهُ نَطْبَعُ عَلَيْهَا فَلَا يُؤْمِنُونَ، وَالطَّبْع عِنْدهمْ: التَّرْك، فَالْمَعْنَىٰ عَلَىٰ هَذَا: «نَتْرُكُهُمْ وَمَا اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ»، وَلَيْسَ هَذَا مَعْنَىٰ التَّقْلِيب فِي لُغَة الْعَرَب؛ وَلِأَنَّ الله تَمَدَّحَ بِالِانْفِرَادِ بِذَلِكَ، وَلَا مُشَارَكَة لَهُ فِيهِ، فَلَا يَصِحُّ تَفْسِيرُ الطَّبْع بِالتَّرْكِ، فَالطَّبْعُ عِنْد أَهْل السُّنَّة: خَلْقُ الْكُفْرِ فِي قَلْبِ الْكَافِرِ، وَاسْتِمْرَارُهُ عَلَيْهِ إِلَىٰ أَنْ يَمُوت. فَمَعْنَىٰ الْحَدِيث: أَنَّ الله يَتَصَرَّف فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ بِمَا شَاءَ، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، وَلَا تَفُوتُهُ إِرَادَة. وَقَالَ الْبَيْضَاوِيّ: فِي نِسْبَة تَقَلُّب الْقُلُوبِ إِلَىٰ الله إِشْعَار بِأَنَّهُ يَتَوَلَّىٰ قُلُوبَ عِبَاده وَلَا يَكِلُهَا إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِه، وَفِي دُعَائِهِ ﷺ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِك**» إِشَارَةٌ إِلَىٰ شُمُولِ ذَلِكَ لِلْعِبَادِ، حَتَّىٰ الْأَنْبِيَاء، وَرَفْع تَوَهُّم مَنْ يَتَوَهَّم أَنَّهُمْ يُسْتَثْنَوْنَ مِنْ ذَلِكَ، وَخَصَّ نَفْسَهُ بِالذِّكْرِ إِعْلَامًا بِأَنَّ نَفْسَهُ الزَّكِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مُفْتَقِرَةً إِلَىٰ أَنْ تَلْجَأَ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانه، فَافْتِقَارُ غَيْرِهَا مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ أَحَقُّ بِذَلِكَ. فتح الباري (ج٢٠/ ص ٤٦٤).

بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ كُلَّهَا عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ.

عن عَبْد اللهِ بن مسعود: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ فَقَالَ: يَا أَبَا القَاسِمِ، إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالخَلَائِقَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَنَا المَلِكُ، «**فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١][(١)].

~~~

بَابُ الإيمان بِأَنَّ اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ يَقْبِضُ الْأَرْضَ بِيَدِهِ وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقْبِضُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْأَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ**»؟[(٢)].

~~~

بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا لِلْمُؤْمِنِ

عن أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ عَزَّوَجَلَّ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ حَتَّىٰ تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٥)، ومسلم (٢٧٨٦) من حديث عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥١٩)، ومسلم (٢٧٨٧) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤) من طريق أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَدَيْنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو وَبَلَغَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ: «الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ بِحُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا»(١).

بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ وَخَطَّ التَّوْرَاةَ لِمُوسَى بِيَدِهِ، وَخَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ وَقَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُنْ فَكَانَ، فَسُبْحَانَهُ

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨-٣١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: يَا آدَمُ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْكُنَ الْجَنَّةَ»(٢).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ مُوسَىٰ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا أَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ فَقَالَ آدَمُ: يَا مُوسَىٰ، اصْطَفَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، تَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧)، وغيره من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٢).

عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ»(١).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ: آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْعَرْشَ، وَالْقَلَمَ، وَجَنَّاتِ عَدْنٍ، ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُنْ فَكَانَ**»(٢).

بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الْآيَةُ.

وعَنْ أَبِي مُوسَىٰ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(٣).

○ من فقه الأبواب السابقة:

قَالَ الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: نَعُوذُ بِاللهِ مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِجَمِيعِ مَا ذَكَرْنَا، وَإِنَّمَا لَا يُؤْمِنُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ الْجَهْمِيَّةُ الَّذِينَ خَالَفُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَسُنَّةَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ وَخَالَفُوا أَئِمَّةَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ عَقَلَ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَحْذَرَهُمْ عَلَىٰ دِينِهِ قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: إِنَّا لَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢)، وغيرهما.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (٢٢٩)، والحاكم في مستدركه (٣٢٤٤)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٢/ ٥٧٨)، وغيرهم من طريق عُبَيْدٍ الْمُكْتِبِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا موقوفًا.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٩)، وغيره من حديث أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

فينبغي على المؤمن أن يعلم أنه لا طريق لمعرفة الإنسان المسلم صفات ربه العلا، وأسمائه الحسنىٰ إلا عن طريق الوحي، وأسماء الله وصفاته توقيفية؛ فما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله ﷺ أثبتناه، وما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ نفيناه، وحسبنا ما جاء في هذا القرآن وصحيح السنة.

باب في التعبد بأسماء الله وصفاته

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ **[الأعراف: ١٨٠]**....

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال الله تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

والنصوص في الباب كثيرة.

○ من فقه الباب:

الله عَزَّوَجَلَّ له الأسماء الحسنىٰ، والصفات العلا، وله الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، أنزل القرآن تبيانًا لكل شيء، فله الملك كله، وله الحمد كله، وله العزة كلها، وهو الغفور الرحيم، يُطاع فيشكر، ويُعصىٰ فيغفر، ويتوب علىٰ من استغفر، ويرحم إذا استرحم.

---

(١) البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧).

ولا يصلح لولاية الرحمن من لم يتأدب بآداب القرآن، ولم يتعبد بصفات الرحمن حسب الإمكان.

فالله سبحانه محسن أمر بالإحسان، رحمان أمر بالرحمة، عفو أمر بالعفو، غفور أمر بالمغفرة، جبار أمر بالجبر، حليم أمر بالحلم، عليم أمر بالعلم، شكور أمر بالشكر، سلام أمر بالسلام.. وهكذا في باقي الأسماء والصفات.

فمن تعبَّد بصفاته صلح لولايته ورضوانه، وفاز بدار كرامته.

فبالأبصار نرىٰ آياته ومخلوقاته، وآلاءه ونعمه.

وبالبصائر تشاهد القلوب ذاته وأسماءه وصفاته وإحسانه، فتعامله بما يليق بجلاله وجماله وإحسانه، ثم تأمر الجوارح بأن تعامله بما يليق بعظمته وكماله وعبوديته.

فالقلوب بحضرته تعظمه.. والجوارح علىٰ أبواب القلوب توقره وتطيعه وتعبده.. والله يعلم ويسمع ويرىٰ.

فلا يصلح أحد منهم لموالاته إلا أن يتعبد بآدابه، ويتصف بصفاته، تذللًا بعبادته، ومحبةً لطاعته، وتجملًا بصفاته.

وأفضل العباد في ذلك أكرمهم عليه، وأقربهم إليه، وأحبهم إليه.

❍ **وصفات الله عَزَّ وَجَلَّ نوعان:**

صفات ذاتية كالحياة والعلم ونحوهما.

وصفات فعلية كالخلق والرزق ونحوهما.

❍ **والصفات الذاتية نوعان:**

أحدهما: ما لا يمكن التعبد به، وهما الحياة والقدرة، إذ لا يمكن

اكتسابهما، لكن يجب حفظهما، وحفظ سائر منافع البدن وأعضائه، لنستعمل ذلك في طاعة الله ورضوانه.

وثمرة معرفتهما: التوكل على الله سبحانه، والالتجاء إليه، وإجلاله ومهابته، ورجاء إنعامه، وخوف انتقامه.

الثاني: ما يمكن التعبد به من سائر صفات الذات، فنتعبد بها على حسب الإمكان وهي:

١- **العلم:** فالله بكل شيء عليم.

والتعبد به: بأن تعرف ذات الله وأسماءه وصفاته، وأحكامه وأيامه، وحلاله وحرامه، وما يقربك إليه، وما يجعلك محبوبًا لديه.

وثمرة العلم بذلك: الخوف من مولاك، وحياؤك منه في أقوالك وأفعالك وسائر أحوالك، فإنه بكل شيء عليم.

٢- **الإرادة:** فالله مريد لكل شيء.

والتعبد بها: يكون بأن نتعبد بكل إرادة حثنا الشرع عليها، وندب إليها كإرادة الطاعات كلها، والعبادات بأسرها، وإخلاص العمل، وإرادة التقرب به، خوفًا من عقاب الله، أو رجاء لثوابه، أو حياء منه، أو محبة له، أو مهابة له.

وثمرة معرفة ذلك: الخوف والوجل الموجبان لاجتناب الزلل، وإصلاح العمل.

٣- **السمع:** فالله سميع عليم لا يخفى عليه شيء.

والتعبد به: يكون بأن نسمع كل ما فرض الله علينا سماعه أو ندب إليه كسماع كتابه وسنة رسوله، والعمل بموجبه.

وثمرة معرفة سمع الله: خوفك وحياؤك ومهابتك أن يسمع منك ما زجرك عنه من الأقوال، واجتناب كل قول لا يجلب نفعًا، ولا يدفع ضرًّا.

٤- البصر: فالله بصير لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

والتعبد به: يكون بالنظر في ملكوت السموات والأرض، والنظر للآيات الكونية، وعجائب المخلوقات نظر تدبر وتفكر، والنظر للآيات القرآنية والشرعية، وما فيها من الأحكام والعبر والسنن، والعمل بموجب ذلك.

وثمرة معرفة بصره: خوفك منه، وحياؤك ومهابتك أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.

٥- الكلام: فالله سبحانه يتكلم بما شاء في أي وقت شاء.

والتعبد به: يكون بذكره وشكره، وتلاوة كتابه، وتعليم دينه وشرعه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إليه.

وثمرة معرفة كلام الله: معرفة ذاته وأسمائه وصفاته، ومعرفة أمره ونهيه، وما يحبه وما يكرهه.

○ وأسماء الله وصفاته نوعان:

أحدهما: ما لا يمكن التعبد به، لاختصاصه به سبحانه كالخالق والبارئ، والمصور والإله ونحو ذلك.

الثاني: ما يمكن التعبد به حسب الإمكان، والناس فيه رتب ودرجات.

وينبغي للعبد أن يقابل كل صفة من صفات الرب بأفضل ما يلائمها من المعاملات، فيقابل جلاله بأفضل المهابات، إذ لا جلال كجلاله، ويقابل جماله بأفضل المحبات إذ لا جمال كجماله.

فإذا تعبدت بالإحسان، فأحسن إلىٰ كل من تقدر علىٰ الإحسان إليه، بكل

إحسان تقدر عليه، فإن قربك إلىٰ مولاك علىٰ حسب ما تتعبد به من صفاته.

فالملك: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، والمُلك تصرف عام مقيد بالعدل والإحسان، في كل عطاء وحرمان، ونصر وخذلان، وخفض ورفع.

والتعبد به لمن بلي به:

يكون بتنفيذ أوامر الله عَزَّوَجَلَّ.. برفع من يستحق الرفع.. وخفض من يستحق الخفض.. وإكرام من يستحق الإكرام.. وإهانة من يستحق الإهانة.. وقهر من يستحق القهر.. وجبر من يستحق الجبر.. وإغاثة المكروب.. ونصر المظلوم.. وإطعام الجوعان.. وكسوة العريان.. وإعانة المحتاج.

فمن فعل ذلك ابتغاء وجه الله أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وكان من أهل البر والإحسان.

والقدوس: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، وهو الطاهر من كل عيب ونقص.

والتعبد به: يكون بالتطهر من كل دنس وحرام، ومن كل مكروه ومشتبه، ومن كل فضل مباح شاغل عن الله سبحانه.

والسلام: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، إن أُخذ من السلامة من الآفات فلا تعبد به، لعدم إمكان ذلك، وإن أُخذ من تسليمه علىٰ عباده، فعليك بإفشاء السلام، وإن أُخذ من الذي سلم عباده من ظلمه، فالتعبد به يكون بأن يسلم الناس من ظلمك وغشك، وضررك وشرك، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

والمؤمن: من أسماء الله تبارك وتعالىٰ.

والتعبد به: يكون بأن تظهر من برك وخيرك ما يأمن الناس به من شرك وضيرك، وأن تسعىٰ لعباد الله في كل أمن.

والشهيد: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد به: يكون بأن تقوم بالشهادة في كل ما نفع وضر، وساء وسر.

والجبار: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد به: إن أخذ من الجبر والإصلاح؛ فالتعبد به أن تعامل عباده بكل خير وإصلاح تقدر عليه أو تصل إليه.

والمتكبر: من أسماء الله جَلَّجَلَالُهُ.

والتعبد به: إن أُخذ من تكبره علىٰ النقائص والآفات فهو كالقدوس، فتكبر عن كل خلق دنيء، ومظهر بذيء.

والرؤوف الرحيم: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد بهما: يكون برحمة كل من قدرت علىٰ رحمته، بأنواع ما تقدر عليه من الرأفة والرحمة، حتىٰ تنتهي رحمتك إلىٰ الذر والذباب والبهائم، ففي كل كبد رطبة أجر.

والغفار: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد به: بستر عيوب الناس، وغفر ذنوبهم، والصفح عنهم.

والحليم: من أسماء الله تبارك وتعالىٰ.

والتعبد به: أن تحلم عن كل من آذاك أو ظلمك وسبك وشتمك، فإن مولاك صبور حليم، بر كريم، يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

والتعبد بالصبر: أن تصبر علىٰ أذية المؤذين، وإساءة المسيئين، فإن الله يحب الصابرين، فكن منهم لتفوز بثواب الصابرين.

والعفو: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد به: بأن تعفو عن كل من جنىٰ عليك، أو أساء إليك، فإن الله يحب العافين عن الناس فكن منهم.

والمحسن: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد به: أن تحسن إلىٰ الخلق بما تستطيع، كما أحسن الله إليك بكل خير.

والتعبد بصفة الإنعام: أن تنعم علىٰ الخلق كما أنعم الله عليك.

وعليك بالبر الجزيل، والصفح الجميل، والصبر الجميل، والهجر الجميل، ونحو ذلك من صفات الملك الجليل.

فصل من قطعك.. وأعط من حرمك.. واعف عمن ظلمك.. واصبر علىٰ من شتمك.. وأحسن إلىٰ من أساء إليك.

والقيوم: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد به: بإحسان تدبير من اعتمد بعد الله عليك، أو فوض الله أمره إليك، بإحسان رعايته، والقيام بمصالحه، وقضاء حوائجه.

والقهار: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، وهو الذي يقهر عباده علىٰ تنفيذ مراده.

والتعبد به: بأن تقهر نفسك عن كل شر، وتقهر عدوك عن الظلم، وتقهر نفسك عن كل قاطع يقطعك عن طاعة مولاك، وإصلاح أُخراك.

وثمرة معرفته: الخوف الشامل، والوجل الكامل.

والتعبد بصفة الانتقام لمن ابتلي بشيء من الولايات، بالانتقام من الجناة والبغاة بالحدود والتعزيرات، والعقوبات المشروعات.

والتعبد بصفة العدل: أن يعدل فيما حكم به، مسويًا في حكمه بين الغني والفقير، والقوي والضعيف، والقريب والبعيد، وأن ينصف في وصله وقطعه، وبذله ومنعه.

والتعبد بصفة الفتح: أن يعدل في جميع أحواله، ويبذل ما يقدر عليه من الأرزاق في رضا الخلاق.

والتعبد بصفة اللطف: يكون بخوفك ومهابتك وحيائك ممن لا يخفىٰ عليه شيء، ولا يعزب عنه شيء.

والتعبد بصفة الرفق: يكون بالرفق بكل من أمرت بالتعامل معه من إنسان وحيوان، والرفق بنفسك أن تضل أو تزل أو تهلك، والرفق في كل عمل تؤديه.

والتعبد بصفة الشكر: يكون بطاعة الله، وشكره علىٰ نعمه، وشكر كل من أحسن إليك في جلب خير، أو دفع شر.

والغني: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد به: يكون بأن تغني كل محتاج بما تقدر عليه من علم ومال وغيرهما، فتذكر الغافل، وتعلم الجاهل، وتطعم الجائع، وتواسي المحتاج، وتحلم علىٰ السفيه.

والحفيظ: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد به: يكون بحفظ ما أمرت به من الطاعات والأمانات والعهود.

والمقيت: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد به: بإقاتة كل محتاج تقدر علىٰ نفعه من قريب أو بعيد، أو قادر أو عاجز، مقدمًا الأقرب فالأقرب، فكفىٰ بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت.

والحكيم: من أسماء الله سبحانه.

إن أُخذ من الحكمة فثمرة معرفته المهابة والإجلال.

والتعبد به: بمعرفة حكم الكتاب والسنة.

وإن أخذ من الإحكام والإتقان، فثمرة معرفته إجلال من عمت الأشياء حكمته.

والتعبد به: بإتقان أحوالك وأقوالك وأفعالك فيما يصلحك في عاجلك وآجلك.

والودود: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد به: بوداد مولاك، ومودة رسله، والصالحين من عباده.

والقوي: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

وثمرة معرفة قوة الله: مهابته وإجلاله، والاعتماد عليه.

والتعبد به: بأن تكون قويًّا في دينك، قويًّا شديدًا علىٰ أعداء الدين، مليًّا بطاعة مولاك، قويًّا في تنفيذ أوامره.

والتواب: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد به: بأن تحث المسيء علىٰ التوبة، وتقبل عذر من أساء إليك، وندم علىٰ جرأته عليك.

والولي: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

وثمرة معرفته: الاعتماد علىٰ تدبيره، والرضا بتقديره.

والتعبد بذلك لمن بلي بولاية: أن يجهد لمن تولي عليه، وينصح له بجلب ما يقدر عليه من المصالح، ودفع ما يقدر عليه من المفاسد.

والبر: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

وثمرة معرفته: رجاء أنواع بره وإحسانه.

والتعبد به: بأن تبر كل من تقدر علىٰ بره، بأحب أموالك إليك، وأنفسها لديك، وتخالق الناس بخلق حسن.

والتعبد بصفة الضر والنفع: يكون بنفع كل من أمرت بنفعه، وضر كل من أمرت بضره بحد أو قتل أو غيره من إنسان وحيوان، وصالح وطالح، وناطق وصامت.

والتعبد بصفة القبض والبسط: تكون بأن تبسط برك ومعروفك علىٰ كل محتاج، حتىٰ علىٰ الدواب والكلاب والذر، ففي كل كبد رطبة أجر.

وتقبض عن كل أحد ليس له أهلٌ، من مال وولاية، وعلم وحكمة، فالسفيه يتلف الأموال، والأخرق يفسد النظام.

والوهاب: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد به: يكون بكثرة الهبات والصلات، مقدمًا الأقرب فالأقرب، والأنفع فالأنفع، والصدقة علىٰ القريب صدقة وصلة.

والكريم: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد به: يكون بأن تجود بكل ما تقدر عليه من مال وجاه، وعلم وحكمة، وبر وإحسان، وتتكرم بذلك علىٰ خلق الله، ولا ترجو به إلا ثواب الله ورضاه.

والمجيب: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد به: يكون بإجابة مولاك فيما دعاك إليه من قرباته، وبإجابة كل داع إلىٰ ما يرضي مولاك من طاعة وعبادة.

والمجيد: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، وهو الذي كمل شرفه، وتم كماله وجلاله، في ذاته وأسمائه وصفاته.

وثمرة معرفته: المهابة والإجلال لذي الجلال والإكرام.

والتعبد به: يكون بما يمكن التعبد به مما سبق ذكره، فإنه شامل لجميع الصفات.

والحق: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد به: يكون بمتابعة الحق، وأن تكون من أهل الحق بكل حال، وأن تدعو للحق ما بقيت.

والهادي: من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والتعبد به: أن تكون هاديًا إلىٰ صراط الله المستقيم، وداعيًا إلىٰ الله، وإلىٰ دينه وشرعه.

وهكذا في باقي الأسماء والصفات.

باب وجوب الإيمان بالملائكة

قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾**[البقرة: ١٧٧].**

وقال تعالىٰ: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وفي حديث جبريل المشهور عن عمر رضي الله عنه مرفوعا: ... قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ[(١)].

❍ **من فقه الباب:**

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، التي لا يصح إيمان عبد ولا يقبل إلا بها.

وقد أجمع المسلمون علىٰ وجوب الإيمان بالملائكة الكرام، فمن أنكر وجودهم، أو وجود بعضهم ممن ذكره الله عز وجل فقد كفر وخالف الكتاب والسنة والإجماع.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من طريق يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

❍ كيفية الإيمان بالملائكة:

❍ الإيمان بالملائكة مجمل ومفصل:

❍ الإيمان المجمل يتضمن أمورًا منها:

الأول: الإقرار بوجودهم، وأنهم خلق من خلق الله، خلقهم الله لعبادته، وأن وجودهم حقيقي، وعدم رؤيتنا لهم لا يدل علىٰ عدم وجودهم، فكم من مخلوقات دقيقة في الكون لا نراها وهي موجودة حقيقة.

وقد رأي النبي ﷺ جبريل بصورته الحقيقية مرتين، ورأىٰ بعض الصحابة رضي الله عنهم بعض الملائكة وهم متمثلون بصورة البشر.

فقد روىٰ الإمامان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**رأىٰ رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، وكل جناح منها قد سدّ الأفق**»[(١)]، وقد ثبت في حديث جبريل المشهور والذي رواه مسلم[(٢)] أن جبريل عليه السلام جاء بصورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرىٰ عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد من الصحابة.

الثاني: إنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله، فهم عباد الله مأمورون، أكرمهم الله ورفع مقامهم وقربهم منه، وأن منهم رسل الله بالوحي وغيره، ولا يقدرون إلا علىٰ ما أقدرهم الله عليه، وهم مع هذا لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا من دون الله؛ ولذلك لا يجوز أن يصرف لهم شيء من أنواع العبادة فضلًا عن أن يوصفوا بصفات الربوبية كما زعمت النصارىٰ ذلك في روح القدس عليه السلام.

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (٨) من طريق يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

﴿يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وهذا القدر من الإيمان واجب علىٰ كل مسلم ومسلمة، يجب عليهم أن يتعلموه ويعتقدوه، ولا يُعذر بجهله.

❍ أما الإيمان المفصل بالملائكة فيتضمن أمورًا منها:

❍ أولًا: مادة خلقهم:

خلق الله تعالىٰ الملائكة من نور كما خلق سبحانه الجن من النار وخلق بني آدم من طين، وكان خلقهم قبل خلق آدم عليه السلام.

وقد جاء في الحديث «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»(١)

❍ ثانيًا: عدد الملائكة:

الملائكة خلق لا يحصىٰ عددهم إلا الله عز وجل لكثرتهم، فما في السماء من موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ساجد أو قائم، كما إن البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه من كثرتهم، ويؤتىٰ بالنار يوم القيامة ولها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. وجاء في الحديث أنه ﷺ قال: «**أَطَّت السماء وحق أن تَئِطَّ، ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد وراكع**»(٢). وقال ﷺ عن البيت المعمور: «**يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣١٢)، وأحمد في مسنده (٢١٥١٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا.

لا يعودون إليه»[1]، وقال ﷺ: **«يؤتي بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك»**[2].

وهنا يتبين لنا ضخامة عدد الملائكة، فهؤلاء مثلًا يبلغ عددهم أربعة آلاف وتسعمائة مليون ملك؛ فكيف ببقية الملائكة! سبحان من خلقهم وصرفهم وأحصاهم عددًا.

○ ثالثًا: أسماء الملائكة:

يجب الإيمان بمن سمىٰ الله لنا في القرآن أو سماه لنا رسوله ﷺ في السنة من الملائكة وأعظمهم ثلاثة:

الأول: جبريل، وقد يسمىٰ جبرائيل، وهو روح القدس الذي ينزل بالوحي الذي به حياة القلوب علىٰ الرسل عليهم السلام.

الثاني: ميكائيل، وقد يسمىٰ ميكال، وهو موكل بالمطر الذي به حياة الأرض يسوقه حيث أمره الله.

الثالث: إسرافيل. وهو موكل بالنفخ في الصور إيذانًا بانتهاء الحياة الدنيا وابتداء الحياة الآخرة، والذي به حياة الأجساد.

○ رابعًا: صفات الملائكة:

الملائكة خلق حقيقي، لهم أجسام حقيقية متصفة بصفات خلقية وخُلقيه فمن ذلك:

أ ـ عظم خلقهم وضخامة أجسامهم: خلق الله ﷻ الملائكة علىٰ صور

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).

عظيمة قوية تليق بأعمالهم الجليلة التي وكلهم الله بها في السموات والأرض.

ب ـ أن لهم أجنحة: خلق الله ﷻ للملائكة أجنحة مثنىٰ وثلاث ورباع، وقد تزيد علىٰ ذلك، كما رأىٰ رسول الله ﷺ جبريل علىٰ صورته له ستمائة جناح وقد سد الأفق. قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ [فاطر: ١].

ج ـ عدم حاجتهم للطعام والشراب: خلق الله ﷻ الملائكة لا يحتاجون إلىٰ طعام أو شراب ولا يتزوجون ولا يتناسلون.

د ـ الملائكة عقلاء ذوو قلوب: كلموا الله وكلمهم، كلموا آدم وغيره من الأنبياء.

هـ ـ قدرتهم علىٰ التمثل بغير صورتهم الحقيقة: أعطىٰ الله ملائكته قدرة علىٰ التمثل بصورة الذكور من البشر، وهذا فيه رد علىٰ الوثنيين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله.

ولا نعلم كيفية تمثلهم إلا أنهم يتمثلون بصورة دقيقة يصعب معها التفريق بينهم وبين البشر.

و- موت الملائكة: الملائكة يموتون جميعًا يوم القيامة بما فيهم ملك الموت، ثم يبعثون للقيام بأعمالهم التي وكلهم الله بها.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقال الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

ز- عبادة الملائكة: يعبد الملائكة الله ﷻ بعبادات منها الصلاة، والدعاء والتسبيح، والركوع، والسجود، والخوف والخشية والمحبة، وغير ذلك، قال

الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٤-١٦٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا﴾[الأنبياء: ١٩-٢٠].

وقال الله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

وقال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قِصَّةِ المعْراجِ أنَّ النَّبي ﷺ لما أَتىٰ السَّماءَ السَّابعةَ قَال: «**فَرُفِعَ لِيَ البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَال: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ**»[(١)].

ومن صفات عبادتهم ما يلي:

١ـ الدوام والاستمرار مع عدم الفتور.

٢ـ الإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣ـ لزوم الطاعة وترك المعصية لعصمتهم عن الذنوب والمعاصي.

٤ـ التواضع لله مع كثرة العبادة.

قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

---

(١) البخاري (٣٢٠٧) واللفظ له، ومسلم (١٦٢).

○ مراتب الملائكة:

الملائكة علىٰ درجات متفاوتة في الخلق والمقدار والرتب..

١- **فهم من حيث الطاعة لله:** منحهم الله الانقياد التام لأمره، والقوة علىٰ تنفيذه، وهم مجبولون علىٰ الطاعة: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

٢- **وهم من حيث العمل:** يعبدون الله، ويسبحون بحمده، كما قال عنهم: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

٣- **وهم من حيث الخلق:** عباد مكرمون، عابدون لله، خلقهم الله من نور، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، وهم درجات متفاوتة في الخلق بعضهم له جناحان، وبعضهم ثلاثة، وبعضهم أربعة، وبعضهم أكثر.

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

وَعَنْ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَىٰ جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ(١).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»**(٢).

٤- **وهم من حيث الرتبة:** لهم مقامات مختلفة عند ربهم.

---

(١) البخاري (٤٨٥٧)، واللفظ له، ومسلم (١٧٤).

(٢) **صحيح:** أخرجه أبو داود (٤٧٢٧)، انظر: السلسلة الصحيحة (١٥١).

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٤-١٦٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [الحاقة: ١٩-٢١].

وقال الله تعالىٰ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢].

○ صفوف الملائكة:

الملائكة خلق عظيم لا يحصيهم إلا الله، وقد كلفهم الله بتنفيذ أوامره في ملكه العظيم، وهم في اجتماعهم وعبادتهم يصفون صفوفًا منتظمة:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٤-١٦٦].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟ اسْكُنُوا فِي الصَّلاةِ**»، قال: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حِلَقًا، فَقَالَ: «مَالِي أَرَاكُمْ عِزِينَ؟»، قال: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «**أَلا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ المَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا**»؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَكَيْفَ تَصُفُّ المَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قال: «**يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ**»(١).

○ كثرة الملائكة:

الله جَلَّ جَلَالُهُ ملأ السماوات السبع بالملائكة الذين يعبدونه، ويسبحون بحمده، ويقدسونه، وما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد لله.

---

(١) مسلم (٤٣٠).

والملائكة الموكلون بالبشر لا يحصيهم إلا الله، فمع كل إنسان ملائكة لحفظه، وملكان لكتابة عمله، وقرين ملكي لهدايته وإرشاده.

والذين يصلون ويحجون ويطوفون بالبيت المعمور يوميًّا سبعون ألف ملك، وغيرهم كثير مما لا يحصيه إلا الذي أحصىٰ كل شيء عددًا.

عَنْ عَبْد الله بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»(١).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ المِعْرَاجِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لمَّا أَتىٰ السَّماءَ السَّابعَةَ قَالَ: «**رُفِعَ لِيَ البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقال: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ**»(٢).

وَعَنْ حَكيم بنِ حزَام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ؛ إِذْ قَالَ لَهُمْ: «**هَلْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟**» قَالُوا: مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ يَا رَسُولَ الله، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ، وَمَا تُلَامُ أَنْ تَئِطَّ، وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ إِمَّا سَاجِدٌ وَإِمَّا قَائِمٌ**»(٣).

○ خامسًا: أعمال الملائكة.

○ عمل الملائكة مع البشر:

للملائكة مع البشر ثلاثة أدوار:

الأول: دور عام مع جميع البشر:

---

(١) مسلم (٢٨٤٢).

(٢) البخاري (٣٢٠٧)، واللفظ له، ومسلم (١٦٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٩٥٦)، وهذا لفظه، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١٣٠٦).

وذلك بتشكيلهم للنطفة.. وحفظ الإنسان.. ومراقبته.. ونزع الروح ونحو ذلك مما كلفهم الله به.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦١-٦٢].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَكَّلَ اللهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا، قَالَ: أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَىٰ، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ، فَمَا الأَجَلُ، فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ**»(١).

الثاني: دور خاص مع المؤمنين، وأنواعه كثيرة منها:

١- محبتهم للمؤمنين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ**»(٢).

٢- صلاتهم علىٰ المؤمنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

٣- تأمينهم علىٰ دعاء المؤمنين:

عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعْوَةُ المَرْءِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ**

---

(١) البخاري (٦٥٩٥)، واللفظ له، ومسلم (٢٦٤٦).

(٢) البخاري (٣٢٠٩)، واللفظ له، ومسلم (٢٦٣٧).

الغَيْبِ مُسْتَجابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لأَخيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمينْ، وَلَكَ بِمِثْلٍ»(١).

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ»؛ فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «لا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ إِلا بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ المَلائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ»(٢).

٤- دعاؤهم للمؤمنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

٥- كتابتهم المسلمين الذين يحضرون الجمعة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ، وَقَفَتِ المَلائِكَةُ عَلَىٰ باب المَسْجِدِ، يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، وَمَثَلُ المُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَبْشًا، ثُمَّ دَجَاجَةً، ثُمَّ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ، وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»(٣).

٦- تعاقبهم علىٰ المؤمنين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ: مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاةِ الفَجْرِ وَصَلاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ

---

(١) مسلم (٢٧٣٣).

(٢) مسلم (٩٢٠).

(٣) البخاري (٩٢٩)، واللفظ له، ومسلم (٨٥٠).

يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»(١).

٧- تأمينهم في الصلاة مع المؤمنين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٢).

٨- مقاتلتهم مع المؤمنين:

قال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

٩- شهودهم مجالس العلم والذكر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا»(٣).

١٠- تبشيرهم المؤمنين بالخير:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ قال: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قال: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ القَرْيَةِ، قال: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قال: لا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قال: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»(٤).

---

(١) البخاري (٥٥٥)، واللفظ له، ومسلم (٦٣١).

(٢) البخاري (٧٨٠)، واللفظ له، ومسلم (٤١٠).

(٣) البخاري (٦٤٠٨)، واللفظ له، ومسلم (٢٦٨٩).

(٤) مسلم (٢٥٦٧).

١١- حمايتهم مكة والمدينة من الدجال:

عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إلا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إلا مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إلا عَلَيْهِ المَلائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَىٰ أَنْقَابِ المَدِينَةِ مَلائِكَةٌ، لا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلا الدَّجَّالُ**»(٢).

هذه بعض أعمال الملائكة مع المؤمنين.

فعلينا أن نتولىٰ جميع الملائكة بالحب والتوقير والإكرام، ونتجنب ما يسيء إليهم، وما يؤذيهم، من المعاصي والفواحش، والمحرمات والمنكرات، والروائح الكريهة، والصور والتماثيل، والأجراس والكلاب، والأقذار والأوساخ.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ البَصَلِ وَالكُرَّاثِ، فَغَلَبَتْنَا الحَاجَةُ فَأَكَلْنَا مِنْهَا، فَقَالَ: «**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ المُنْتِنَةِ فَلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ المَلائِكَةَ تَأَذَّىٰ مِمَّا يَتَأَذَّىٰ مِنْهُ الإِنْسُ**»(٣).

وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**لا تَدْخُلُ المَلائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلا صُورَةٌ**»(٤).

الثالث: دور الملائكة مع الكفار والفساق:

فالملائكة لا يحبون الكفار والظالمين والمجرمين والفساق، بل يعادونهم

---

(١) البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣)، واللفظ له.

(٢) البخاري (١٨٨٠)، واللفظ له، ومسلم (١٣٧٩).

(٣) البخاري (٨٥٥)، ومسلم (٥٦٤)، واللفظ له.

(٤) البخاري (٣٣٢٢)، واللفظ له، ومسلم (٢١٠٦).

ويحاربونهم ويلعنونهم.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦١-١٦٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا بَاتَتِ المَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّىٰ تَرْجِعَ**»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ أَبَا القَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَشَارَ إِلَىٰ أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ المَلائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّىٰ يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ**»(٢).

○ فضل الملائكة والمؤمنين:

١- الملائكة أفضل من المؤمنين باعتبار البداية: فالملائكة الآن في الرفيق الأعلىٰ، مستغرقون في عبادة الله، ومنزهون عما يلابسه البشر من الغفلة والمعاصي، وهذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر.

٢- والمؤمنون أفضل من الملائكة باعتبار كمال النهاية، إذا دخلوا الجنة.. وسكنوا الدرجات العلا... وكانوا في قرب ربهم.. ورأوه في الجنة.. ورضي عنهم... وقامت الملائكة في خدمتهم والسلام عليهم وإكرامهم.

○ عمل الملائكة في الآخرة:

ينزل الله جل جلاله يوم القيامة لفصل القضاء، ويحمل عرشه العظيم ثمانية من

---

(١) البخاري (٥١٩٤)، واللفظ له، ومسلم (١٤٣٦).

(٢) مسلم (٢٦١٦).

الملائكة، وتجيء الملائكة صفًّا صفًّا، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١-٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

وقال الله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣٠-٣١].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

○ ما لا يوصف به الملائكة:

١- الملائكة لا يوصفون بالذكورة والأنوثة.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

٢- الملائكة لا يأكلون ولا يشربون.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٦٩-٧٠].

٣- الملائكة لا يملون ولا يتعبون ولا ينامون.

قال الله تعالىٰ: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ [فصلت: ٣٨].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[الأنبياء: ١٩-٢٠].

سادسًا: حقوق الملائكة على بني آدم:

أ- الإيمان بهم.

ب- محبتهم وتعظيمهم وذكر فضائلهم.

ج- تحريم سبّهم أو تنقصهم أو الاستهزاء بهم.

د- البعد عما يكرهه الملائكة، فإنهم يتأذون مما يتأذىٰ منه بنو آدم.

❍ ثمرات الإيمان بالملائكة:

أ- تحقيق الإيمان، فإن الإيمان لا يصح إلا بالإيمان بهم.

ب- العلم بعظمة خالقهم تبارك وتعالىٰ وقوته وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

ج- زيادة الإيمان في قلب المسلم بمعرفة صفاتهم وأحوالهم، ووظائفهم.

د- الأمن والطمأنينة للمؤمنين عند تثبيت الله لهم بالملائكة.

هـ- محبة الملائكة علىٰ ما قاموا به من عبادات علىٰ الوجه الأكمل واستغفارهم للمؤمنين.

و- بغض الأعمال الفاسدة والمعاصي.

ز- شكر الله ﷻ علىٰ عنايته بعباده، حيث وكَّل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم.

باب وجوب الإيمان بالكتب السماوية

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨-١٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٤-٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٢- ٥٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٣-٨٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ [البقرة: ١٢١].

وفي الباب حديث جبريل المشهور السابق ذكره وفيه (.... **قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ**)(١).

○ من فقه الباب:

الإيمان بكتب الله المنزلة علىٰ رسله عليهم الصلاة والسلام هو الركن الثالث من أركان الإيمان، فإن الله تعالىٰ قد أرسل رسله بالبينات وأنزل عليهم الكتب رحمة للخلق وهداية لهم لتتحقق سعادتهم في الدنيا والآخرة، ولتكون منهجًا يسيرون عليه وحاكمة بين الناس فيما اختلفوا فيه.

(١) حقيقة الإيمان بالكتب:

الإيمان بالكتب هو التصديق الجازم بأن لله كتبًا أنزلها علىٰ رسله عليهم الصلاة والسلام، وهي من كلامه حقيقة، وأنها نور وهدىٰ، وأن ما تضمنته حق وصدق وعدل يجب اتباعه والعمل به، ولا يعلم عددها إلا الله.

قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، **وقال تعالىٰ** ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

(٢) حكم الإيمان بالكتب:

يجب الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله علىٰ رسله عليهم الصلاة السلام، وأن الله تبارك وتعالىٰ قد تكلم بها حقيقة، وأنها منزلة غير مخلوقة، ومن جحدها أو جحد شيئًا منها فقد كفر.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من طريق يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

(٣). حاجة الناس للكتب والحكمة من إنزالها:

أولًا: ليكون الكتاب المنزل علىٰ الرسول هو المرجع لأمته، فيرجعون إليه لمعرفة دينهم.

ثانيًا: ليكون الكتاب المنزل علىٰ الرسول هو الحكم العدل لأمته في كل ما يختلفون فيه.

ثالثًا: ليقوم الكتاب المنزل بحفظ الدين بعد موت الرسول مهما تباعدت الأمكنة والأزمنة، كما هو الحال في دعوة نبينا محمد ﷺ.

رابعًا: لتكون هذه الكتب حجة الله علىٰ خلقه، لا يسعهم مخالفتها ولا الخروج عنها.

قال تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

(٤). كيفية الإيمان بالكتب:

○ الإيمان بكتب الله إجمالي وتفصيلي:

أما الإجمالي: فهو أن تؤمن بأن الله أنزل كتبًا علىٰ رسله عليهم الصلاة والسلام.

وأما التفصيلي: فهو أن تؤمن بما سمىٰ الله من كتبه في القرآن الكريم، وقد علمنا من ذلك القرآن والتوراة والزبور والإنجيل وصحف إبراهيم وموسىٰ، وتؤمن بأن لله سوىٰ ذلك كتبًا أنزلها علىٰ أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذه الكتب كلها جاءت لتحقيق توحيد الله بإفراده بالعبادة وعمل الصالحات والنهي عن الشرك والإفساد في الأرض، فأصل دعوة الأنبياء واحد وإن اختلفوا في الشرائع والأحكام.

والإيمان بالكتب الإقرار بنزولها على الرسل السابقين، والإيمان بالقرآن إقرار به واتباع لما فيه.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ﴾ [الأعراف: ٣].

❍ **وقد امتاز القرآن عن الكتب السابقة بأمور أهمها:**

١ ـ أنه معجز بلفظه ومعناه وما فيه من الحقائق الكونية والعلمية.

٢ ـ أنه آخر الكتب السماوية، فقد ختمت به الكتب كما ختمت الرسالات بنبينا محمد ﷺ.

٣ ـ أن الله قد تكفل بحفظه من كل تحريف أو تبديل، خلافًا للكتب الأخرى فقد وقع فيها التحريف والتبديل.

٤ ـ أنه مصدق لما قبله من الكتب ومهيمن عليها.

٥ ـ أنه ناسخ لجميع الكتب السابقة.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

(٥) قبول أخبار الكتب السابقة:

نعلم يقينًا أن ما جاء في تلك الكتب من الأخبار التي أوحاها الله إلى رسله

عليهم الصلاة والسلام حق لا شك فيه.

وهذا لا يعني أن نقبل ما في الكتب الموجودة الآن بين أيدي أهل الكتاب؛ لأنها حرفت وبدلت، فلم تبق علىٰ أصولها التي أنزلها الله علىٰ رسله عليهم الصلاة والسلام.

ومما علمناه يقينًا من تلك الكتب ما أخبرنا الله به في كتابه من أنه لا تزر وازرة وزر أخرىٰ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعىٰ، وأن سعيه سوف يُرىٰ ثم يُجزاه الجزاء الأوفىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٦-٤١].

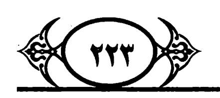
وقال تعالىٰ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٦-١٩].

وأما أحكامها: فإن ما في القرآن يلزمنا التعبد به، بخلاف ما في الكتب السابقة، فإننا ننظر إن كان مخالفًا لشريعتنا فإننا لا نعمل به؛ لا لأنه باطل، بل هو حق في زمنه ولكن لا يلزمنا العمل به؛ لأنه نسخ بشريعتنا، فإن وافق شريعتنا فإنه حق دلت شريعتنا علىٰ صحته.

(٦) الكتب السماوية التي ورد ذكرها في القرآن والسنة، هي:

١ـ القرآن الكريم:

وهو كلام الله الذي أنزله علىٰ محمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء، فكان آخر الكتب المنزلة، وقد تكفل الله بحفظه من التحريف والتبديل وجعله ناسخًا للكتب الأخرىٰ.



قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [المائدة: ٤٨].

٢ ـ التوراة:

وهي الكتاب الذي أنزله الله علىٰ موسىٰ عليه السلام وجعلها هدىٰ ونورًا يحكم بها أنبياء بني إسرائيل وأحبارهم.

والتوراة التي يجب الإيمان بها هي التي أنزلها الله علىٰ موسىٰ عليه السلام وليست التوراة المحرفة الموجودة عند أهل الكتاب اليوم.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ﴾ [المائدة: ٤٤].

٣ ـ الإنجيل:

وهو الكتاب الذي أنزله الله علىٰ عيسىٰ عليه السلام بالحق مصدقًا لما قبله من الكتب السماوية.

والإنجيل الذي يجب الإيمان به هو الكتاب الذي أنزله الله علىٰ عيسىٰ عليه السلام بأصوله الصحيحة، وليست الأناجيل المحرفة الموجودة اليوم عند أهل الكتاب.

قال تعالىٰ ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦].

ومما ضمنته التوراة والإنجيل البشارة برسالة نبينا محمد ﷺ. قال تعالىٰ ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٤ـ الزبور:

وهو الكتاب الذي أنزله الله علىٰ داود ﷺ. والزبور الذي يجب الإيمان به هو ما أنزله الله علىٰ داود ﷺ وليس ما دخل عليه التحريف من عمل اليهود قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء: ١٦٣].

٥ـ صحف إبراهيم وموسىٰ:

وهي الصحف التي آتاها الله إبراهيم وموسىٰ عليهما السلام وهذه الصحف مفقودة ولا يعرف منها شيء إلا ما جاء ذكره عنها في القرآن الكريم والسنة.

قال تعالىٰ: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ٣٨ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ﴾ [النجم: ٣٦-٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٦-١٩].

باب وجوب الإيمان بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا

﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢].

وفي حديث جبريل المشهور عن عمر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ مرفوعًا (.... **قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ**)[1].

❍ من فقه الباب:

❍ معنى الإيمان بالرسل:

الإيمان بالرسل: هو التصديق الجازم بأن الله عَزَّوَجَلَّ بعث في كل أمة رسولًا يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده، والكفر بما يعبد من دونه، وأنهم جميعًا مرسلون صادقون.

وقد بلَّغوا جميع ما أرسلهم الله به، منهم من أعلمنا الله باسمه، ومنهم من استأثر الله بعلمه.

❍ الفرق بين الرسول والنبي:

لفظ الرسول والنبي كلفظ الإسلام والإيمان، إذا اجتمعا فلكل واحد معنىٰ، وإذا انفرد أحدهما شمل معنىٰ الآخر.

فيطلق الرسول علىٰ النبي، ويطلق النبي علىٰ الرسول، فيكون معناهما واحدًا، وهذا هو الغالب.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من طريق يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ عن ابن عمر عن عمر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ مرفوعًا.

وقال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

وتارة يذكران معًا في آية واحدة، فيكون لكل واحد منهما معنىً.

كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحج: ٥٢].

فالرسول: من أوحىٰ الله إليه بشرع، وأمره بإبلاغه إلىٰ من لا يعلمه، أو يعلمه ولكنه خالفه.

والنبي: من أوحىٰ الله إليه بشرع سابق ليعلِّمه من تركه، ويجدده.

فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا.

والذين ذكرهم الله في القرآن كلهم أنبياء ورسل.

❍ بعث الأنبياء والرسل:

لم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالىٰ بشريعة مستقلة إلىٰ قومه، أو نبي يوحي إليه بشريعة من قبله ليجددها، ويعلِّمها من حوله.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ﴾ [المائدة: ٤٤].

❍ حكم الإيمان بالأنبياء والرسل:

الإيمان بأنبياء الله ورسله أحد أركان الإيمان الستة.

فيجب علينا الإيمان بجميع الأنبياء والرسل وتصديقهم، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعًا.

ويجب علينا تصديق ما صح عنهم من أخبار، والاقتداء بهم في صدق الإيمان، وكمال التوحيد، وحسن الخلق، والعمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم، وهو سيدهم وخاتمهم الذي أرسله الله إلىٰ الناس كافة محمد ﷺ.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

○ حقوق الأنبياء والرسل:

الأنبياء والرسل أفضل الخلق؛ لكمال إيمانهم.. وصدق يقينهم.. وحسن عبادتهم.. وحسن أخلاقهم.. وكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وشرعه.. وإحسانهم إلىٰ الخلق.. ورحمتهم للناس.. وصبرهم علىٰ دعوة الخلق إلىٰ الدين.. وبذلهم كل ما يملكون في سبيل إعلاء كلمة الله، ليعبد الله وحده لا شريك له.

فحقوقهم علينا:

الإيمان بهم، وتصديقهم، ومحبتهم، والثناء عليهم من غير إطراء، وتوقيرهم، والصلاة والسلام عليهم عند ذكرهم، والاقتداء بهم في كمال التوحيد والإيمان، وحسن الخلق، والدعوة إلىٰ الله، والاقتداء والعمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم وهو محمد ﷺ.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾

ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

○ حكمة بعث الأنبياء والرسل:

بعث الله جميع الأنبياء والرسل لتحقيق ثلاثة مقاصد:

الأول: دعوة الناس إلىٰ عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦].

الثاني: بيان الطريق الموصل إلىٰ الله وإلىٰ رضاه.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

الثالث: بيان حال الناس بعد القدوم علىٰ ربهم يوم القيامة.

قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحج: ٤٩-٥١].

❍ **عدد الأنبياء والرسل:**

الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كثيرون.

والذين ذكرهم الله في القرآن قسمان:

الأول: مَنْ بَيَّن الله أسماءهم، وهم خمسة وعشرون:

آدم، ونوح، وإدريس، وهود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم، وإسحاق، وإسماعيل، ويعقوب، ويوسف، وموسىٰ، وهارون، وداود، وسليمان، وأيوب، واليسع، ويونس، ولوط، وإلياس، وزكريا، ويحيىٰ، وذو الكفل، وعيسىٰ، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد ذكر الله هؤلاء جميعًا في القرآن الكريم كما يلي:

١- آدم ﷺ.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

٢- ثمانية عشر ذكرهم الله بقوله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٣- ٨٧].

٣- إدريس ﷺ:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦].

٤- هود ﷺ.

قال الله تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٢٥].

٥- صالح ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٤١-١٤٣].

٦- شعيب ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٧٦-١٧٨].

٧- ذو الكفل ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨].

٨- محمد ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

فهؤلاء خمسة وعشرون كلهم أنبياء ورسل.

الثاني: من لم نعلم أسماءهم.

وهؤلاء كثيرون لا يحصيهم ولا يعلمهم إلا الذي أرسلهم، فنؤمن بهم إجمالًا؛ تصديقًا لخبر الله عنهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ

﴿حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤-١٦٥].

○ أولو العزم من الرسل:

أولو العزم من الرسل خمسة وهم:

نوح.. وإبراهيم.. وموسىٰ.. وعيسىٰ.. ومحمد.. صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قال الله تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وقد تميز هؤلاء بمواجهة عتاة البشرية: ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

○ أفضل الأنبياء والرسل:

أفضل البشر هم المؤمنون.. وأفضل المؤمنين الأنبياء والرسل.. وأفضل الأنبياء والرسل هم أولو العزم.. وأفضل أولي العزم سيد ولد آدم محمد ﷺ.

أعلم الخلق بالحق.. وأنصح الخلق للخلق.. وأفصح الخلق في البلاغ والبيان.. وأكملهم معرفة بالله وأسمائه وصفاته.. اجتمع في حقه:

كمال العلم بالحق.. وكمال الإيمان به.. وكمال الإرادة له.. وكمال القدرة علىٰ بيانه.. وكمال العمل به.. وكمال الدعوة إليه... وكمال الصبر عليه.. فصلوات الله وسلامه عليه.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

---

(١) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

○ **أول الأنبياء والرسل:**

أول الرسل من ذرية آدم نوح ﷺ.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديث الشفاعة... وفيه أن النبي ﷺ قال: «**اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ**»[1].

○ **آخر الأنبياء والرسل:**

آخر الرسل إلىٰ أهل الأرض محمد ﷺ.

قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

○ **تربية الأنبياء والرسل:**

الله عَزَّوَجَلَّ يخلق ما يشاء ويختار، اصطفىٰ من البشر رسلًا وأنبياء، علَّمهم ورباهم، وأرسلهم إلىٰ عباده بدينه.

واشتملت تربيتهم ودعوتهم علىٰ أربعة أمور:

تحصيل الإيمان.. وحفظ الإيمان.. والاستفادة من الإيمان... ونشر الإيمان.

فاجتهدوا لتحصيل الإيمان بالنظر والتفكر في آيات الله ومخلوقاته، والعبادة والتزكية، وكثرة ذكر الله، حتىٰ جاء في قلوبهم اليقين علىٰ ذات الله وأسمائه وصفاته، وأنه خالق كل شيء، وبيده كل شيء، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

---

(١) البخاري (٣٣٤٠)، واللفظ له، ومسلم (١٩٤).

وبذلوا من أجل الدين كل شيء، وصبروا علىٰ كل ذلك، فكمل الإيمان واليقين في قلوبهم.

ثم اجتهدوا لحفظ الإيمان بلزوم العبادة، والبيئات الصالحة، والعمل الصالح، والإكثار من ذكر الله، ومواصلة الدعوة إلىٰ الله، وبذل كل جهد في سبيل إعلاء كلمة الله.

ثم اجتهدوا لقضاء حاجاتهم وحاجات الدين بالاستفادة من الإيمان، فيرون أن الله معهم حيثما كانوا، ويطلبون منه وحده كل شيء.

كما أغرق الله الكفار بدعاء نوح ﷺ.. وفتح البحر لموسىٰ.. وفجر الحجر بالماء لموسىٰ.. وجعل النار بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم.. وخرج الماء من بين أصابع محمد ﷺ.. ونصره في غزوة بدر والأحزاب وحنين وغيرها.

وهكذا استفادوا من قدرة الله، ومن خزائن الله.

ثم اجتهدوا علىٰ نشر هذا الإيمان، وهذا اليقين بين أقوامهم، ومن أُرسلوا إليه، ليعبدوا الله وحده لا شريك له.

فالله ربىٰ أنبياءه ورسله علىٰ هذا الإيمان، والأنبياء والرسل يربون أممهم علىٰ ذلك، فيزيد إيمانهم وإيمان أتباعهم، ويتحقق مراد الله من خلقه بعبادته وحده لا شريك له.

قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

❍ إلى من بعث الله الأنبياء والرسل:

بعث الله جميع الأنبياء والرسل السابقين إلىٰ أقوامهم خاصة.

وبعث الله محمدًا ﷺ إلىٰ الناس كافة، والعالم أجمع.

فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأفضلهم، وأرسله الله رحمة للعالمين إلىٰ يوم الدين.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

باب الإيمان بأن الأنْبِيَاء دِينُهُمْ وَاحِد

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٩].

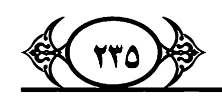
وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقَالَ نوحٌ عليه السلام لِقَوْمِه: ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢].

وقَالَ إبراهيمُ عليه السلام وابنُهُ إسَمَاعيلُ: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الحج: ٧٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا



تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢-١٣٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ في قِصة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦].

وقَالَ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقَالَ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤].

وقَالَ السحرة: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وَكَتَبَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لأهلِ سَبأ: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣١].

وقَالَ الحواريون: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ في حَقِّ النَّبِيِّين: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ في حق أمة محمد ﷺ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عن الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴾ [الجن: ١٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»(١).

○ من فقه الباب:

جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام جاءوا بالتوحيد الخالص... الذي لا ظل فيه للشرك في صورة من صوره، وأمروا الناس بعبادة الله وحده.. وأخبروا أممهم أنهم بشر لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا، ولا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه.. ولا يملكون بسط الرزق لأحد.. ولا قبض الرزق عن أحد.

وأنذروا قومهم الآخرة، ورغَّبوهم في الجنة.. وحذروهم من النار.. وأمروهم بطاعة الله.. ونهوهم عن معصية الله.. ودعوا إلىٰ مكارم الأخلاق.

فهذه الأصول التي دعا إليها كل رسول من رسل الله إلىٰ عباده.

قال الله تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

○ النبوة منحة إلهية:

ومن الجدير بالذكر أن النبوة اصطفاء خالص من الله تعالىٰ يختص به من يشاء من عباده الذين توفرت فيهم صفاتها فهى لا تنال بالمجاهدة والمعاناة وتكلف أنواع العبادات أو الاجتهاد في تهذيب النفوس وتنقية الخواطر وتطهير

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، واللفظ له، ومسلم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

الأخلاق بأنواع الرياضات النفسية والبدنية؛ فالإنسان يستطيع أن ينمى مواهبه المختلفة فيصبح رياضيًّا بارزًا أو عالمًا مرموقًا أو عابدًا مخلصًا غير أنه لا يستطيع بكل ذلك أن يكون نبيًّا رسولًا.

فالنبوة بذاتها مرتبة فوق مرتبة البشر العاديين؛ لأنها خارج الحدود التى يستطيعون الوصول إليها باجتهاداتهم فالذي يختاره الله تعالىٰ يؤهل بعنصر لا يحتاج للبشر العاديين ذلك هو الاتصال بالله تعالىٰ عن طريق الوحى قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

والوحى أمر إلهى محض لا أثر لسعى المرء في كسبه أو دفعه وبالتالى فالنبوة إلزامية غير كسبية، فلا ينالها الإنسان بالجهد الفكري أو الترقى الروحى والأخلاقى ولا عبرة في حصولها للقيم الدنيوية والاعتبارات المادية فالله تعالىٰ قد اختص بالنبوة من شاء في الوقت الذي شاء وفقا لحكمته وعلمه ورحمته، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالىٰ لموسىٰ عليه السلام: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال تعالىٰ في وصف الرسل جملة: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٧] فالله اصطفاهم ليبلغوا دينه للناس ويدعو الناس إلىٰ التوحيد الخالص والاختلاف إنما يكون في الشرائع التى هى اختبار من الله لعبادة أما الدين والعقيدة فكلهم جاء بالإسلام والتوحيد الخالص لرب العالمين صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

فما أعظم فضل الرب علىٰ الناس.. وما أعظم رحمته بهم... وما أعظم عنايته بهم.. وتودده إليهم.

يرسل إليهم رسولًا بعد رسول، ويهديهم بكتاب بعد كتاب، حتىٰ أكمل الله

الدين، وبعث به رسوله محمدًا ﷺ خاتم النبيين.

إن مصائر البشرية كلها في الدنيا والآخرة منوطة بالرسل، وبأتباعهم من بعدهم، وهي أمانة عظيمة ثقيلة جسيمة كبيرة، إنها أمانة إبلاغ رسالة الله إلىٰ خلقه، والتي عليها مدار سعادتهم وشقاوتهم في الدنيا والآخرة.

ولهذا قام بها الأنبياء والرسل علىٰ أكمل وجه، وبذلوا كل ما يملكون من أجل وصول الحق إلىٰ الخلق، والله يعينهم ويحفظهم وينصرهم، لمحبته لعباده، ورحمته لهم، وشدة عنايته بهم.

فكم أرسل الله من الأنبياء والرسل إلىٰ البشرية..؟

وكم من رسالة حملوها إلىٰ ذرية آدم..؟

وكم بذلوا من الأوقات والأموال والأنفس في سبيل إبلاغ دين الله إلىٰ الناس..؟

وكم تركوا من الديار والأهل والأموال والشهوات من أجل أن يكون الدين كله لله...؟

وكم تعرضوا للسب والشتم والقتل وهم يبلغون رسالات الله..؟

وكم صبروا علىٰ الأذىٰ والظلم، والافتراء والتكذيب، والاستهزاء والسخرية من أقوامهم..؟

وكم وقفوا بين يدي ربهم ركعًا وسجدًا وبكيًّا..؟

كم أحسنوا إلىٰ الناس..؟

وكم رحموا من أهل الأرض؟

وكم من البشرية هداهم الله علىٰ أيديهم..؟

فنالوا رضوان ربهم.. وبلغوا رسالات الله.. وفازوا بأعلىٰ الجنان.

ثم مضىٰ هؤلاء الأنبياء والرسل من أول الرسل نوح ﷺ، إلىٰ خاتمهم وسيدهم محمد ﷺ، وبقي هذا الواجب العظيم الثقيل علىٰ من بعد محمد ﷺ من المؤمنين برسالته.

ولا فكاك أبدًا من هذه التبعة الثقيلة إلا بإبلاغ رسالة الله علىٰ ذات المنهج الذي بلَّغ به رسول الله ﷺ الدين للناس كافة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨].

وقال الله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

باب وُجُوبُ اتِّباع الرُّسُل

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي فَإِنِّي لَا أَدْرِي لِعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا فِي هَذَا الْمَوْقِفِ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، دِمَاؤُكُمْ**

وَأَمْوَالُكُمْ حَرَامٌ إِلَىٰ يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ عَزَّوَجَلَّ، فَذَكَرَ الْخُطْبَةَ إِلَىٰ قَوْلِهِ فَاعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ قَوْلِي فَإِنِّي قَدْ بَلَّغْتُ وَتَرَكْتُ فِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَسُنَّةَ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١)(٢).

○ من فقه الباب:

الأنبياء والرسل هم مصابيح الدجىٰ، وينابيع الهدىٰ في هذه الأرض، فهُدىٰ الله للبشر جاء بواسطتهم.

وما أرسل الله الرسل إلا ليطاعوا، وما أنزل الله الكتب إلا ليُحكم بها بين الناس، ليُعبد الله وحده، ويكون الدين كله لله.

وهذا هو الذي يليق بكرم الله وفضله، ورحمته وعدله، وإحسانه، فما كان الله ليخلق بني آدم، ويجمعهم في الأرض، ثم يتركهم سدىٰ، ثم يحاسبهم يوم القيامة ولم يبعث إليهم رسولًا يبين لهم ما يتقون، وينزل عليهم كتابًا به يرشدون.

بل مَنَّ الله علىٰ البشرية كافة ببعثة الأنبياء والرسل إليهم كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] لذا وجب اتباعهم والسيرعلىٰ هديهم والاقتداء بهم.

○ ضرورة النبوة وحاجة الناس إليها:

الأنبياء هم رسل الله تعالىٰ إلىٰ عباده يبلغونهم أوامره، ويبشرونهم بما أعد

---

(١) حسن: أخرجه المروزي في السنة (٦٨)، والآجري في الشريعة (١٧٠٥)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٤٤٩)، وغيرهم من طريق إِسْمَاعِيل بْن أَبِي أُوَيْسٍ حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ الدِّيلِيِّ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

* فيه إسماعيل بن أبي أويس وأبوه: كلاهما صدوق.

(٢) وفي الباب نصوص غيرها سبق ذكرها في باب وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة (ص٥٣).

الله لهم من النعيم إن هم أطاعوا أوامره، ويحذرونهم من العذاب المقيم إن هم خالفوا نهيه، ويقصون عليهم أخبار الأمم الماضية وما حل بها من العذاب والنكال في الدنيا بسبب مخالفتها أمر ربها.

وهذه الأوامر والنواهي الإلهية لا يمكن أن تستقل العقول بمعرفتها؛ ولذلك شرع الله الشرائع وفرض الأوامر والنواهي؛ تكريمًا لبني الإنسان وتشريفًا لهم وحفظًا لمصالحهم؛ لأن الناس قد ينساقون وراء شهواتهم فينتهكون المحرمات ويتطاولون علىٰ الناس فيسلبونهم حقوقهم، فكان من الحكمة البالغة أن يبعث الله فيهم بين آونة وأخرىٰ رسلًا يذكّرونهم أوامر الله، ويحذرونهم من الوقوع في معصيته، ويتلون عليهم المواعظ ويذكرون لهم أخبار السابقين، فإن الأخبار العجيبة إذا طرقت الأسماع، والمعاني الغريبة إذا أيقظت الأذهان، استمدتها العقول فزاد علمها، وصح فهمها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة، فالإنسان مضطر إلىٰ الشرع لأنه بين حركتين حركة يجلب بها ما ينفعه وما يضره، فهو نور الله في أرضه، وعدله بين عباده، وحصنه الذي من دخله كان آمنًا.

وليس المراد بالشرع التمييز بين النافع والضار بالحس، فإن ذلك يحصل للحيوانات فإن الحمار والجمل يفرق ويميز بين الشعير والتراب، بل التمييز بين الأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده، والأفعال التي تنفعه في معاشه ومعاده كنفع الإيمان، والتوحيد، والعدل، والبر، والإحسان، والأمانة، والعفة، والشجاعة، والعلم، والصبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلىٰ الجيران، وأداء الحقوق، وإخلاص العمل لله، والتوكل عليه، والاستعانة به، والرضا بمواقع أقداره، والتسليم

لحكمه، وتصديقه وتصديق رسله في كل ما أخبروا به وغير ذلك مما هو نفع وصلاح للعبد في دنياه وآخرته، وفي ضد ذلك شقاوته ومضرته في دنياه وآخرته.

ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلىٰ تفاصيل المنافع والمضار في المعاش، فمن أعظم نعم الله علىٰ عباده، وأشرف مننه عليهم، أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبين لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام وأشر حالًا منها، فمن قَبِلَ رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية، وأسوأ حالًا من الكلب والخنزير وأحقر من كل حقير، ولا بقاء لأهل الأرض إلا بآثار الرسالة الموجودة فيهم، فإذا درست آثار الرسل من الأرض، وانمحت معالم هداهم؛ أخرب الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة.

وليست حاجة أهل الأرض إلىٰ الرسول كحاجتهم إلىٰ الشمس والقمر والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلىٰ حياته، ولا كحاجة العين لضوئها، والجسم إلىٰ الطعام والشراب بل أعظم من ذلك وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال، فالرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بين الله تعالىٰ وبين خلقه في أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده، وكان خاتمهم وسيدهم وأكرمهم علىٰ ربه محمدًا ﷺ وعليهم أجمعين فبعثه الله رحمة للعالمين، وحجة للسالكين، وحجة علىٰ الخلائق أجمعين، وافترض علىٰ العباد طاعته ومحبته وتوقيره وتعزيره والقيام بأداء حقوقه، وأخذ العهود والمواثيق بالإيمان به واتِّبَاعِهِ علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين، وأمرهم أن يأخذوها علىٰ من اتبعهم من المؤمنين، أرسله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فختم به الرسالة، وهدىٰ به من الضلالة، وعلّم به من الجهالة، وفتح برسالته أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، فأشرقت برسالته الأرض بعد

ظلماتها، وتآلفت به القلوب بعد شتاتها، فأقام به الملة العوجاء وأوضح به المحجة البيضاء وشرح له صدره ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره وجعل الذلة والصغار علىٰ من خالف أمره، أرسله ﷺ علىٰ حين فترة من الرسل ودروس من الكتب، حين حُرِف الكلم، وبدلت الشرائع، واستند كل قوم إلىٰ ظلم آرائهم وحكموا علىٰ الله وبين عباده بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم، فهدىٰ الله به الخلائق، وأوضح به الطرائق وأخرج الناس به من الظلمات إلىٰ النور، وميز به أهل الفلاح وأهل الفجور، فمن اهتدىٰ بهديه اهتدىٰ، ومن مال عن سبيله فقد ضل واعتدىٰ، ﷺ وعلىٰ سائر الرسل والأنبياء(١).

○ ونستطيع أن نلخص احتياج الإنسان إلى الرسالة فيما يلي:

١- الإنسان رغم ما زوده الله تعالىٰ به من وسائل معرفية إلا أنه لا يستطيع الإحاطة في معرفته إلا بالقدر اليسير من كثير مما حوله في هذا الكون الفسيح المحسوس المرتبط ارتباطا وثيقا بحياته ذلك أن أكثر ما في هذا الكون يدخل في عالم الغيب النسبي أو المطلق بالنسبة للإنسان مما يجعله في حاجة إلىٰ مصدر عليم بأمر الكون حتىٰ يزوده بمعلومات تزيح عنه الستر وتكشف عنه بعض الغيب ولا يكون ذلك إلا عن طريق الأنبياء.

٢- الإنسان مخلوق مربوب، ولا بد أن يتعرف علىٰ خالقه، ويعرف ماذا يريد منه، ولماذا خلقه، ولا يستقل الإنسان بمعرفة ذلك، ولا سبيل إليه إلا من خلال معرفة الأنبياء والمرسلين، ومعرفة ما جاءوا به من الهدىٰ والنور.

٣- أن الإنسان مكون من جسد وروح وغذاء الجسد ما تيسر من مأكل ومشرب، وغذاء الروح قرره لها الذي خلقها، وهو الدين الصحيح والعمل الصالح، والأنبياء

---

(١) انظر: قاعدة في وجوب الاعتصام بالرسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، (جـ ١٩، ص: ٩٩ - ١٠٢)، من مجموع الفتاوىٰ، ولوامع الأنوار البهية و(جـ ٢ ص: ٢١٦، ٢٣٦).

والمرسلون جاءوا بالدين الصحيح وأرشدوا إلىٰ العمل الصالح.

٤- الإنسان متدين بفطرته، ولا بد له من دين يدين به، إذ هو مفطور علىٰ عبادة الله تعالىٰ كما أنه مأمور بذلك وجوبًا لذلك لزم أن تكون تلك العبادة علىٰ علم بالمعبود وهو الله تعالىٰ وهذا العلم لا يمكن الوصول إليه مفصلا بالعقول المجردة، كما أن العبادة لا يمكن معرفة كيفيتها بالعقول المجردة وبذلك يكون الإنسان بحاجة دائمة إلىٰ خبر من مصدر موثوق يمكنه من معرفة الله تعالىٰ وكيفية عبادته.

٥- الإنسان محتاج إلىٰ الطريق الذي يوصله إلىٰ رضىٰ الله في الدنيا وإلىٰ جنته ونعيمه في الدار الآخرة وهذه طرق لا يرشد إليها، ويدل عليها إلا الأنبياء والمرسلون.

٦- الإنسان ضعيف بنفسه ومتربص به أعداء كثر، من شيطان يريد إغواءه، ورفقة سوء تزين له القبيح، ونفس أمارة بالسوء، ولذا فهو محتاج إلىٰ ما يحفظ به نفسه من كيد أعدائه، والأنبياء والمرسلون أرشدوا إلىٰ ذلك وبينوه غاية البيان.

٧- الإنسان كائن اجتماعي فهو مدني بطبعه لا يمكنه العيش منعزلًا عما حوله من كائنات وموجودات فهو كذلك بحاجة إلىٰ قواعد ونظم لترتيب حياته الفردية والاجتماعية والأسرية وبدون هذه النظم تصبح هذه العلاقات قائمة علىٰ الفوضىٰ والتنازع، وارتباط هذه القوانين والنظم بالتشريع الإلهي يضمن لها الثبات والاستقرار؛ لأنها تصدر عن عليم بخلقه مدرك لمصالحهم إدراكًا كاملًا مطلقا فالبشرية لا بد لها من شرع ليقوم الناس بالقسط والعدل - وإلا كانت حياتهم أشبه بحياة الغابة ـ وهذا الشرع لا بد أن يحفظ لكل ذي حق حقه دون تفريط ولا إفراط، ولا يأتي بالشرع الكامل إلا الأنبياء والمرسلون.

أضف إلىٰ ذلك أن الإنسان قد استقر في وجدانه أنه لا بد من حياة أخرىٰ يجازىٰ فيها الناس علىٰ أعمالهم في هذه الحياة الدنيا فكان مقتضىٰ الحكمة أن يبين الله تعالىٰ ذلك لخلقه.

٨- الإنسان محتاج إلىٰ ما يحقق به الطمأنينة والأمن النفسي، ويرشده إلىٰ أسباب السعادة الحقيقية وهذا هو ما يرشد إليه الأنبياء والمرسلون.

وبذلك يتبين أنه لا غنىٰ للبشرية عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم والذين ختموا بنبينا محمد ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وحجة للسالكين، وحجة علىٰ الخلائق أجمعين.

باب الإيمان ببشرية الرسل

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلَانِ فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ، لَا أَدْرِي مَا هُوَ فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا، وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا، مَا أَصَابَهُ هَذَانِ، قَالَ: «**وَمَا ذَاكِ**»؟ قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنْتَهُمَا وَسَبَبْتَهُمَا، قَالَ: «**أَوَ مَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا**»[(١)].

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ، وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ، فَرَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْيَتِيمَةَ، فَقَالَ: «**آنْتِ هِيَهْ؟ لَقَدْ كَبِرْتِ، لَا كَبِرَ سِنُّكِ**» فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَىٰ أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لَكِ؟ يَا بُنَيَّةُ قَالَتِ الْجَارِيَةُ: دَعَا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٠)، وغيره من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مرفوعًا.

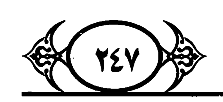
عَلَيَّ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنِّي، فَالْآنَ لَا يَكْبَرُ سِنِّي أَبَدًا، أَوْ قَالَتْ قَرْنِي فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا، حَتَّىٰ لَقِيَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ»**؟ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَدَعَوْتَ عَلَىٰ يَتِيمَتِي قَالَ: **«وَمَا ذَاكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ»**؟ قَالَتْ: زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنُّهَا، وَلَا يَكْبَرَ قَرْنُهَا، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: **«يَا أُمَّ سُلَيْمٍ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَىٰ رَبِّي، أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَىٰ رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَىٰ كَمَا يَرْضَىٰ الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ، مِنْ أُمَّتِي، بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ، أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**(١).

وعَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قُرَّةَ، قَالَ: كَانَ حُذَيْفَةُ بِالْمَدَائِنِ فَكَانَ يَذْكُرُ أَشْيَاءَ قَالَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي الْغَضَبِ، فَيَنْطَلِقُ نَاسٌ مِمَّنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ حُذَيْفَةَ فَيَأْتُونَ سَلْمَانَ فَيَذْكُرُونَ لَهُ قَوْلَ حُذَيْفَةَ، فَيَقُولُ سَلْمَانُ: حُذَيْفَةُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ، فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ حُذَيْفَةَ فَيَقُولُونَ لَهُ قَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَكَ لِسَلْمَانَ فَمَا صَدَّقَكَ وَلَا كَذَّبَكَ، فَأَتَىٰ حُذَيْفَةُ سَلْمَانَ وَهُوَ فِي مَبْقَلَةٍ فَقَالَ: يَا سَلْمَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُصَدِّقَنِي بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ سَلْمَانُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَغْضَبُ فَيَقُولُ فِي الْغَضَبِ لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَيَرْضَىٰ فَيَقُولُ فِي الرِّضَا لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَمَا تَنْتَهِي حَتَّىٰ تُوَرِّثَ رِجَالًا حُبَّ رِجَالٍ وَرِجَالًا بُغْضَ رِجَالٍ، وَحَتَّىٰ تُوقِعَ اخْتِلَافًا وَفُرْقَةً؟ وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ فَقَالَ: **«أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَّةً، أَوْ لَعَنْتُهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي، فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُونَ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»** وَاللهِ لَتَنْتَهِيَنَّ أَوْ لَأَكْتُبَنَّ إِلَىٰ عُمَرَ(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٣)، وغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٤٦٥٩)، والطبراني في الكبير (٦١٥٦)، وأبو نعيم في تثبيت =



○ من فقه الباب:

هَذِهِ الْأَحَادِيثُ مُبَيِّنَةٌ مَا كَانَ عَلَيْهِ ﷺ مِن الشَّفَقَةِ عَلَىٰ أُمَّتِهِ وَالِاعْتِنَاءِ بِمَصَالِحِهِمْ وَالِاحْتِيَاطِ لَهُمْ، وَالرَّغْبَةِ فِي كُلِّ مَا يَنْفَعُهُمْ، الرِّوَايَةُ الأخيرة تُبَيِّنُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ دُعَاؤُهُ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَكَفَّارَةً وَزَكَاةً وَنَحو ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِلدُّعَاءِ عَلَيْهِ، وَالسَّبِّ وَاللَّعْنِ وَنَحْوِه، وَكَانَ مُسْلِمًا، وَإِلَّا فَقَدْ دَعَا ﷺ عَلَىٰ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَهُمْ رَحْمَة. فَإِنْ قِيلَ: كَيْف يَدْعُو عَلَىٰ مَنْ لَيْسَ هُوَ بِأَهْلٍ لِلدُّعَاءِ عَلَيْهِ، أَوْ يَسُبُّهُ، أَوْ يَلْعَنُهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ؟، فَالْجَوَابُ مَا أَجَابَ بِهِ الْعُلَمَاء، وَمُخْتَصَره وَجْهَانِ:

أَحَدهمَا: أَنَّ الْمُرَادَ لَيْس بِأَهْلٍ لِذَلِكَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَفِي بَاطِنِ الْأَمْر، وَلَكِنَّهُ فِي الظَّاهِرِ مُسْتَوْجِبٌ لَهُ، فَيَظْهَرُ لَهُ ﷺ اِسْتِحْقَاقُهُ لِذَلِكَ بِأَمَارَةٍ شَرْعِيَّة، وَيَكُون فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ لَيْسَ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَهُوَ ﷺ مَأمُورٌ بِالْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ، وَالله يَتَوَلَّىٰ السَّرَائِر.

وَالثَّانِي: أَنَّ مَا وَقَعَ مِنْ سَبِّهِ وَدُعَائِهِ وَنَحْوِهِ لَيْسَ بِمَقْصُودٍ، بَلْ هُوَ مِمَّا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْعَرَبِ فِي وَصْل كَلَامِهَا بِلَا نِيَّة، كَقَوْلِهِ: تَرِبَتْ يَمِينُك، عَقْرَىٰ، حَلْقَىٰ، وَفِي هَذَا الْحَدِيث «**لَا كَبِرَتْ سِنُّك**» وَفِي حَدِيث مُعَاوِيَة «**لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَك**» وَنَحْو ذَلِكَ، لَا يَقْصِدُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَقِيقَةَ الدُّعَاء، فَخَافَ ﷺ أَنْ يُصَادِفَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِجَابَةً، فَسَأَلَ رَبَّهُ ﷻ، وَرَغِبَ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ رَحْمَةً وَكَفَّارَةً، وَقُرْبَةً وَطَهُورًا وَأَجْرًا.

وَإِنَّمَا كَانَ يَقَعُ هَذَا مِنْهُ فِي النَّادِرِ وَالشَّاذِّ مِن الْأَزْمَان، وَلَمْ يَكُنْ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا لَعَّانًا، وَلَا مُنْتَقِمًا لِنَفْسِهِ، كما فِي الحدِيث أَنَّهُمْ قَالُوا: اُدْعُ عَلَىٰ دَوْس، فَقَالَ: «**اللهمَّ اِهْدِ دَوْسًا**» وَقَالَ: «**اللهمَّ اِغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ**». شرح النووي علىٰ مسلم - (ج ٨/ ص ٤١٤).

= الإمامة (١٥٩) من طريق عُمَر بْن قَيْسٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قُرَّةَ...فذكره.

○ صفات الأنبياء والرسل:

١- جميع الأنبياء والرسل رجال من البشر، اجتباهم الله واصطفاهم على سائر الناس، وفضّلهم بالنبوة والرسالة، وجمّلهم بأحسن الأخلاق.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤].

٢- جميع الأنبياء والرسل أفضل الخلق إيمانًا وعلمًا، وعملًا وتعبدًا، وأخلاقًا وتواضعًا، فقد وصف الله سيدهم وأفضلهم بالعبودية والرحمة في كتابه.

قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٣- جميع الأنبياء والرسل بشر مخلوقون.

يأكلون.. ويشربون.. وينسون.. وينامون.. ويمرضون.. ويموتون.

وهم كغيرهم من البشر لا يملكون شيئًا من خصائص الربوبية والألوهية، ولا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم من الأمر شيء.

فلا يملكون النفع والضر لأحد إلا ما شاء الله، ولا يملكون شيئًا من خزائن الله جل جلاله، ولا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه.

لكنهم قدوة البشر في الإيمان، والطاعة، والعبادة، والعمل الصالح، والخلق الحسن.

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

٤- الأنبياء والرسل أطهر البشر قلوبًا، وأصدقهم إيمانًا، وأقواهم عبادة، وأذكاهم عقولًا، وأحسنهم أخلاقًا، وأكملهم دينًا، وأقواهم صبرًا، وأشدهم بأسًا، وأعظمهم رحمة، وأكملهم أجسامًا، وأحسنهم صورة، وأصدقهم حديثًا.

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

○ خصائص الأنبياء والرسل:

○ خص الله الأنبياء والرسل بخصائص أهمها:

١- أن الله اصطفاهم بالوحي والرسالة.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣].

٢- أنهم معصومون فيما يبلغونه للناس من الدين.

اصطفىٰ الله ﷻ لرسالته وتبليغها أفضل خلقه، وأكملهم خَلقًا وخُلقًا، وعصمهم من الكبائر وبرأهم من كل عيب حتىٰ يؤدوا وحي الله إلىٰ أممهم، فهم معصومون فيما يخبرون به عن الله ﷻ في تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ١-٥].

وقال تعالىٰ: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٨].

وإذا صدرت من أحدهم الصغائر التي لا تعلق لها بالتبليغ فإنه يُبيّن لهم، وسرعان ما يتوبون إلىٰ الله وينيبون إليه فتكون كأن لم تكن، وينالون بذلك منزلة أعلىٰ من منزلتهم السابقة؛ وذلك لأن الله قد خص أنبياءه صلوات الله وسلامه عليهم بكمال الأخلاق وصفات الخير ونزههم عن كل ما يحط من أقدارهم ومكانتهم.

أنهم لا يورثون بعد موتهم.

عَنْ عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَرَدْنَ أَنْ يَبْعَثْنَ عُثْمَانَ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ يَسْأَلْنَهُ مِيرَاثَهُنَّ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**»(١).

---

(١) البخاري (٦٧٣٠) واللفظ له، ومسلم (١٧٥٧).

٤- أنها تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم.

عَنْ أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في قصة الإسراء- وفيه: وَالنَّبِيُّ ﷺ نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ[(١)].

٥- أنهم يخيرون عند الموت بين الدنيا والآخرة.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»[(٢)].

٦- أنهم يقبرون حيث ماتوا.

عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ**»[(٣)].

٧- أنهم أحياء في قبورهم يصلون.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، قال: فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَىٰ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ -يَعْنِي نَفْسَهُ- فَحَانَتِ الصَّلاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلاةِ قال قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ! هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلامِ**»[(٤)].

---

(١) البخاري (٣٥٧٠) واللفظ له، ومسلم (١٦٢).

(٢) البخاري (٤٥٨٦)، واللفظ له، ومسلم (٢٤٤٤).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٢٧).

(٤) مسلم (١٧٢).

٨- أن أزواجهم لا تنكح من بعدهم.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٩- أن الله يرسل الأنبياء والرسل من الرجال لا من النساء.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

باب فضل من آمن بنبينا محمد ﷺ ولم يره

عن أَبِي هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلا يَرَانِي، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ**»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ**»(٢).

وعن أَبِي جُمُعَةَ، قَالَ: تَغَدَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، قَالَ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا؟ أَسْلَمْنَا مَعَكَ وَجَاهَدْنَا مَعَكَ، قَالَ: «**نَعَمْ، قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي**»(٣).

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: ذَكَرُوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِيمَانَهُمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «إِنَّ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَ بَيِّنًا لِمَنْ رَآهُ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا آمَنَ مُؤْمِنٌ أَفْضَلَ مِنْ إِيمَانٍ بِغَيْبٍ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٨٩)، ومسلم (٢٣٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٢)، وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (١٦٩٧٦) من حديث أبي جمعة رضي الله عنه مرفوعًا.

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ١- ٣]»[(١)].

○ من فقه الباب:

فيما سبق من النصوص بيان الفضل الكبير لمن آمن بالرسول ﷺ ولم يره فعلىٰ كل مسلم أن يحرص علىٰ تحقيق هذا الإيمان فالإيمان بنبوته ﷺ أصل عظيم من أصول الإيمان، ولا يتحقق الإيمان إلا به، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٣].

وقال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله**»[(٢)].

○ الإيمان به ﷺ يتحقق بأمور منها:

أولًا: معرفة نبينا محمد ﷺ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة والسلام، وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون سنة نبيًا ورسولًا.

ثانيًا: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

ثالثًا: الاعتقاد بأنه رسول الله إلىٰ عموم الثقلين من الجن والإنس فلا يسع أحدًا منهم إلا اتباعه، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

---

(١) **صحيح:** أخرجه سعيد بن منصور في التفسير من سننه (١٨٠)، وابن أبي حاتم في التفسير (٦٦)، وابن منده في الإيمان (٢٠٩)، وغيرهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا.

(٢) **متفق عليه:** سبق (ص١١١).

رابعًا: الإيمان برسالته، وأنه أفضل الأنبياء وخاتمهم. قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وأنه خليل الرحمن، وسيد ولد آدم، وصاحب الشفاعة العظمىٰ المخصوص بالوسيلة والتي هي أعلىٰ الدرجات في الجنة، وصاحب الحوض المورود، وأمته خير الأمم.

قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأكثر أهل الجنة، وأن رسالته ناسخة لجميع الرسالات السابقة.

خامسًا: أن الله أيده بأعظم معجزة وأظهر آية، وهي القرآن العظيم كلام الله المحفوظ من التغيير التبديل؛ قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

سادسًا: الإيمان بأن الرسول ﷺ قد بلغ الرسالة، وأدىٰ الأمانة ونصح الأمة، فما من خير إلا ودل الأمة عليه، ورغبها فيه، وما من شر إلا ونهىٰ الأمة عنه وحذرها منه.

قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال ﷺ: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم ويحذر أمته من شر ما يعلمه لهم**»(١).

سابعًا: محبته ﷺ، وتقديم محبته علىٰ النفس وسائر الخلق، وتعظيمه وتوقيره، وإجلاله، واحترامه وطاعته، فإن هذا من حقوقه التي أوجبها الله في كتابه لنبيه ﷺ فإن محبته من محبة الله، وطاعته من طاعة الله ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»(١).

ثامنًا: الصلاة والتسليم عليه ﷺ والإكثار من ذلك؛ فإن البخيل من ذُكر عنده فلم يصل عليه، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. قال ﷺ: «**من صلىٰ عليّ واحدة صلىٰ الله عليه بها عشرًا**»(٢).

وتتأكد الصلاة عليه في مواطن، منها في التشهد في الصلاة، وفي القنوت وصلاة الجنازة، وخُطبة الجمعة وبعد الأذان، وعند دخول المسجد والخروج منه والدعاء، وعند ذكره عليه الصلاة والسلام وغير ذلك من المواطن.

تاسعًا: أن النبي ﷺ وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء عند ربهم، حياة برزخية أكمل وأعلىٰ من حياة الشهداء، لكنها ليست كحياتهم علىٰ وجه الأرض، وهي حياة لا نعلم كيفيتها، ولا تزيل عنهم اسم الموت، قال ﷺ: «**إن الله حرم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»(٣)، وقال ﷺ: «**ما من مسلم يسلم عليّ إلا رد الله علي روحي كي أرد عليه السلام**»(٤).

عاشرًا: من احترام النبي ﷺ أن لا تُرفع الأصوات عنده في حياته، وكذا عند السلام عليه في قبره.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي في سننه (١٣٧٤).

(٤) **حسن**: أخرجه أبو داود (٢٠٤١)، وأحمد في مسنده (١٠٨١٥) من طريق أَبِي صَخْرٍ حُمَيْدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُسَيْطٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه حميد بن زياد: صدوق.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

فحرمته ﷺ بعد دفنه كحرمته في أيام حياته، فيجب أن نحترمه ﷺ كما فعل الرعيل الأول رضوان الله عليهم، إذ كانوا أشد الناس موافقة له ﷺ، وأبعد الناس عن مخالفته وابتداع ما ليس من دين الله.

حادي عشر: محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه، وموالاتهم جميعًا والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء، فإن الله قد رضي عنهم واختارهم لصحبة نبيه ﷺ وأوجب علىٰ هذه الأمة موالاتهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»(١).

وندب من جاء بعدهم إلي الاستغفار لهم وسؤال الله أن لا يجعل في قلوبهم غلًا لهم. قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ثاني عشر: تجنب الغلو فيه ﷺ فإنه من أعظم الأذية له ﷺ؛ إذ حذّر عليه الصلاة والسلام أمته من الغلو فيه والتجاوز في إطرائه ومدحه، وإنزاله فوق منزلته التي أنزله الله مما يختص به الرب عَزَّ وَجَلَّ.

قال ﷺ: «**إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله، لا أحب أن ترفعوني فوق**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

منزلتي»[١]، وقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم**»[٢]، ولا يجوز دعاؤه ولا الاستغاثة به، ولا الطواف بقبره أو النذر والذبح له فكل هذا شرك بالله، وقد نهي الله عن صرف العبادة لغيره.

وكذلك بالمقابل فإن عدم احترام النبي ﷺ المشعر بالغضّ منه، أو تنقيصه ﷺ أو الاستخفاف به، أو الاستهزاء به ردة عن الإسلام وكفر بالله. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

فالمحبة الصادقة لرسوله ﷺ هي التي تبعث علىٰ الاقتداء بهديه والاتباع لسنته وترك ما يخالف سبيله عليه الصلاة والسلام. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

فيجب عدم الإفراط والتفريط في تعظيم الرسول ﷺ، فلا يعطىٰ صفات الألوهية، ولا ينقص قدره وحقه من الاحترام والمحبة التي من أبرزها الاتباع لشرعه والسير علىٰ هديه والاقتداء به عليه الصلاة والسلام.

ثالث عشر: الإيمان بالنبي ﷺ لا يتحقق إلا بتصديقه والعمل بما جاء به، وهذا معنىٰ الانقياد له ﷺ، فطاعته هي طاعة الله، ومعصيته هي معصية لله، وبتحقيق تصديقه واتباعه ﷺ يتحقق الإيمان به عليه الصلاة والسلام.

باب وجوب الإيمان باليوم الآخر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (١٢٥٥١)، والنسائي في الكبرىٰ (١٠٠٠٧)، وابن حبان في صحيحه (٦٢٤٠) من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

﴿ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

وعَنْ يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ» ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي

عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[(١)].

❍ **من فقه الباب:**

اليوم الآخر: هو يوم القيامة الذي يبعث الله فيه الخلائق للحساب والجزاء،

سمي بذلك لأنه لا يوم بعده.

حيث يستقر أهل الجنة في الجنة أبدًا.. ويستقر أهل النار في النار أبدًا.

❍ **الإيمان باليوم الآخر:**

الإيمان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بكل ما أخبر الله ورسوله به مما يكون في ذلك اليوم العظيم:

من البعث والحشر.. والحساب والجزاء.. والصراط والميزان.. والجنة والنار.. وغير ذلك مما يجري في عرصات القيامة.

ويلحق بذلك ما يكون قبل الموت من علامات الساعة وأشراطها، وما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذاب القبر ونعيمه.

❍ **حكم الإيمان باليوم الآخر:**

الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة.

والإيمان بالله واليوم الآخر أعظم أركان الإيمان، وعليهما مع بقية أركان

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من طريق يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ عن ابن عمر عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

الإيمان مدار استقامة الإنسان وفلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة.

ولأهمية هذين الركنين يقرن الله بينهما كثيرًا في آيات القرآن.

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٨٧].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢].

○ مقدار يوم القيامة:

يوم القيامة علىٰ الكافر بمقدار خمسين ألف سنة.

وعلىٰ المؤمن بمقدار ما بين الظهر والعصر.

قال الله تعالىٰ: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَوْمُ القِيامَةِ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالعَصْرِ**»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: يَوْمُ القِيامَةِ عَلَىٰ المُؤْمِنِيْنَ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالعَصْرِ(٢).

باب وجوب الاستعداد للموت

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

---

(١) **صحيح:** أخرجه الحاكم (٢٥٩).

(٢) **صحيح:** أخرجه الحاكم (٢٦٠) وانظر: الصحيحة (٢٤٥٦).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ**[١]» يَعْنِي الْمَوْتَ[٢].

○ من فقه الباب:

الموت: تغير حال الإنسان، وانتقاله من دار إلىٰ دار.

والروح باقية بعد مفارقة الجسد، إما معذبة أو منعمة، ومفارقتها للجسد معناه: خروج الجسد عن طاعتها، وسكونه عن الحركة بفقدها، فإن الأعضاء والجوارح آلات للروح تستعملها.

والروح بنفسها تَعْلم الأشياء من غير إعلام، ولذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الغم والحزن والكمد، ويتنعم بأنواع الفرح والسرور، وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء.

فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقىٰ معها بعد مفارقة الجسد، وما هو لها بواسطة الأعضاء يتعطل بموت الجسد إلىٰ أن تعاد الروح إلىٰ الجسد عند البعث.

---

(١) **هَادِمِ اللَّذَّاتِ**: شَبَّهَ اللَّذَّاتِ الْفَانِيَةَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَاجِلَةَ ثُمَّ زَوَالَهَا بِبِنَاءٍ مُرْتَفِعٍ يَنْهَدِمُ بِصَدَمَاتٍ هَائِلَةٍ، ثُمَّ أَمَرَ الْمُنْهَمِكَ فِيهَا بِذِكْرِ الْهَادِمِ لِئَلَّا يَسْتَمِرَّ عَلَىٰ الرُّكُونِ إِلَيْهَا، فَيَنْشَغِلَ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ الْفِرَارِ إِلَىٰ دَارِ الْقَرَارِ. تحفة الأحوذي - (ج ٦/ ص ٩٢).

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٠٧)، والنسائي في سننه (١٨٢٤)، وغيرهما من طريق مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.

* فيه محمد بن عمرو: صدوق.

وكل أعضاء الإنسان آلات والروح مستعملة لها، والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها على الروح.

والإنسان في الحقيقة هو الروح المدرك للعلوم والآلام واللذات، وذلك لا يموت ولا ينعدم، ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن، وخروج البدن على أن يكون آلة له، فحقيقة الإنسان نفسه وروحه وهي باقية.

والموت أشد ما يحاول الإنسان أن يروغ منه، أو يبعد شبحه عن خاطره، ولكن أنى له ذلك، والموت طالب لا يمل الطلب، ولا يبطئ الخطى، ولا يخلف الميعاد: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

والنفس البشرية ترى الحق كاملًا وهي في سكرات الموت، تراه بلا حجاب، وتدرك منه ما كانت تجهل، وما كانت تجحد، ولكن بعد فوات الأوان، حين لا تقبل توبة، ولا ينفع إيمان، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]....

والمؤمن يكشف له بعد الموت من سعة جلال الله، ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن الضيق، كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب إلى بستان واسع الأكناف، لا يبلغ طرفه أقصاه.

ونسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى الرحم وأعظم.

والمشروع عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكينة، ومن لسانه أن يكون ناطقًا بالشهادة، ومن قلبه أن يكون حَسَن الظن بالله تعالى.

ويستحب أن يذكر للمحتضر محاسن أعماله عند موته، لكي يحسن ظنه بربه.

ثم يُغسَّل الميت ويصلَّى عليه، ثم يُدفن، ويبقى في قبره منتظرًا يوم البعث،

ويظل في قبره منعمًا أو معذبًا حسب عمله، ثم يبعث وينتقل إلىٰ دار القرار في الجنة أو النار.

كما قال سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ [الروم: ١٤].

وليس معنىٰ الموت انتهاء الحياة وانتهاء المشاكل، بل معناه انتقال الإنسان من حياة صغيرة قصيرة حقيرة فانية إلىٰ حياة أبدية طويلة، إما في سعادة، أو في شقاء. فمعناه نهاية الحياة والأحوال الفانية، وبداية الحياة والأحوال الأبدية.

فالله كتب علىٰ جميع الكائنات الموت والفناء، ولكن الإنسان خُلق للبقاء، لكنه ينتقل من مرحلة إلىٰ مرحلة، ومن دار إلىٰ دار، حتىٰ يستقر في دار المقام في الجنة أو النار.

والأجل أجلان:

أجل مطلق لا يعلمه إلا الله، فهذا لا يتبدل ولا يتغير.

وأجل مقيد، وهو ما في صحف الملائكة، فإن الله أمر الملك أن يكتب للعبد أجلًا، وقال إن وصل رحمه زدته كذا وكذا، والملك لا يعلم أيزداد أم لا، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر.

فإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر كما قال سبحانه: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١]....

وقال النبي ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[(١)].

والأجل قسمان:

أحدهما: أجل كل عبد الذي ينقص به عمره.

---

(١) البخاري (٥٩٨٥) واللفظ له، ومسلم (٢٥٥٧).

الثاني: أجل القيامة العامة.

فأجل الموت قد يعلمه الله لمن شاء من عباده كالملائكة الذين يكتبون رزق العبد وأجله وعمله كما قال: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ**»(١).

أما أجل القيامة المسمىٰ عنده فلا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢].

فوقت الساعة لا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا غيرهما من المخلوقات.

○ صفة الاستعداد للموت:

يجب علىٰ المسلم أن يستعد للموت دائمًا.

والاستعداد للموت يكون بما يلي:

إخلاص العمل لله، والتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلىٰ دار الخلود، التوبة من المعاصي، والخروج من المظالم، وأداء الحقوق، وفعل الطاعات، واجتناب المحرمات، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكثرة ذكر الموت.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

○ **حكم تمني الموت:**

لا يجوز للمسلم تمني الموت لما يلي:

١- أن تمني الموت لمرض، أو خوف، أو محنة، أو فاقة ونحو ذلك يدل علىٰ الجزع والسخط من أقدار الله المؤلمة التي وعدنا الله علىٰ الصبر عليها بالأجر الجزيل.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مُتَمَنِّيًا فَلْيَقُلِ: اللهمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي**»(١).

٢- أن تمني الموت فيه انقطاع الأعمال الصالحة، وفي الحياة استمرار الإيمان، والأعمال الصالحة، وزيادة الأجور.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ**»، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «**لا، وَلا أَنَا، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ: إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ**»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ يَتَمَنَّىٰ أَحَدُكُمُ المَوْتَ، وَلاَ يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لاَ يَزِيدُ المُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا**»(٣).

---

(١) البخاري (٦٣٥١) واللفظ له، ومسلم (٢٦٨٠).

(٢) البخاري (٥٦٧٣) واللفظ له، ومسلم (٢٨١٦).

(٣) مسلم (٢٦٨٢).

٣- إذا كان مصرًّا علىٰ تمني الموت يفوض الأمر إلىٰ الله الحكيم العليم بمصالح عباده، وبيده مقاليد الأمور.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُ مِنْكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلِ: اللهمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي**»[١].

باب الإيمان بسَكَرَاتِ الْمَوْت

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩][٢].

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالىٰ للنفس: اخرجي، قالت: لا أخرج إلا كارهة**»[٣].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، أَوْ: عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ - يَشُكُّ عُمَرُ - فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «**لا إِلَهَ إِلا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**». ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَىٰ**» حَتَّىٰ قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ[٤].

---

(١) البخاري (٦٣٥١)، ومسلم (٢٦٨٠).

(٢) **السُّكْرُ**: حَالَةٌ تَعرِضُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَعَقْلِهِ، وَأَكْثَرُ مَا تُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرَابِ الْمُسْكِرِ وَيُطْلَق فِي الْغَضَبِ، وَالْعِشْقِ، وَالْأَلَمِ، وَالنُّعَاسِ، وَالْغَشْيِ النَّاشِئِ عَنْ الْأَلَمِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا. فتح الباري (ج١٨ص٣٥١).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢١٩)، وابن الأعرابي في معجمه (٢١٠٥)، والبيهقي في الأدب الكبير (٤٦٠) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) البخاري (٦٥١٠)، واللفظ له، ومسلم (٢٤٤٣).

❍ من فقه الباب:

السكرة: هي ما يحول بين المرء وعقله، وشدة الموت علىٰ المؤمن لا تدل علىٰ نقص في المرتبة، بل هي إما زيادة في حسناته، وإما تكفير لسيئاته، أما الكافر فهي زيادة في عذابه.

❍ فالأموات قسمان:

إما مستريح، وإما مستراح منه، وكلٌّ منهما يجوز أن يُشدَّد عليه عند الموت وأن يُخفَّف، فالمومن المتقي يزداد به ثوابًا، وإلا يكفر عنه من ذنوبه به، ثم يستريح من أذىٰ الدنيا.

والفاجر يستريح منه العباد والبلاد، لما يأتي به من المعاصي التي يحصل بسببها الجدب وهلاك الحرث والنسل.

فعن أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: «**مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ**»، قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا المُسْتَرِيحُ وَالمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قال: «**العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَىٰ رَحْمَةِ اللهِ، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلادُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**»(١).

باب الإيمان بكيفية خروج روح المؤمن وروح الكافر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧- ٣٠].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ

(١) البخاري (٦٥١٢)، واللفظ له، ومسلم (٩٥٠).

ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣-٩٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «**إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا**» - قَالَ حَمَّادٌ: فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ - قَالَ: «**وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْكِ وَعَلَىٰ جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَىٰ آخِرِ الْأَجَلِ**»، قَالَ: «**وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ** - قَالَ حَمَّادٌ وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا، وَذَكَرَ لَعْنًا - **وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ: خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ. قَالَ فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَىٰ آخِرِ الْأَجَلِ**»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَىٰ أَنْفِهِ هَكَذَا(١).

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ: «**لَيْسَ كَذَلِكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**»(٢).

وعَنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**»، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَذْكُرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا إِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَقَدْ هَلَكْنَا، فَقَالَتْ: إِنَّ الْهَالِكَ مَنْ هَلَكَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ،**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٤) وغيره من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا.

كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»، وَلَيْسَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ(١)، فَقَالَتْ: قَدْ قَالَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَيْسَ بِالَّذِي تَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ إِذَا شَخَصَ الْبَصَرُ، وَحَشْرَجَ الصَّدْرُ، وَاقْشَعَرَّ الْجِلْدُ، وَتَشَنَّجَتِ الْأَصَابِعُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ(٢)»(٣).

○ من فقه الباب:

لخاتمة العبد في هذه الحياة الدنيا شأنٌ عظيم وَخَطْرٌ جليل، وذلك لأنَّ ما بعدها متوقفٌ عليها، حيث يكون جزاء العبد وعاقبتُه بحسب خاتمته حُسْنًا أو سُوءًا، كما جاء في الحديث الصحيح: «**إنما الأعمال الخواتيم**»(٤).

ولأجل ذلك اشتدَّ قلق عباد الله الصالحين وعظم إجلالهم لشأن الخاتمة، واستداموا الأعمال الصالحة وأكثروا التضرع إلىٰ الله تعالىٰ أن يثبتهم عليها إلىٰ أن يلقوه، وسعوا لأن يمتثلوا وصيَّة الله لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقد روىٰ مسلمٌ في «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ قلوب بني آدم كُلَّها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحدٍ يُصَرِّفه حيث يشاء**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم**

(١) فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ: لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، إِنَّمَا يَكْرَهُهُ خَشْيَةَ أَنْ لَا يَلْقَىٰ ثَوَابَ اللهِ، إِمَّا لِإِبْطَائِهِ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ بِالشُّغْلِ بِالتَّبَعَاتِ، وَإِمَّا لِعَدَمِ دُخُولِهَا أَصْلًا كَالْكَافِرِ. فتح الباري (ج ١٨/ ص ٣٤٨).

(٢) مَعْنَىٰ الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَحَبَّةَ وَالْكَرَاهَةَ الَّتِي تُعْتَبَر شَرْعًا هِيَ الَّتِي تَقَعُ عِنْدَ النَّزْعِ فِي الْحَالَةِ الَّتِي لَا تُقْبَلُ فِيهَا التَّوْبَةُ، حَيْثُ يُكْشَفُ الْحَالُ لِلْمُحْتَضِرِ، وَيَظْهَرُ لَهُ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ. فتح الباري (ج ١٨/ ص ٣٤٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) البخاري (٦٤٩٣) من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

مُصَرِّفَ القُلوب صَرِّف قلوبنا علىٰ طاعتك»[١].

قال بعض السلف: ما أبكىٰ العيون ما أبكاها الكتاب السابق.

وكان سُفيان يشتد قلقه من السوابق والخواتيم، فكان يبكي ويقول: أخاف أن أكون في أمِّ الكتاب شقيًّا، ويبكي ويقول: أخاف أن أُسلب الإيمان عند الموت، وهذا من شدة خوفه وورعه رَحِمَهُ اللَّهُ، وإلا فإن الله هو الكريم الودود، وهو سبحانه الشاكر العليم، لا يضيع عمل عامل من خلقه.

وكان مالك بن دينار يقوم طول ليله قابضًا علىٰ لحيته ويقول: يا ربِّ قد علمتَ ساكن الجنة من ساكن النار، ففي أيِّ الدارين منزل مالك.

ثم إن الخاتمة تتوقف علىٰ السوابق، فمن كان في حال سعة أمره وفُسحة أجله مُحسنًا؛ فعاقبته بإذن الله الحسنة، ومَن كان علىٰ السوء؛ فعاقبته بمثل ذلك، فقد جرت سنة الله أن لا يعلم من العبد حرصًا علىٰ الخير وحُبًّا له إلا وفَّقه إليه، وثَبَّتَه عليه، وختم له به، نسأل الله الكريم من فضله.

○ علامات حسن الخاتمة:

الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يعلم وحده بما في قلوب العباد، فيختم لمن آمن به وأطاعه بالعمل الذي يحبه الله ويرضاه، وبه يرفع درجاته، ويكفر عنه سيئاته، ويزيد في أجره.

○ ومن علامات حسن الخاتمة:

١- نطق المسلم بالشهادة عند الموت.

٢- الاستشهاد أو الموت في سبيل الله.

---

(١) مسلم (٢٦٥٤).

٣- الموت مرابطًا في سبيل الله.

٤- الموت دفاعًا عن دينه، أو نفسه، أو ماله، أو أهله ممن بغىٰ عليه.

٥- الموت بذات الجَنْب، أو بداء السِّل.

٦- الموت بالطاعون، أو بداء البطن، أو الغرق، أو الحرق، أو الهدم.

٧- موت المؤمن بعرق الجبين من شدة سكرات الموت.

٨- موت المرأة في نفاسها بسبب الولادة.

٩- الموت علىٰ عمل صالح كأن يموت وهو يصلي، أو يذكر الله ونحو ذلك.

وكل ذلك ثابت في الأحاديث النبوية الصحيحة.

○ فضل الموت على التوحيد:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي، أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي، أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ**». قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ**»(١).

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا المُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: «**مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**»(٢).

أسباب حسن الخاتمة

من أعظمها، أن يلزم الإنسان طاعة الله وتقواه، ورأس ذلك وأساس تحقيق التوحيد، والحذر من ارتكاب المحرَّمات، والمبادرة إلىٰ التوبة مما تلطَّخ به

---

(١) البخاري (١٢٣٧)، واللفظ له، ومسلم (٩٤).

(٢) مسلم (٩٣).

المرء منها، وأعظم ذلك: الشرك كبيره وصغيره. يقول الربُّ جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

* **ومنها**: أن يلح المرء في دعاء الله تعالىٰ أن يتوفاه علىٰ الإيمان والتقوىٰ.

* **ومنها**: أن يعمل الإنسان جهده وطاقته في إصلاح ظاهره وباطنه، وأن تكون نيَّته وقصده متوجهة لتحقيق ذلك، فقد جرت سنة الكريم سبحانه أن يوفِّق طالب الحق إليه، وأن يثبِّته عليه، وأن يختم له به.

أما الخاتمة السيئة فهي: أن تكون وفاة الإنسان وهو مُعرِضٌ عن ربه جل وعلا، مقيمٌ علىٰ مساخطه سبحانه، مضيِّعٍ لِمَا أوجب الله عليه.

ولا ريب أن تلك نهاية بئيسة وخاتمة تعيسة، طالما خافها المتقون، وتضرَّعوا إلىٰ ربهم سبحانه أن يجنِّبهم إياها.

وقد تظهر علىٰ بعض المحتضرين علامات أو أحوال تدل علىٰ سوء الخاتمة، مثل: النُّكُول عن نطق الشهادة – أن لا إله إلا الله – ورفض ذلك، ومثل التحدُّث في سياق الموت بالسيئات والمحرَّمات وإظهار التعلُّق بها، ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تدل علىٰ الإعراض عن دين الله تعالىٰ والتبرُّم لنزول قضائه.

○ وسوء الخاتمة على رتبتين نعوذ بالله من ذلك:

الأولىٰ: وهي العظيمة الشنيعة، فهي أن يغلب علىٰ القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله، إما الشك، وإما الجحود، فتُقبض الروح علىٰ تلك الحال، وتكون حجابًا بينه وبين الله، وذلك يقتضي البُعد الدائم والعذاب المخلَّد.

والثانية: وهي دونها، أن يغلب علىٰ قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا أو شهوة من شهواتها المحرمة، فيتمثَّل له ذلك في قلبه، والمرء يموت

علىٰ ما عاش عليه، فإن كان ممن يتعاطون الربا فقد يُختم له بذلك، وإن كان ممن يتعاطون المحرمات الأخرىٰ من مثل المخدرات والأغاني والتدخين ومشاهدة الصور المحرمة وظلم الناس ونحو ذلك فقد يختم له بذلك، أي بما يُظهر سوء خاتمته والعياذ بالله.

○ أسباب سوء الخاتمة:

سوء الخاتمة يرجع لأسباب سابقة، يجب الحذر منها، ومن أعظمها: فساد الاعتقاد، فإنَّ مَنْ فسدت عقيدته ظهر عليه أثر ذلك أحوج ما يكون إلىٰ العون والتثبيت من الله تعالىٰ.

ومنها: الإقبال علىٰ الدنيا والتعلُّق بها، وتعاطيها من سُبُلٍ محرمة.

ومنها: العدول عن الاستقامة والإعراض عن الخير والهدىٰ.

ومنها: الإصرار علىٰ المعاصي وإلفُها، فإن الإنسان إذا أَلِفَ شيئًا مدة حياته وأحبَّه وتعلَّق به؛ فعاد ذكره إليه عند الموت، وردَّده حال الاحتضار في كثير من الأحيان.

قال الحافظ ابن كثير: «إن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت، مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان، فيقع في سوء الخاتمة، قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩].

وسوء الخاتمة – أعاذنا الله – لا يقع فيها مَن صلح ظاهره وباطنه مع الله، وصدق في أقواله وأعماله، فإن هذا لم يُسمع به، وإنما تقع سوء الخاتمة لمن فسد باطنه عَقْدًا، وظاهره عملًا، ولمن له جُرْأَةٌ علىٰ الكبائر، وإقدامٌ علىٰ الجرائم، فربما غلب ذلك عليه حتىٰ ينزل به الموت قبل التوبة». اهـ.

لأجل ذلك كان جديرًا بالعاقل أن يحذر من تعلق قلبه بشيء من المحرمات،

وجديرًا به أن يُلزِم قلبه ولسانه وجوارحه ذكر الله تعالىٰ، وأن يحافظ علىٰ طاعة الله حيثما كان، من أجل تلك اللحظة التي إن فاتت وخُذل فيها شَقىٰ شقاوة الأبد.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أعمارنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاك فيه، اللهم وفِّقنا لفعل الخيرات واجتناب المنكرات.

باب الإيمان بأحوال الميت في الجنازة

عن أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ**»[1].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِهْرَانَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: لَا تَضْرِبُوا عَلَيَّ فُسْطَاطًا، وَلَا تَتْبَعُونِي بِمِجْمَرٍ، وَأَسْرِعُوا بِي، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا وُضِعَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ عَلَىٰ سَرِيرِهِ قَالَ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِذَا وُضِعَ الرَّجُلُ السُّوءُ عَلَىٰ سَرِيرِهِ قَالَ: يَا وَيْلَهُ أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِي؟**»[2].

❍ من فقه الباب:

قوله في الحديث «**إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ**» يُرِيدُ بِالْجِنَازَةِ نَفْسَ الْمَيِّت، لِقَوْلِهِ بَعْد ذَلِكَ: «فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَة قَالَتْ»، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمَيِّت، وَقَائِلُ ذَلِكَ هُوَ الرُّوح. فتح الباري (ج ٤/ ص ٣٧٣).

معنىٰ يَا وَيْلَهَا: يَا حُزْنِي، وَأَضَافَ الْوَيْل إِلَىٰ ضَمِيرِ الْغَائِبِ حَمْلًا عَلَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣١٤)، وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) حسن: أخرجه النسائي في سننه (١٩٠٨)، وأحمد في مسنده (٧٩١٤)، والطيالسي في مسنده (٢٤٥٧)، وغيرهم من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ... فذكره مرفوعًا.

الْمَعْنَىٰ، كَرَاهِيَةَ أَنْ يُضِيفَ الْوَيْلَ إِلَىٰ نَفْسه، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ فِي رِوَايَةَ أَبِي هُرَيْرَة الْمَذْكُورَة: «قَالَ: يَا وَيْلَتَاهُ، أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِي»، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ تَصَرُّف الرُّوَاة. فتح الباري (ج ٤/ ص ٣٧٣).

قوله في الحديث وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ: أَيْ لَغُشِيَ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ مَا يَسْمَعُهُ، وَرُبَّمَا أُطْلِقَ ذَلِكَ عَلَىٰ الْمَوْت، وَالضَّمِير فِي «يَسْمَعهُ» رَاجع إِلَىٰ دُعَائِهِ بِالْوَيْلِ، أَيْ: يَصِيحُ بِصَوْتٍ مُنْكَر، لَوْ سَمِعَهُ الْإِنْسَانُ لَغُشِيَ عَلَيْهِ. فتح الباري (ج ٤/ ص ٣٧٣).

* قال القرطبي في «التذكرة» (ص ١٦٣): وهذا وهو علىٰ رؤوس الرجال، وهي صيحة من غير ضرب ولا هوان، فكيف إذا حلَّ به الخزي والنكال؟، واشتد عليه الضرب والوبال؟، فنسأل الله معافاته ومغفرته وعفوه ورحمته بمنِّه، قَالَ اِبْن بَزِيزَة: هُوَ مُخْتَصٌّ بِالْمَيِّتِ الَّذِي هُوَ غَيْرُ صَالِح، وَأَمَّا الصَّالِحُ فَمِنْ شَأْنِهِ اللُّطْفُ وَالرِّفْقُ فِي كَلَامِهِ، فَلَا يُنَاسِبُ الصَّعْقَ مِنْ سَمَاع كَلَامَهُ. فتح الباري (ج ٤/ ص ٣٧٣).

بَابُ التَّصْدِيقِ وَالْإِيمَانِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ ونعيمه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] **قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»(١).

---

(١) البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١) من حديث البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ فِي رَوْضَةٍ، وَيُرَحَّبُ لَهُ قَبْرُهُ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، أَتَرَوْنَ فِيمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ**»: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**عَذَابُ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُسَلَّطُ عَلَيْهِمْ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّينًا، أَتَدْرُونَ مَا التِّنِّينُ؟**»، قَالَ: «**تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ حَيَّةً لِكُلِّ حَيَّةٍ سَبْعَةُ رُءُوسٍ يَنْفُخُونَ فِي جِسْمِهِ وَيَلْسَعُونَهُ، وَيَخْدِشُونَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[1].

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتَا: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، قَالَتْ: فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ دَخَلَتَا عَلَيَّ، فَزَعَمَتَا أَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَقَالَ: «**صَدَقَتَا، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ**» قَالَتْ: «فَمَا رَأَيْتُهُ، بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[2].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ بَنِي النَّجَّارِ فَسَمِعَ صَوْتًا مِنْ قَبْرٍ فَقَالَ: «**مَتَىٰ دُفِنَ صَاحِبُ هَذَا الْقَبْرِ؟**» فَقَالُوا: فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَسُرَّ بِذَلِكَ فَقَالَ: «**لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا**[3] **لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ الْقَبْرِ**»[4].

---

(١) **حسن**: أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده (٦٦٤٤)، وابن حبان في صحيحه (٣١٢٢)، والآجري في الشريعة (٨٤٠) من طريق عَبْدِ اللهِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: أَنْبَأَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، أَنَّ أَبَا السَّمْحِ دَرَّاجًا حَدَّثَهُ، عَنِ ابْنِ حُجَيْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

* فيه دراج بن سمعان: صدوق.

(٢) أخرجه مسلم (٥٨٦) من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا.

(٣) أَيْ لَوْلَا أَنْ يُفْضِي سَمَاعُكُمْ إِلَىٰ تَرْكِ أَنْ يَدْفِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. شرح سنن النسائي - (ج ٣/ ص ٢٩٤).

(٤) **صحيح**: أخرجه النسائي في سننه (٢٠٥٨)، وأحمد في مسنده (١٢٠٠٧)، وابن حبان في صحيحه =

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ أَصْوَاتًا حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ: «**هَذِهِ أَصْوَاتُ الْيَهُودِ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهِمْ**»(١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ مَكَّةَ أَوِ الْمَدِينَةِ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» ثُمَّ قَالَ: «**بَلَىٰ كَانَ أَحَدُهُمَا لا يَسْتَنْزِهُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، وَوَضَعَ عَلَىٰ قَبْرِ كُلٍّ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا، أَوْ إِلَىٰ أَنْ يَيْبَسَا**»(٢).

وعَنْ أَسْمَاءَ، قَالَتْ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَىٰ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي، فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ يُصَلُّونَ؟ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: آيَةٌ، قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَطَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقِيَامَ جِدًّا، حَتَّىٰ تَجَلَّانِي الْغَشْيُ، فَأَخَذْتُ قِرْبَةً مِنْ مَاءٍ إِلَىٰ جَنْبِي، فَجَعَلْتُ أَصُبُّ عَلَىٰ رَأْسِي، أَوْ عَلَىٰ وَجْهِي مِنَ الْمَاءِ، قَالَتْ: فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَخَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا، حَتَّىٰ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا، أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**(٣) - **لا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيُؤْتَىٰ أَحَدُكُمْ، فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، أَوِ**

= (٣١٢٦)، وغيرهم من طريق حُمَيْد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٥)، مسلم (٢٨٦٩)، من حديث أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢)، من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

(٣) قوله **قَرِيبًا، أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**: وَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ الْفِتْنَتَيْنِ: الشِّدَّةُ وَالْهَوْلُ وَالْعُمُوم. شرح سنن النسائي (٣/ ٢٩٦).

الْمُوقِنُ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ، هُوَ رَسُولُ اللهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ، فَأَجَبْنَا وَأَطَعْنَا، ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ، قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ إِنَّكَ لَتُؤْمِنُ بِهِ، فَنَمْ صَالِحًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ، أَوِ الْمُرْتَابُ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ: شَيْئًا، فَقُلْتُ»(١).

وعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَىٰ بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: «فَمَتَىٰ مَاتَ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَىٰ فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ(٢)، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»(٣)، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ(٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي الْبَوْلِ(٥)»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥).

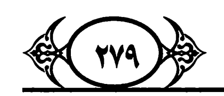
(٢) الفِتَن: جمع فِتنة، وهي الامتحان، وتُستعمل في المَكْر والبلاء، وهو تعميم بعد تخصيص. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (ج ١/ ص ٤٦١).

(٣) مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ: هو عبارة عن شمولها؛ لأن الفتنة لا تخلو منهما، أي: ما جهر وأسر، وقيل: ما يجري علىٰ ظاهر الإنسان، وما يكون في القلب من الشرك والرياء والحسد وغير ذلك من مَذمومات الخَواطر. مرقاة المفاتيح (ج ١/ ص ٤٦١).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٦٧) وغيره من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) **أكثر عذاب القبر في البول**: أَيْ مِنْ جِهَةِ عَدَمِ الِاحْتِرَازِ مِنْهُ. حاشية السندي علىٰ ابن ماجه (١/ ٣١٩).

(٦) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٤٨)، وأحمد في مسنده (٨٣٣١)، وابن أبي شيبة في مصنفه =



وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ خَيْبَرَ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا وَرِقًا، غَنِمْنَا الْمَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَىٰ الْوَادِي، وَمَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَبْدٌ لَهُ، وَهَبَهُ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُذَامٍ يُدْعَىٰ رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِيَ، قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحُلُّ رَحْلَهُ، فَرُمِيَ بِسَهْمٍ، فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ، فَقُلْنَا: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الشِّمْلَةَ**[1] **لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ**[2]»، قَالَ: فَفَزِعَ النَّاسُ، فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ**»[3].

❍ من فقه الباب:

قال الإمام الطحاوي في ذكر العقيدة الإسلامية:

«... ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين، وبعذاب القبر لمن كان له أهلًا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، علىٰ ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران».

قال الإمام أحمد: وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه ونبيه وعن الجنة والنار ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبر نسأل الله الثبات[4].

= (١٣٠٦)، وغيرهم من طريق أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(١) **الشملة**: هِيَ كِسَاءٌ يَشْتَمِلُ بِهِ الرَّجُل. عون المعبود - (ج ٦/ ص ١٥٢).

(٢) **لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ**: أَيْ أَخَذَهَا قَبْلَ الْقِسْمَة، فَكَانَ غُلُولًا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ مُشْتَرَكَةً بَيْن الْغَانِمِينَ عون المعبود - (ج ٦/ ص ١٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١١٥)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) تاريخ دمشق (٢١/ ٣١١).

وقال الإمام القرطبي في «التذكرة»:

«الإيمان بعذاب القبر وفتنته واجب، والتصديق به لازم، حسب ما أخبر به الصادق، وأن الله تعالىٰ يحيي العبد المكلف في قبره برد الحياة إليه، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه، وما يجيب به، ويفهم ما أتاه من ربه، وما أعد له في قبره من كرامة أو هوان، وبهذا نطقت الأخبار عن النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله آناء الليل وأطراف النهار، وهذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل الملة، ولم تفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم عليه الصلاة والسلام غير ما ذكرنا، وكذلك التابعون بعدهم إلىٰ هلم جرا». اهـ

وقال أيضًا في التذكرة (ص٣٧٣): وبالجملة، فأحوال المقابر وأهلها علىٰ خلاف عادات أهل الدنيا في حياتهم، فلا تُقاس أحوال الآخرة علىٰ أحوال الدنيا، وهذا مما لا خلاف فيه، ولولا خبر الصادق ﷺ بذلك لم نعرف شيئًا مما هنالك، والذي جاء بهذا عذاب القبر هم الذين جاءوا بالصلوات الخمس، وليس لنا طريق إلا ما نقلوه لنا من ذلك.

فإذا تبين لك هذا فاعلم أنَّ عقيدة أهل السنة والجماعة علىٰ أنَّ عذاب القبر ونعيمه علىٰ النفس والبدن جميعًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٢٨٢) لما سئل عن هذه المسألة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: بَلْ الْعَذَابُ وَالنَّعِيمُ عَلَىٰ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ تَنْعَمُ النَّفْسُ وَتُعَذَّبُ مُنْفَرِدَةً عَنْ الْبَدَنِ وَتُعَذَّبُ مُتَّصِلَةً بِالْبَدَنِ وَالْبَدَنُ مُتَّصِلٌ بِهَا فَيَكُونُ النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ عَلَيْهِمَا فِي هَذِهِ الْحَالِ مُجْتَمَعِينَ كَمَا يَكُونُ لِلرُّوحِ مُنْفَرِدَةً عَنْ الْبَدَنِ.

ثم بين رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ الفلاسفة وبعض الصوفية أنكروا معاد الأبدان وذهبوا إلىٰ أنَّ النعيم والعذاب لا يكون إلا علىٰ الروح، وأنَّ بعض المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة قالوا بأنَّ الرُّوحَ بِمُفْرَدِهَا لَا تُنَعَّمُ وَلَا تُعَذَّبُ، وَيُنْكِرُونَ أَنَّ الرُّوحَ تَبْقَىٰ بَعْدَ فِرَاقِ الْبَدَنِ، وذهب آخرون من المعتزلة إلىٰ نفي ذلك جملة وقالوا: إِنَّ الْبَرْزَخَ لَيْسَ فِيهِ نَعِيمٌ وَلَا عَذَابٌ، بَلْ لَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّىٰ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَىٰ. وكل ذلك بَاطِلٌ.

يقول شيخ الإسلام: «فَإِذَا عَرَفْت هَذِهِ الْأَقْوَالَ الثَّلَاثَةَ الْبَاطِلَةَ فَلْيُعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا أَنَّ الْمَيِّتَ إذَا مَاتَ يَكُونُ فِي نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَحْصُلُ لِرُوحِهِ وَلِبَدَنِهِ، وَأَنَّ الرُّوحَ تَبْقَىٰ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ مُنَعَّمَةً أَوْ مُعَذَّبَةً، وَأَنَّهَا تَتَّصِلُ بِالْبَدَنِ أَحْيَانًا فَيَحْصُلُ لَهُ مَعَهَا النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ، ثُمَّ إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَىٰ أُعِيدَتْ الْأَرْوَاحُ إلَىٰ أَجْسَادِهَا وَقَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ».

باب الإيمان بسؤال القبر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَوِ الْإِنْسَانُ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَهُوَ قَائِلٌ مَا كَانَ يَقُولُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ فَيَقُولَانِ: إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: دَعُونِي أَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأُخْبِرَهُمْ، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَقُولُهُ، فَيَقُولَانِ: إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي

عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»(١).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الكَافِرُ - أَوِ المُنَافِقُ - فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ فَتَّانِي الْقَبْرِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوَ تُرَدُّ عَلَيْنَا عُقُولُنَا؟. قَالَ: «نَعَمْ كَهَيْئَتِكُمُ الْيَوْمَ» قَالَ عُمَرُ: فِي فِيهِ الْحَجَرُ(٣).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «إِذَا تُوُفِّيَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ مَلَائِكَةً فَيَقْبِضُونَ

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (١٠٧١)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٦٤)، وابن حبان في صحيحه (٣١١٧)، وغيرهم من طريق عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدٌ الْمَقْبُرِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ:صدوق، والحديث له طريق أخر يصح بمجموع الطريقين.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٦٦٠٣)، وابن حبان في صحيحه (٣١١٥)، والطبراني في الكبير (١٠٦) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

* فيه حيي بن عبد الله المعافري: قال ابن عدي بعد أن ذكر هذا الحديث في الكامل: قال ابنُ عَدِي وبهذا الإسناد خمس وعشرين حديثًا عامتها لاَ يُتَابَعُ عَليها، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به إذا روىٰ عنه ثقة، قلت: وروىٰ عنه ابن وهب.

رُوحَهُ فِي أَكْفَانِهِ، فَإِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ بَعَثَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ يَنْتَهِرَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ قَالَ: رَبِّيَ اللهُ، قَالَا: مَا دِينُكَ؟ قَالَ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، قَالَا: مَنْ نَبِيُّكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قَالَا: صَدَقْتَ، كَذَلِكَ كُنْتَ، أَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنْهَا، وَأَرُوهُ مَقْعَدَهُ مِنْهَا، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُضْرَبُ ضَرْبَةً يَلْتَهِبُ قَبْرُهُ نَارًا مِنْهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ، أَوْ تَمَاسَّ، وَيُبْعَثُ عَلَيْهِ حَيَّاتٌ مِنْ حَيَّاتِ الْقَبْرِ كَأَعْنَاقِ الْإِبِلِ، فَإِذَا خَرَجَ قُمِعَ بِمَقْمَعٍ مِنْ نَارٍ أَوْ حَدِيدٍ»(١).

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّمَا عَلَىٰ رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّمَا وجُوهُهُمُ الشَّمْسُ، حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ، فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنَ السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعْهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْأَكْفَانِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، فَيَخْرُجُ مِنْهُ كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ عَلَىٰ مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ يَصْعَدُوا بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ

---

(١) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٠٤٧)، والطبري في تهذيب الآثار (٧٣٣)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٢٥) من طريق عَاصِمِ ابْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ موقوفًا.

* فيه عاصم بن بهدلة: صدوق. وللحديث طريق أخر يصح بمجموعهما.

الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ، فَيُفْتَحُ لَهُ، فَيَسْتَقْبِلُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، وَآمَنْتُ بِهِ، وَصَدَّقْتُ بِهِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ طِيبِهَا وَرَوْحِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، يَأْتِيهُ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِي وَمَالِي، وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، يَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ، فَتُفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ قَالَ: فَيُخْرِجُهَا تَتَقَطَّعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ، كَمَا يُنْزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُهَا فِي يَدِهِ طَرَفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، فَيَخْرُجُ مِنْهُ رِيحٌ كَأَنْتَنِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُمْ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ

عَبْدِي فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَىٰ، وَأَعِيدُوهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ قَالَ: فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لا أَدْرِي، وَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا قَالَ: وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتُ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعَةَ»(١).

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»(٢).

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٥٣)، والطيالسي في مسنده (٧٨٩)، وأحمد في مسنده (١٨٥٣٤)، وغيرهم من طريق زَاذَانَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١)، من حديث البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) **حسن**: أخرجه أبو داود في سننه (٣٢٢١)، والبزار في مسنده (٤٤٥)، والحاكم في مستدركه (١٣٧٢)، وغيرهم من طريق هانئ مولىٰ عثمان عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه هانئ مولىٰ عثمان: صدوق.

باب كيف يبعث العباد

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ»(١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، دَعَا بِثِيَابٍ جُدُدٍ فَلَبِسَهَا، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا»(٢).

○ من فقه الباب:

يُجْمَعُ بين حديث أبي سعيد المتقدم وبينَ حديث «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» بِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحْشَرُ عَارِيًا، وَبَعْضَهُمْ كَاسِيًا، أَوْ يُحْشَرُونَ كُلُّهُمْ عُرَاةً، ثُمَّ يُكْسَىٰ الْأَنْبِيَاءُ، فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَىٰ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام أَوْ يَخْرُجُونَ مِن الْقُبُور بِالثِّيَاب الَّتِي مَاتُوا فِيهَا، ثُمَّ تَتَنَاثَرُ عَنْهُمْ عِنْد اِبْتِدَاءِ الْحَشْرِ، فَيُحْشَرُونَ عُرَاة، ثُمَّ يَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يُكْسَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَحَمَلَ بَعْضُهُمْ حَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ عَلَىٰ الشُّهَدَاء؛ لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ أَمَرَ ﷺ أَنْ يُزَمَّلُوا فِي ثِيَابِهِمْ، وَيُدْفَنُوا فِيهَا، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَبُو سَعِيدٍ سَمِعَهُ فِي الشَّهِيدِ، فَحَمَلَهُ عَلَىٰ الْعُمُوم، **وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ**: فَيُحْمَلُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ عَلَىٰ الشُّهَدَاء، لِأَنَّهُمْ يُدْفَنُونَ بِثِيَابِهِمْ، فَيُبْعَثُونَ فِيهَا، تَمْيِيزًا لَهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَقَدْ نَقَلَهُ اِبْن عَبْد الْبَرّ عَنْ أَكْثَر الْعُلَمَاء، وَمِمَّنْ حَمَلَهُ عَلَىٰ عُمُومِهِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه فَأَخْرَجَ اِبْن أَبِي الدُّنْيَا بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَمْرو بْن الْأَسْوَد قَالَ: «دَفَنَّا أُمَّ مُعَاذ بْن جَبَل، فَأَمَرَ بِهَا فَكُفِّنَتْ فِي ثِيَابٍ جُدُدٍ وَقَالَ: أَحْسِنُوا أَكْفَانَ مَوْتَاكُمْ، فَإِنَّهُمْ يُحْشَرُونَ فِيهَا». فتح الباري (١٨/ ٣٧٠).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٨) وغيره من حديث جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود في سننه (٣١١٤)، وابن حبان في صحيحه (٧٣١٦)، والحاكم في مستدركه (١٢٦٠) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه مرفوعًا.

* فيه يحيىٰ بن أيوب: صدوق.

باب الإيمان بقرب قيام الساعة

قال تعالىٰ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[غافر: ٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١].

وقال تعالىٰ ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا طَرَفَ صَاحِبُ الصُّورِ مُنْذُ وُكِّلَ بِهِ، مُسْتَعِدٌ، يَنْظُرُ نَحوَ الْعَرْشِ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ**»(١).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقتربت الساعةُ ولا يزدادُ الناسُ على الدنيا إلا حرصًا، ولا يزدادون من اللهِ إلا بعدًا**»(٢).

باب مَنْ مَاتَ قَامَتْ قِيَامَتُه

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ الْأَعْرَابُ إِذَا قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ فَنَظَرَ إِلَىٰ أَحْدَثِ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ، فَقَالَ: «**إِنْ يَعِشْ هَذَا، لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ، قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ**»(٣).

---

(١) حسن: أخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال (٤٦)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٣٩١)، والحاكم في مستدركه (٨٦٧٦)، وغيرهم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه عبيد الله بن عبد الله بن الأصم: لم يرو فيه جرح ولا تعديل، وروىٰ عنه جمع من الثقات، وقد جاء عند الحاكم: عمرو بن عبد الله بن الأصم، ولعله تصحيف.

(٢) حسن: الحاكم (٧٩٩٢) وغيره وانظر: الصحيحة (١٥١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥١١)، ومسلم (٢٩٥٢).

○ من فقه الباب:

* الْمُرَاد بِالسَّاعَةِ، سَاعَة الَّذِينَ كَانُوا حَاضِرِينَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّ الْمُرَادَ مَوْتُهُمْ، وَأَنَّهُ أَطْلَقَ عَلَىٰ يَوْمِ مَوْتِهِمْ اِسْمَ السَّاعَةِ لِإِفْضَائِهِ بِهِمْ إِلَىٰ أُمُورِ الْآخِرَة.

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ اِسْتَأثَرَ بِعِلْمِ قِيَامِ السَّاعَةِ الْعُظْمَىٰ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَة. فتح الباري (ج ١٧/ ص ٣٦٣).

باب الإيمان بعلامات الساعة الصغرى

قال اللهُ تعالىٰ ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾ [محمد: ١٨](١).

وعن حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**»(٢)، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**»(٣)، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ(٤) مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «**نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَرَىٰ إِنْ

---

(١) قال ابن حجر (المراد بالأشراطِ: العلاماتِ التي تعقبها قيامُ الساعةِ) فتح الباري (١٣/ ٧٩).

(٢) (الدَّخَن): هُوَ الْحِقْد، وَقِيلَ: الدَّغَل، وَقِيلَ: فَسَادٌ فِي الْقَلْب، وَمَعْنَىٰ الثَّلَاثَةِ مُتَقَارِب، يُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّ الْخَيْرَ الَّذِي يَجِيءُ بَعْدَ الشَّرِّ لَا يَكُونُ خَيْرًا خَالِصًا بَلْ فِيهِ كَدَرٌ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالدَّخَنِ: الدُّخَان، وَيُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَىٰ كَدَرِ الْحَال. وَقِيلَ: الدَّخَن: كُلُّ أَمْرٍ مَكْرُوه. فتح الباري (ج ٢٠/ ص ٨٩).

(٣) أَيْ تَعْرِفُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَتُنْكِر. فتح الباري (ج ٢٠/ ص ٨٩).

(٤) أَيْ كَأَنَّهُمْ كَائِنُونَ عَلَىٰ شَفَا جُرُف مِنْ النَّار، يَدْعُونَ الْخَلْق إِلَيْهَا. عون (٩/ ٢٨٨).

أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَىٰ أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ**»[١].

وعَنْ سُبَيْعِ بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: أَتَيْتُ الْكُوفَةَ فِي زَمَنِ فُتِحَتْ تُسْتَرُ، أَجْلُبُ مِنْهَا بِغَالًا، فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا صَدْعٌ مِنَ الرِّجَالِ، وَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ تَعْرِفُ إِذَا رَأَيْتَهُ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ الْحِجَازِ، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَتَجَهَّمَنِي الْقَوْمُ، وَقَالُوا: أَمَا تَعْرِفُ هَذَا؟ هَذَا حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: إِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، فَأَحْدَقَهُ الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي أَرَىٰ الَّذِي تُنْكِرُونَ، إِنِّي قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْخَيْرَ الَّذِي أَعْطَانَا اللهُ، أَيَكُونُ بَعْدَهُ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قُلْتُ: فَمَا الْعِصْمَةُ مِنْ ذَلِكَ[٢]؟ قَالَ: «**السَّيْفُ**»[٣]، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ مَاذَا يَكُونُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ لِلَّهِ خَلِيفَةٌ فِي الْأَرْضِ فَضَرَبَ ظَهْرَكَ**[٤]**، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَأَطِعْهُ**[٥]**، وَإِلَّا فَمُتْ، وَأَنْتَ عَاضٌّ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ**»[٦]، قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ**،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) أَيْ فَمَا طَرِيقُ النَّجَاةِ وَالثَّبَاتِ عَلَىٰ الْخَيْرِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَنْ الْوُقُوعِ فِي ذَلِكَ الشَّرّ. عون المعبود (ج٩ص ٢٨٨).

(٣) أَيْ تَحْصُلُ الْعِصْمَةُ بِاسْتِعْمَالِ السَّيْف، أَوْ طَرِيقُهَا أَنْ تَضْرِبَهُمْ بِالسَّيْفِ، قَالَ قَتَادَةُ: الْمُرَادُ بِهَذِهِ الطَّائِفَة، هُمْ الَّذِينَ اِرْتَدُّوا بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي زَمَنِ خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه.عون المعبود (ج٩ص ٢٨٨).

(٤) أَيْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ بِالْبَاطِلِ، وَظَلَمَكَ فِي نَفْسك. عون المعبود (٩/ ٢٨٨).

(٥) أي وَلَا تُخَالِفْهُ لِئَلَّا تَثُورَ فِتْنَة. عون المعبود - (ج ٩/ ص ٢٨٨).

(٦) أَيْ بِأَصْلِهَا، أَيْ: اخْرُجْ مِنْهُمْ إِلَىٰ الْبَوَادِي، وَكُلْ فِيهَا أُصُولَ الشَّجَرِ وَاكْتَفِ بِهَا، قَالَهُ السِّنْدِيُّ. وقَالَ فِي الْفَتْح: الْجِذْل: عُودٌ يُنْصَبُ لِتَحْتَكَّ بِهِ الْإِبِل. قَالَ الْبَيْضَاوِيّ: الْمَعْنَىٰ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي =

فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ، وَجَبَ أَجْرُهُ، وَحُطَّ وِزْرُهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ، وَجَبَ وِزْرُهُ، وَحُطَّ أَجْرُهُ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**ثُمَّ هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ**»(١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ**(٢) **وَمَوَاقِعَ القَطْرِ**(٣)، **يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ**»(٤)(٥).

= الْأَرْضِ خَلِيفَة، فَعَلَيْكَ بِالْعُزْلَةِ وَالصَّبْرِ عَلَىٰ تَحَمُّلِ شِدَّةِ الزَّمَان، وَعَضُّ أَصْلِ الشَّجَرَة، كِنَايَةٌ عَنْ مُكَابَدَةِ الْمَشَقَّة، كَقَوْلِهِمْ: فُلَانٌ يَعَضُّ الْحِجَارَةَ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَم، أَوْ الْمُرَادُ: اللُّزُوم، كَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيث الْآخَر: «**عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**» عون المعبود (ج٩/ ص ٢٨٨).

(١) حسن: أخرجه أبو داود في سننه (٤٢٤٤)، وأحمد في مسنده (٢٣٢٨٢)، ومعمر بن راشد في جامعه (٢٠٧١١)، وغيرهم من حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه نصر بن عاصم: صدوق.

(٢) شَعَف: جَمْعُ شَعَفَةٍ، وَهِيَ رُءُوسُ الْجِبَالِ. (فتح الباري) (ح١٩).

(٣) أَيْ الْمَوَاضِعُ الَّتِي يَسْتَقِرّ فِيهَا الْمَطَرُ كَالْأَوْدِيَةِ. شرح سنن النسائي (٦/ ٤٣٨).

وَخَصَّهُمَا - أي: شَعَف الجبال ومَواضِع القَطْر - بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمَا مَظَانُّ الْمَرْعَىٰ. (فتح الباري) (ح١٩).

(٤) أخرجه البخاري (١٩) وغيره من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٥) الْخَبَرُ دَالٌّ عَلَىٰ فَضِيلَةِ الْعُزْلَةِ لِمَنْ خَافَ عَلَىٰ دِينِهِ، وَقَدِ اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي أَصْلِ الْعُزْلَةِ. فَقَالَ الْجُمْهُورُ: الِاخْتِلَاطُ أَوْلَىٰ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ اكْتِسَابِ الْفَوَائِدِ الدِّينِيَّةِ، لِلْقِيَامِ بِشَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، وَتَكْثِيرِ سَوَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِيصَالِ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ إِلَيْهِمْ، مِنْ إِعَانَةٍ وَإِغَاثَةٍ وَعِيَادَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَقَالَ قَوْمٌ: الْعُزْلَةُ أَوْلَىٰ؛ لِتَحَقُّقِ السَّلَامَةِ، بِشَرْطِ مَعْرِفَةِ مَا يَتَعَيَّنُ، وَقَدْ مَضَىٰ طَرَفٌ مِنْ ذَلِكَ فِي بَابِ الْعُزْلَةِ مِنْ كِتَابِ الرِّقَاقِ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ: الْمُخْتَارُ تَفْضِيلُ الْمُخَالَطَةِ لِمَنْ لَا يَغْلِبُ عَلَىٰ ظَنِّهِ أَنَّهُ يَقَعُ فِي مَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أَشْكَلَ الْأَمْرُ، فَالْعُزْلَةُ أَوْلَىٰ. وَقَالَ غَيْرُهُ: يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَحَتَّمُ عَلَيْهِ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَرَجَّحُ، ولَيْسَ الْكَلَامُ فِيهِ، بَلْ إِذَا تَسَاوَيَا فَيَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ فَإِنْ تَعَارَضَا اخْتَلَفَ بِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ، فَمَنْ يَتَحَتَّمُ عَلَيْهِ الْمُخَالَطَةُ: مَنْ كَانَتْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَىٰ إِزَالَةِ الْمُنْكَرِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ إِمَّا عَيْنًا وَإِمَّا كِفَايَةً، بِحَسَبِ الْحَالِ وَالْإِمْكَانِ، وَمِمَّنْ يَتَرَجَّحُ، مَنْ يَغْلِبُ عَلَىٰ ظَنِّهِ أَنَّهُ يَسْلَمُ فِي نَفْسِهِ إِذَا قَامَ فِي الْأَمْرِ =

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ**(١) **فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ**(٢)، **يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**(٣)»(٤).

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ(٥)، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ(٦)، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ

= بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَمِمَّنْ يَسْتَوِي: مَنْ يَأْمَنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَلَكِنَّهُ يَتَحَقَّقُ أَنَّهُ لَا يُطَاعُ. وَهَذَا حَيْثُ لَا يَكُونُ هُنَاكَ فِتْنَةٌ عَامَّةٌ، فَإِنْ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، تَرَجَّحَتِ الْعُزْلَةُ، لِمَا يَنْشَأُ فِيهَا غَالِبًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَحْذُورِ، وَقَدْ تَقَعُ الْعُقُوبَةُ بِأَصْحَابِ الْفِتْنَةِ، فَتَعُمُّ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهلهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].وَيُؤَيِّدُ التَّفْصِيلَ الْمَذْكُورَ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ أَيْضًا: «**خَيْرُ النَّاسِ رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَرَجُلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**» فتح الباري (١٣/ ٤٣).

(١) **بَادِرُوا** أَيْ: سَابِقُوا وَسَارِعُوا، بِالْأَعْمَالِ أَيْ: بِالِاشْتِغَالِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. تحفة الأحوذي - (ج ٥/ ص ٤٨٣).

(٢) أَيْ كَقِطَعٍ مِنْ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ لِفَرْطِ سَوَادِهَا وَظُلْمَتِهَا، وَعَدَمِ تَبَيُّنِ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ فِيهَا. تحفة الأحوذي (ج٥ص٤٨٣).

(٣) مَعْنَىٰ الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَىٰ الْمُبَادَرَةِ إِلَىٰ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْل تَعَذُّرِهَا، وَالِاشْتِغَالِ عَنْهَا بِمَا يَحْدُثُ مِنْ الْفِتَنِ الشَّاغِلَةِ الْمُتَكَاثِرَةِ، الْمُتَرَاكِمَةِ كَتَرَاكُمِ ظَلَامِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لَا الْمُقْمِرِ، وَوَصَفَ ﷺ نَوْعًا مِنْ شَدَائِدِ تِلْكَ الْفِتَنِ، وَهُوَ أَنَّهُ يُمْسِي مُؤْمِنًا، ثُمَّ يُصْبِح كَافِرًا، أَوْ عَكْسه، وَهَذَا لِعِظَمِ الْفِتَنِ، يَنْقَلِبُ الْإِنْسَانُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ هَذَا الِانْقِلَاب. شرح النووي علىٰ مسلم - (ج ١/ ص ٢٣٢).

(٤) أخرجه مسلم (١١٨) من طريق الْعَلَاءُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) **مَاذَا أُنْزِلَ**: الْمُرَادُ بِالْإِنْزَالِ إِعْلَامُ الْمَلَائِكَةِ بِالْأَمْرِ الْمَقْدُور، أَوْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُوحِيَ إِلَيْهِ فِي نَوْمِهِ ذَاكَ بِمَا سَيَقَعُ بَعْدَهُ مِنْ الْفِتَن، فَعَبَّرَ عَنْهُ بِالْإِنْزَالِ. (فتح الباري- ح١١٥).
ومَا اِسْتِفْهَامِيَّة، مُتَضَمِّنَةٌ لِمَعْنَىٰ التَّعَجُّبِ وَالتَّعْظِيم، وَعَبَّرَ عَنْ الْعَذَابِ بِالْفِتَنِ، لِأَنَّهَا أَسْبَابه. (فتح الباري - ح١١٥).

(٦) **وَمَاذَا فُتِحَ مِنْ الْخَزَائِنِ**: قَالَ الدَّاوُدِيّ: الثَّانِي هُوَ الْأَوَّل، وَالشَّيْءُ قَدْ يُعْطَفُ عَلَىٰ نَفْسِهِ تَأْكِيدًا؛ =

الحُجَرِ(١)، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ(٢)»(٣).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ ﷺ: «اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالفِتَنُ(٤)، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ(٥)»(٦).

= لِأَنَّ مَا يُفْتَحُ مِنَ الْخَزَائِنِ يَكُونُ سَبَبًا لِلْفِتْنَةِ. (فتح الباري - ح١١٥).

(١) الْحُجَرِ: وَهِيَ مَنَازِلُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ. (فتح - ح١١٥).

* وَإِنَّمَا خَصَّهُنَّ بِالْإِيقَاظِ لِأَنَّهُنَّ الْحَاضِرَات حِينَئِذٍ، أَوْ مِنْ بَاب: «اِبْدَأْ بِنَفْسِك، ثُمَّ بِمَنْ تَعُول». (فتح الباري - ح١١٥).

(٢) عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ: أَيْ يَنْبَغِي لَهُنَّ أَنْ لَا يَتَغَافَلْنَ عَنْ الْعِبَادَة، وَيَعْتَمِدْنَ عَلَىٰ كَوْنِهِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ. (فتح الباري - ح١١٥).

(٣) أخرجه البخاري (١١٥)، وغيره من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا.

(٤) الزلازل: أَيْ الزَّلَازِلُ الْحِسِّيَّةُ أَوْ الْمَعْنَوِيَّةُ، وَهِيَ تَزَلْزُلُ الْقُلُوبِ وَاضْطِرَابُ أَهْلِهَا. تحفة الأحوذي - (ج ٦/ ص ٥٤).

* وَالْفِتَنُ: أَيْ الْبَلِيَّاتُ وَالْمِحَنُ الْمُوجِبَةُ لِضَعْفِ الدِّينِ، وَقِلَّةِ الدِّيَانَةِ، فَلَا يُنَاسِبُهُ دَعْوَةُ الْبَرَكَةِ لَهُ. وَقَالَ الْمُهَلَّبُ: إِنَّمَا تَرَكَ ﷺ الدُّعَاءَ لِأَهْلِ الْمَشْرِقِ لِيَضْعُفُوا عَنْ الشَّرِّ الَّذِي هُوَ مَوْضُوعٌ فِي جِهَتِهِمْ، لِاسْتِيلَاءِ الشَّيْطَانِ بِالْفِتَنِ. تحفة الأحوذي (٦/ ٥٤).

(٥) قَرْنُ الشَّيْطَانِ: أَيْ: يَخْرُجُ حِزْبُهُ، وَأَهْلُ وَقْتِهِ وَزَمَانِهِ، وَأَعْوَانُهُ. وَقِيلَ: يُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِالْقَرْنِ: قُوَّةَ الشَّيْطَانِ، وَمَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَىٰ الْإِضْلَالِ، وَكَانَ أَهْلُ الْمَشْرِقِ يَوْمَئِذٍ أَهْلَ كُفْرٍ، فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الْفِتْنَةَ تَكُونُ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ، وَأَوَّلُ الْفِتَنِ كَانَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِلْفُرْقَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ مِمَّا يُحِبُّهُ الشَّيْطَانُ وَيَفْرَحُ بِهِ، وَكَذَلِكَ الْبِدَعُ، نَشَأَتْ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ - كَذَا فِي فَتْحِ الْبَارِي. وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: إِنَّمَا أَشَارَ ﷺ إِلَىٰ الْمَشْرِقِ، لِأَنَّ بِهِ حَدَثَتْ وَقْعَةُ صِفِّينَ، ثُمَّ ظُهُورُ الْخَوَارِجِ فِي أَرْضِ نَجْدٍ وَالْعِرَاقِ، وَمَا وَرَائِهَا مِنْ الْمَشْرِقِ، وَكَانَتْ الْفِتْنَةُ الْكُبْرَىٰ الَّتِي كَانَتْ مِفْتَاحَ فَسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ: قَتْلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ ﷺ يُحَذِّرُ مِنْ ذَلِكَ، وَيُعْلِمُ بِهِ قَبْلَ وُقُوعِهِ، وَذَلِكَ مِنْ دَلَالَاتِ نُبُوَّتِهِ ﷺ. تحفة الأحوذي (٩/ ٤٠٣).

(٦) أخرجه البخاري (١٠٣٧)، وغيره من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

وعَنِ ابْنِ حَوَالَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ دَوْمَةٍ[١] وَعِنْدَهُ كَاتِبٌ لَهُ يُمْلِي عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**أَلَا أَكْتُبُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ؟**» قُلْتُ: لَا أَدْرِي، مَا خَارَ[٢] اللهُ لِي وَرَسُولُهُ، فَأَعْرَضَ عَنِّي - وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ، مَرَّةً فِي الْأُولَىٰ: «**نَكْتُبُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ؟**» قُلْتُ: لَا أَدْرِي، فِيمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَأَعْرَضَ عَنِّي -، فَأَكَبَّ عَلَىٰ كَاتِبِهِ يُمْلِي عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَنَكْتُبُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ؟**» قُلْتُ: لَا أَدْرِي، مَا خَارَ اللهُ لِي وَرَسُولُهُ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَأَكَبَّ عَلَىٰ كَاتِبِهِ يُمْلِي عَلَيْهِ، قَالَ: فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِي الْكِتَابِ عُمَرُ، فَقُلْتُ: إِنَّ عُمَرَ لَا يُكْتَبُ إِلَّا فِي خَيْرٍ، ثُمَّ قَالَ: «**أَنَكْتُبُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «**يَا ابْنَ حَوَالَةَ كَيْفَ تَفْعَلُ فِي فِتْنَةٍ تَخْرُجُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ كَأَنَّهَا صَيَاصِي[٣] بَقَرٍ؟**»، قُلْتُ: لَا أَدْرِي، مَا خَارَ اللهُ لِي وَرَسُولُهُ، قَالَ: «**وَكَيْفَ تَفْعَلُ فِي أُخْرَىٰ تَخْرُجُ بَعْدَهَا كَأَنَّ الْأُولَىٰ فِيهَا انْتِفَاجَةُ أَرْنَبٍ[٤]؟**» قُلْتُ: لَا أَدْرِي، مَا خَارَ اللهُ لِي وَرَسُولُهُ، قَالَ: «**اتَّبِعُوا هَذَا**»، قَالَ: وَرَجُلٌ مُقَفٍّ حِينَئِذٍ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فَسَعَيْتُ، وَأَخَذْتُ بِمَنْكِبَيْهِ، فَأَقْبَلْتُ بِوَجْهِهِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: هَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: وَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ[٥].

وعَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: قُلْنَا لِلزُّبَيْرِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا جَاءَ بِكُمْ ضَيَّعْتُمُ الْخَلِيفَةَ حَتَّىٰ قُتِلَ، ثُمَّ جِئْتُمْ تَطْلُبُونَ بِدَمِهِ؟ فَقَالَ الزُّبَيْرُ: «إِنَّا قَرَأْنَاهَا عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ

---

(١) الدومة شجر المقل والنبأ وضخام الشجر.

(٢) من الاختيار أي ما اختار.

(٣) أي قرون.

(٤) **النفج والاستنفاج**: التهييج والإثارة.

(٥) **حسن**: أخرجه أحمد في مسنده (١٧٠٠٤)، والطيالسي في مسنده (١٣٤٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٩٥)، وغيرهم من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ حَوَالَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.

* فيه الجريري: صدوق واختلط بآخره، ولكن سمع منه هذا الحديث حماد بن سلمة، وابن علية، وهما ممن سمعوا منه قبل الاختلاط.

ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٥] خَاصَّةً لَمْ نَكُنْ نَحْسَبُ أَنَّا أَهْلُهَا حَتَّىٰ وَقَعَتْ مِنَّا حَيْثُ وَقَعَتْ»[(١)].

وعَنْ كُرْزٍ الْخُزَاعِيِّ، قَالَ: أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ مُنْتَهَىٰ؟ قَالَ: «**نَعَمْ فَمَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا مِنْ أَعْجَمٍ، أَوْ عَرَبٍ أَدْخَلَهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ تَقَعُ فِتَنٌ كَالظُّلَلِ تَعُودُونَ فِيهَا أَسَاوِدَ[(٢)] صُبًّا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ مُؤْمِنٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ، يَتَّقِي رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**»[(٣)].

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا مُحَمَّدُ، إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ الدُّنْيَا فَاعْمَدْ بِسَيْفِكَ عَلَىٰ أَعْظَمِ صَخْرَةٍ فِي الْحَرَّةِ، فَاضْرِبْ بِهَا، حَتَّىٰ يَنْكَسِرَ، ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّىٰ تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ**» فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ النَّبِيُّ ﷺ[(٤)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَيْلٌ لِلْعَرَبِ[(٥)] مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ[(٦)]**»[(٧)].

---

(١) **حسن**: أخرجه أحمد في مسنده (١٤١٤) من طريق مُطَرِّفٍ، قَالَ: قُلْنَا لِلزُّبَيْرِ...فذكره موقوفا.

* فيه أبو سعيد مولىٰ بني هاشم: صدوق.

(٢) **الأَسَاوِد**: جمع الأسود، وهو: الْحَيَّةُ السَّوْدَاءُ، وذلك أنَّ الأسود-أي الحية- إذا أراد أن يَنْهش، ارْتفع، ثم انْصَبَّ علىٰ المَلْدُوغ. النهاية (ج٣ص٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (١٥٩١٩) واللفظ له، ومعمر بن راشد في جامعه (٢٠٧٤٧)، والطيالسي في مسنده (١٣٨٦)، وغيرهم من طريق عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ كُرْزِ بْنِ عَلْقَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) **صحيح**: أخرجه الطبراني في الأوسط (١٢٨٩) من حديث مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٥) أَرَادَ بِهِ الِاخْتِلَافَ الَّذِي ظَهَرَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ وَقْعَةِ عُثْمَان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَوْ مَا وَقَعَ بَيْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَمُعَاوِيَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. عون المعبود (٩/ ٢٩٠).

(٦) **أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ**: أَيْ عَنْ الْقِتَالِ وَالْأَذَىٰ، أَوْ تَرَكَ الْقِتَالَ إِذَا لَمْ يَتَمَيَّزْ الْحَقُّ مِنْ الْبَاطِلِ. عون المعبود - (ج ٩/ ص ٢٩٠).

(٧) **إسناده صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٤٢٤٩)، وأحمد في مسنده (٩٦٩١)، وغيرها من طريق =

وعَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ وَلِابْنِهِ عَلِيٍّ: انْطَلِقَا إِلَىٰ أَبِي سَعِيدٍ فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ، فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا هُوَ فِي حَائِطٍ يُصْلِحُهُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَاحْتَبَىٰ، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا حَتَّىٰ أَتَىٰ ذِكْرُ بِنَاءِ المَسْجِدِ، فَقَالَ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «**وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ**[(١)]، **يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَىٰ النَّارِ**» قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الفِتَنِ[(٢)].

○ من فقه الباب:

○ فوائدُ العلْمِ بعلاماتِ الساعة:

١- التصديق الجازمَ بهذه العلامات؛ لأنها من الإيمان بالغيب، وقد أخبرنا اللهُ ورسولهُ عنها.

٢- تثبيت الإيمان بيوم القيامة بعد وقوع العلامات التي تدل عليه.

= الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(١) الْمُرَادُ «بِالْفِئَةِ»: أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ، وَالْفِئَةُ: الْجَمَاعَةُ، وَ«الْبَاغِيَةُ» هُمْ الَّذِينَ خَالَفُوا الْإِمَامَ، وَخَرَجُوا عَنْ طَاعَتِهِ بِتَأْوِيلٍ بَاطِلٍ، وَأَصْلُ الْبَغْيِ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ. تحفة الأحوذي - (ج ٩/ ص ٢٢٢).

* قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: فَإِنْ قِيلَ: كَانَ قَتْلُهُ بِصِفِّينَ وَهُوَ مَعَ عَلِيٍّ، وَالَّذِينَ قَتَلُوهُ مَعَ مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِن الصَّحَابَةِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ عَلَيْهِمْ الدُّعَاءُ إِلَىٰ النَّارِ، فَالْجَوَابُ أَنَّهُمْ كَانُوا ظَانِّينَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَهُمْ مُجْتَهِدُونَ لَا لَوْمَ عَلَيْهِمْ فِي اِتِّبَاعِ ظُنُونِهِمْ، فَالْمُرَادُ بِالدُّعَاءِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ: الدُّعَاءُ إِلَىٰ سَبَبِهَا، وَهُوَ طَاعَةُ الْإِمَامِ، وَكَذَلِكَ كَانَ عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ طَاعَةِ عَلِيٍّ، وَهُوَ الْإِمَامُ الْوَاجِبُ الطَّاعَةِ إِذْ ذَاكَ، وَكَانُوا هُمْ يَدْعُونَ إِلَىٰ خِلَافِ ذَلِكَ، لَكِنَّهُمْ مَعْذُورُونَ، لِلتَّأْوِيلِ الَّذِي ظَهَرَ لَهُمْ، اِنْتَهَىٰ. تحفة الأحوذي - (ج ٩/ ص ٢٢٢).

قَالَ الْعُلَمَاء: هَذَا الْحَدِيثُ حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ فِي أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ مُحِقًّا مُصِيبًا، وَالطَّائِفَة الْأُخْرَىٰ بُغَاةٌ، لَكِنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ، فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِمْ لِذَلِكَ. النووي (٩/ ٣٠٠).

(٢) البخاري (٤٤٧)، ومسلم (٢٩١٥)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

٣- معرفة أشراط الساعة يؤدي إلىٰ العمل والاستعداد ليوم الحساب، قال تعالىٰ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

٤- تعلم الأحكام الشرعية المتعلقة بهذه العلامات وكيفية التصرف حيالها: مثلا: من علامات الساعة كثرة الفتن، فكيف يتصرف المؤمن عندها؟ عن عبد الله بن عمرو قال: كنا مع رسول الله في سفر فنزلنا منزلًا، فنادىٰ منادي رسول الله فاجتمعنا إلىٰ رسول الله فقال: «**إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعل عافيتُها في أولها، وسيصيب آخرَها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها، وتجيء فتنةٌ فيرقق بعضُها بعضًا، وتجيء الفتنةُ فيقول المؤمنُ: هذه مهلكتي، ثم تنكشفُ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه فمن أحب أن يزحزَحَ عن النارِ ويدخل الجنة فلتأته منيتُه وهو يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، وليأت الناسَ الذي يحبُّ أن يؤتَىٰ إليه**»(١).

باب خروج الخوارج من علامات الساعة

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُوَ بِالْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا، إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيُّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِلَابٍ، وَزَيْدُ الْخَيْرِ الطَّائِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ، قَالَ: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: أَتُعْطِي صَنَادِيدَ نَجْدٍ وَتَدَعُنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَتَأَلَّفَهُمْ**» فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُّ اللِّحْيَةِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ(٢)، نَاتِئُ

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٢) الْمُرَاد أَنَّ عَيْنَيْهِ دَاخِلَتَانِ فِي مَحَاجِرهمَا، لَاصِقَتَيْنِ بِقَعْرِ الْحَدَقَة، وَهُوَ ضِدُّ الْجُحُوظ. فتح الباري (ج١٢ص ٢٦٢).

الْجَبِينِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ[١]، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ، يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَمَنْ يُطِعِ اللهَ إِنْ عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي؟**» قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فِي قَتْلِهِ - يُرَوْنَ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ - فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ[٢] لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ[٣] يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»[٤].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ[٥] قُطِعَ**» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّىٰ يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ**»[٦].

وعَنْ أَبِي غَالِبٍ، قَالَ: رَأَىٰ أَبُو أُمَامَةَ رُءُوسًا مَنْصُوبَةً عَلَىٰ دَرَجِ دِمَشْقَ، فَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ: «**كِلَابُ النَّارِ[٧] شَرُّ قَتْلَىٰ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَىٰ مَنْ**

---

(١) الْخَوَارِج سِيمَاهُمْ التَّحْلِيق، وَكَانَ السَّلَف يُوَفِّرُونَ شُعُورهمْ لَا يَحْلِقُونَهَا، وَكَانَتْ طَرِيقَةُ الْخَوَارِجِ حَلْقُ جَمِيع رُءُوسِهِمْ. فتح الباري (ج١٢ص ١٦٢).

(٢) يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ: أَيْ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ سَهْلًا لِكَثْرَةِ حِفْظِهِمْ، وَيُؤَيِّده قَوْلُهُ ﷺ فِي مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي بَكْرَة: «**قَوْم أَشِدَّاء أَحِدَّاء، ذَلِقَة أَلْسِنَتهمْ بِالْقُرْآن**» النووي (ج ٤/ ص ٢١).

(٣) أَيْ أَنَّ قِرَاءَتهمْ لَا يَرْفَعهَا اللهُ وَلَا يَقْبَلهَا. وَقِيلَ: لَا يَعْمَلُونَ بِالْقُرْآنِ، فَلَا يُثَابُونَ عَلَىٰ قِرَاءَته، فَلَا يَحْصُل لَهُمْ إِلَّا سَرْده. وَقَالَ النَّوَوِيّ: الْمُرَادُ أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ حَظٌّ إِلَّا مُرُوره عَلَىٰ لِسَانهمْ، لَا يَصِل إِلَىٰ حُلُوقهمْ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَصِل إِلَىٰ قُلُوبهمْ، لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ تَعَقُّلُه وَتَدَبُّره بِوُقُوعِهِ فِي الْقَلْب. قُلْت: وَهُوَ مِثْل قَوْله ﷺ فِيهِمْ أَيْضًا: «**لَا يُجَاوِز إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ**». أَيْ: يَنْطِقُونَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَلَا يَعْرِفُونَهَا بِقُلُوبِهِمْ. فتح الباري (١٩/ ٣٨٩).

(٤) البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) **كلما خَرَجَ قَرْنٌ**: أَيْ ظَهَرَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ. حاشية السندي علىٰ ابن ماجه - (ج ١/ ص ١٥٩).

(٦) **حسن**: أخرجه ابن ماجه في سننه (١٧٤) من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٧) **كلاب النار**: أَي أَصْحَابُ هَذِهِ الرُّءُوسِ كِلَابُ النَّارِ. تحفة الأحوذي (ج ٧/ ص ٣٢٠).

قَتَلُوهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ، قُلْتُ لِأَبِي أُمَامَةَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا حَتَّىٰ عَدَّ سَبْعًا مَا حَدَّثْتُكُمُوهُ(١).

❍ **من فقه الباب:**

الخوارج: سُمُّوا بِذَلِكَ لِخُرُوجِهِمْ عَنْ الدِّينِ وَابْتِدَاعِهِمْ، أَوْ خُرُوجِهِمْ عَنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَصْلُ بِدْعَتِهِمْ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَنْكَرُوا سِيرَةَ بَعْضِ أَقَارِبِ عُثْمَانَ، فَطَعَنُوا عَلَىٰ عُثْمَانَ بِذَلِكَ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُمْ: الْقُرَّاءُ، لِشِدَّةِ اجْتِهَادِهِمْ فِي التِّلَاوَةِ وَالْعِبَادَةِ إِلَّا أَنَّهُمْ يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ غَيْرِ الْمُرَادِ مِنْهُ، وَيَسْتَبِدُّونَ بِآرَائِهِمْ، وَيُبَالِغُونَ فِي الزُّهْدِ وَالْخُشُوعِ، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ، قَاتَلُوا مَعَ عَلِيٍّ، وَاعْتَقَدُوا كُفْرَ عُثْمَانَ وَمَنْ تَابَعَهُ، وَاعْتَقَدُوا إِمَامَةَ عَلِيٍّ، وَكُفْرَ مَنْ قَاتَلَهُ مِنْ أَهْلِ الْجَمَلِ الَّذِينَ كَانَ رَئِيسُهُمْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، فَإِنَّهُمَا خَرَجَا إِلَىٰ مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ بَايَعَا عَلِيًّا، فَلَقِيَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَكَانَتْ حَجَّتْ تِلْكَ السَّنَةَ، فَاتَّفَقُوا عَلَىٰ طَلَبِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ، وَخَرَجُوا إِلَىٰ الْبَصْرَةِ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَىٰ ذَلِكَ، فَبَلَغَ عَلِيًّا فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَوَقَعَتْ بَيْنَهُمْ وَقْعَةُ الْجَمَلِ الْمَشْهُورَةُ، وَانْتَصَرَ عَلِيٌّ، وَقُتِلَ طَلْحَةُ فِي الْمَعْرَكَةِ، وَقُتِلَ الزُّبَيْرُ بَعْدَ أَنْ انْصَرَفَ مِنْ الْوَقْعَةِ، فَهَذِهِ الطَّائِفَةُ هِيَ الَّتِي كَانَتْ تَطْلُبُ بِدَمِ عُثْمَانَ بِالِاتِّفَاقِ، ثُمَّ قَامَ مُعَاوِيَةُ بِالشَّامِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، وَكَانَ أَمِيرَ الشَّامِ إِذْ ذَاكَ، وَكَانَ عَلِيٌّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ يُبَايِعَ لَهُ أَهْلَ الشَّامِ فَاعْتَلَّ بِأَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا، وَأَنَّهَا تَجِبُ الْمُبَادَرَةُ إِلَىٰ الِاقْتِصَاصِ مِنْ قَتَلَتِهِ، وَأَنَّهُ أَقْوَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ الطَّلَبِ

---

(١) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه الترمذي في سننه (٣٠٠٠)، وابن ماجه في سننه (١٧٦)، من طريق أبي غالب عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا.

* فيه أبو غالب البصري: صدوق.

والحديث له طريق آخر من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه مرفوعًا، يصح بمجموع الطريقين.

بِذَلِكَ، وَالْتَمَسَ مِنْ عَلِيٍّ أَنْ يُمَكِّنَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ يُبَايِعَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَعَلِيٌّ يَقُولُ: أُدْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، وَحَاكِمْهُمْ إِلَيَّ، أَحْكُمْ فِيهِمْ بِالْحَقِّ، فَلَمَّا طَالَ الْأَمْرُ خَرَجَ عَلِيٌّ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ طَالِبًا قِتَالَ أَهْلِ الشَّامِ، فَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ فِي أَهْلِ الشَّامِ قَاصِدًا لِقِتَالِهِ، فَالْتَقَيَا بِصِفِّينَ، فَدَامَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ أَشْهُرًا، وَكَادَ مُعَاوِيَةُ وَأَهْلُ الشَّامِ أَنْ يَنْكَسِرُوا، فَرَفَعُوا الْمَصَاحِفَ عَلَىٰ الرِّمَاحِ وَنَادَوْا: نَدْعُوكُمْ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ - وَكَانَ ذَلِكَ بِإِشَارَةِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ مَعَ مُعَاوِيَةَ - فَتَرَكَ الْقِتَالَ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَ عَلِيٍّ، خُصُوصًا الْقُرَّاءُ بِسَبَبِ ذَلِكَ، تَدَيُّنًا، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ٢٣] الْآيَة، فَرَاسَلُوا أَهْلَ الشَّامِ فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا: ابْعَثُوا حَكَمًا مِنْكُمْ وَحَكَمًا مِنَّا، وَيَحْضُرُ مَعَهُمَا مَنْ لَمْ يُبَاشِرْ الْقِتَالَ، فَمَنْ رَأَوْا الْحَقَّ مَعَهُ أَطَاعُوهُ، فَأَجَابَ عَلِيٌّ وَمَنْ مَعَهُ إِلَىٰ ذَلِكَ، وَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ الطَّائِفَةُ الَّتِي صَارَتْ خَوَارِجَ، وَفَارَقُوا عَلِيًّا، وَهُمْ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ، وَقِيلَ: كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ، وَنَزَلُوا مَكَانًا يُقَالُ لَهُ: حَرُورَاءُ، وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ لَهُمْ: الْحَرُورِيَّةُ، وَكَانَ كَبِيرُهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْكَوَّاءِ الْيَشْكُرِيَّ، وَشَبَثُ التَّمِيمِيَّ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ ابْنَ عَبَّاسٍ فَنَاظَرَهُمْ فَرَجَعَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مَعَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ فَأَطَاعُوهُ، وَدَخَلُوا مَعَهُ الْكُوفَةَ، وَمَعَهُمْ رَئِيسَاهُمْ الْمَذْكُورَانِ، ثُمَّ أَشَاعُوا أَنَّ عَلِيًّا تَابَ مِنْ الْحُكُومَةِ، وَلِذَلِكَ رَجَعُوا مَعَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَخَطَبَ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ، فَتَنَادَوْا مِنْ جَانِبِ الْمَسْجِدِ: لَا حُكْمَ إِلَّا للهِ، فَقَالَ: كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ، فَقَالَ لَهُمْ: لَكُمْ عَلَيْنَا ثَلَاثٌ: أَنْ لَا نَمْنَعَكُمْ مِنْ الْمَسَاجِدِ، وَلَا مِنْ رِزْقِكُمْ مِنْ الْفَيْءِ، وَلَا نَبْدَأَكُمْ بِقِتَالٍ، مَا لَمْ تُحْدِثُوا فَسَادًا، فَخَرَجُوا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ إِلَىٰ أَنْ اجْتَمَعُوا بِالْمَدَائِنِ، فَرَاسَلَهُمْ عَلِيٌّ فِي الرُّجُوعِ، فَأَصَرُّوا عَلَىٰ الِامْتِنَاعِ حَتَّىٰ يَشْهَدَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْكُفْرِ لِرِضَاهُ بِالتَّحْكِيمِ، وَيَتُوبَ،

ثُمَّ رَاسَلَهُمْ أَيْضًا، فَأَرَادُوا قَتْلَ رَسُولِهِ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ مَنْ لَا يَعْتَقِدُ مُعْتَقَدَهُمْ يَكْفُرُ، وَيُبَاحُ دَمُهُ وَمَالُهُ وَأَهْلُهُ، وَاسْتَعْرَضُوا النَّاسَ، فَقَتَلُوا مَنْ اجْتَازَ بِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمَرَّ بِهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ خَبَّابُ بْنِ الْأَرَتِّ وَالِيًا لِعَلِيٍّ عَلَىٰ بَعْضِ تِلْكَ الْبِلَادِ، وَمَعَهُ سُرِّيَّتُهُ وَهِيَ حَامِلٌ، فَقَتَلُوهُ، وَبَقَرُوا بَطْنَ سُرِّيَّتِهِ عَنْ وَلَدٍ، فَبَلَغَ عَلِيًّا فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي الْجَيْشِ الَّذِي كَانَ هَيَّأَهُ لِلْخُرُوجِ إِلَىٰ الشَّامِ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ فِي النَّهْرَوَانُ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُم إِلَّا دُونَ الْعَشَرَةِ، وَما قُتِلَ مِمَّنْ مَعَهُ إِلَّا نَحْوُ الْعَشَرَةِ هَذَا مُلَخَّصُ أَوَّلِ أَمْرِهِمْ، ثُمَّ انْضَمَّ إِلَىٰ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ مِمَّنْ مَالَ إِلَىٰ رَأْيِهِمْ، فَكَانُوا مُخْتَفِينَ فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ، حَتَّىٰ كَانَ مِنْهُمْ ابْنُ مُلْجَم لَعَنَهُ اللهُ، الَّذِي قَتَلَ عَلِيًّا ﵁ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، ثُمَّ لَمَّا وَقَعَ صُلْحُ الْحَسَنِ وَمُعَاوِيَةَ ثَارَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ عَسْكَرُ الشَّامِ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: النُّخَيْلَةُ، وَكَانُوا مُنْقَمِعِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي إِمَارَةِ زِيَادٍ وَابْنِهِ طُولَ مُدَّةِ وِلَايَةِ مُعَاوِيَةَ وَابْنِهِ يَزِيدَ، وَظَفِرَ زِيَادٌ وَابْنُهُ بِجَمَاعَةٍ مِنْهُمْ، فَأَبَادَهُمْ بَيْنَ قَتْلٍ وَحَبْسٍ طَوِيلٍ، فَلَمَّا مَاتَ يَزِيدُ وَوَقَعَ الِافْتِرَاقُ وَوُلِّيَ الْخِلَافَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَأَطَاعَهُ أَهْلُ الْأَمْصَارِ إِلَّا بَعْضَ أَهْلِ الشَّامِ، وَثَارَ مَرْوَانُ فَادَّعَىٰ الْخِلَافَةَ، وَغَلَبَ عَلَىٰ جَمِيعِ الشَّامِ ثُمَّ مِصْرَ، ظَهَرَ الْخَوَارِجُ حِينَئِذٍ بِالْعِرَاقِ مَعَ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ بِالْيَمَامَةِ، وَمَعَ نَجْدَةَ بْنِ عَامِرٍ، وَزَادَ نَجْدَةُ عَلَىٰ مُعْتَقَدِ الْخَوَارِجِ أَنَّ مَنْ لَمْ يَخْرُجْ وَيُحَارِب الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ كَافِرٌ، وَلَو اعْتَقَدَ مُعْتَقَدَهُمْ، وَعَظُمَ الْبَلَاءُ بِهِمْ، وَتَوَسَّعُوا فِي مُعْتَقَدِهِمْ الْفَاسِدِ، فَأَبْطَلُوا رَجْمَ الْمُحْصَنِ، وَقَطَعُوا السَّارِقَ مِنْ الْإِبْطِ، وَأَوْجَبُوا الصَّلَاةَ عَلَىٰ الْحَائِضِ فِي حَيْضِهَا وَكَفَّرُوا مَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ إِنْ كَانَ قَادِرًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا فَقَد ارْتَكَبَ كَبِيرَةً، وَحُكْمُ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ عِنْدَهُمْ حُكْمُ الْكَافِرِ، وَكَفُّوا عَنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَعَنْ التَّعَرُّضِ لَهُمْ مُطْلَقًا،

وَفتكُوا فِي الْمُنْتَسِبِينَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مُطْلَقًا بِغَيْرِ دَعْوَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو أَوَّلًا ثُمَّ يَفْتِكُ، وَلَمْ يَزَلْ الْبَلَاءُ بِهِمْ إِلَىٰ أَنْ أُمِّرَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ عَلَىٰ قِتَالِهِمْ فَطَاوَلَهُمْ حَتَّىٰ ظَفِرَ بِهِمْ، وَتَقَلَّلَ جَمْعُهُمْ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ مِنْهُمْ بَقَايَا فِي طُولِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ، وَصَدْرِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَدَخَلَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ الْمَغْرِبَ هَذَا خُلَاصَةُ مُعْتَقَدِ الْخَوَارِجِ، وَالسَّبَبُ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَرَجُوا، وَهُوَ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْأَخْبَارِ. نيل الأوطار (ج ١١/ ص ٣٦٧ وما بعدها).

باب جَوْرُ السُّلْطَانِ من علامات الساعة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ رَأْسِ السَّبْعِينَ، إِمَارَةِ الصِّبْيَانِ**»(١).

○ **من فقه الباب:**

أَمْرُهُ ﷺ بِالتَّعَوُّذِ مِنْ رَأْسِ السَّبْعِينَ، لَعَلَّهُ لِمَا ظَهَرَ فِيهَا مِنْ الْفِتَنِ الْعَظِيمَةِ، مِنْهَا قَتْلُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَوَقْعَةُ الْحَرَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَقَعَ فِي عَشْرِ السَّبْعِينَ. نيل الأوطار - (ج ١٣/ ص ٣١١).

باب قِلَّةُ الْعُلَمَاءِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ

عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، **يَقُولُ**: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ**

(١) حسن: أخرجه أحمد في مسنده (٨٣١٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٢٣٥) من طريق كَامِلٍ أَبِي الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه كامل أبو العلاء: صدوق.

الْعُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[1].

○ من فقه الباب:

فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَىٰ حِفْظِ الْعِلْمِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ تَرْئِيسِ الْجَهَلَة، وَفِيهِ أَنَّ الْفَتْوَىٰ هِيَ الرِّيَاسَة الْحَقِيقِيَّة، وَذَمُّ مَنْ يُقْدِمُ عَلَيْهَا بِغَيْرِ عِلْم، وَاسْتَدَلَّ بِهِ الْجُمْهُورُ عَلَىٰ الْقَوْلَ بِخُلُوِّ الزَّمَان عَنْ مُجْتَهِد، وَلِلهِ الْأَمْر، يَفْعَل مَا يَشَاء. (فتح - ح١٠٠).

باب فساد علماء آخر الزمان

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَفِينَا الْأَعْرَابِيُّ وَالْأَعْجَمِيُّ، فَقَالَ: «**اقْرَءُوا فَكُلٌّ حَسَنٌ وَسَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَامُ الْقِدْحُ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ**»[2].

باب كثرة الفتن واستحلال المحرمات وأنه من علامات الساعة

عن أبي واقد قال: إن رسول الله ﷺ قال ونحن جلوس علىٰ بساط: «**إنها ستكون فتنة**» قالوا: كيف نفعل يا رسول الله؟ قال: فرد يده إلىٰ البساط فأمسك به قال: «**تفعلون هكذا**»، وذكر لهم رسول الله ﷺ يومًا أنها ستكون فتنة فلم يسمعه كثير من الناس فقال معاذ: تسمعون ما يقول رسول الله ﷺ؟ قالوا: ما قال؟ قال: يقول: «**إنها ستكون فتنة**»، قالوا: فكيف لنا يا رسول الله؟ أو كيف

(١) البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٨٣٠)، وأحمد في مسنده (١٤٨٥٥)، وسعيد بن منصور في التفسير من سننه (٣١)، وغيرهم من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما مرفوعًا.

نصنع؟ قال: «ترجعون إلىٰ أمركم الأول»[(١)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ[(٢)] إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، وَلَا فَشَتِ الْفَاحِشَةُ[(٣)] فِي قَوْمٍ إِلَّا أَخَذَهُمُ اللهُ بِالْمَوْتِ، وَمَا طَفَّفَ قَوْمٌ الْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذَهُمُ اللهُ بِالسِّنِينَ[(٤)]، وَمَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلَّا مَنَعَهُمُ اللهُ الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا جَارَ قَوْمٌ فِي حُكْمٍ إِلَّا كَانَ الْبَأْسُ بَيْنَهُمْ - أَظُنُّهُ قَالَ: وَالْقَتْلُ»[(٥)].

باب فَسَادُ أَكْثَرِ النَّاسِ وَذَهَابُ الصَّالِحِين وأنه من علامات الساعة

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ» أَوْ «يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً، تَبْقَىٰ حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا، فَكَانُوا هَكَذَا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَقَالُوا: وَكَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَىٰ أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ»[(٦)].

وعن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ

---

(١) **صحيح**: أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١٨٤)، والطبراني في الأوسط (٨٦٧٩)، وابن بشران في أماليه (الجزء الأول) (٢١٧)، من طريق عَيَّاشِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ بُسْرَ بْنَ سَعِيدٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا وَاقِدٍ اللَّيْثِيَّ...فذكره مرفوعًا.

(٢) **الْعَهْدَ**: هُوَ مَا جَرَىٰ بَيْنَهُمْ وَبَيْن أَهْل الْحَرْب. حاشية السندي علىٰ ابن ماجه (٧/ ٣٨٦).

(٣) **الْفَاحِشَةُ**: أَيْ الزِّنَا. حاشية السندي علىٰ ابن ماجه - (ج ٧/ ص ٣٨٦).

(٤) أَيْ بِالْقَحْطِ. حاشية السندي علىٰ ابن ماجه - (ج ٧/ ص ٣٨٦).

(٥) **صحيح**: أخرجه البيهقي في الكبرىٰ (٦٣٩٨) من طريق الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا موقوفًا.

(٦) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٤٣٤٢)، وابن ماجه في سننه (٣٩٥٧)، وأحمد في مسنده (٦٥٠٨)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» - قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ قَرْنِهِ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً - **«ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»**(١).

○ **من فقه الباب:**

قوله: «**يُغَرْبَلُ النَّاسُ**»: أَيْ يَذْهَبُ خِيَارُهُمْ، وَيَبْقَىٰ أَرَاذِلُهُمْ، كَأَنَّهُمْ نُقُّوا بِالْغِرْبَالِ. عون (٩/ ٣٧٦).

قوله «**مَرَجَتْ**»: أَي اخْتَلَطَتْ وَفَسَدَتْ. عون المعبود - (ج ٩/ ص ٣٧٦).

قوله «**أَمَانَاتُهُمْ**»: أَيْ لَا يَكُونُ أَمْرُهُمْ مُسْتَقِيمًا، بَلْ يَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ عَلَىٰ طَبْعٍ وَعَلَىٰ عَهْد، يَنْقُضُونَ الْعُهُود، وَيَخُونُونَ الْأَمَانَات. عون المعبود (٩/ ٣٧٦).

قوله «**وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**»: أَيْ يُمْزَجُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَتَلَبَّسَ أَمْرُ دِينِهِمْ، فَلَا يُعْرَفُ الْأَمِينُ مِنْ الْخَائِن، وَلَا الْبَرُّ مِن الْفَاجِر. عون المعبود (٩/ ٣٧٦).

قوله «**وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ**»: أَي اِلْزَمْ أَمْرَ نَفْسِك، وَاحْفَظْ دِينَك، وَاتْرُك النَّاسَ وَلَا تَتَّبِعْهُمْ، وَهَذَا رُخْصَةٌ فِي تَرْك الْأَمْر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنْكَر إِذَا كَثُرَ الْأَشْرَار، وَضَعُفَ الْأَخْيَار. عون المعبود - (ج ٩/ ص ٣٧٧).

باب غُرْبَةِ الْإِسْلَامِ بَيْنَ أَهْلِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ»**(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٥)، وغيره من طريق أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.

❍ من فقه الباب:

بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا: أَيْ بَدَأَ فِي آحَادٍ مِن النَّاسِ وَقِلَّةٍ، يُنْكِرُهُم النَّاسُ وَلَا يُخَالِطُونَهُمْ. تحفة الأحوذي - (ج ٦/ ص ٤٢٧).

فَطُوبَىٰ: اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَىٰ (طُوبَىٰ)، فَرُوِيَ عَنْ اِبْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ مَعْنَاهُ فَرَحٌ وَقُرَّةُ عَيْن، وَقَالَ عِكْرِمَة: نِعْمَ مَا لَهُمْ، وَقَالَ إِبْرَاهِيم: خَيْرٌ لَهُمْ وَكَرَامَة، وَقِيلَ: الْجَنَّة، وَقِيلَ: شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّة، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُحْتَمَلَةٌ فِي الْحَدِيث. شرح النووي علىٰ مسلم - (ج ١/ ص ٢٦٩).

«**الْغُرَبَاءِ**» **أَيْ**: الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، لِصَبْرِهِمْ عَلَىٰ الْأَذَىٰ. تحفة الأحوذي - (ج ٦/ ص ٤٢٧).

باب من علامات الساعة تَخْوِينُ الْأَمِينِ، وَتَأْمِينُ الْخَائِنِ

عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: وَفَدْتُ مَعَ أَبِي إِلَىٰ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بِحُوَّارَيْنَ حِينَ تُوُفِّيَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، نُعَزِّيهِ وَنُهَنِّيهِ بِالْخِلَافَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ فِي مَسْجِدِهَا يَقُولُ: أَلَا إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْأَشْرَارُ، وَيُوضَعَ الْأَخْيَارُ، أَلَا إِنَّ «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أَنْ يَظْهَرَ الْقَوْلُ وَيُخْزَنَ الْعَمَلُ، أَلَا إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أَنْ تُتْلَىٰ الْمَثْنَاةُ فَلَا يُوجَدُ مَنْ يُغَيِّرُهَا»، قِيلَ لَهُ: وَمَا الْمَثْنَاةُ؟ قَالَ: «مَا اسْتُكْتِبَ مِنْ كِتَابٍ غَيْرِ الْقُرْآنِ، فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَبِهِ هُدِيتُمْ، وَبِهِ تُجْزَوْنَ، وَعَنْهُ تُسْأَلُونَ». فَلَمْ أَدْرِ مَنِ الرَّجُلُ، فَحَدَّثْتُ هَذَا الْحَدِيثِ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِمْصَ، فَقَالَ لِي رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَوَ مَا تَعْرِفُهُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[1].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الدارمي في سننه (٤٩٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٥٤٩) مختصرًا، والطبراني في مسند الشاميين (٤٨٢)، وغيرهم من طريق عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا موقوفًا.

❍ **من فقه الباب:**

قال الألباني: هو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو في حكم المرفوع، لأنه لَا يقال بمجرد الرأي.

ثم قال الألباني (فائدة): هذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ، فقد تحقق كل ما فيه من الأنباء، وبخاصة منها ما يتعلق بـ (المَثْنَاة) وهي كل ما كُتِب سوىٰ كتاب الله كما فسره الراوي، وما يتعلق به من الأحاديث النبوية والآثار السلفية، فكأن المقصود بـ (المثناة) الكتب المَذْهَبِيَّة المفروضة علىٰ المقلدين، التي صرفتهم مع تطاول الزمن عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما هو مُشاهَد اليوم مع الأسف من جماهير المتمذهبين، وفيهم كثير من الدكاترة والمتخرجين من كليات الشريعة، فإنهم جميعا يتدينون بالتمذهب، ويُوجبونه علىٰ الناس حتىٰ العلماء منهم، فهذا كبيرهم (فلان) يقول كلمته المشهورة: كل آية تخالف ما عليه أصحابنا، فهي مُؤَوَّلَةٌ أو منسوخة، وكلُّ حديث كذلك فهو مؤَوَّل أو منسوخ. فقد جعلوا المذهب أصلًا، والقرآن الكريم تبعًا، فذلك هو (المثناة) دون ما شك أو ريب.

وأما ما جاء في «النهاية» عقب الحديث، وفيه تفسير (المثناة): «وقيل: إن المثناة هي أخبار بني إسرائيل بعد موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وضعوا كتابًا فيما بينهم علىٰ ما أرادوا من غير كتاب الله، فهو (المثناة)، فكأن ابن عمرو كره الأخذ عن أهل الكتاب، وقد كان عنده كتب وقعت إليه يوم اليرموك منهم، فقال هذا لمعرفته بما فيها».

قلت: وهذا التفسير بعيدٌ كل البعدِ عن ظاهر الحديث، وأن (المثناة) من علامات اقتراب الساعة، فلا علاقة لها بما فعله اليهود قبل بعثته ﷺ فلا جرم أن ابن الأثير أشار إلىٰ تضعيف هذا التفسير، بتصديره إياه بصيغة (قيل). اهـ

باب من علامات الساعة انحسار الإيمان بين المسجدين

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا**»[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَىٰ جُحْرِهَا**»[(٢)].

○ من فقه الباب:

قوله «**لَيَأْرِز**»: أَيْ يَنْضَمُّ وَيَجْتَمِعُ، قَالَ الْقَارِي: وَالْمُرَادُ أَنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ يَفِرُّونَ بِإِيمَانِهِمْ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وِقَايَةً بِهَا، أَوْ لِأَنَّهَا وَطَنُهُ الَّذِي ظَهَرَ وَقَوِيَ بِهَا، وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ آخِرِ الزَّمَانِ حِينَ يَقِلُّ الْإِسْلَامُ. تحفة الأحوذي - (ج ٦/ ص ٤٢٨).

قوله «**كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَىٰ جُحْرِهَا**»: أَيْ إِنَّهَا كَمَا تَنْتَشِر مِنْ جُحْرهَا فِي طَلَب مَا تَعِيش بِهِ، فَإِذَا رَاعَهَا شَيْءٌ رَجَعَتْ إِلَىٰ جُحْرهَا. (فتح) (ج٦ص١٠٧).

مما سبق من الأبواب المتعلقة بعلامات الساعة وغيرها من النصوص الواردة في الباب يتبين أن علاماتُ الساعةِ الصغرىٰ منها علاماتٌ وقعت بالفعل ومنها ما هي مستمرة ومنها ما لم تقعْ ويمكن أن نجمل القول بذكر ما صح في علامات الساعة الصغرىٰ وهو:

١- **بعثتُه ﷺ وموتُه أولُ علاماتِ الساعةِ الصغرىٰ**: قال رسول الله: «**بُعثتُ أنا والساعةُ كهاتين**»[(٣)]، وقال: «**أعدد ستًّا بين يدي الساعةِ: موتي ثم فتح بيت المقدس...**»[(٤)] الحديث.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٦)، ومسلم (١٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٣٦)، ومسلم (٢٩٥٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣١٧٦) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.

٢- **خروجُ الدجَّالين أدعياءُ النبُّوة**: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «**لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يُبعْثَ دجالون كذابون قريبٌ من ثلاثين، كلَّ يزعُمُ أنَّه رسولُ الله**»[١] ، وقد خرج منهم في عهد الصحابة مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وسجاح، وظهر حسين بن علي بن الميرزا عباس في إيران وأتباعه البهائية، وأحمد غلام القادياني وأتباعه القاديانية وغيرهم.

٣- **تكليُم السباعِ والجمادِ للإنسِ**: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله: «**والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتىٰ يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجلَ عذبةُ سوطه وشراكُ نعله، ويخبره فخذُه بما حدَث أهلُه بعده**»[٢]، وفي الصحيحين قال رسول الله: «**بينما رجل يسوق بقرة، إذ ركبها فضربها فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث**» فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم؟ فقال: «**إنني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر**»[٣].

٤- **نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصرىٰ في الشام**: عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «**لا تقوم الساعة، حتىٰ تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرىٰ**»[٤]، وهذه النار وقعت فعلًا سنه ٦٥٤ هـ، ودامت خمسة عشر يومًا وقيل شهر، قال النوويَ في شرح مسلم «بُصرىٰ مدينة معروفة بالشام وهي مدينة حوران وقد خرجت النار في زماننا وكانت نارًا عظيمة جدًّا، تواتر العلم بخروجها» (١٨/ ٣٠)، وقال أبو شامةَ المقدسيُّ «وصلتنا كتب من الناس

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٢١)، ومسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢١٨١)، وأحمد في مسنده (١١٧٩٢)، وعبد بن حميد في مسنده (٨٧٧)، وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧١)، ومسلم (٢٣٨٨).

(٤) أخرجه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢).

تقول: كنا في بيوتنا تلك الليالي وكأن في دار كلٍ منا سراجٌ ولم يكن لها حرٌّ ولفحٌ علىٰ عِظَمِها، وانفجرت من الأرض وسال منها وادٍ من نار حتىٰ حاذ جَبَلَ أحدٍ، واللهِ يا أخي إنّ عيشتَنَا اليومَ مكدَّرةٌ، والمدينةُ قد تاب جميعُ أهلها، ولا بقي يُسْمَعُ فيها ربابٌ ولا دفٌّ ولا شربٌ» كتاب الذيل وشرحه، وقد نقل الحافظ بن حجر في فتح الباري (١٣/ ٧٩)، وصفها وتاريخها فليراجع.

٥- **إسناد الأمر إلىٰ غير أهله:** عن أبي هريرة قال: بينما النبيُّ في مجلس يحدث القومَ، جاءه إعرابيٌّ فقال: متىٰ الساعةُ؟ فمضىٰ رسولُ الله يحدث ثم قال: «**إذا ضُيعتِ الأمانةُ فانتظرِ الساعة**» قال: كيف إضاعتُها؟ قال: «**إذا وُسْدَ**- وفي رواية: **إذا أسنِدَ الأمرُ- إلىٰ غيرِ أهلِه، فانتظرِ الساعةَ**»[١]، قال المناوي في فيض القدير (١/ ٤٥١) «إذا أسند الأمرُ أي: إذا فوض الحكمُ المتعلِّقُ بالدين كالخلافة ومتعلقاتها من إمارةٍ وقضاءٍ وإفتاءٍ وتدريس وغير ذلك»، ثم قال: «إنما دل علىٰ دنو الساعة لإفضائه إلىٰ اختلال الأمر والنهي ووهن الدين وضعف الإسلام، وغلبة الجهل، ورفع العلم، وعجز أهل الحق عن القيام به ونصرته» فيض القدير (١/ ٤٥١).

٦- **انحسار الفرات عن جبلٍ من ذهب يقتتل الناس عليه:** عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «**يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا**»[٢]، وعند مسلم: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يحسر الفرات عن جبل من ذهبٍ يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائةٍ تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو**»، قال النووي «ومعنىٰ انحساره: انكشافه لذهاب مائه» وقد يكون ذلك بسبب تحول مجراه وسبب النهي عن الأخذ منه ما ينشأ من الفتنة والاقتتال وسفك الدماء.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤).

٧- **ولادةُ الأمةِ ربَّتَها أو ربَّها**: أي سيِّدَها.

٨- **وتطاولُ الحُفَاةِ العراةِ رعاةُ الشاةِ في البنيانِ**: والدليل علىٰ ذلك حديث جبريل في الصحيحين وغيرَهما وأنه أتىٰ علىٰ صورة رجل، وسأل عن الإيمان والإسلام والإحسان ومتىٰ الساعة، فأجابه رسول الله ثم قال: «**وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان**»، وفي رواية لمسلم: «**وإذ كانت العراةُ الحفاةُ رؤوسَ الناسِ فذاكَ من أشراطِها، وإذا تطاول رعاةُ البُهْمِ في البنيان، فذاك من أشراطها**»، قال ابن حجَر (فتح ١/ ١٢٢): «**إذا ولدت الأمةُ رَبَّها أو ربَّتَها**» فيه أربعة أقوال: الأول: يستولي المسلمون علىٰ بلاد الشرك وتسبىٰ ذراريهم فإذا ملك الرجل الجارية استولدها كان الولد بمنزلة ربها، الثاني: أن تبيع الساداتُ أمهاتِ أولادِهِم، فيشتريها ولدُها ولا يشعر بذلك فيكون سيدًا لها وهي أمُّه، الثالث: أن تلدَ الأَمَةُ حرًّا من غيرِ سيدِها، ثم تباعُ فيشتريها ابنُها وهو لا يعلم، الرابع: أن يكثُرَ العقوق في الأولاد، فيعامل الولدُ أمَّهُ معاملةَ السيد أمتَه من الإهانةِ بالسبِّ والاستخدام، قال ابنُ حجر: «وهذا هو أوجه الأوجه عندي لعمومه» فتح (١/ ١٢٢- ١٢٣).

٩- **وضعُ الأخيارِ ورفعُ الأشرارِ**: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «**سيأتي علىٰ الناس سنواتٌ خداعات، يصدَّقُ فيها الكاذبُ، ويكذَّبُ فيها الصادقُ، ويؤمَّنُ فيها الخائنُ ويخوَنُ فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة**» قيل وما الرويبضة؟ قال: «**الرجل التافه يتكلم في أمرِ العامَّةِ**»(١)، وعن عبد الله بن عمرو قال: «**إن من أشراط الساعة أن تُرْفَعَ الأشرارُ وتوضَعَ الأخيارُ**»(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٠٣٦)، وأحمد في مسنده (٧٩١٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه الدارمي في سننه (٤٩٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٥٤٩) مختصرًا، والطبراني في مسند الشاميين (٤٨٢)، وغيرهم من طريق عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا موقوفًا.

=

١٠- قطع الأرحام.

١١- والفحشُ والتفحشُ: قُبْحُ المقالِ وسِّيءُ الأَفْعَالِ وإظهارُها.

١٢- وتخوين الأمينِ وائتمانُ الخائنِ: روىٰ أحمد والبزّار عن ابن عمرو أن رسول الله قال: «**من أشراط الساعة: الفحش والتفحش وقطيعة الرحم وتخوين الأمين، وائتمان الخائن**»(١)

١٣- استفاضةُ المال، أي كثرتَه: روىٰ الشيخان عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتىٰ يكثر فيكم المال، فيفيض حتىٰ يهمَّ ربِّ المال من يقبل صدقته، وحتىٰ يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أَرَبَ لي فيه»(٢) وعند البخاري عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله: «**أعدد ستًّا بين يدي الساعة... -وذكر منها- استفاضة المال حتىٰ يعطىٰ الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا**»(٣).

١٤- تسليمُ الخاصَّةِ ١٥- وفشوُّ التجارة ١٦- وشهادة الزور وكتمان شهادة الحق ١٧- وظهور القلمِ: في مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود قال: قال رسول الله: «**إن بين يدي الساعة: تسليم الخاصة، وفشوُّ التجارة حتىٰ تعين المرأة زوجها علىٰ التجارة، وقطع الأرحام وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم**»(٤).

١٨- المرورُ في المساجدِ واتخاذُها طريقًا وعدمُ الصلاةِ فيها: عن ابن

= وقال الألباني عنه (هو وإن كان موقوفًا فله حكم الرفع؛ لأنه من الأمور الغيبية التي لا تقال بمجرد الرأي) راجع كتاب الحديث حجة بنفسه صـ (٩١) في الهامش.

(١) أخرجه أحمد (٦٥١٤)، وانظر: صحيح الجامع (٥٧٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٢)، ومسلم (١٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٧٦) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٧٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

مسعود قال: قال رسول الله: «**إن من أشراط الساعة: أن يمر الرجل في المسجد لا يصلي فيه ركعتين**»(١)، وعند الطبراني عن ابن مسعود قال: قال رسول الله: «**من أشراط الساعة أن يمر الرجل في المسجد لا يصلىٰ فيه ركعتين، وأن لا يسلم الرجل إلا علىٰ من يعرف**»(٢).

١٩- **التباهي في المساجدِ**: التفاخرُ ببنائِها ورفعُها ونَقْشُها: عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**من أشراطِ الساعةِ أن يتباهىٰ الناس في المساجد**»(٣)، قال المناوي «أي يتفاخرون بتشييدها ويراءون بتزيينها قال الطيبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وذهب الجمهور إلىٰ كراهية نقش المسجد وتزويقه» فيض القدير (٦/ ٩)، قلت: وقد نهىٰ رسول الله عن ذلك؛ فعن ابن عباس قال: قال رسول الله: «**ما أمرت بتشييد المساجد**» قال ابن عباس «لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارىٰ»(٤)، قال المناويُّ: «أي ما أمرتُ برفْعِ بنائهِا، ليجعل ذريعةً إلىٰ الزخرفة والتزيين الذي هو من فعل أهل الكتاب، وفيه نوع توبيخ وتأنيب» فيض القدير (٥/ ٤٢٦)، قال المناوي: «زخرفة المساجد وتحلية المصاحف منهيٌّ عنها، لأن ذلك يشغل القلب ويلهي عن الخشوع والتدبر والحضور مع الله تعالىٰ» فيض القدير (١/ ٣٦٦).

٢٠- **عودةُ أرضِ العرب جناتٍ وأنهارًا**، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «**لا تقوم الساعةُ حتىٰ تعودَ أرضُ العربِ مروجًا وأنهارًا**»(٥)، قال العلماء: ويكون ذلك بسبب ما يقوم به أهلها من حفر الآبار، أو بسبب تغيير المناخ وهو الأظهر.

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٣٢٦)، وانظر: السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٤٩).
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٩٤٨٩)، وانظر: صحيح الجامع (٥٧٧٣).
(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٤٩)، والنسائي (٦٨٩)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.
(٤) **صحيح**:أخرجه أبو داود (٤٤٨)، وأبو يعلىٰ (٢٤٥٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.
(٥) أخرجه مسلم (١٥٧).

٢١- **كثرة القتلِ**: أي قتلُ المسلمين بعضَهُم بعضًا: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله قال: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يكثر الهرج**»، قالوا وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «**القتل، القتل**»[١]، وفي مسند أحمد عن أبي موسىٰ قال: حدثنا رسول الله أن بين يدي الساعة الهرج: القتل ما هو قتل الكفار، ولكن قتل الأمة بعضها بعضًا، حتىٰ إن الرجل يلقاه أخوه فيقتله، ينتزع عقول أهل ذلك الزمان، ويخلف لها هباءٌ من الناس، يحسب أكثرهم أنهم علىٰ شيء، وليسوا علىٰ شيء[٢].

٢٢- **ظهورُ الفتنِ**: وبعضها شديدةٌ مظلمةٌ ومنها خفيفةٌ، وقد يبلغ من شدة هذه الفتن أن تُخرِجَ المسلمَ عن دينِه. قال رسول الله: «**يتقارب الزمان وتظهر الفتن**»[٣]، وعن رسول الله أنه قال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح المرء مؤمنًا ويمسي كافرًا**»[٤]، وقال أيضًا: «**تعرض الفتن علىٰ القلوب عرض الحصير عودًا عودًا**»[٥]، والفتنة هي الاختبار وقد أطلقت علىٰ كل مكروه.

والذي يجتنب الفتن هو السعيد: عن المقداد أن رسول الله قال: «**إنَّ السعيد لمن جنِّب الفتن، إنَّ السعيد لمن جنِّب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواها**»[٦]، أي السعيد هو الذي يبعد عنها ويلزم بيته، وإذا ابتلي صبر عليها وعلىٰ ظلم الناس له ولم يدفع عن نفسه فإذا وقعت الفتن بين المسلمين فماذا يفعل المؤمن؟ قال رسول الله: «**إذا كانت الفتنة بين المسلمين، فاتخذ سيفًا من خشب**»[٧]، قال

---

(١) أخرجه البخاري (٨٥)، ومسلم (١٥٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٩٤٩٢)، وانظر: صحيح الجامع الصغير (٢٠٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٣٦)، ومسلم (١٥٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٥) أخرجه مسلم (١٤٤).

(٦) **حسن**: أخرجه أبو داود (٤٢٦٣)، والبزار (٢١١٢).

(٧) أخرجه الترمذي (٢٢٠٣)، وابن ماجه (٣٩٦٠)، وانظر: صحيح الجامع (٧٧٣).

المناوي: «قال الطبري: إن محل الأمر بالكف إذا كان القتل على الدنيا أو لإتباع الهوىٰ أو عصبية» فيض القدير (١/ ٤٢٩)، وقال رسول الله: **«سلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته»**[(١)]، وقال أيضًا: **«يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع به شَعفَ الجبال ومواقع القطرِ، يفر بدينه من الفتن»**[(٢)].

وأعظم هذه الفتن ثلاث، فعن حذيفة قال: قال رسول الله وهو يعد الفتن **«منهن ثلاث لا يَكَدْنَ يَذَرنَ شيئًا، ومنهن فتنٌ كرياح الصيف منها صغارٌ ومنها كبارٌ»**[(٣)]، ولعل الفتن الثلاث الكبار هي المذكورة في حديث ابن عمر قال: كنا قعودا عند النبي فذكر الفتن، فأكثر في ذكرها حتىٰ ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: وما فتنة الأحلاس؟ فقال: **«هي هربٌ وحربٌ، ثم فتنة السراء، دخنها من تحت قدمي رجلٍ من أهل بيتي، ثم الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، حتىٰ يصير الناسُ إلىٰ فسطاطين فسطاطٌ إيمان لا نفاق فيه، وفسطاطُ نفاقٍ لا إيمانَ فيه، فإذا كان ذاكُم، فانتظروا الدجالَ من يومه أو غدِه»**[(٤)].

٢٣- **خروجُ المهديِّ**: ثبت في الأحاديث المتواترة أن الله تعالىٰ يبعث في آخر الزمان خليفة، يحكم بالإسلام وينشر العدل في هذه الأمة، اسمه محمد بن عبد الله الملقب بالمهدي، قال رسول الله: **«لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتىٰ يملكَ رجلٌ من أهل بيتي يواطيءَ اسمُه اسمي»**[(٥)]، وعند أبي داود: **«يواطيء اسمُه اسمي، واسمُ أبيه اسمَ أبي، يملأ الأرضَ قسطًا وعدلًا، كما ملئت ظلمًا**

---

(١) أخرجه الديلمي عن أبي موسىٰ، انظر: صحيح الجامع (٣٥٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٩) وغيره من حديث أَبي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٩١).

(٤) حسن: أخرجه أبو داود (٤٢٤٢)، وأحمد (٦١٦٨).

(٥) حسن: أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣٠).

وجورًا»، وبينت الأحاديث الصحيحة أن عيسىٰ بن مريم يصلىٰ خلفه حين نزوله إلىٰ الأرض، وأن خلافته ستكون علىٰ منهاج النبوة.

باب الإيمان بعلامات الساعة الكبرى

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ**[1] **أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ**»[2].

وعن حذيفة الغفاري قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتىٰ تروا قبلها عشر آياتٍ، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها، نزول عيسىٰ بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاث خسوف: خسفٌ بالمشرق وخسفٌ بالمغرب وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلىٰ محشرهم**»[3].

بَابُ تحذير النَّبِيِّ ﷺ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَتَعْلِيمِهِ لِأُمَّتِهِ أَنْ يَسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَىٰ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[4].

---

(١) (خَاصَّة أَحَدكُمْ): الْمَوْت. (النووي - ج ٩/ ص ٣٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٣٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٧٦)، ومسلم (٥٨٩).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ[1]، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[2].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ وَيَقُولُ: «قُولُوا اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»[3].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[4].

وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر»[5].

---

(١) فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ: قَالَ اِبْنُ دَقِيقِ الْعِيد: فِتْنَةُ الْمَحْيَا: مَا يَعْرِضُ لَلْأَنِسَانِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ مِنْ الِافْتِتَانِ بِالدُّنْيَا، وَالشَّهَوَات، وَالجَهَالَات، وَأَعْظَمُهَا وَالْعِيَاذُ بِاللهِ أَمْرُ الْخَاتِمَةِ عِنْدَ الْمَوْت وَ«فِتْنَة الْمَمَات» يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهَا الْفِتْنَةُ عِنْدَ الْمَوْت، أُضِيفَتْ إِلَيْهِ لِقُرْبِهَا مِنْهُ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ عَلَىٰ هَذَا بِـ «فِتْنَةِ الْمَحْيَا» مَا قَبْل ذَلِكَ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهَا فِتْنَةُ الْقَبْر، وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ. وَقِيلَ: أَرَادَ بِفِتْنَةِ الْمَحْيَا: الِابْتِلَاءَ مَعَ زَوَالِ الصَّبْر، وَبِفِتْنَةِ الْمَمَاتِ: السُّؤَالَ فِي الْقَبْرِ مَعَ الْحَيْرَة. عون المعبود - (ج ٢/ ص ٤٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

(٣) أخرجه مسلم (٥٩٠)، وغيره من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٤) **صحيح**: أخرجه الآجري في الشريعة (٨٧٧) من حديث أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) أخرجه البخاري (٧١٣١) ومسلم (٢٩٣٣).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكَانَ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ مَا يُحَدِّثُنَا عَنِ الدَّجَّالِ، وَيُحَذِّرُنَاهُ، وَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ أَعْظَمُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَهُ أُمَّتَهُ، وَأَنَا آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ، وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَةَ، فَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنْ يَخْرُجْ مِنْ بَعْدِي فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ**»(١).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: ذَكَرَ الدَّجَّالَ يَوْمًا، فَقَالَ: «**إِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَىٰ، كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**»(٢).

وعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «**مَا شَأْنُكُمْ؟**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّىٰ بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا**»

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٠٧٧)، ونعيم بن حماد في الفتن (١٥١٦)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٢٤٩)، وغيرهم مطولًا من طريق السَّيْبَانِيِّ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللهِ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

* فيه عَمْرو بْنِ عَبْدِ اللهِ الْحَضْرَمِيِّ، قال عنه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/ ٤٣٧): شامي ثقة، وقال ابن حِبَّان في مشاهير علماء الأمصار (٩٠٦): كان مُتْقِنًا، وقال العجلىٰ: شامىٰ، تابعىٰ، ثقة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٩) ومسلم (١٦٩) من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ[1]» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ[2] اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَىٰ الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ

---

(١) اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ: أَيْ إِذَا مَضَىٰ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ قَدْرُ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الظُّهْرِ كُلَّ يَوْم، فَصَلُّوا الظُّهْر، ثُمَّ إِذَا مَضَىٰ بَعْدَهُ قَدْرُ مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعَصْر، فَصَلُّوا الْعَصْر، وَإِذَا مَضَىٰ بَعْدَ هَذَا قَدْرُ مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْن الْمَغْرِب، فَصَلُّوا الْمَغْرِب، وَكَذَا الْعِشَاءُ وَالصُّبْح، ثُمَّ الظُّهْر، ثُمَّ الْعَصْر، ثُمَّ الْمَغْرِب، وَهَكَذَا حَتَّىٰ يَنْقَضِيَ ذَلِكَ الْيَوْم. وَأَمَّا الثَّانِي الَّذِي كَشَهْرٍ، وَالثَّالِث الَّذِي كَجُمْعَةٍ، فَقِيَاسُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ أَنْ يُقَدَّرَ لَهُمَا كَالْيَوْمِ الْأَوَّلِ عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَاللهُ أَعْلَم. (النووي ج٩ص٣٢٧).

(٢) (الْغَيْثِ) الْمُرَادُ بِهِ هُنَا الْغَيْمُ، أَيْ: يُسْرِعُ فِي الْأَرْضِ إِسْرَاعَ الْغَيْمِ. تحفة الأحوذي - (ج ٦/ ص ٢٥).

وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّىٰ أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[1].

وعن عَامِرِ بْنِ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيِّ، شَعْبُ هَمْدَانَ، أَنَّهُ سَأَلَ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ، أُخْتَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ - وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ - فَقَالَ: حَدِّثِينِي حَدِيثًا سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا تُسْنِدِيهِ إِلَىٰ أَحَدٍ غَيْرِهِ، فَقَالَتْ: لَئِنْ شِئْتَ لَأَفْعَلَنَّ، فَقَالَ لَهَا: أَجَلْ حَدِّثِينِي فَقَالَتْ: نَكَحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةِ، وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ يَوْمَئِذٍ، فَأُصِيبَ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطَبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَخَطَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكُنْتُ قَدْ حُدِّثْتُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

قَالَ: «مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ» فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ، فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ، فَقَالَ: «انْتَقِلِي إِلَىٰ أُمِّ شَرِيكٍ» وَأُمُّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ، مِنَ الْأَنْصَارِ، عَظِيمَةُ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضِّيفَانُ، فَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ، فَقَالَ: «لَا تَفْعَلِي، إِنَّ أُمَّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضِّيفَانِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكِ خِمَارُكِ أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ سَاقَيْكِ، فَيَرَىٰ الْقَوْمُ مِنْكِ بَعْضَ مَا تَكْرَهِينَ وَلَكِنِ انْتَقِلِي إِلَىٰ ابْنِ عَمِّكِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ» - وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فِهْرٍ، فِهْرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ مِنَ الْبَطْنِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ - فَانْتَقَلْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَىٰ جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَىٰ خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّىٰ دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ

عَلَىٰ خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَىٰ جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَىٰ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَىٰ خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَىٰ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَىٰ كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا»، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ» - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي

كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ(١).

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»(٢).

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ مِنْكُمْ بِخُرُوجِ الدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَمَا يَزَالُ بِهِ حَتَّى يَتْبَعَهُ مِمَّا يَرَى مِنَ الشُّبُهَاتِ»(٣).

وعن أُمّ شَرِيكٍ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ»، قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «هُمْ قَلِيلٌ»(٤).

وعن جُنَادَة بْن أَبِي أُمَيَّةَ الدَّوْسِيُّ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَصَاحِبٌ لِي عَلَى رَجُل مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا تُحَدِّثْنَا عَنْ غَيْرِهِ وَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ مُصَدَّقًا، قَالَ: نَعَمْ، قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْم فَقَالَ: «أُنْذِرُكُمُ الدَّجَّالَ، أُنْذِرُكُمُ الدَّجَّالَ، أُنْذِرُكُمُ الدَّجَّالَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ أُمَّتَهُ، وَإِنَّهُ فِيكُمْ أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ، وَإِنَّهُ جَعْدٌ آدَمُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، وَإِنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ، وَإِنَّ مَعَهُ نَهْرَ مَاءٍ وَجَبَلَ خُبْزٍ، وَإِنَّهُ يُسَلَّطُ عَلَى نَفْسٍ فَيَقْتُلُهَا ثُمَّ يُحْيِيهَا، لَا يُسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّهُ يُمْطِرُ السَّمَاءَ وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، وَإِنَّهُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢) من طريق الشَّعْبِيِّ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٩) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٤٣١٩)، وأحمد في مسنده (١٩٨٧٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٤٥٩)، وغيرهم من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) أخرجه (٢٩٤٥) من حديث أم شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا.

يَلْبَثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا حَتَّىٰ يَبْلُغَ مِنْهَا كُلَّ مَنْهَلٍ، وَإِنَّهُ لَا يَقْرَبُ أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ: مَسْجِدَ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدَ الرَّسُولِ، وَمَسْجِدَ الْمَقْدِسِ وَالطُّورِ، وَمَا شُبِّهَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَشْيَاءِ فَإِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ مَرَّتَيْنِ»(١).

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَىٰ كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ»(٢).

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا، فَيَنْزِلُ بِالسَّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»(٣).

○ من فقه الباب:

قوله في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ السابق «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ» اُسْتُدِلَّ بِهَذَا الْأَمْرِ عَلَىٰ وُجُوبِ الِاسْتِعَاذَةِ، وَقَدْ ذَهَبَ إِلَىٰ ذَلِكَ بَعْضُ الظَّاهِرِيَّةِ وَفِي «السُّبُلِ»: وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَىٰ وُجُوبِ الِاسْتِعَاذَةِ مِمَّا ذُكِرَ، وَهُوَ مَذْهَبُ الظَّاهِرِيَّةِ، وَابْنُ حَزْمٍ مِنْهُمْ، وَأَمَرَ طَاوُسٌ اِبْنَهُ بِإِعَادَةِ الصَّلَاةِ لَمَّا لَمْ يَسْتَعِذْ فِيهَا، فَإِنَّهُ يَقُولُ بِالْوُجُوبِ، وَبُطْلَانِ الصَّلَاةِ مِنْ تَرْكِهَا، وَالْجُمْهُورُ جعلُوا الْأَمْرَ عَلَىٰ النَّدْبِ. عون المعبود - (ج ٢/ ص ٤٦٣).

قَالَ الآجري رَحِمَهُ اللهُ: فَقَدِ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الدَّجَّالِ، وَعَلَّمَ أُمَّتَهُ أَنْ

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٠٩٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٥٠٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٤/ ٣٧٦)، وغيرهم من طريق مُجَاهِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ الدَّوْسِيُّ عن رجل من أصحاب النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

يَسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْتَعِيذُوا بِاللهِ الْعَظِيمِ مِنْهُ وَقَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ فِي غَيْرِ حَدِيثِ الدَّجَّالَ، وَوَصَفَهُ لَهُمْ فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَحْذَرُوهَ وَيَسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ زَمَانٍ يَخْرُجُ فِيهِ الدَّجَّالُ، فَإِنَّهُ زَمَانٌ صَعْبٌ، أَعَاذَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهُ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ قَدْ خُلِقَ، وَهُوَ فِي الدُّنْيَا مُوثَقٌ بِالْحَدِيدِ إِلَىٰ الْوَقْتِ الَّذِي يَأْذَنُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِخُرُوجِهِ.

قَالَ الْقَاضِي ابْن الْعَرَبِيّ: ضَلَّ قَوْمٌ فَرَوَوْهُ «الْمَسِيخ» بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَة، لِيُفَرِّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسِيح عِيسَىٰ ابْن مَرْيَم بِزَعْمِهِمْ، وَقَدْ فَرَّقَ النَّبِيّ ﷺ بَيْنَهُمَا بِقَوْلِهِ فِي الدَّجَّال «مَسِيح الضَّلَالَة»، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ عِيسَىٰ مَسِيحُ الْهُدَىٰ، فَأَرَادَ هَؤُلَاءِ تَعْظِيمَ عِيسَىٰ، فَحَرَّفُوا الْحَدِيث. فتح الباري (ج ٢٠/ ص ١٣٦).

بَابُ الْإِيمَانِ بِنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَكَمًا عَدْلًا فَيُقِيمُ الْحَقَّ وَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَىٰ عَلَيْهَا، وَلَيَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُو إِلَىٰ الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ»**[1].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَتُقَاتِلُنَّ الْيَهُودَ وَلَتَقْتُلُنَّهُمْ حَتَّىٰ إِنَّ الْحَجَرَ لَيَقُولُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ»**[2].

○ من فقه الباب:

قَالَ الآجري رَحِمَهُ اللهُ: وَالَّذِينَ يُقَاتِلُونَ مَعَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

(١) البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥) من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٢٥)، مسلم (٢٩٢١).

وَالسَّلَامُ: أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالَّذِينَ يُقَاتِلُونَ عِيسَىٰ: الْيَهُودُ مَعَ الدَّجَّالِ، فَيَقْتُلُ عِيسَىٰ الدَّجَّالَ، وَيَقْتُلُ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، ثُمَّ يَمُوتُ عِيسَىٰ عليه السلام، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، وَيُدْفَنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما.

باب طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا

عَنِ ابْنِ السَّعْدِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا دَامَ الْعَدُوُّ يُقَاتَلُ**» فَقَالَ مُعَاوِيَةُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ الْهِجْرَةَ خَصْلَتَانِ: إِحْدَاهُمَا أَنْ تَهْجُرَ السَّيِّئَاتِ، وَالْأُخْرَىٰ أَنْ تُهَاجِرَ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا تُقُبِّلَتِ التَّوْبَةُ، وَلا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ المَغْرِبِ، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلَ**»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»(٢).

باب خُرُوجُ النَّارِ الَّتِي تَحْشُرُ النَّاس

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ**

---

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده (١٦٧١)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤٨٩٥) من طريق إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، حَدَّثَنِي ضَمْضَمُ بْنُ زُرْعَةَ، عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدَةَ، يَرُدُّهُ إِلَىٰ مَالِكِ بْنِ يُخَامِرَ، عَنِ ابْنِ السَّعْدِيِّ رضي الله عنه مرفوعًا.

* فيه إسماعيل بن عياش: صدوق في الشاميين، وشيخه شامي.

* فيه ضمضم بن زرعة: صدوق.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٣)، وغيره من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.

أَوْ مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ»[(١)].

○ من فقه أبواب الإيمان بعلامات الساعة الكبرى:

○ ترتيب الآيات والعلامات الكبرى:

قبل ظهور العلامة الأولى من العلامات الكبرى وهي خروج الدجال: يكون صلحٌ آمنٌ بين المسلمين والنصارى، ثم يغدر النصارى الصلح وتكون الملاحم فيجتمع المسلمون على قتال العدو، وتكون الملحمة الكبرى، فينتصر المسلمون عليهم، فيخرج الدجال ويقاتله المسلمون بقيادة عيسى ابن مريم، روى أحمد وأبو داو ود وابن ماجه وابن حبان أن رسول الله قال: «**ستصالحون الروم صلحًا آمنًا، فتغزون أنتم وهم عدوًّا من ورائكم، فتنصرون وتغنمون وتسلمون، ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجلٌ من المسلمين، فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة**»[(٢)]، فتقع مقتلة عظيمة ينتصر فيها المسلمون، قال ﷺ: «**فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذا صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم**»[(٣)]

إذا العلامة الأولى الكبرى خروج الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام الذي يقتل الدجال، ثم خروج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى ثم يهلكون ويحكم عيسى أربعين سنة، أما باقي العلامات فلم يرد دليلٌ على ترتيبها وأما آخرها فهي النار

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (٢٢١٧)، وأحمد في مسنده (٤٥٣٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٣٢٠)، وغيرهم من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٢٩٢)، وابن ماجه في سننه (٤٠٨٩) من حديث ذِي مِخْبَرٍ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

التي تخرج من اليمن - راجع فتح الباري (١١/ ٣٥٣).

ونستطيع أن نجمل القول في بيان علامات الساعة الكبرىٰ بما يلي:

١- خروج الدجال، المسيح الدجال: سمِّي مسيحًا؛ لأن عينه الواحدة ممسوحة، والدجال أي الكذاب حيث يدعي الربوبية، يخرج بعد انتصار المسلمين في الملحمة علىٰ الروم: في صحيح مسلم: «**فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطلٌ، فإذا جاؤوا الشام خرج**»، والدجال ثبت في الأحاديث الكثيرة المتواترة عند أهل السنة، قال النووي في شرح مسلم «قال القاضي: هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخصٌ ابتلىٰ الله به عباده، وأقدره علىٰ أشياء من مقدورات الله تعالىٰ، ثم يعجزه الله بعد ذلك فلا يقدر علىٰ قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره ويقتله عيسىٰ عليه السلام، وهذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافا للخوارج والجهمية وبعض المعتزلة» وهذه بعض الأحاديث:

- عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله: «**ما بين خلق آدم إلىٰ قيام الساعة أمرٌ أكبر من الدجال**»[1].

- وعند ابن ماجه وصحيح ابن خزيمة «**وهو خارجٌ فيكم لا محالة**»[2]؛ فهو يخرج والناس في بلاءٍ ومحنة وجوع شديدٍ وهم بحاجةٍ إلىٰ منقذ، فتأتي هذه الفتنة العظيمة لتقلب الموازين، فيجري الله علىٰ يديه أشياء.

- في صحيح مسلم قال رسول الله: «**فيأتي علىٰ القوم فيدعوهم فيؤمنون فيأمر**

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٦) من حديث هشام بن عامر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: سبق (ص٣١٧).

السماء فتمطر، والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درًّا وأسبغه ضروعًا، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل»(١).

- في الصحيحين «**إن معه ماءً ونارًا فناره ماء بارد وماؤه نار**»، «**فلا تهلكوا**»(٢) والكلمة الأخيرة عند مسلم فقط.
- وعند ابن ماجه وابن خزيمة: «**وأن من فتنته أن يقول للأعرابي: رأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول نعم، فيتمثل له شيطان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بنيّ: اتبعه فإنه ربك**»(٣).
- في الصحيحين قال رسول الله: «**ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة**»(٤).

❍ **طريق النجاة منه:**

١. الفرار منه: قال رسول الله: «**من سمع بالدجال، فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات**»(٥).

٢. عدم تصديقه في كل ما يفعل، فجنته نارٌ وناره جنة.

٣. قراءة أوائل أو أواخر سورة الكهف قراءة تدبر وتفكر وحفظها: في صحيح

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٠)، ومسلم (٢٩٣٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٠٧٧)، ونعيم بن حماد في الفتن (١٥١٦)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٢٤٩)، وغيرهم مطولًا من حديث أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣).

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٤٣١٩)، وأحمد في مسنده (١٩٨٧٥)،وغيرهما من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

مسلم: «**فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، فإنها جواركم من فتنِهِ**»[(١)]، وعند مسلم: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من فتنة الدجال**»[(٢)]، وفي رواية: «**من آخر الكهف**».

٤. اللجوء إلىٰ أحد الحرمين لأن الدجال لا يدخل مكة والمدينة كما مرَّ معنا.

٥. الاستعاذة بالله من الدجال في الصلاة وقبل السلام، والحديث في الصحيحين وفيه الأمر بذلك، وفي الحديث: «**... وأعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال**»[(٣)].

- يمكث في الأرض أربعين يومًا: ففي صحيح مسلم: قال الصحابة: يا رسول الله وما لبثُه في الأرض؟ قال: «**أربعون يومًا، يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قلنا يا رسول الله فذاك اليوم الذي كسنةٍ، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال لا، اقدروا له قدره**»[(٤)].

- هلاكه والقضاء علىٰ فتنته وإهلاك أتباعه من اليهود: في صحيح مسلم: «**فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوُّون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسىٰ ابن مريم فيأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لذاب حتىٰ يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه**»[(٥)]، وعند ابن ماجه وابن خزيمة: «**فيقتله، فيهزم الله اليهود**»[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٨٩٧).

(٦) **صحيح**: سبق (ص٣١٩).

٢- **نزول عيسىٰ بن مريم** عليه السلام **قال تعالىٰ** ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ **إلىٰ قوله تعالىٰ:** ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] والأحاديث في ذلك متواترة، ومرَّ معنا قريبًا ما رواه مسلم في صحيحه أن عيسىٰ عليه السلام ينزل والناس يسوّون الصفوف لصلاة الصبح وبعدها يذهبون لقتال الدجال، فيقود عيسىٰ جيش المسلمين ويقتل الدجال وهذا أول عمل يقوم به، ثم ثاني عمل هو الدعاء علىٰ يأجوج ومأجوج فيستجيب الله له ويصبحون موتىٰ، ثم ثالث عمل هو تحكيم شريعة الإسلام والقضاء علىٰ المبادئ الضالة والأديان المحرفة. في الصحيحين قال رسول الله: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلًا، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب (الجزية)**»[1]، فيعيش الناس في رخاء وطيب عيش.

٣- **خروج يأجوج ومأجوج**: ورد في الأحاديث الصحيحة أن هذه الأمة جزء من ألف منهم- فتح الباري (٦/ ٣٨٦) قال تعالىٰ ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤]، وقال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، ويأجوج ومأجوج أمتان كثيرتا العدد وهما من ذرية آدم عليه السلام كما في الصحيحين، وهم يريدون الخروج ولكن السد مانعهم، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]، وخروجهم بعد انتصار عيسىٰ عليه السلام علىٰ الدجال وجيشه: في صحيح مسلم: «**ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حَبٍ ينسلون، فيمر أوائلهم علىٰ بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويحصر نبي الله عيسىٰ وأصحابه، فيرغب نبي الله عيسىٰ وأصحابه، فيرسل الله عليهم النَّغف في رقابهم، فيصبحون فرسىٰ كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسىٰ وأصحابه، فيرغب نبي الله**

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٥).

عيسىٰ وأصحابه إلىٰ الله، فيرسل طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا لا يكنُّ بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتىٰ يتركها كالزلقة»[١]، وأخيرًا قال رسول الله: «**من أدرك منكم عيسىٰ ابن مريم، فليُقرِئْهُ مني السلام»**[٢].

٤- دروس الإسلام ورفع القرآن وفناء الأخيار وهدم الكعبة وعودة البشرية إلىٰ الجاهلية: يضعف الإسلام وينتشر الشر: قال رسول الله: «**يدرس الإسلام كما يدرسُ وشيُ الثوب، حتىٰ لا يُدرىٰ ما صيامٌ ولا صلاةٌ ولا نسك ولا صدقة، وليُسرىٰ علىٰ كتاب الله في ليلةٍ فلا يبقىٰ في الأرض منه آية»**[٣]، قال رسول الله: «**يُخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»**[٤].

٥- الخسف والمسخ والقذف: أي ابتلاع الأرض لأناس، وتحول صور ناسٍ لصور قبيحة كالحيوانات، ورمي لأناس من السماء بالحجارة، ومن ذلك ثلاثة خسوفٍ كبرىٰ هي خسف بالمشرق والآخر بالمغرب والثالث في جزيرة العرب، قال رسول الله: «**سيكون في آخر الزمان خسفٌ وقذفٌ مسخٌ، إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر»**[٥]، عن ابن عباس- وهو في الصحيحة (١٦٠٤)، قال رسول الله: «**ليشربنَّ أناسٌ من أمتي الخمر يسموها بغير اسمها ويضرب علىٰ رؤوسهم بالمعازف والقينات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه الحاكم (٨٦٣٥)، وانظر: صحيح الجامع (٥٨٧٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٠٤٩)، والحاكم في مستدركه (٨٦٣٦) من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (١٥٩١)، ومسلم (٢٩٠٩).

(٥) **صحححه الألباني**: أخرجه الترمذي (٢٢١٢).

منهم قردة وخنازير»[١]، قال رسول الله: «**يغزو جيشٌ الكعبة، فإذا كانوا ببيداء يُخسف بأولهم وآخرهم**»[٢]، فليحذر المسلمون المتكبرون أن يخسف بهم، وليحذر الذين يخالفون أوامر الله أن يُمسخوا حميرًا وكلابًا.

٦- **الدخان**: وهي علامة كبرىٰ علىٰ الراجح، وهذا الدخان يملأ ما بين السماء والأرض، قال تعالىٰ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]، وقال رسول الله: «إنها لن تقوم حتىٰ تروا قبلها عشر آيات» فذكر الدخان والدجال وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسىٰ ويأجوج ومأجوج[٣]. مختصر مسلم، وهذه آيات كبرىٰ وفيها الدخان، وهذا الدخان يكون عذابًا علىٰ الكافرين وكهيئة الزكام علىٰ المؤمنين، كما صح عن ابن مسعود-شرح النووي لمسلم (١٨/ ٢٧).

٧- **خروج الدابة: تخرج من الأرض تكلم الناس، وتَسِمُهُم علىٰ خراطيمهم** قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

قال ابن كثير (٣/ ٣٧٤): «وهذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس» قال رسول الله: «**تخرج الدابة فتَسِمُ الناس علىٰ خراطيمِهم، ثم يعمرون فيكم حتىٰ يشتري الرجل البعيرَ فيقول: ممَّن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطَّمين**»[٤].

٨- **طلوع الشمس من مغربها: «فلا يراها أحد إلا آمن، ولكن ذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل»**[٥]، قال رسول الله: «من تاب قبل أن

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٠)، وانظر: صحيح الجامع (٥٤٥٤)،

(٢) أخرجه البخاري (٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٠١).

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٣٠٨)، وانظر: الصحيحة (٣٢٢).

(٥) أخرجه مسلم (١٥٧).

تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه»[١]، وقال رسول الله: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعين، فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا**»[٢].

٩- الريح التي تقبض أرواح المؤمنين: لقد مرَّت الأهوال علىٰ المؤمنين وتوالت عليهم الآيات الكبرىٰ من أشراط الساعة، وآن لهم أن يستريحوا استعدادًا ليوم الفزع الأكبر، في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «**إن الله تعالىٰ يبعث ريحًا من اليمن ألين من الحرير، فلا تدع أحدًا في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته**»[٣]، وعند مسلم أيضًا عن عبد الله بن عمرو «**حتىٰ لو أن أحدكم دخل في كبد جبل، لدخلته عليه حتىٰ تقبضه**»[٤].

١٠- خروج النار التي تطرد الناس إلي محشرهم وهو الشام حيث يجتمعون ثم تقوم الساعة عليهم ويموتون: مرَّ معنا حديث مسلم: «**أنها لن تقوم الساعة حتىٰ تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة. وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلي محشرهم**»[٥]، قال رسول الله: «**الشام أرض المحشر والمنشر**»[٦]، فالناس يتَجهون إلىٰ الشام في نهاية الأمر، ويبقي بعضهم في أماكنهم، هؤلاء تحشرهم وتطردهم النار: في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**يحشر الناس علىٰ ثلاث طرائق: راغبين وراهبين، واثنان علىٰ بعير، وثلاث علىٰ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (١١٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٠).

(٥) سبق (ص٣١٥).

(٦) أخرجه البزار (٣٩٦٥)، وانظر: صحيح الجامع (٣٧٢٦).

بعير، وأربعة علىٰ بعير، وعشرة علىٰ بعير، ويحشُرُ بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا»(١)، وعند الترمذي من حديث ابن عمر رفعه: «**ستخرج نارٌ من حضرموت قبل القيامة تحشر الناس، قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام**»(٢).

فإذا تجمع الناس نفخ في الصور النفخة الأولي وقامت القيامة بعد وقوع جميع العلامات.

باب الإيمان بأن قيام الساعة يأتي فجأة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

باب الإيمان بالنفخ في الصور

قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٧-٨٨].

وقال الله تعالىٰ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٦-٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢١٧)، وانظر: صحيح الجامع (٣٦٠٣).

وقال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٨-١٠].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٦٨-٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣-١٦].

وَعَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ -لاَ أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا- فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلاَ يَبْقَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ، حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ تَقْبِضَهُ قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلاَمِ السِّبَاعِ، لاَ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ أَلاَ تَسْتَجِيبُونَ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلاَ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَىٰ لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا**»(١).

❍ من فقه الباب:

قال الدكتور الأشقر: هذا الكون العجيب الغريب الذي نعيش فيه يعج بالحياة والأحياء الذين نشاهدهم والذين لا نشاهدهم، وهم في حركة دائبة لا

---

(١) مسلم (٢٢٥٩).

تهدأ ولا تتوقف، سيبقىٰ حاله كذلك إلىٰ أن يأتي اليوم الذي يهلك الله فيه جميع الأحياء إلا من يشاء قال تعالىٰ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] وقال سبحانه ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] وعندما يأتي ذلك اليوم ينفخ في الصور، فتنهي هذه النفخة الحياة في الأرض والسماء ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] وهي نفخة هائلة مدمرة يسمعها المرء فلا يستطيع أن يوصي بشيء، ولا يقدر علىٰ العودة إلىٰ أهله وخلانه ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٤٩-٥٠] وفي الحديث: «**ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغىٰ ليتا**[١]**، ورفع ليتا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال: فيصعق ويصعق الناس**»[٢] وقد حثنا الرسول ﷺ عن سرعة هلاك العباد حين تقوم الساعة، فقال: «**ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه، فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلىٰ فيه فلا يطعمها**»[٣].

والصور الذي ينفخ فيه هو القرن المعروف عند العرب وفسره النبي ﷺ بذلك كما في المسند من حديث عبد الله بن عمرو قال جاء أعرابي إلىٰ النبي ﷺ فقال ما الصور؟ قال: «**الصور قرن ينفخ فيه**»[٤]، والراجح أن صاحب الصور ينفخ فيه مرتين، الأولىٰ يحصل بها الصعق، والثانية يحصل بها البعث، قال تعالىٰ ﴿وَنُفِخَ

---

(١) **أصغىٰ ليتًا**: أي أمال صفحة عنقه.

(٢) مسلم رقم (٢٩٤٠).

(٣) البخاري (٦٥٠٦).

(٤) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠).

﴿فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] وقد سمىٰ القرآن النفخة الأولىٰ بالراجفة، والنفخة الثانية بالرادفة، قال تعالىٰ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦-٧] وفي موضع آخر سمىٰ الأولىٰ بالصيحة قال تعالىٰ ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩] وقد جاءت الأحاديث مصرحة بالنفختين منها حديث أبي هريرة المتفق عليه قال قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَالَ أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ شَهْرًا قَالَ أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ أَبَيْتُ قَالَ ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنْ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَىٰ إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

وقد اشتهر عند العلماء أن الذي ينفخ في الصور هو إسرافيل قال الحافظ في الفتح «اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام، ونقل فيه الحليمي الإجماع، ووقع التصريح به في حديث وهب بن منبه، وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي، وفي حديث أبي هريرة عند ابن مردويه، وكذا في حديث الصور الطويل». وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن صاحب الصور مستعد دائما للنفخ فيه منذ أن خلقه الله تعالىٰ، ففي المستدرك عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان**»(٢)، وفي هذا الزمان الذي اقتربت فيه الساعة أصبح إسرافيل أكثر استعدادًا وتهيؤًا للنفخ في الصور كما في الترمذي من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنىٰ جبهته، وأصغىٰ سمعه، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ، فينفخ، قال**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٢) حسن: سبق (ص٢٨٧).

المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله ﷺ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا»[١][٢].

○ اليوم الذي تقوم فيه الساعة:

تقوم الساعة في يوم الجمعة كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة**»[٣].

لكن في أي يوم من أيام الجمعات تقوم القيامة؟ وفي أي شهر؟ وفي أي سنة؟ الله أعلم والذين يبحثون عن ذلك يجرون وراء سراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] وقال ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: ٨٥]

باب الإيمان بالبعث

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٦].

وقال ﷻ: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٤٣)، وانظر (الصحيحة ١٠٧٩).

(٢) القيامة الكبرى للأشقر بتصرف يسير واختصار.

(٣) أخرجه مسلم (٨٥٤).

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم: ٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وَعَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا صغىٰ ليتًا ورفع ليتًا، ثم لا يبقىٰ أحد إلا صعق، ثم ينزل الله مطرًا كأنه الطل، أو الظل - شك الراوي - فتنبت أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون»**(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله قال: ثم ينفخ فيه مرة أخرىٰ فأكون أول من بعث أو في أول من بعث فإذا موسىٰ آخذ بالعرش»**(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا كما في الصحيحين: **«فأكون أول من تنشق عنه الأرض»**(٣).

---

(١) مسلم (٢٢٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤٩)، ومسلم (٢٣٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤١٢) واللفظ له ، ومسلم (٢٣٧٤).

○ من فقه الباب:

الإيمان بالبعث من أعظم أصول الإيمان في هذا الدين والبعث في كلام العرب يأتي علىٰ وجهين:

أحدهما: الإرسال، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾ [الأعراف: ١٠٣]، أي: أرسلنا.

والثاني: الإثارة والتحريك، تقول بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثار، ومنه بعث الموتىٰ وذلك بإحيائهم وإخراجهم من قبورهم، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦] الآية، أي: أحييناكم.

والبعث في الشرع: هو إحياء الله للموتىٰ وإخراجهم من قبورهم.

وحقيقة البعث: أن الله تعالىٰ يجمع أجساد المقبورين التي تحللت ويعيدها بقدرته كما كانت ثم يعيد الأرواح إليها ويسوقهم إلىٰ محشرهم لفصل القضاء. قال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن رجلًا حضره الموت لما أيس من الحياة أوصىٰ أهله: إذا مت فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا ثم أوروا نارًا حتىٰ إذا أكلت لحمي وخلصت إلىٰ عظمي فخذوها فاطحنوها فذروني في اليم في يوم حار أو راح فجمعه الله فقال: لم فعلت؟ قال: خشيتك، فغفر له**»[1].

فدلت الآية والأحاديث علىٰ أن الله تعالىٰ يعيد الأجساد نفسها ويجمع رفاتها المتحلل حتىٰ تعود كما كانت فيعيد إليها أرواحها فسبحان من لا يعجزه شيء وهو علىٰ كل شيء قدير.

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٧٩).

وقد جاء في السنة بيان كيفية البعث وأن الله ينزل إلىٰ الأرض ماءً فينبت به أهل القبور كما ينبت العشب وقد دل علىٰ ذلك حديث أبي هريرة الذي أخرجه الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «**ما بين النفختين أربعون**» قال: أربعون يومًا. قال: أَبَيْت، قال: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: «**ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلىٰ إلا عظمًا واحدًا، وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»[1]؛ فقد دل هذا الحديث علىٰ كيفية البعث وأن أهل القبور يبقون في قبورهم أربعين بين النفختين وهما نفخة الإماتة ونفخة البعث ولم يجزم الراوي بتحديد الأربعين ما هي وهل المراد أربعون يومًا أو شهرًا أو سنة علىٰ أنه جاء في بعض الروايات أنها أربعون سنة. ثم إذا أراد الله بعث الخلائق أنزل مطرًا من السماء. جاء في بعض الروايات أنه مثل مني الرجال فينبت أهل القبور من ذلك الماء كما ينبت العشب بعد أن فتت أجسادهم إلا عجب الذنب وهذا بخلاف الأنبياء فإن أجسادهم لا تبلىٰ فتبين بهذا حقيقة البعث ووقته وكيفيته، والله أعلم.

وتبين من النصوص الواردة في الباب أيضًا أن البعث يكون حين ينفخ في الصور النفخة الثانية فيقوم الناس لرب العالمين، فإذا أذن الله بالنفخ في الصور وبرجوع الأرواح إلىٰ أجسادها حينئذٍ قام الناس من قبورهم وساروا مسرعين إلىٰ الموقف حفاة: غير منتعلين، عراة: غير مكتسين، غرلًا: غير مختونين، بُهما: ليس معهم شيء، ويطول الموقف وتدنو الشمس منهم ويزاد في حرها، ويلجمهم العرق؛ لشدة الموقف، فمنهم من يبلغ العرق إلىٰ كعبيه، ومنهم من يبلغ العرق إلىٰ ركبتيه، ومنهم من يبلغ إلىٰ حقويه، ومنهم من يبلغ إلىٰ ثدييه، ومنهم من يبلغ إلىٰ منكبيه ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا وذلك كله بقدر أعمالهم.

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٣٥)، وصحيح مسلم (٢٩٥٥).

❍ أول من ينشق عنه القبر:

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(١).

باب الإيمان بالحشر

قال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣-٩٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠].

وقال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨].

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الملك: ٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى

---

(١) مسلم (٢٢٧٨).

ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ أَرْضٍ بَيْضَاءَ، عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لأَحَدٍ**»[1].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ؟ قَالَ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ**»[2].

○ من فقه الباب:

الحشر معناه الجمع فعندما يأذن الله تبارك وتعالىٰ ببعث العباد يأمر إسرافيل فينفخ في الصور فتعود الأرواح إلىٰ الأجساد، ويقوم الناس لرب العالمين، وبعدها تحشر الخلائق جميعًا إلىٰ الموقف العظيم قال تعالىٰ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

يقول الدكتور الأشقر رحمه الله تعالىٰ: وقد حدثنا الحق ـ تبارك وتعالىٰ ـ عن مشهد البعث العجيب الغريب فقال: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥١-٥٣] وقد جاءت الأحاديث مخبرة بأنه يسبق النفخة الثانية في الصور نزول ماء من السماء، فتنبت منه أجساد العباد، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَىٰ لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا**

---

(١) البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠)، واللفظ له.

(٢) البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩)، واللفظ له.

قَالَ وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قَالَ فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ»[1].

وإنبات الأجساد من التراب بعد إنزال الله ذلك الماء الذي ينبتها يماثل إنبات النبات من الأرض إذا نزل عليها الماء من السماء في الدنيا، ولذا فإن الله قد أكثر في كتابه من ضرب المثل للبعث والنشور بإحياء الأرض بالنبات غب نزول الغيث، قال تعالىٰ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقال في موضع آخر ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]. ولاحظ في كلا الموضعين قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾، ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾، فإنهما يدلان علىٰ المماثلة والمشابهة بين إعادة الأجسام بإنباتها من التراب بعد إنزال الماء قبيل النفخ في الصور، وبين إنبات النبات بعد نزول الماء من السماء. ونحن نعلم أن النبات يتكون من بذور صغيرة، تكون في الأرض ساكنة هامدة، فإذا نزل عليها الماء تحركت الحياة فيها، وضربت بجذورها في الأرض، وبسقت بسوقها إلىٰ السماء، فإذا هي نبتة مكتملة خضراء.

والإنسان يتكون في اليوم الآخر من عظم صغير، عندما يصيبه الماء ينمو نمو البقل، هذا العظم هو عجب الذنب، وهو عظم الصلب المستدير الذي في أصل العجز، وأصل الذنب؛ ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**

---

(١) سبق (ص٣٣٥).

أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، وَيَبْلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ مِن الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ»(١).

وفي رواية عند مسلم قال: «**إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا لا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالُوا: أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «عَجْبُ الذَّنَبِ»**(٢)، وفي رواية «**إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا لا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالُوا: أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «عَجْبُ الذَّنَبِ**»، وقد دلت النصوص الصحيحة أن أجساد الأنبياء لا يصيبها البلىٰ والفناء الذي يصيب أجساد العباد، ففي الحديث الذي يرويه أبو داود وصححه ابن خزيمة وغيره: «**إن الله حرَّم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»(٣).

والحشر خلق جديد، يعيد الله فيه العباد أنفسهم، ولكنهم يخلقون خلقًا مختلفًا شيئًا ما عما كانوا عليه في الحياة الدنيا، فمن ذلك أنهم لا يموتون مهما أصابهم البلاء ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، وفي الحديث الذي يرويه الحاكم بإسناد صحيح عن عمرو بن ميمون الأودي قال: قام فينا معاذ بن جبل فقال: «**يا بني أود، إني رسول رسول الله ﷺ تعلمون المعاد إلىٰ الله، ثم إلىٰ الجنة أو النار، وإقامة لا ظعن فيها، وخلود لا موت، في أجساد لا تموت**»(٤).

ومن ذلك إبصار العباد ما لم يكونوا يبصرون، فإنهم يبصرون في ذلك اليوم الملائكة والجن، وما الله به عليم، ومن ذلك أن أهل الجنة لا يبصقون ولا يتغوطون ولا يتبولون.

وهذا لا يعني أن الذين يبعثون في يوم الدين خلق آخر غير الخلق الذي

---

(١) سبق (ص٣٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٥).

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي في سننه (١٣٧٤).

(٤) أخرجه الحاكم (٢٨١)، وانظر: الصحيحة (٤/ ٢٣١ رقم ١٦٦٨).

كانوا في الدنيا، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: «النشأتان نوعان تحت جنس: يتفقان ويتماثلان ويتشابهان من وجه، ويفترقان ويتنوعان من وجه آخر، ولهذا جعل المعاد هو المبدأ، وجعله مثله أيضًا.

فباعتبار اتفاق المبدأ والمعاد فهو هو، وباعتبار ما بين النشأتين من الفرق فهو مثله، وهكذا كل ما أعيد، فلفظ الإعادة يقتضي المبدأ والمعاد...».

وأول من يبعث وتنشق عنه الأرض هو نبينا محمد ﷺ ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع**»[(١)]، وفي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ فِي قَسَمٍ يُقْسِمُ بِهِ؛ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ؛ فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ عِنْدَ ذَلِكَ يَدَهُ فَلَطَمَ الْيَهُودِيَّ؛ فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ فَقَالَ: «**لَا تُخَيِّرُونِي عَلَىٰ مُوسَىٰ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا مُوسَىٰ بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَىٰ اللهُ**»[(٢)]، وفي رواية لهما «**النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**»[(٣)].اهـ

وبعد بعث الخلائق علىٰ صفتهم المذكورة آنفًا يحشر الخلائق إلىٰ أرض المحشر، والحشر علىٰ أربعة أوجه قال الإمام القرطبي رحمه الله: وهو علىٰ أربعة أوجه: حشران في الدنيا وحشران في الآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٩٨)، ومسلم (٢٣٧٤).

أما الذي في الدنيا فقوله تعالىٰ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر قال الزهري: كانوا من سبط لم يصيبهم جلاء، وكان الله عَزَّوَجَلَّ قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا، وكان أول حشر حشروا في الدنيا إلىٰ الشام. قال ابن عباس: من شك أن الحشر في الشام فليقرأ هذه الآية وذلك أن النبي ﷺ قال لهم: أخرجوا قالوا إلي أين؟ قال: إلىٰ أرض المحشر قال قتادة: هذا أول الحشر.

الثاني: ما رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**يحشر الناس علىٰ ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان علىٰ بعير وثلاثة علىٰ بعير وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث يأتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**»[1].

وقال قتادة: الحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلىٰ المغرب تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتأكل منهم من تخلف، قال القاضي عياض: هذا الحشر في الدنيا قبل قيام الساعة وهو آخر أشراطها كما ذكره مسلم بعد هذا في آيات الساعة، قال فيه: «**وآخر ذلك في نار تخرج من قعر عدن تزجر الناس**»، وفي رواية «**تطرد الناس إلىٰ محشرهم**»، وفي حديث آخر: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تخرج نار من أرض الحجار ويدل علىٰ أنها قبل يوم القيامة**». قوله: فتقيل معهم حيث قالوا، وتمسي معهم حيث أمسوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وقال وفي بعض الروايات في غير مسلم «**فإذا سمعتم به فاخرجوا إلىٰ الشام كأنه أمر بسبقها إليه قبل إزعاجها لهم**».

ومن العلماء من ذهب إلىٰ أن ذلك الحشر في الآخرة وما ذكره القاضي

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

عياض من أن ذلك في الدنيا أظهر والله أعلم لما في الحديث نفسه من ذكر السماء والمبيت والصباح والقائلة، وذلك ليس في الآخرة

والحشر الثالث: حشرهم إلىٰ الموقف علىٰ ما يأتي بيانه قال الله تعالىٰ ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

والرابع: حشرهم إلىٰ الجنة والنار. قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] أي: ركبانًا علىٰ النجب، وقيل: علىٰ الأعمال كما تقدم. وسمي المتقون وفدًا؛ لأنهم يسبقون الناس إلىٰ حيث يدعون إليه فهم لا يتباطئون، لكنهم يجدون ويسرعون والملائكة تتلقاهم بالبشارات، قال الله تعالىٰ ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فيزيدهم ذلك إسراعًا وحق للمتقين أن يسبقوا لسبقهم في الدنيا بالطاعات ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦] أي عطاشًا، وقال ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]، وقال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤].

وفي صحيح مسلم عن أنس أن رجلًا قال يا رسول الله: الذين يحشرون علىٰ وجوههم أيحشر الكافر علىٰ وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: «**أليس الذي أمشاه علىٰ الرجلين قادرًا أن يمشيه علىٰ وجهه يوم القيامة**» قال قتادة حين بلغه: بلىٰ وعزة ربنا[1]، قال أبو حامد: وذكر هذا الفصل وفي طبع الآدمي إنكار ما لم يأنس به ولم يشاهده ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي علىٰ بطنها لأنكر المشي من غير رجل، والمشي بالرجل أيضًا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك، فإياك أن تنكر شيئًا من عجائب يوم القيامة لمخالفتها قياس الدنيا فإنك لو لم تشاهد عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكارًا لها،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٦).

فاحضر رحمك الله في قلبك صورتك، وأنت قد وقفت عاريًا ذليلًا مدحورًا متحيرًا مبهوتًا منتظرًا لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء.

○ صفة أرض المحشر:

أرض المحشر ليست كأرضنا هذه بل إن الأرض تغير وتبدل كما قال سبحانه ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وبين لنا نبينا ﷺ صفة هذه الأرض فقال ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة علىٰ أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي**»(١) قال سهل أو غيره: «**ليس فيها معلم لأحد**».

قال الخطابي: العفر: بياض ليس بناصع وقال عياض: العفر بياض يضرب إلىٰ حمرة قليلًا، وقال ابن فارس معنىٰ عفراء خالصة البياض والنقي بفتح النون وكسر القاف أي الدقيق النقي من الغش والنخال(٢)، والمعنىٰ أنها بيضاء خالصة البياض مثل الدقيق النقي، وقوله «ليس فيها معلم لأحد» أي: ليس فيها العلامات التي يهتدىٰ بها إلىٰ الطريق.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: تبدل الأرض أرضًا كأنها الفضة لم يسفك عليها دم حرام ولم ترتكب عليها خطيئة.

○ الوقت الذي تبدل فيه الأرض غير الأرض والسموات(٣):

بين لنا الرسول ﷺ أن الوقت الذي يتم فيه هذا التبديل هو وقت مرور الناس علىٰ الصراط أو قبل ذلك بقليل ففي صحيح مسلم عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

(٢) انظر: فتح الباري (١١/ ٣٧٥).

(٣) القيامة الكبرىٰ للأشقر ص (٦٧).

[إبراهيم: ٤٨] فأين يكون الناس يا رسول الله؟ فقال: «**علىٰ الصراط**»[(١)]، وفي صحيح مسلم عن ثوبان أن حَبْرًا من أحبار اليهود سأل الرسول ﷺ فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هم في الظلمة دون الجسر**»[(٢)]، والمراد بالجسر الصراط.

○ كيف يحشر الناس إلى أرض المحشر:

يحشر الناس إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ حفاة عراة غرلًا أي غير مختونين كما في صحيح مسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «**أيها الناس إنكم تحشرون إلىٰ الله حفاة عراة غرلًا** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ، **ألا وإن أول الناس يكسىٰ يوم القيامة إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **ألا وإنه يؤتىٰ برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك؛ فأقول كما قال العبد الصالح:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلىٰ قوله ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ، **قال: فيقال: إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين علىٰ أعقابهم منذ فارقتهم**»[(٣)].

وعن معاوية بن حيدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ في حديث ذكره قال: وأشار بيده إلىٰ الشام فقال: «**ههنا إلىٰ ههنا تحشرون ركبانًا ومشاة وتجرون علىٰ وجوهكم يوم القيامة أفواهكم الفدام توفون سبعين أمة أنتم خيرها علىٰ الله وأكرمهم علىٰ الله، وإن أول ما يعرب عن أحدكم فخذه**»[(٤)].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: الفدام: مصفاة الكوز والإبريق، قاله الليث، قال

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٣١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).

(٤) حسن: أخرجه الترمذي (٣٠٠١).

أبو عبيدة: يعني أنهم منعوا الكلام حتىٰ تتكلم أفخاذهم، فشبه ذلك بالفدام الذي يجعل علىٰ الإبريق وقوله «أول من يكسىٰ إبراهيم» فضيلة عظيمة لإبراهيم وخصوصية له كما خص موسىٰ عليه السلام بأن النبي ﷺ يجده معلقًا بساق العرش مع أن النبي ﷺ أول من تنشق عنه الأرض، ولا يلزم من هذا أن يكون أفضل منه مطلقًا، بل هو أفضل من وافىٰ القيامة علىٰ ما يأتي بيانه في أحاديث الشفاعة والمقام المحمود إن شاء الله تعالىٰ، قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر في كتاب «المفهم» له: ويجوز أن يراد بالناس من عداه من الناس فلم يدخل تحت خطاب نفسه، والله أعلم.

قلت: هذا حسن لو لا ما جاء منصوصًا خلافه، فقد روىٰ ابن المبارك في رقائقه عن علي رضي الله عنه قال: أول من يكسىٰ خليل الله إبراهيم قبطيتين، ثم يكسىٰ محمد ﷺ حلة حبرة عن يمين العرش[(١)]، ذكره البيهقي أيضًا.

وخرج البيهقي بإسناده في كتاب الأسماء والصفات عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم تحشرون حفاة عراة، وأول من يكسىٰ من الجنة إبراهيم عليه السلام يكسىٰ حلة من الجنة ويؤتىٰ بكرسي فيطرح عن يمين العرش، ويؤتىٰ بي فأكسىٰ حلة من الجنة لا يقوم لها البشر، ثم أوتي بكرسي فيطرح لي علىٰ ساق العرش**»[(٢)]، وهذا نص بأن إبراهيم أول من يكسىٰ، ثم نبينا بإخباره ﷺ فطوبىٰ ثم طوبىٰ لمن كسي في ذلك الوقت من ثياب الجنة، فإنه من لبسه فقد لبس جبة تقيه مكاره الحشر وعرقه وحر الشمس وغير ذلك من أهواله.

فائدة: تكلم العلماء في حكمة تقديم إبراهيم عليه السلام بالكسوة فروي أنه لم يكن في الأولين والآخرين لله عز وجل عبد أخوف من إبراهيم عليه السلام، فتعجل له

---

(١) **رجاله ثقات:** أخرجه ابن المبارك في الرقائق (٢/ ١٠٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٤٠).

(٢) **صحيح:** أخرجه النسائي في سننه (٢٠٨٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٣٩).

كسوته أمانًا له ليطمئن قلبه، ويحتمل أن يكون ذلك لما جاء به الحديث من أنه أول من أمر بلبس السراويل إذا صلىٰ مبالغة في التستر، وحفظًا لفرجه من أن يماس مصلاه ففعل ما أمر به فيجزىٰ بذلك أن يكون أول من يستر يوم القيامة، ويحتمل أن يكون الذين ألقوه في النار جردوه ونزعوا عنه ثيابه علىٰ أعين الناس كما يفعل بمن يراد قتله، وكان ما أصابه من ذلك في ذات الله عَزَّوَجَلَّ فلما صبر واحتسب وتوكل علىٰ الله تعالىٰ دفع الله عنه شر النار في الدنيا والآخرة، وجزاه بذلك العرىٰ أن جعله أول من يدفع عنه العرىٰ يوم القيامة علىٰ رؤوس الأشهاد، وهذا أحسنها، والله أعلم.

وإذا بدئ في الكسوة بإبراهيم وثنىٰ بمحمد ﷺ أوتي محمد بحلة لا يقوم لها البشر لينجبر التأخير بنفاسة الكسوة، فيكون كأنه كسي مع إبراهيم عليهما السلام، قاله الحليمي، وقوله «تجدون علىٰ أفواهكم الفدام» الفدام: مصفاة الكوز والإبريق؛ قاله الليث، قال أبو عبيد: يعني أنهم منعوا الكلام حتىٰ تتكلم أفخاذهم؛ فشبه ذلك بالفدام الذي يجعل علىٰ الإبريق، قال سفيان: وفدامهم أن يؤخذ علىٰ ألسنتهم وهذا مثل.

○ صفة المجئ إلى أرض المحشر:

قال الله تعالىٰ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٦-٨] عند خروجهم من القبور، وبينما الناس في حيرتهم ودهشتهم وسوء مظهرهم، فإذا بمناد الحق - داعي الله - يدعوهم إلىٰ موقف الحساب ليقضي الله بين عباده ويوفيهم أجورهم، فيتجهون إلىٰ ذلك الموقف وهم مثل الجراد في انتشاره لكثرتهم، ويسعون إلىٰ مادعوا إليه ذليلي الأبصار من عظم الأمر وهوله، مهطعين[١] لذلك.

---

(١) **مهطعين**: هطع يهطع هطوعًا. وأهطع: أقبل علىٰ الشيء ببصره فلم يرفعه عنه، لسان العرب =

قال ابن جرير رحمه الله تعالىٰ: «وإنما وصف جل ثناؤه بخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم والمراد به أجسامهم؛ لأن أثر ذلة كل ذليل وعزة كل عزيز تتبين في ناظريه دون سائر جسده، فلذلك خص الأبصار بوصفها بالخشوع»(١)، في تلك الساعة يرىٰ الكافر بربه في الدنيا، المكذب باليوم الآخر، عظم هذا اليوم وشدة هوله: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩-١٠](٢) وقد بين ﷻ صفة مجيئهم إلىٰ أرض المحشر عندما يُدعون لذلك فقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٣-٤٤]. «مجيبين لدعوة الداعي مهطعين إليها كأنهم إلىٰ علم يؤمون ويقصدون فلا يتمكنون من الاستعصاء علىٰ الداعي ولا الالتواء عن نداء المنادي بل يأتون أذلاء مقهورين بين يدي رب العالمين. وذلك أن الذلة والقلق قد ملك قلوبهم واستولىٰ علىٰ أفئدتهم فخشعت منهم الأبصار وسكنت الحركات وانقطعت الأصوات: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحال والمآل هو: ﴿ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ ولا بد من الوفاء بوعد الله»(٣).

فجميع الخليقة من إنس وجن ووحوش ودواب يأتون ساعين إلىٰ أرض المحشر، قال تعالىٰ: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، قال ابن

= مادة (هطع) (٨/ ٣٧٢).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٧/ ٩٠).

(٢) سورة المدثر الآيتان (٩ – ١٠).

(٣) تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي (٧/ ٤٧٩).

عباس: «يحشر كل شيء حتىٰ الذباب»[(١)]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧]، وذلك بجمع كل نظير إلىٰ نظيره في الخير والشر، تأتي جميع الخلائق بعد بعثها إلىٰ أرض الموقف ليحاسب الله كلًّا علىٰ ما كان وصار في الحياة الدنيا وذلك عندما يدعون لذلك قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤١-٤٤]، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥١-٥٣].

❍ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه:

في صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا، قلت: يا رسول الله: الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلىٰ بعض؟ قال: «**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلىٰ بعض**»[(٢)].

وفي الترمذي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**تحشرون حفاة عراة غرلًا**»؛ فقالت امرأة: أيبصر بعضنا أو يرىٰ بعضنا عورة بعض؟ قال: «**يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**»[(٣)].

مما سبق يتبين أن الناس يحشرون حفاة عراة غرلًا أي: غير مختونين كما بدأنا أول خلق نعيده، قال العلماء: يحشر العبد غرًا وله من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه عضو يرد في القيامة عليه حتىٰ الختان.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٧٤٨).

(٢) البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩)، واللفظ له.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٣٣٢).

وقد عارض هذا الباب ما روىٰ أبو داود في سننه، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما حضرته الوفاة دعا بثياب جدد فلبسها وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الميت يبعث في ثيابه التي دفن فيها**»[1]، قال أبو عمر بن عبد البر: وقد احتج بهذا الحديث من قال: إن الموتىٰ يبعثون جملة علىٰ هيئاتهم، وحمله الأكثر من العلماء علىٰ الشهيد الذي أمر أن يزمل في ثيابه ويدفن فيها ولا يغسل عنه دمه ولا يغير عليه شيء من حاله بدليل حديث ابن عباس وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم قالوا: ويحتمل أن يكون أبو سعيد سمع الحديث في الشهيد فتأوله علىٰ العموم، والله أعلم.

قلت: ومما يدل علىٰ قول الجماعة مما يواقف حديث عائشة وابن عباس قوله الحق: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، ولأن الملابس في الدنيا أموال ولا مال في الآخرة زالت الأملاك بالموت وبقيت الأموال في الدنيا وكل نفس يومئذ، فإنما يقيها المكاره ما وجب لها بحسن عملها أو رحمة مبتدأة من الله عليها، فأما الملابس فلا غنىٰ فيها يومئذ إلا ما كان من لباس الجنة.

❍ **موعظة:**

قال أبو حامد في كتاب «كشف علم الآخرة»: ويجعل لكل واحد منهم نور شعاعي بين يديه وعن يمينه ومثله يسرج بين يديه في الظلمات وهو قوله تعالىٰ ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ [الحديد: ١٢]، وليس عن شمائلهم نور بل ظلمة حالكة لا يستطيع البصر نفاذها يحار فيها الكفار ويتردد المرتابون، والمؤمن ينظر إلىٰ قوة حلكتها ويحمد الله تعالىٰ علىٰ ما أعطاه من النور المهتدي به في تلك الشدة يسعىٰ بين أيديهم وبأيمانهم، لأن الله تعالىٰ يكشف للعبد المؤمن المنعم عن أحوال المعذب الشقي ليستبين له سبيل الفائدة، كما فعل بأهل الجنة وأهل النار

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود في سننه (٣١١٤).

حيث يقول ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]، وكما قال سبحانه ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧]؛ لأن أربعًا لا يعرف قدرها إلا أربع: لا يعرف قدر الحياة إلا الموتىٰ، ولا يعرف قدر الأغنياء إلا الفقراء، ولا يعرف قدر الصحة إلا أهل البلاء والسقم، ولا يعرف قدر الشباب إلا الشيوخ. وفي نسخة: ولا يعرف قدر النعيم إلا أهل الجحيم، ومن الناس من يبقىٰ علىٰ قدميه وعلىٰ طرف بنانه ونوره يطفأ تارة ويشتعل أخرىٰ، وإنما هم عند البعث علىٰ قدر إيمانهم وأعمالهم، وقد مضىٰ في باب يبعث كل عبد علىٰ ما مات عليه ما فيه كفاية، والحمد لله.

○ فصل في الجمع بين آيات وردت في الكتاب في الحشر ظاهرها التعارض:

منها قوله تعالىٰ ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [يونس: ٤٥]، وقال تعالىٰ ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وفي آية ثالثة إنهم يقولون ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، وهذا كلام وهو مضاد للبكم، والتعارف تخاطب وهو مضاد للصم والبكم معًا، وقال الله تعالىٰ ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]، والسؤال لا يكون إلا بالاسماع وإلا لناطق يتسع للجواب، وقال ﴿وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾ [طه: ١٠٢]، وقال ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وقال ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣]، والنسلان والاسراع مخالفان للحشر علىٰ الوجوه.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: والجواب لمن سأل عن هذا الباب أن يقال له إن الناس إذا أحيوا وبعثوا من قبورهم فليست حالهم حالة واحدة ولا موقفهم ولا مقامهم واحدًا، ولكن لهم مواقف وأحوال واختلفت الأخبار عنهم لاختلاف مواقفهم وأحوالهم وجملة ذلك أنها خمسة أحوال: حال البعث من القبور، والثانية: حال السوق إلىٰ مواضع الحساب، والثالثة: حال المحاسبة، والرابعة:

حال السوق إلىٰ دار الجزاء، والخامسة: حال مقامهم في الدار التي يستقرون فيها.

فأما حال البعث من القبور: فإن الكفار يكونون كاملي الحواس والجوارح لقول الله تعالىٰ ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾، وقوله ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾، وقوله ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾، وقوله ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ إلىٰ قوله ﴿لَا تُرْجَعُونَ﴾.

والحالة الثانية: حال السوق إلىٰ موضع الحساب وهم أيضًا في هذه الحال بحواس تامة؛ لقوله عَزَّوَجَلَّ ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٢ – ٢٤]، ومعنىٰ «فاهدوهم» أي: دلوهم ولا دلالة لأعمىٰ أصم ولا سؤال لأبكم، فثبت بهذا أنهم يكونون بأبصار وأسماع وألسنة ناطقة.

والحالة الثالثة: وهي حالة المحاسبة وهم يكونون فيها أيضًا كاملي الحواس ليسمعوا ما يقال لهم ويقرأوا كتبهم الناطقة بأعمالهم وتشهد عليهم جوارحهم بسيئاتهم، فيسمعونها، وقد أخبر الله تعالىٰ أنهم يقولون ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، وأنهم يقولون لجلودهم ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١]، وليشاهدوا أحوال القيامة وما كانوا مكذبين في الدنيا به من شدتها وتصرف الأحوال بالناس فيها.

وأما الحالة الرابعة: وهي السوق إلىٰ جهنم فإنهم يسلبون فيها أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم؛ لقوله تعالىٰ ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الإسراء: ٩٧]، ويحتمل أن يكون قوله تعالىٰ ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] إشارة إلىٰ ما يشعرون به من سلب الأبصار والأسماع والمنطق.

والحالة الخامسة، حال الإقامة في النار، وهذه الحالة تنقسم إلىٰ بدو ومآل؛

فبدوها أنهم إذا قطعوا المسافة التي بين موقف الحساب وشفير جهنم عميًا وبكمًا وصمًا إذلالًا لهم تمييزًا عن غيرهم، ثم ردت الحواس إليهم ليشاهدوا النار، وما أعد الله لهم فيها من العذاب ويعاينوا ملائكة العذاب وكل ما كانوا به مكذبين، فيستقرون في النار ناطقين سامعين مبصرين ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ﴾ وقال: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ وأخبر تعالىٰ أنهم ينادون أهل الجنة فيقولون: ﴿أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾، وأن أهل الجنة ينادونهم ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ﴾ وأنهم يقولون: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فيقول لهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾، وأنهم يقولون لخزنة جهنم: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾، فيقولون لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾، وأما العقبىٰ والمآل فإنهم إذا قالوا: ﴿أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ فقال الله تعالىٰ: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، وكتب عليهم الخلود بالمثل الذي يضرب لهم وهو أن يؤتىٰ بكبش أملح ويسمىٰ المكوت، ثم يذبح علىٰ الصراط بين الجنة والنار وينادوا يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت سلبوا في ذلك الوقت أسماعهم، وقد يجوز أن يسلبوا الأبصار والكلام، لكن سلب السمع يقين، لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ فإذا سلبوا الأسماع صاروا إلىٰ الزفير والشهيق، ويحتمل أن تكون الحكمة في سلب الأسماع من قبل أنهم سمعوا نداء الرب سبحانه علىٰ ألسنة رسله فلم يجيبوه بل جحدوه، وكذبوا به بعد قيام الحجة عليهم بصحته، فلما كانت حجة

الله عليهم في الدنيا الاستماع عاقبهم على كفرهم في الأخرى بسلب الأسماع يبين ذلك أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾، وقالوا: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ وإن قوم نوح عليه السلام كانوا يستغشون ثيابهم تسترا منه لئلا يروه ولا يسمعوا كلامه وقد أخبر الله تعالى عن الكفار في وقت نبينا محمد ﷺ مثله فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ وإن سلبت أبصارهم فلأنهم أبصروا الغير فلم يعتبروا والنطق فلأنهم أوتوه فكفروا فهذا وجه الجمع بين الآيات على ما قاله علماؤنا، والله أعلم.

باب الإيمان بصفة يوم القيامة وأهواله

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ١-٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٤٢ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ۝٤٣ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ۝٤٤ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ۝٤٥ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ۝٤٦ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ۝٤٧ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝٤٨ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٥١ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ

بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٥٢].

وقال الله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٤-٦].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمٗا ثَقِيلٗا﴾ [الإنسان: ٢٧].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٖ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨-٩].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسٗا قَمْطَرِيرٗا﴾ [الإنسان: ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمٗا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٧-١٨].

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٞ يَوْمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾ [النازعات: ٦-٩].

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمٗا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣].

وقال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٕٖ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٖ شَأْنٞ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣-٣٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٖ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥٤].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعٗا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾ [المائدة: ٣٦-٣٧].

وقال الله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١١-١٨].

وقال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: ٥٥].

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩].

وقال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١-٢].

وقال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١].

وقال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ١-٢].

وقال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ٦-١٢].

وقال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ١-٢].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٣-١٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا

صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧].

وعن عَدِيِّ بْنَ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَهُ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا يَشْكُو العَيْلَةَ، وَالآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ: فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ، حَتَّىٰ تَخْرُجَ العِيرُ إِلَىٰ مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ، وَأَمَّا العَيْلَةُ: فَإِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ، حَتَّىٰ يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ، لاَ يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ، ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَىٰ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَىٰ، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلاَ يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[1].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ؛ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧][2].

وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ اليَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ! فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا، فَقَالَ: لِمَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٣) من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) البخاري (٤٨١١)، واللفظ له، ومسلم (٢٧٨٦).

تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: ألا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ اليَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي**». فَقَالَ اليَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ**»؟ قال: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، فَنكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ، فَقَالَ: «**سَلْ**». فَقَالَ اليَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ**»(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ: «**عَلَى الصِّرَاطِ**»(٢).

وعَنِ المِقْدَاد بْن الأَسْوَدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**»، قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ! مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالمِيلِ أَمَسَافَةَ الأَرْضِ، أَمِ المِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ العَيْنُ. قَالَ: «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي العَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إِلْجَامًا**»، قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَال إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لا تَعْلَمَ**

---

(١) مسلم (٣١٥).

(٢) مسلم (٢٧٩١).

(٣) مسلم (٢٨٦٤).

شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(١).

وَعَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّىٰ يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ قَالَ: يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ**»(٢).

❍ **من فقه الباب:**

❍ **أهوال القيامة كأنك تراها:**

عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سره أن ينظر إلىٰ يوم القيامة فليقرأ** ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾»(٣).

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: وإنما كانت هذه السور الثلاث أخص بالقيامة لما فيها من انشقاق السماء وانفطارها وتكور شمسها وانكدار نجومها وتناثر كواكبها إلىٰ غير ذلك من أفزاعها وأهوالها، وخروج الخلق من قبورهم إلىٰ سجونهم أو قصورهم بعد نشر صحفهم وقراءة كتبهم وأخذها بأيمانهم وشمائلهم أو من وراء ظهورهم في موقفهم علىٰ ما يأتي بيانه، قال الله تعالىٰ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ وقال ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾وقال: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ فتراها واهية منفطرة متشققة كقوله تعالىٰ: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ [النبأ: ١٩]، ويكون الغمام سترة بين السماء والأرض، وقيل: إن «الباء» بمعنىٰ «عن» أي: تشقق عن سحاب أبيض، ويقال: انشقاقها لما يخلص عليه من حر جهنم، وذلك إذا بطلت المياه وبرزت النيران، فأول ذلك أنها تصير حمراء صافية كالدهن وتتشقق لما يريد الله من نقض هذا العالم ورفعه، وقد قيل: إن السماء تتلون فتصفر ثم تحمر أو تحمر ثم تصفر كالمهرة تميل في الربيع إلىٰ الصفرة، فإذا

---

(١) البخاري (٦٦٠)، واللفظ له، ومسلم (١٠٣١).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١٧٣٣٣)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن خزيمة (٢٤٣١).

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٣٣٣).

اشتد الحر مالت إلىٰ الحمرة ثم إلىٰ الغبرة. قاله الحليمي.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: تكويرها إدخالها في العرش، وقال: ذهاب ضوئها؛ قاله الحسن وقتادة، وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد، وقال أبو عبيدة: كورت مثل تكوير العمامة تلف فتمحىٰ، وقال الربيع بن خيثم: كورت رمىٰ بها، ومنه كورته فتكور أي: سقط.

قلت: وأصل التكوير الجمع؛ مأخوذ من كار العمامة علىٰ رأسه يكورها أي: جمعها فهي تكور ثم يمحىٰ ضوءها ثم يرمىٰ بها، والله أعلم.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾، أي انتثرت قيل تتناثر من أيدي الملائكة؛ لأنهم يموتون، وفي الخبر «أنها معلقة بين السماء والأرض بسلاسل بأيدي الملائكة»، وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: انكدرت تغيرت، وأصل الانكدار الانصباب فتسقط في البحار فتصير معها نيرانًا إذا ذهبت المياه.

وقوله ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ هو مثل قوله ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ﴾ [الطور: ١٠]، أي: تحول عن منزلة الحجارة فتكون كثيبًا مهيلًا، أي: رملًا سائلًا، وتكون كالعهن، وتكون هباء منبثًا، وتكون سرابًا مثل السراب الذي ليس بشيء، وقيل: إن الجبال بعد اندكاكها تصير كالعهن من حر جهنم كما تصير السماء من حرها كالمهل.

قال الحليمي: وهذا والله أعلم؛ لأن مياه الأرض كانت حاجزة بين السماء والأرض، فإذا ارتفعت وزيد مع ذلك في إحماء جهنم أثر في كل واحد من السماء والأرض ما ذكر.

قوله وإذا العشار عطلت أي عطلها أهلها فلم تحلب من الشغل بأنفسهم والعشار: الإبل الحوامل واحدها عشراء وهي التي أتي عليها في الحمل عشرة أشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتىٰ تضع وبعد ما تضع، وإنما خص العشار بالذكر لأنها أعز ما يكون علىٰ العرب، فأخبر أنه تعطل يوم القيامة، ومعناه: أنهم إذا قاموا من

قبورهم وشاهد بعضهم بعضًا ورأوا الوحوش والدواب محشورة وفيها عشارهم التي كانت أنفس أموالهم لم يعبئوا بها ولم يهمهم أمرها، ويحتمل تعطل العشار إبطال الله تعالىٰ أملاك الناس عما كان ملكهم إياها في الدنيا، وأهل العشار يرونها فلا يجدون إليها سبيلًا، وقيل: العشار السحار يعطل مما يكون فيه وهو الماء فلا يمطر، وقيل: العشار الديار تعطل فلا تسكن، وقيل: الأرض التي يعشر زرعها تعطل فلا تزرع. والقول الأول أشهر وعليه من الناس الأكثر.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي: جمعت والحشر الجمع وقد تقدم.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أي: أوقدت وصارت نارًا، رواه الضحاك عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال قتادة: غار ماؤها فذهب، وقال الحسن والضحاك: فاضت، وقيل: سجرت حقيقته ملئت فيقضي بعضها إلىٰ بعض فتصير شيئًا واحدًا وهو معنىٰ قول الحسن، ويقال: إن الشمس تلف ثم تلقىٰ في البحار فمنها تحمىٰ وتنقلب نارًا، قال الحليمي: ويحتمل إن كان هذا هكذا أن البحار في قول من فسر التسجير بالامتلاء هو أن النار حينئذ تكون أكثرها؛ لأن الشمس أعظم من الأرض مرات كثيرة، فإذا كورت وألقيت في البحر فصارت نارًا ازدادت امتلاء.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ تفسير الحسن: أن تلحق كل شيعة شيعتها، اليهود باليهود، والنصارىٰ بالنصارىٰ، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد من دون الله شيئًا يلحق بعضهم ببعض، والمنافقون بالمنافقين، والمؤمنون بالمؤمنين، وقال عكرمة: المعنىٰ تقرن بأجسادها أي: ترد إليها، وقيل: يقرن الغاوي بمن أغواه من شيطان أو إنسان، وقيل: يقرن المؤمنون بالحور العين والكافرون بالشياطين.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ يعني بنات الجاهلية كانوا يدفنونهن أحياء لخصلتين:

إحدهما: كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله؛ فألحقوا البنات به.

الثانية: مخافة الحاجة والإملاق وسؤال الموؤدة علىٰ وجه التوبيخ لقاتلها كما يقال للطفل إذا ضرب لم ضربت وما ذنبك؟ وقال الحسن: أراد الله أن يوبخ قاتلها؛ لأنها قتلت بغير ذنب، وبعضهم يقرأ ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾تعلق الجارية بأبيها فتقول بأي ذنب قتلتني؟ وقيل: معنىٰ سئلت يسأل عنها كما قال ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ أي: للحساب وسيأتي.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ قيل معناه: طويت كما قال الله تعالىٰ ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] أي: كطي الصحيفة علىٰ ما فيها؛ فاللام بمعنىٰ «علىٰ» يقال: كشطت السقف أي: قلعته؛ فكان المعنىٰ قلعت فطويت، والله أعلم، والكشط والقشط سواء وهو القلع، وقيل: السجل كاتب للنبي ﷺ، ولا يعرف في الصحابة من اسمه سجل.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أي: أوقدت.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي: قربت لأهلها وأُدنيت ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ أي: من عملها وهو مثل قوله ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥].

ومما قيل في معنىٰ ما ذكرنا من النظم قول بعضهم:

مثــل لنفــسك أيهــا المغــرور ... يــوم القيامــة والــسماء تمــور
إذ كــورت شــمس النهــار وأدنيــت ... حتــىٰ علــىٰ رأس العبــاد تــسير
وإذا النجــوم تــساقطت وتنــاثرت ... وتبــدلت بعــد الــضياء كــدور
وإذا البحــار تفجــرت مــن خوفهــا ... ورأيتهــا مثــل الجحــيم تفــور

وإذا الجبـال تقلعـت بأصـولها	فرأيتهـا مثـل الـسحاب تـسير
وإذا العـشار تعطلـت وتخربـت	خلـت الـديار فمـا بهـا معمـور
وإذا الوحـوش لـدىٰ القيامـة	وتقـول للأمـلاك أيـن نـسير
وإذا تقـاة المـسلمين تزوجـت	مـن حـور عـين زانهـن شـعور
وإذا المـوؤدة سئلت عـن شأنها	وبـأي ذنـب قتلهـا ميـسور
وإذا الجليـل طـوىٰ الـسما بيمينـه	طـي الـسجل كتابـه المنـشور
وإذا الصحائف عند ذاك تساقطت	تبـدىٰ لنـا يـوم القـصاص أمـور
وإذا الـصحائف نـشرت فتطـايرت	وتهتكـت للمـؤمنين سـتور
وإذا الـسماء تكـشطت عـن أهلهـا	ورأيـت أفـلاك الـسماء تـدور
وإذا الجحـيم تـسعرت نيرانهـا	فلهـا علـىٰ أهـل الـذنوب زفيـر
وإذا الجنـان تزخرفـت وتطيبـت	لفتـىٰ علـىٰ طـول الـبلاء صـبور
وإذا الجنـين بأمـه متعلـق	يخشىٰ القصاص وقلبه مذعور
هـذا بـلا ذنـب يخـاف جنايـة	كيف المصر علىٰ الذنوب دهور

وقال المحاسبي في كتاب «التوهم والأهوال»: يحشر الله الأمم من الإنس والجن عراة أذلاء قد نزع الملك من ملوك الأرض ولزمهم الصغار بعد عتوهم والذلة بعد تجبرهم علىٰ عباد الله في أرضه، ثم أقبلت الوحوش من أماكنها منكسة رؤوسها بعد توحشها من الخلائق وانفرادها ذليلة من هول يوم النشور من غير ريبة ولا خطية أصابتها حتىٰ وقفت من وراء الخلق بالذلة والانكسار لذلك الجبار، وأقبلت الشياطين بعد تمردها وعتوها خاضعة ذليلة للعرض علىٰ الملك الديان، حتىٰ إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها وجنها وشياطينها ووحوشها

وسباعها وأنعامها وهوامها تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر فأظلما عليهم ومارت سماء الدنيا من فوقهم فدارت من فوقهم بعظمها فوق رؤوسهم وهي خمسمائة عام، فيا هول صوت انشقاقها في سمعهم وتمزقت وتفطرت لهول يوم القيامة من عظم يوم الطامة ثم ذابت حتىٰ صارت مثل الفضة المذابة كما قال الجبار تبارك وتعالىٰ ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]، وقال ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ﴾ [المعارج: ٨-٩] أي: كالصوف المنفوش وهو أضعف الصوف وهبطت الملائكة من حافاتها إلا الأرض بالتقديس لربها فتوهم انحدارهم من السماء؛ لعظم أجسامهم وكثرة أخطارهم وهول أصواتهم وشدة فرقهم من خوف ربهم فتوهم فزعك حينئذ وفزع الخلائق لنزولهم مخافة أن يكونوا قد أمروا بهم فأخذوا مصافهم محدقين بالخلائق منكسي رؤوسهم لعظيم هول يومهم قد تسربلوا أجنحتهم ونكسوا رؤوسهم بالذلة والخضوع لربهم، وكذلك ملائكة كل سماء إلىٰ السماء السابعة قد أضعف أهل كل سماء علىٰ أهل السماء الذين قبلهم في العدة وعظم الأجسام والأصوات حتىٰ إذا وافىٰ الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع كسيت الشمس حر عشر سنين، ثم أدنيت من الخلائق قاب قوسين أو قوس فلا ظل ذلك اليوم إلا ظل عرش الرحمن؛ فمن بين مستظل بظل العرش وبين مضح بحر الشمس قد صهرته واشتد فيها كربه وأقلقته وقد ازدحمت الأمم وتضايقت ودفع بعضهم بعضًا، واختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من العطش قد اجتمع عليهم في مقامهم حر الشمس مع وهج أنفاسهم وتزاحم أجسامهم ففاض العرق منهم علىٰ وجه الأرض، ثم علىٰ أقدامهم، ثم علىٰ قدر مراتبهم ومنازلهم عند ربهم من السعادة والشقاء، فمنهم من يبلغ العرق منكبيه وحقويه، ومنهم إلىٰ شحمة أذنيه، ومنهم من قد ألجمه العرق فكاد أن يغيب فيه.

قلت (القرطبي): ذكر المحاسبي وغيره أن انفطار السماء انشقاقها بعد جمع الناس في الموقف، وقد قدمنا أن ذلك يكون قبل ذلك وهو ظاهر القرآن كما ذكرنا والله أعلم، وقد جاء ذلك مرفوعًا في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد تقدم.

ومما يصور الهول الذي يتعرض له الناس في هذا اليوم الرهيب ما رواه مسلم في صحيحه عن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتىٰ تكون منهم كمقدار ميل**» قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض أو الميل الذي تكحل به العين، قال: «**فيكون الناس علىٰ قدر أعمالهم في العرق؛ فمنهم من يكون إلىٰ كعبيه، ومنهم من يكون إلىٰ ركبتيه، ومنهم من يكون إلىٰ حقويه، ومنهم من يلجمه إلجامًا** قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلىٰ فيه»(١)، وأخرجه الترمذي وزاد قوله «**تكحل به العين فتصهرهم الشمس**»(٢).

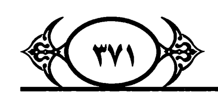
وذكر ابن المبارك في «الزهد» عن عبيد الله بن العيزار قال: إن الأقدام يوم القيامة مثل النبل في القرن، والسعيد الذي يجد لقدميه موضعًا يضعهما عليه، وإن الشمس تدنىٰ من رؤوسهم حتىٰ لا يكون بينها وبين رؤوسهم إما قال ميلًا أو ميلين ثم يزاد في حرها بضعة وستون ضعفًا، وعند الميزان ملك إذا وزن العبد نادىٰ ألا إن فلان بن فلان قد ثقلت موازينه وسعد سعادة لا يشقىٰ بعدها أبدًا، ألا إن فلان ابن فلان قد خفت موازينه وشقىٰ شقاء لا يسعد بعده أبدًا.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العرق يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين باعًا وإنه ليبلغ إلىٰ أفواه الناس أو**

---

(١) مسلم (٢٨٦٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٢١).



آذانهم»[١]، وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ يوم يقوم الناس لرب العالمين قال: «**يوم يقوم أحدهم في رشحه إلىٰ نصف أذنيه**»[٢].

وفي «الزهد» لهناد بن السري عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال له رجل إن أهل المدينة ليوفون الكيل يا أبا عبد الرحمن، قال: وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ حتىٰ بلغ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال: إن العرق ليبلغ أنصاف آذانهم من هول يوم القيامة وعظمه[٣].

قال ابن العربي: وكل واحد يقوم عرقه معه فيغرق فيه إلىٰ أنصاف ساقيه وإلىٰ جانبيه مثلًا عن اليمين من يبلغ كعبيه، ومن الجهة الشمال من يبلغ ركبتيه، ومن أمامه من يكون عرقه إلىٰ نصفه، ومن خلفه من يبلغ العرق صدره، وهذا خلاف المعتاد في الدنيا فإن الجماعة إذا وقفوا في الأرض المعتدلة أخذهم الماء أخذًا واحدًا ولا يتفاوتون، كما ذكرنا مع استواء الأرض ومجاورة المحل، وهذا من القدرة التي تخرق العادات في زمن الآيات.

وقال الفقيه أبو بكر بن برجان في كتاب «الإرشاد» له: ولا يبعدون عليك هذا يرحمك الله أن يكون الناس كلهم في صعيد واحد وموقف سواء يشرب أحدهم أو بعض من الحوض ولا يشرب الغير، ويكون النور يسعىٰ بين يدي البعض في الظلمات مع قرب المكان وازدحام الناس، ويكون أحدهم يغرق في عرقه حتىٰ يلجمه أو يبلغ منه عرقه ما شاء الله جزاء لسعيه في الدنيا والآخرة في ظل العرش علىٰ قرب المكان والمجاورة، كذلك كانوا في الدنيا يمشي المؤمن بنور إيمانه في الناس والكافر في ظلام كفره، والمؤمن في وقاية الله وكفايته

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٢)، ومسلم (٢٨٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢).

(٣) **صحيح:** أخرجه هناد بن السري في الزهد (٣٢٨).

والكافر والعاصي في خذلان الله لهما وعدم العصمة، والمؤمن السني يكرع في سنة رسول الله ﷺ، ويروىٰ ببرد اليقين ويمشي في سبل الهداية بحسن الإقتداء والمبتدع عطشان إلىٰ ما روي المؤمن به حيران لا يشعر سالك في مسالك ضلالات البدع وهو لا يدري، كذلك في الوجود الأعمىٰ لا يجد نور بصر البصير ولا ينفعه دواء إنما هي بواطن وظواهر بطنت فتشعر لذلك وتفطن واستعن بالله يعنك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وقال أبو حامد: واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف أو نهي عن منكر، فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب، ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرر لعلم أن تعب العارف في تحمل مصاعب الدنيا أهون أمرًا وأقصر زمانًا من عرق الكرب والانتظار في القيامة، فإنه يوم عظيم شديد طويل مدته.

وذكر أبو نعيم عن أبي حازم أنه قال: لو نادىٰ مناد من السماء أمن أهل الأرض من دخول النار لحق عليهم الوجل من هول ذلك الموقف ومعاينة ذلك اليوم.

ما ينجي من أهوال يوم القيامة ومن كربها.

روىٰ الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»**[1].

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرًا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال: قال الله عز وجل أنا**

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٠).

أحق بذلك منك تجاوزوا عن عبدي»[(١)].

وعن حذيفة عن النبي ﷺ: «**أن رجلًا مات فدخل الجنة، فقيل له ما كنت تعمل؟ فقال: إني كنت أبايع الناس، فكنت أنظر المعسر وأتجاوز في السكة أو في النقد فغفر له**». فقال له ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ[(٢)].

وروىٰ مسلم عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه طلب غريمًا له فتوارىٰ عنه، ثم وجده فقال: إني معسر، قال الله فقال الله. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ: «**من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه**»[(٣)].

وعن أبي اليسر واسمه كعب بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله**»[(٤)].

وروىٰ الأئمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»[(٥)]، معنىٰ في ظله أي في ظل عرشه وقد جاء هكذا تفسيرًا في الحديث.

وفي التنزيل تحقيقًا لهذا الباب، وجامعًا له قوله الحق ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧] إلىٰ قوله ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ [الإنسان: ١١] مع قوله ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٩١)، ومسلم (١٥٦٠).

(٣) أخرجه مسلم (١٥٦٣).

(٤) أخرجه مسلم (٣٠٠٦).

(٥) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠] مع قوله في غير موضع بعد ذكر الأعمال الصالحة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]؛ فالمسارعة إلىٰ عمل الصالحات من أهم أسباب النجاة من أهوال القيامة كما قال تعالىٰ ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣] فعباد الرحمن الذين سارعوا إلىٰ عمل الصالحات ابتغاء رضوان الله ينادي عليهم منادي الرحمن في ذلك اليوم قائلًا ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٦٨-٦٩].

وعمومًا فالخوف من الله هو سبيل النجاة من أهوال القيامة، الخوف الذي يثمر عن طاعة الله بامتثال أوامره وترك نواهيه ألم تر أن المؤمنين لما قالوا ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠] بشرهم الله بقوله ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١١ - ١٢].

باب الإيمان بمجيء الله لفصل القضاء

قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١-٢٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

وقال الله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**»(١).

(١) البخاري (٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

○ **من فقه الباب:**

يفصل الله بين الناس يوم القيامة، ويحكم بينهم بالحق والعدل.

فتعطىٰ الكتب.. وتوضع الموازين.. وينصب الصراط.. ويحاسب الناس كلهم فردًا فردًا.

فآخذ كتابه بيمينه إلىٰ الجنة.. وآخذ كتابه بشماله إلىٰ النار.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قال: «**هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا**»، قُلْنَا: لا، قال: «**فَإِنَّكُمْ لا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا**»، ثُمَّ قال: «**يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَىٰ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّىٰ يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ. ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ. ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَىٰ: ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ. حَتَّىٰ يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ اليَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا. قال: فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلا يُكَلِّمُهُ إِلا الأَنْبِيَاءُ. فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ، فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ**

مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا. ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِالجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قال: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفة، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ المُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ. وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَىٰ النَّارِ. فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَىٰ قَدَمِهِ، وَإِلَىٰ أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا. ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ. فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا. ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا»، قال أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَؤُوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]. «فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلائِكَةُ وَالمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَىٰ جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَىٰ جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَىٰ الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَىٰ الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ. فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ: هَؤُلاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[1].

---

(١) البخاري (٧٤٣٩)، واللفظ له، ومسلم (١٨٣).

باب الإيمان باختلاف أحوال الناس يوم القيامة كل بحسب عمله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(١).

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسَرِ، صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ، مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ، وَعَلَىٰ أَبِي الْيَسَرِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيَّ، وَعَلَىٰ غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيَّ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَمِّ إِنِّي أَرَىٰ فِي وَجْهِكَ سَفْعَةً مِنْ غَضَبٍ، قَالَ: أَجَلْ، كَانَ لِي عَلَىٰ فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ الْحَرَامِيِّ مَالٌ، فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ، فَسَلَّمْتُ، فَقُلْتُ: ثَمَّ هُوَ؟ قَالُوا: لَا، فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنٌ لَهُ جَفْرٌ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي، فَقُلْتُ: اخْرُجْ إِلَيَّ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ، فَخَرَجَ، فَقُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ أَنِ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟ قَالَ: أَنَا، وَاللهِ أُحَدِّثُكَ، ثُمَّ لَا أَكْذِبُكَ، خَشِيتُ وَاللهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ فَأَكْذِبَكَ، وَأَنْ أَعِدَكَ فَأُخْلِفَكَ، وَكُنْتَ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُنْتُ وَاللهِ مُعْسِرًا قَالَ: قُلْتُ: آللهِ قَالَ: اللهِ، قُلْتُ: آللهِ، قَالَ: اللهِ، قُلْتُ: آللهِ، قَالَ: اللهِ، قَالَ: فَأَتَىٰ بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاهَا بِيَدِهِ، فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَاقْضِنِي، وَإِلَّا أَنْتَ فِي حِلٍّ، فَأَشْهَدُ بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ - وَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ - وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا - وَأَشَارَ إِلَىٰ مَنَاطِ قَلْبِهِ - رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَىٰ مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ»(٢).

وعن مُعَاذ بْن جَبَل، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً، فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَغْزَرِ مَا كَانَتْ، لَوْنُهَا كَالزَّعْفَرَانِ وَرِيحُهَا كَالْمِسْكِ، وَمَنْ خَرَجَ بِهِ جِرَاحٌ فِي سَبِيلِ اللهِ طُبِعَ عَلَيْهِ بِطَابَعِ الشُّهَدَاءِ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٦) وغيره من حديث أَبِي الْيَسَرِ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٣)، ومسلم (١٨٧٦) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (١٦٥٧) والنسائي في سننه (٣١٤١)، من طريق ابْنُ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَىٰ، نا مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه مرفوعًا.

* فيه سليمان بن موسىٰ، صدوق فقيه في حديثه بعض لين كما قال ابن حجر، قال أبو بكر بن أبي خيثمة: سئل يحيىٰ بن معين عن سليمان بن موسىٰ عن مالك بن يخامر، فقال: مرسل. قلت: بل صرح بالتحديث.

=

وعن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ مَاتَ عَلَىٰ مَرْتَبَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ بُعِثَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

وعَنْ عِيسَىٰ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ يَدْعُوهُ إِلَىٰ الصَّلَاةِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَىٰ بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْإِبِلُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ، وَلَا جَلْحَاءُ، وَلَا عَضْبَاءُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ

= - وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٠٦) من طريق جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ يُخَامِرَ، أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ حَدَّثَهُمْ مرفوعًا.

* قلت: وجبير ثقة.

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٩٤١)، وسعيد بن منصور في سننه (٢٣٠٣)، وابن المبارك في الجهاد (١٧٣)، وغيرهم من حديث فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٧) وغيره من حديث مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه مرفوعًا.

عَلَيْهِ أُولاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْخَيْلُ؟ قَالَ: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَىٰ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي ظُهُورِهَا وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ، أَوِ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ، عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتٌ، وَلَا تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا، أَوْ شَرَفَيْنِ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ، وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَىٰ نَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ، عَدَدَ مَا شَرِبَتْ، حَسَنَاتٍ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْحُمُرُ؟ قَالَ: «مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِي الْحُمُرِ شَيْءٌ، إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْفَاذَّةُ الْجَامِعَةُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]»[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَىٰ إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ»[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٢)، ومسلم (٩٨٧)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٢١٣٣)، والترمذي في سننه (١١٤١)، والنسائي في سننه (٣٩٤٢)، وغيرهم حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٣٦٥٨)، والترمذي في سننه (٢٦٤٩)، وابن ماجه في سننه (٢٦١)، وغيرهم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُوم وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَتعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ**»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ الْمَازِنِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَحَدٍ إِلَّا أَنَا أَعْرِفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» قَالُوا: وَكَيْفَ تَعْرِفُهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ فِي كَثْرَةِ الْخَلَائِقِ؟ قَالَ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ دَخَلْتَ صَبْرَةً فِيهَا خَيْلٌ دُهْمٌ بُهْمٌ، وَفِيهَا فَرَسٌ أَغَرُّ مُحَجَّلٌ، أَمَا كُنْتَ تَعْرِفُهُ مِنْهَا؟**» قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: «**فَإِنَّ أُمَّتِي يَوْمَئِذٍ غُرٌّ مِنَ السُّجُودِ، مُحَجَّلُونَ مِنَ الْوُضُوءِ**»(٢).

وعن أَبِي ذَرٍّ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَكَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ؟ قَالَ: «**أَعْرِفُهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، وَأَعْرِفُهُمْ بِنُورِهِمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**»(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَوَّلُ مَنْ يُدْعَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ آدَمُ، فَتَرَاءَىٰ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (٦٠٧)، وأحمد في مسنده (١٧٦٩٣)، واللفظ له، والقاسم بن سلام في الطهور (٢٨) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ الْمَازِنِيِّ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) **حسن**: أخرجه أحمد في مسنده (٢١٧٤٠)، وابن المبارك في الزهد (٢/ ١١٢)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٦١)، وغيرهم من طريق ابْنِ لَهِيعَةَ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا ذَرٍّ، وَأَبَا الدَّرْدَاءِ رضي الله عنهما مرفوعا.

* فيه ابن لهيعة: اختلط، وقد روىٰ عنه ابن المبارك قبل الاختلاط، وهذا الحديث منه، ويدلس، وقد صرح بالتحديث.

ذُرِّيَّتُهُ، فَيُقَالُ: هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ كَمْ أُخْرِجُ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا أُخِذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، فَمَاذَا يَبْقَىٰ مِنَّا؟ قَالَ: «إِنَّ أُمَّتِي فِي الأُمَمِ كَالشَّعَرَةِ البَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَسْوَدِ»(١).

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(٢).

وعَنْ عَائِذِ بْنِ قُرَيْطٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ صَلَاةً لَمْ يُتِمَّهَا زِيدَ عَلَيْهَا مِنْ سُبُحَاتِهِ حَتَّىٰ تُتِمَّ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) حسن: أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٤٠٩)، وابن قانع في معجمه (٢/ ٣٠٢)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٢٢) من حديث عَائِذَ بْنَ قُرْطٍ رضي الله عنه مرفوعًا.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ**» وَزَادَ اللَّيْثُ، قَالَ يُونُسُ: كَتَبَ رُزَيْقُ بْنُ حُكَيْمٍ إِلَىٰ ابْنِ شِهَابٍ، وَأَنَا مَعَهُ يَوْمَئِذٍ بِوَادِي الْقُرَىٰ: هَلْ تَرَىٰ أَنْ أُجَمِّعَ وَرُزَيْقٌ عَامِلٌ عَلَىٰ أَرْضٍ يَعْمَلُهَا، وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ السُّودَانِ وَغَيْرِهِمْ؟ - وَرُزَيْقٌ يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ أَيْلَةَ - فَكَتَبَ ابْنُ شِهَابٍ، وَأَنَا أَسْمَعُ: يَأْمُرُهُ أَنْ يُجَمِّعَ، يُخْبِرُهُ أَنَّ سَالِمًا حَدَّثَهُ: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» قَالَ: - وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - «**وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(١).

وعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: عَادَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، قَالَ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢).

فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»[1].

وعن حُذَيْفَة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا، قَالُوا: تَذَكَّرْ، قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ»[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا يَسْتُرُ اللهُ عَلَىٰ عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَلَّغَ مَا أُرْسِلَ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُقْسِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي لَا يَجُوزُنِي الْيَوْمَ ظُلْمٌ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ فَيَقُولُ: أَيْنَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ؟ فَيَأْتِي تَتْبَعُهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ فَيُشْخِصُ النَّاسُ إِلَيْهَا أَبْصَارَهُمْ حَتَّىٰ يَقُومَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَأْمُرُ الْمُنَادِي فَيُنَادِي مَنْ كَانَتْ لَهُ تِبَاعَةٌ أَوْ ظُلَامَةٌ عِنْدَ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، فَهَلُمَّ فَيُقْبِلُونَ حَتَّىٰ يَجْتَمِعُوا قِيَامًا بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ، فَيَقُولُ الرَّحْمَنُ: اقْضُوا عَنْ عَبْدِي فَيَقُولُونَ: كَيْفَ نَقْضِي عَنْهُ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: خُذُوا لَهُمْ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَلَا يَزَالُونَ يَأْخُذُونَ مِنْهَا حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ لَهُ حَسَنَةٌ، وَقَدْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ الظُّلَامَاتِ، فَيَقُولُ: اقْضُوا عَنْ عَبْدِي: فَيَقُولُونَ: كَيْفَ نَقْضِي عَنْهُ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: خُذُوا لَهُمْ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَلَا يَزَالُونَ يَأْخُذُونَ مِنْهَا حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ لَهُ حَسَنَةٌ، وَقَدْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ الظُّلَامَاتِ فَيَقُولُ: اقْضُوا عَنْ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: لَمْ يَبْقَ لَهُ حَسَنَةٌ، فَيَقُولُ: خُذُوا مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَاحْمِلُوهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٩) وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٩١)، ومسلم (١٥٦٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٠) وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

نَزَعَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣]»(١).

وعن سلمان عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تُرْفَعُ لِلرَّجُلِ صَحِيفَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يَرَىٰ أَنَّهُ نَاجٍ، فَمَا تَزَالُ مَظَالِمُ بَنِي آدَمَ تَتْبَعُهُ حَتَّىٰ مَا تَبْقَىٰ لَهُ حَسَنَةٌ، وَيُزَادُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ**»(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: إِنَّ الشَّهَادَةَ تُكَفِّرُ كُلَّ ذَنْبٍ إِلَّا الْأَمَانَةَ، يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ كَانَ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقَالُ: أَدِّ أَمَانَتَكَ، فَيَقُولُ: وَأَنَّىٰ أُؤَدِّيهَا وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا، فَتُمَثَّلُ لَهُ الْأَمَانَةُ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي إِلَيْهَا فَيَحْمِلُهَا عَلَىٰ عَاتِقِهِ فَتَنْزِلُ عَلَىٰ عَاتِقِهِ فَيَهْوِي عَلَىٰ أَثَرِهَا أَبَدَ الْأَبَدِ. قَالَ زَاذانُ: فَأَتَيْتُ الْبَرَّاءَ، فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: صَدَقَ أَخِي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨](٣).

❍ من فقه الباب:

❍ الناس يوم القيامة ثلاثة أقسام:

الكفار والمنافقون.. والمؤمنون المتقون.. وعصاة الموحدين.

❍ الأول: أحوال الكفار يوم القيامة:

١- أحوال الكفار عند خروجهم من القبور:

قال الله تعالىٰ: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٢- ٤٤].

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٩/ ٣٠٣٩) من طريق عُثْمَان أَبِي حَفْصِ بْن أَبِي الْعَاتِكَةِ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ حَبِيبٍ الْمُحَارِبِيُّ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢٢٦٨) من حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٥٥١٢)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (١٥٩)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٠١) من طريق زَاذَانَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا.

وقال الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٦-٨].

٢- أحوال الكفار في عرصات القيامة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].

وقال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤١-٤٢].

وقال الله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٦-٢٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

٣- بطلان أعمال الكفار يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

٤- دخول الكفار والمنافقين النار:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

○ الثاني: أحوال المؤمنين المتقين يوم القيامة:

أحوال المتقين عند خروجهم من القبور:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

٢- أحوال المؤمنين المتقين في الموقف العظيم:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَىٰ حَتَّىٰ لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[1].

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٦٤)، وهو متفق عليه.

٣- دخول المؤمنين المتقين الجنة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤].

○ الثالث: أحوال عصاة الموحدين يوم القيامة:

١- أحوال من أهمل الصلاة ومنع الزكاة:

قال الله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٧].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

٢- أحوال من كتم ما أنزل الله من العلم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

٣- أحوال أهل الغلول:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

٤- أحوال ذي الوجهين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ**

عِنْدَ اللهِ ذَا الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ»[(١)].

٥- أحوال أهل الغدر:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا جَمَعَ الله الأَوَّلِينَ وَالآخرينَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ**»[(٢)].

بَابُ وجُوبِ الْإِيمَانِ بِالشَّفَاعَةِ

قال تعالىٰ ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»[(٣)].

وعن يَزِيد الْفَقِير، قَالَ: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَىٰ النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَالِسٌ إِلَىٰ سَارِيَةٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ، مَا

---

(١) البخاري (٦٠٥٨)، واللفظ له، ومسلم (٢٥٢٦).

(٢) البخاري (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٥)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥) حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مرفوعًا.

هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢] وَ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: «أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ -؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ»، قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ، وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ، - قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ - قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، قَالَ: - يَعْنِي - فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ، قَالَ: «فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ»، فَرَجَعْنَا قُلْنَا: وَيْحَكُمْ أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَرَجَعْنَا فَلَا وَاللهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ[1].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَأَخَّرْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**»[3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ

---

(١) أخرجه مسلم (١١٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٣٥)، والطيالسي في مسنده (٢١٣٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٣٢) من طريق ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ، إِنَّمَا أَخْرَجَا حَدِيثَ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ بِطُولِهِ، وَمَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ هَذِهِ لَفْظَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ فَقَدْ وَهِمَ، فَإِنَّ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ فِيهَا قَمْعُ الْمُبْتَدِعَةِ الْمُفَرِّقَةِ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ لِأَهْلِ الصَّغَائِرِ وَالْكَبَائِرِ...».

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨).

الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ»(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي»(٢).

○ من فقه الباب:

قَالَ الآجري رَحِمَهُ اللهُ: اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ، أَنَّ الْمُنْكِرَ لِلشَّفَاعَةِ يَزْعُمُ أَنَّ مَنْ دَخَلَ النَّارَ فَلَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا، وَهَذَا مَذْهَبُ الْمُعْتَزِلَةِ يُكَذِّبُونَ بِهَا، وَبِأَشْيَاءَ، مِمَّا لَهَا أَصْلٌ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَسُنَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَقَوْلِ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَالْمُعْتَزِلَةُ يُخَالِفُونَ هَذَا كُلَّهُ، لا يَلْتَفِتُونَ إِلَىٰ سُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا إِلَىٰ سُنَنِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَإِنَّمَا يُعَارِضُونَ بِمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، وَبِمَا أَرَاهُمُ الْعَقْلُ عِنْدَهُمْ، وَلَيْسَ هَذَا طَرِيقُ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا هَذَا طَرِيقُ مَنْ قَدْ زَاغَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَقَدْ لَعِبَ بِهِ الشَّيْطَانُ، وَقَدْ حَذَّرَنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّنْ هَذِهِ صِفَتِهِ، وَحَذَّرَنَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَحَذَّرَنَاهُمْ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، فَأَمَّا مَا حَذَّرَنَاهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، وَحَذَّرَنَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

وقَالَ الآجري رحمه الله تَعَالَىٰ: إِنَّ الْمُكَذِّبَ بِالشَّفَاعَةِ أَخْطَأَ فِي تَأْوِيلِهِ خَطَأً فَاحِشًا خَرَجَ بِهِ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَمَدَ إِلَىٰ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكُفْرِ، أَخْبَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَّهُمْ إِذَا دَخَلُوا النَّارَ أَنَّهُمْ غَيْرُ خَارِجِيْنَ

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ...فذكره.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

مِنْهَا، فَجَعَلَهَا الْمُكَذِّبُ بِالشَّفَاعَةِ فِي الْمُوَحِّدِينَ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَىٰ أَخْبَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ أَنَّهَا إِنَّمَا هِيَ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ، وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا، فَخَرَجَ بِقَوْلِهِ السُّوءِ عَنْ جُمْلَةِ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْأَيْمَانِ، وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. فَكُلُّ مَنْ رَدَّ سُنَنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسُنَنَ أَصْحَابِهِ فَهُوَ مِمَّنْ شَاقَّ الرَّسُولَ وَعَصَاهُ، وَعَصَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ بِتَرْكِهِ قَبُولَ السُّنَنِ، وَلَوْ عَقَلَ هَذَا الْمُلْحِدُ وَأَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ، عَلِمَ أَنَّ أَحْكَامَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَجَمِيعَ مَا تَعَبَّدَ بِهِ خَلْقَهُ إِنَّمَا تُؤْخَذُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْ يُبَيِّنَ لِخَلْقِهِ مَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ مِمَّا تَعَبَّدَهُمْ بِهِ، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُه: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] وَقَدْ بَيَّنَ ﷺ لِأُمَّتِهِ جَمِيعَ مَا فَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ الْأَحْكَامِ وَبَيَّنَ لَهُمْ أَمْرَ الدُّنْيَا وَأَمْرَ الْآخِرَةِ وَجَمِيعَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَلَمْ يَدَعْهُمْ جَهَلَةً لَا يَعْلَمُونَ حَتَّىٰ أَعْلَمَهُمْ أَمْرَ الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ وَمَا يَلْقَىٰ الْمُؤْمِنُ، وَمَا يَلْقَىٰ الْكَافِرُ، وَأَمْرَ الْمَحْشَرِ وَالْوُقُوفَ وَأَمْرَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْحَقِّ، اعْلَمُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ: أَنَّ أَهْلَ الْكُفْرِ إِذَا دَخَلُوا النَّارَ وَرَأَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ وَأَصَابَهُمُ الْهَوَانُ الشَّدِيدُ نَظَرُوا إِلَىٰ قَوْمٍ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ مَعَهُمْ فِي النَّارِ فَعَيَّرُوهُمْ بِذَلِكَ وَقَالُوا: مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ إِسْلَامُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟ فَزَادَ أَهْلَ التَّوْحِيدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حُزْنًا وَغَمًّا، فَاطَّلَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ مَا نَالَهُمْ مِنَ الْغَمِّ بِتَعْيِيرِ أَهْلِ الْكُفْرِ لَهُمْ فَأَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ فَيَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالشُّهَدَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَالْمُؤْمِنُونَ فِيمَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأُخْرِجُوا مِنْهَا عَلَىٰ حَسَبِ مَا أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ طَبَقَاتٍ شَتَّىٰ فَدَخَلُوا الْجَنَّةَ، فَلَمَّا فَقَدَهُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ وَدُّوا حِينَئِذٍ لَوْ كَانُوا مُسْلِمَيْنَ وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ لَيْسَ شَافِعٌ يَشْفَعُ لَهُمْ، وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهِمْ شَيْئًا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَهْلِ الْكُفْرِ لَمَّا نَضَجُوا بِالْعَذَابِ وَعَلِمُوا أَنَّ

الشَّفَاعَةَ لِغَيْرِهِمْ قَالُوا: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [الأعراف: ٥٣] الْآيَةَ، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ [الشعراء: ٩٤-١٠١]، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ لِأَهْلِ الْكُفْرِ: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٢- ٤٨]. هَذِهِ كُلُّهَا أَخْلَاقُ الْكُفَّارِ فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ لَابُدَّ مِنْ شَفَاعَةٍ وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ لِغَيْرِهِمْ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ خَاصَّةً، وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الحجر: ١- ٢] وَإِنَّمَا يَوَدُّ الْكُفَّارُ أَنْ لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ عِنْدَمَا رَأَوْا مَعَهُمْ فِي النَّارِ قَوْمًا مِنَ الْمُوَحِّدِينَ فَعَيَّرُوهُمْ وَقَالُوا: مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ إِسْلَامُكُمْ وَأَنْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ فَحَزِنُوا مِنْ ذَلِكَ فَأَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَمِنْ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَشْفَعُوا فِيهِمْ فَشَفَعُوا فَأُخْرِجَ مَنْ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فَفَقَدَهُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ فَسَأَلُوا عَنْهُمْ فَقِيلَ: شَفَعَ فِيهِمُ الشَّافِعُونَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، فَعِنْدَهَا وَدُّوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ حَتَّىٰ تَلْحَقَهُمُ الشَّفَاعَةُ.

○ الشفاعة العامة لنبينا محمد ﷺ لأهل المحشر:

روىٰ الإمام مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتىٰ النبي ﷺ يومًا بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة فقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون إلىٰ من يشفع لكم إلىٰ ربكم فيقول بعض الناس**

لبعض: أئتوا آدم فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبونا أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه، ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلىٰ الأرض وسماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلىٰ ربنا، ألا ترىٰ ما نحن فيه ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها علىٰ قومي. نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله خليله من أهل الأرض اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي اذهبوا إلىٰ غيري اذهبوا إلىٰ موسىٰ، فيأتون موسىٰ فيقولون يا موسىٰ: أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبتكليمه علىٰ الناس اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه، ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسىٰ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ عيسىٰ فيأتون عيسىٰ فيقولون: يا عيسىٰ أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلىٰ مريم وروح منه فاشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسىٰ إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا. نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ محمد ﷺ فيأتون فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم وما تأخر، اشفع لنا إلىٰ ربك ما نحن فيه ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فانطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد غيري من قبلي ثم قال: يا

محمد ارفع رأسك، سل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي أمتي، فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوىٰ ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصري وفي البخاري كما بين مكة وحمير»(١).

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه الشفاعة العامة التي خص بها نبينا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء هي المراد بقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي**»(٢)، رواه الأئمة البخاري ومسلم وغيرهما، وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هي ليعجل حسابهم ويراحوا من هول الموقف وهي الخاصة به ﷺ وقوله: «**أقول يا رب أمتي أمتي**» اهتمام بأمر أمته وإظهار محبته فيهم وشفقته عليهم، وقوله: «**فيقال يا محمد ادخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه**» يدل علىٰ أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته، فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم، وكان طلبه هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالىٰ لهم حتىٰ يظهر في ذلك اليوم مقام نبيه ﷺ المحمود الذي وعده، ولذلك قال كل نبي: لست لها لست لها حتىٰ انتهىٰ الأمر إلىٰ محمد ﷺ فقال: أنا لها.

وروىٰ مسلم، عن قتادة، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك. وفي رواية فيلهمون فيقولون: لو استشفعنا إلىٰ ربنا حتىٰ يريحنا من مكاننا هذا. قال: فيأتون آدم...وذكر الحديث**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٣).

○ ما جاء في أن هذه الشفاعة هي المقام المحمود:

قال الإمام القرطبي: اختلف الناس في المقام المحمود على خمسة أقوال[١]:

الأول: أنه الشفاعة للناس يوم القيامة قاله حذيفة بن اليمان وابن عمر رضي الله عنهم.

الثاني: أنه إعطاؤه عليه السلام لواء الحمد يوم القيامة قلت: وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول فإنه يكون بيده لواء الحمد ويشفع.

الثالث: ما حكاه الطبري عن فرقة منها مجاهد. أنها قالت: المقام المحمود هو أن يجلس الله محمدًا ﷺ معه على كرسيه، وروت في ذلك حديثًا.

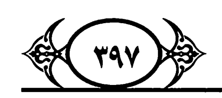
قلت (القرطبي): وهذا قول مرغوب عنه، وإن صح الحديث فيتأول على أنه يجلس مع أنبيائه وملائكته. قال ابن عبد البر في كتاب «التمهيد»: ومجاهد وإن كان أحد أئمة تأويل القرآن فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم. أحدهما هذا، والثاني في تأويل قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ قال: تنتظر الثواب وليس من النظر.

الرابع: إخراجه طائفة من النار[٢]، روى مسلم عن يزيد الفقير قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد الحج ثم نخرج على الناس فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله رضي الله عنه يحدث الناس أو القوم إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال: وإذا هو قد ذكر الجهنميين قال فقلت له يا صاحب رسول الله: ما هذا الذي تحدثون والله تعالى يقول ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فما هذا الذي تقولون فقال: أتقرأ القرآن؟ فقلت: نعم. فقال: فهل سمعت بمقام محمد

---

(١) انظر: التذكرة للقرطبي.

(٢) وهذا لا يتنافى مع القول بأن المقام المحمود هو الشفاعة كما سياتي في بيان أنواع شفاعته ﷺ.



ﷺ يعني الذي يبعثه الله عَزَّوَجَلَّ؟ قلت: نعم. قال: فإنه مقام محمد ﷺ الذي يخرج الله به من يخرج. وذكر الحديث[١].

وفي البخاري من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ وفيه: وقد سمعته يقول «**فأخرج فأخرجهم وأدخلهم الجنة حتىٰ ما يبقىٰ في النار إلا من حبسه القرآن**» أي: وجب عليه الخلود، قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ قال هو المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ.

الخامس: ما روي أن مقامه المحمود شفاعته رابع أربعة، والراجح أن المقام المحمود هو الشفاعة للنصوص الآتية.

روىٰ الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم ومن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر قال: فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا فاشفع لنا إلىٰ ربك فيقول: أنا أذنبت ذنبًا فأهبطت به إلىٰ الأرض ائتوا نوحًا فيقول: إني دعوت علىٰ أهل الأرض دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا إلىٰ إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات، ثم قال رسول الله ﷺ: ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسىٰ فيأتون موسىٰ فيقول: إني قتلت نفسًا ولكن ائتوا عيسىٰ فيقول: إني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدًا ﷺ فيأتوني فأنطلق معهم. قال ابن جدعان قال أنس: فكأني أنظر إلىٰ رسول الله ﷺ قال: فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا؟ فيقال: محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحبًا فأخر ساجدًا لله فيلهمني من الثناء والحمد فيقال لي ارفع رأسك**

---

(١) سبق (ص٣٩٠).

وسل تعط واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله فيه عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا». قال سفيان: ليس عن أنس إلا هذه الكلمة «**فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها**»[1].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: «فيفزع الناس ثلاث فزعات» إنما ذلك والله أعلم حين يؤتىٰ بالنار تجر بأزمتها وذلك قبل العرض والحساب علىٰ الملك الديان، فإذا نظرت إلىٰ الخلائق فارت وثارت وشهقت إلىٰ الخلائق وزفرت نحوهم وتوثبت عليهم غضبًا لغضب ربهم علىٰ ما يأتي بيانه في كتاب النار إن شاء الله تعالىٰ، فتتساقط الخلائق حينئذ علىٰ ركبهم جثاة حولها قد أسبلوا الدموع من أعينهم ونادىٰ الظالمون بالويل والثبور، ثم تزفر الثانية فيزداد الرعب والخوف في القلوب. ثم تزفر الثالثة فتتساقط الخلائق لوجوههم ويشخصون بأبصارهم وهم ينظرون من طرف خفي خوفًا أن تبلغهم أو يأخذهم حريقها. أجارنا الله منها.

وفي البخاري عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**إن الناس يصبرون يوم القيامة جثيًا كل أمة تتبع نبيها تقول يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتىٰ تنتهي الشفاعة إلىٰ النبي** ﷺ **فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود**»[2].

فدلت هذه النصوص الصحيحة علىٰ أن الشفاعة هي المقام المحمود لنبينا محمد ﷺ.

وفي «التذكرة»: إذا أثبت أن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء عليهم السلام حتىٰ ينتهي الأمر إلىٰ نبينا محمد ﷺ، فيشفع هذه الشفاعة العامة لأهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ليراحوا من هول موقفهم، فاعلم أن

---

(١) **صححه الألباني**: أخرجه الترمذي (٣١٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٨).

العلماء اختلفوا في شفاعاته وكم هي، فقال النقاش: لرسول الله ﷺ ثلاث شفاعات العام،ة وشفاعة في السبق إلىٰ الجنة، وشفاعة في أهل الكبائر، وقال ابن عطية في «تفسيره»: والمشهور أنهما شفاعتان فقط العامة وشفاعة في إخراج المذنبين من النار وهذه الشفاعة الثانية لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء.

قال القاضي عياض: **شفاعات نبينا ﷺ يوم القيامة خمس شفاعات:**

الأولىٰ: العامة.

الثانية: إدخال قوم الجنة بغير حساب.

الثالثة: في قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفعه فيهم نبينا ﷺ، ومن شاء أن يشفع ويدخلون الجنة وهذه الشفاعة هي التي أنكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزلة، فمنعتها علىٰ أصولهم الفاسدة وهي الاستحقاق العقلي المبني علىٰ التحسين والتقبيح.

الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين فيخرج بشفاعة نبينا وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم من المؤمنين.

قلت: وهذه المشافعة أنكرتها المعتزلة أيضًا وإذا منعوها فيمن استوجب النار بذنبه وإن لم يدخلها فأحرىٰ أن يمنعوها فيمن دخلها.

الخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وترفيعها. قال القاضي عياض: وهذه الشفاعة لا تنكرها المعتزلة ولا تنكر شفاعة الحشر الأول.

قلت: وشفاعة سادسة لعمه أبي طالب في التخفيف عنه، كما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: **«لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه**

دماغه»؛ فإن قيل: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، قيل له: لا تنفع في الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة.

فائدة: قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واختلف العلماء هل وقع من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين بعد النبوة صغائر من الذنوب يؤاخذون بها ويعاتبون عليها ويشفقون علىٰ أنفسهم منها أم لا بعد اتفاقهم علىٰ أنهم معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي تزري بفاعلها وتحط منزلته وتسقط مروءته إجماعًا؟ عند القاضي أبي بكر وعن الأستاذ أبي بكر أن ذلك مقتضىٰ دليل المعجزة، وعند المعتزلة أن ذلك مقتضىٰ دليل العقل علىٰ أصولهم، فقال الطبري وغيره من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين: تقع الصغائر منهم خلافًا للرافضة حيث قالوا إنهم معصومون من جميع ذلك كله، واحتجوا بما وقع من ذلك في التنزيل وثبت من تنصلهم من ذلك في الحديث وهذا ظاهر لا خفاء به.

وقال جمهور من الفقهاء من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي: إنهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر؛ لأنا أمرنا باتباعهم في أفعالهم وآثارهم وسيرهم مطلقًا من غير التزام قرينة، فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء لهم؛ إذ ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القربة والإباحة والحظر أو المعية ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية لا سيما علىٰ من يرىٰ تقديم الفعل علىٰ القول إذا تعارضا من الأصوليين.

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: واختلفوا في الصغائر والذي عليه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم، ومال بعضهم إلىٰ تجويزها ولا أصل لهذه المقالة.

وقال بعض المتأخرين ممن ذهب إلىٰ القول الأول: والذي ينبغي أن يقال: إن الله تعالىٰ قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها إليهم وعاتبهم عليها

وأخبروا بها عن نفوسهم وتنصلوا منها واستغفروا منها وتابوا، وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لا تقبل التأويل جملتها، وإن قبل ذلك آحادها وكل ذلك مما لا يزري بمناصبهم وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم علىٰ جهة الندور وعلىٰ جهة الخطأ والنسيان أو تأويل دعا إلىٰ ذلك فهي بالنسبة إلىٰ غيرهم حسنات، وفي حقهم سيئات بالنسبة إلىٰ مناصبهم وعلو أقدارهم إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة مع عملهم بالأمن والأمان والسلامة وهذا هو الحق.

ولقد أحسن الجنيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **حيث قال:** حسنات الأبرار سيئات المقربين، فهم صلوات الله عليهم وسلامه وإن كانوا قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم، فلم يخل ذلك بمناصبهم ولا قدح في رتبهم، بل تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه.

من أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ:

روىٰ البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك علىٰ الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قبل نفسه**»[(١)].

باب الإيمان بتطاير الصحف عند العرض والحساب

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ

(١) سبق (ص٣٩١).

ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٦-١٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣- ١٤].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨-٢٩].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٨-٤٩].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٧-٢٨].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٦٩-٧٠].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وقال الله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

وقال الله تعالىٰ: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٦-٨].

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن

لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٩-٤١].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢].

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**لَيْس أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلا هَلَكَ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ قال اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانفطار: ٧- ٨]؟ فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلا عُذِّبَ**»[1].

وَعَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قال: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ**: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى

---

(١) البخاري (١٠٣)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٧٦).

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]»[١].

وَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ**»[٢].

○ اقتصاص المظالم التي بين الخلق:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا المُفْلِسُ؟**» قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ**»[٤].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**»[٥].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأحد مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ**

---

(١) البخاري (٢٤٤١)، واللفظ له، ومسلم (٢٧٦٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، وهذا لفظه، وأخرجه الدارمي (٥٤٣).

(٣) مسلم (٢٥٨١).

(٤) مسلم (٢٥٨٢).

(٥) البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨)، واللفظ له.

صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»(١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: **«إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»**(٢).

❍ **من فقه الباب:**

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخف الحساب علىٰ من حاسب نفسه في الدنيا»؛ فينبغي علىٰ الإنسان أن يستعد للقاء الله بمحاسبة نفسه في الدنيا قبل أن يأتي يوم الحساب فيناقش ومن ثم يعذب والعياذ بالله كما في البخاري عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ **«من حوسب يوم القيامة عذب»**، قالت: فقلت يا رسول الله: أليس قد قال الله ﴿مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانفطار: ٧- ٨]؟ فقال: **«ليس ذلك الحساب إنما ذلك عرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب»**.

وفي هذا اليوم العصيب لا يستطيع أحد أن ينكر شيئا من أعماله التي عملها قال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ قال الزجاج: ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق، وقال إبراهيم بن أدهم: كل آدمي في عنقه قلادة يكتب فيها نسخة عمله فإذا مات طويت وإذا بعث نشرت وقيل له: ﴿اقرأ كتابك كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيبًا﴾، وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: طائره عمله ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾، قال الحسن: يقرأ الإنسان كتابه أميًّا كان أو غير أمي.

---

(١) البخاري (٢٤٤٩).

(٢) البخاري (٢٤٤٠).

وقال أبو السوار العدوي: وقرأ هذه الآية: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ قال: هما نشرتان وطية أما ما حييت يا ابن آدم فصحيفتك المنشورة فأمل فيها ما شئت فإذا مت طويت، حتىٰ إذا بعثت نشرت ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ فإذا وقف الناس علىٰ أعمالهم من الصحف التي يؤتونها بعد البعث حوسبوا بها، قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؛ فدل علىٰ أن المحاسبة تكون عند إتيان الكتب؛ لأن الناس إذا بعثوا لا يكونون ذاكرين لأعمالهم. قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾.

فإذا بعث الناس من قبورهم إلىٰ الموقف وقاموا فيه ما شاء تعالىٰ علىٰ ما تقدم حفاة عراة وجاء وقت الحساب يريد الله أن يحاسبهم فيه أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأوتوها، فمنهم من يؤتىٰ كتابه بيمينه فأولئك هم السعداء، ومنهم من يؤتىٰ كتابه بشماله أو من وراء ظهره وهم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كل كتابه وأنشدوا:

مثل وقوفك يوم العرض عريانًا ... مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... علىٰ العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي علىٰ مهل ... فهل ترىٰ فيه حرفًا غير ما كانا
لما قرات ولم تنكر قراءته ... إقرار من عرف الأشياء عرفانًا
نادىٰ الجليل: خذوه يا ملائكتي ... و امضوا بعبد عصىٰ للنار عطشانا
المشركون غدًا في النار يلتهبوا ... والمؤمنون بدار الخلد سكانا

فتوهم نفسك يا أخي إذا تطايرت الكتب ونصبت الموازين وقد نوديت باسمك علىٰ رؤوس الخلائق أين فلان ابن فلان هلم إلىٰ العرض علىٰ الله تعالىٰ وقد وكلت الملائكة بأخذك فقربتك إلىٰ الله لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك

واسم أبيك إذ عرفت أنك المراد بالدعاء إذ قرع النداء قلبك، فعلمت أنك المطلوب، فارتعدت فرائصك، واضطربت جوارحك، وتغير لونك، وطار قلبك. تحظىٰ بك الصفوف إلىٰ ربك للعرض عليه والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم وأنت في أيديهم وقد طار قلبك واشتد رعبك لعلمك أين يراد بك.

فتوهم نفسك وأنت بين يدي ربك في يدك صحيفة مخبرة بعملك لا تغادر بلية كتمتها ولا مخبأة أسررتها، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل وقلب منكسر والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك، فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكرتها، وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها، وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فرده عليك في ذلك الموقف وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيمًا، فيا حسرة قلبك، ويا أسفك علىٰ ما فرطت فيه من طاعة ربك ﴿مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الانفطار: ٧]؛ فعلم أنه من أهل الجنة ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، وذلك حين يأذن الله فيقرأ كتابه.

فإذا كان الرجل رأسًا في الخير يدعوا إليه ويأمر به ويكثر تبعه عليه دعي باسمه واسم أبيه فيتقدم، حتىٰ إذا دنا أخرج له كتاب أبيض بخط أبيض في باطنه السيئات وفي ظاهره الحسنات، فيبدأ بالسيئات فيقرؤها فيشفق ويصفر وجهه ويتغير لونه، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه سيئاتك وقد غفرت لك، فيفرح عند ذلك فرحًا شديدًا، ثم يقلب كتابه فيقرأ حسناته فلا يزداد إلا فرحًا، حتىٰ إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك قد ضوعفت لك فيبيض وجهه، ويؤتىٰ بتاج فيوضع علىٰ رأسه ويكسىٰ حلتين ويحلىٰ كل مفصل فيه وبطول ستين ذراعًا وهي قامة آدم ويقال له: انطلق إلىٰ أصحابك فبشرهم وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فإذا أدبر قال ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٠]، قال الله تعالىٰ ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] أي: مرضية قد رضيها في جنة عالية في السماء

قطوفها ثمارها وعناقيدها دانية أدنيت منهم فيقول لأصحابه هل تعرفونني؟ فيقولون قد غمرتك كرامة الله من أنت فيقول أنا فلان ابن فلان ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، أي قدمتم في أيام الدنيا.

وإذا كان الرجل رأسًا في الشر يدعو إليه ويأمره به فيكثر تبعه عليه ونودي باسمه واسم أبيه، فيتقدم إلىٰ حسابه فيخرج له كتاب أسود بخط أسود في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات، فيبدأ بالحسنات فيقرؤها ويظن أنه سينجو، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه حسناتك وقد ردت عليك، فيسود وجهه ويعلوه الحزن ويقنط من الخير ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته فلا يزداد إلا حزنًا ولا يزداد وجهه إلا سودًا، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه سيئاتك وقد ضوعفت عليك أي يضاعف عليه العذاب ليس المعنىٰ أنه يزاد عليه ما لم يعمل. قال: فينظر إلىٰ النار وتزرق عيناه ويسود وجهه ويكسىٰ سرابيل القطران، ويقال له: انطلق إلىٰ أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فينطلق وهو يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ يعني الموت ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ تفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هلكت عني حجتي، قال تعالىٰ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي اجعلوه يصلىٰ الجحيم ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ والله أعلم بأي ذراع. قال الحسن وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سبعون ذراعًا بذراع الملك، فاسلكوه فيها أي: تدخل من فيه حتىٰ تخرج من دبره قاله الكلبي، وقيل: بالعكس، وقيل: يدخل عنقه فيها ثم يجر بها ولو أن حلقة منها وضعت علىٰ جبل لأذابته فينادي أصحابه فيقول هل تعرفونني؟ فيقولون: لا، ولكن قد نرىٰ ما بك من الخزي فمن أنت؟ فيقول: أنا فلان ابن فلان لكل إنسان منكم مثل هذا.

وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فتخلع كتفه اليسرىٰ فتجعل يده خلفه فيأخذ

بها كتابه، وقال مجاهد: يحول مجاهد وجهه في موضع قفاه فيقرأ كتابه كذلك، فتوهم نفسك إن كنت من السعداء وقد خرجت علىٰ الخلائق مسرور الوجه قد حل لك الكمال والحسن والجمال كتابك في يمينك آخذ بضبعيك ملك ينادي علىٰ رؤوس الخلائق هذا فلان ابن فلان سعد سعادة لا يشقىٰ بعدها أبدًا.

أما إن كنت من أهل الشقاوة فيسود وجهك وتتخطىٰ الخلائق كتابك في شمالك أو من وراء ظهرك تنادي بالويل والثبور وملك آخذ بضبيعك ينادي علىٰ رؤوس الخلائق ألا إن فلان ابن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا.

قلت: قوله ألا إن فلان ابن فلان دليل علىٰ أن الإنسان يدعىٰ في الآخرة باسمه واسم أبيه.

تفسير قوله تعالىٰ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

روىٰ الإمام الترمذي عن أبي غالب قال: رأىٰ أبو أمامة رؤوسًا منصوبة علىٰ برج دمشق، فقال أبو أمامة: «**كلاب النار شر قتلىٰ تحت أديم السماء خير قتلىٰ من قتلوه**»، ثم قرأ قوله تعالىٰ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ إلىٰ آخر الآية فقلت لأبي أمامة الباهلي: أنت سمعته من رسول الله ﷺ قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا حتىٰ عد سبعًا ما حدثتكموه[1].

وروي في قول الله تعالىٰ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ يعني تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة، وقال مالك بن أنس رضي الله عنه: هي في أهل الأهواء، وقال الحسن: هي في المنافقين، وقال قتادة: في المرتدين، وقال أبي بن كعب: هي في الكفار وهو اختيار الطبري، اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه أولياءك ولا تسود وجوهنا يوم تسود وجوه أعدائك.

---

(١) صحيح بمجموع طرقه: سبق (ص٢٩٨).

تفسير قوله تعالىٰ ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: ٤٩] **...الآية.**

قال الأسدي: الصغيرة ما دون الشرك والكبيرة الشرك، وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية يقول: يا ويلتنا ضجوا إلىٰ الله من الصغائر قبل الكبائر، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك يعني ما كان من ذلك في معصية الله.

وقد روي أن النبي ﷺ ضرب بصغائر الذنوب مثلًا كما في المسند من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن علىٰ الرجل حتىٰ يهلكنه وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلًا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتىٰ جمعوا سوادا فأججوا نارا وأنضجوا ما قذفوا فيها**»(١).

وقال ﷺ لعائشة: «**يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا**»(٢)، وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم ومحقرات الذنوب؛ فإن مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتىٰ جمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متىٰ يؤخذ بها صاحبها تهلكه**»(٣)، ولله در القائل:

خل الذنوب صغيرها ... و كبيرها ها ذاك التقي
واصنع كماش فوق أر ... ض الشوك يحذر ما يرىٰ
لا تحقرن صغيرة ... إن الجبال من الحصىٰ

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨١٨)، وانظر: (صحيح الترغيب ٢٤٧٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٣)، وانظر: (صحيح الترغيب ٢٤٧٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢٢٨٠٨).

وقال جماعة من العلماء: إن الذنوب كلها كبائر، قال بعضهم: لا تنظر إلىٰ صغر الذنب، ولكن انظر من عصيت فهي من حيث المخالفة كبائر، والصحيح أن فيها صغائر وكبائر ليس هذا موضع الكلام في ذلك والله أعلم.

○ ما يسأل عنه العبد وكيفية السؤال:

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٣]، وقال ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧] أي: ما عملتموه، وقال ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨] أي: يسأل عن ذلك ويجازي عليه، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

وقال: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

وروىٰ الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول ما يسئل عنه يوم القيامة يعني العبد من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد**»(١).

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن جسده فيما أبلاه؟ وعن عمله ما عمل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه**»؟(٢).

قال الإمام القرطبي رحمه الله: قوله «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يسأل» عام؛ لأنه نكرة في سياق النفي لكنه مخصوص بقوله عليه السلام «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب**» علىٰ ما يأتي.

---

(١) **صحيح:** أخرجه الترمذي (٣٣٥٨).

(٢) **صحيح:** أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، وهذا لفظه، وأخرجه الدارمي (٥٤٣).

وبقوله تعالىٰ لمحمد ﷺ: «**أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن**» وقد تقدم الحديث.

وبقوله تعالىٰ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

قوله ﷺ: «**وعن علمه ما عمل فيه**».

قلت: هذا مقام مخوف؛ لأنه لم يقل وعن علمه ما قال فيه، وإنما قال ما عمل فيه؛ فلينظر العبد ما عمل فيما علمه هل صدق الله في ذلك وأخلصه حتىٰ يدخل فيمن أثنىٰ الله عليه بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ [البقرة: ١٧٧] أو خالف علمه بفعله فيدخل في قوله تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، وقوله تعالىٰ ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣]

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولًا الجنة وآخر أهل النار خروجًا منها، رجل يؤتىٰ به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها؛ فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا؛ فيقول: نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة؛ فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا**» فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتىٰ بدت نواجذه(١).

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠).

وعن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوىٰ؟ قال: سمعته يقول: «**يدنىٰ المؤمن يوم القيامة حتىٰ يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف. قال فيقول: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم. قال: فيعطىٰ صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون، فينادىٰ بهم علىٰ رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا علىٰ الله**»، متفق عليه، وفي آخره عند البخاري: «**هؤلاء الذين كذبوا علىٰ ربهم ألا لعنة الله علىٰ الظالمين**»[1].

قال الإمام القرطبي في «التذكرة»: قوله «حتىٰ يضع عليه كنفه» أي: ستره ولطفه وإكرامه فيخاطب خطاب الملاطفة ويناجيه مناجاة المصافاة والمحادثة فيقول: هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف، فيقول الله تعالىٰ ممتنًّا عليه ومظهرًا فضله لديه: «فإني قد سترتها عليك في الدنيا» أي: لم أفضحك بها فيها، «وأنا أغفرها لك اليوم»، ثم قيل هذه الذنوب تاب منها كما ذكره أبو نعيم عن الأوزاعي عن هلال بن سعد قال: «إن الله يغفر الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتىٰ يوقفه عليها يوم القيامة وإن تاب منها»[2].

ولا يعارض هذا ما في التنزيل والحديث من أن السيئات تبدل بالتوبة حسنات، فلعل ذلك يكون بعد ما يوقفه عليها، والله أعلم.

وقيل في صغائر اقترفها، وقيل كبائر بينه وبين الله تعالىٰ اجترحها، وأما ما كان بينه وبين العباد فلا بد فيها من القصاص بالحسنات والسيئات علىٰ ما يأتي، وقيل: ما خطر بقلبه ما لم يكن في وسعه ويدخل تحت كسبه، ويثبت في نفسه

---

(١) البخاري (٢٤٤١)، واللفظ له، ومسلم (٢٧٦٨).

(٢) حلية الأولياء(٥/ ١٢٦).

وإن لم يعلمه، وهذا اختيار الطبري والنحاس وغير واحد من العلماء جعلوا الحديث مفسرًا لقوله تعالىٰ ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]؛ فتكون الآية علىٰ هذا محكمة غير منسوخة والله أعلم.

وروي عن ابن مسعود أنه قال: ما ستر الله علىٰ عبد في الدنيا إلا ستر الله عليه في الآخرة، وهذا مأخوذ من حديث النجوىٰ، ومن قوله ﷺ: «**لا يستر الله علىٰ عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة**»(١).

وفي صحيح مسلم أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة**»(٢)، وروىٰ «**من ستر علىٰ مسلم عورته، ستر الله عورته يوم القيامة**»(٣)، قال أبو حامد: فهذا إنما يرجوه عبد مؤمن ستر علىٰ الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم. ولم يحرك لسانه بذكر مساوئ الناس ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه، فهذا جدير بأن يجازىٰ بمثله في القيامة.

وفي قوله: «سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» نص منه تعالىٰ علىٰ صحة قول أهل السنة في ترك إنفاذ الوعيد علىٰ العصاة من المؤمنين، والعرب تفتخر بخلف الوعيد حتىٰ قال قائلهم:

و لا يرهب ابن العم ما عشت ... و لا أختشىٰ من روعة المتهدد

و إني متىٰ أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

قال ابن العربي: إنه كذلك عند العرب، وأما ملك الملوك القدوس الصادق فلا يقع أبدًا خبره إلا علىٰ وفق مخبره كان ثوابًا أو عقابًا، فالذي قال المحققون في ذلك قول بديع، وهو أن الآيات وقعت مطلقة في الوعد والوعيد عامة

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٦٤٩).

فخصصتها الشريعة، وبينها الباري تعالىٰ في كتابه في آيات أخر، كقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقوله تعالىٰ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ﴾ [الرعد: ٦] الآية وكقوله تعالىٰ: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ١ – ٣] وبالشفاعة التي أكرم الله بها ﷺ ومن شاء من الخلق من بعده.

❍ ما جاء أن الله تعالى يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان:

روىٰ مسلم في صحيحه عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرىٰ إلا ما قدم، وينظر أيسر منه فلا يرىٰ إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرىٰ إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة وفي رواية ولو بكلمة طيبة**»، وأخرجه البخاري[1].

وعن ابن مسعود قال: ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بي؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟[2] يا ابن آدم ألم أكن رقيبًا علىٰ عينيك وأنت تنظر بهما إلىٰ ما لا يحل لك، ألم أكن رقيبًا علىٰ أذنيك؟ وهكذا عن سائر الأعضاء فكيف ترىٰ حياءك وخجلك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك؟ فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك، فنعوذ بالله من الافتضاح علىٰ ملأ الخلق بشهادة الأعضاء إلا أن الله وعد المؤمن أن يستر عليه، ولا يطلع عليه غيره كما ذكرنا، وذلك بفضل منه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد في الزهد (٩٠٧)، وعبد الله بن المبارك في الزهد (٣٨)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٨٤٨)، وغيرهم من طريق هِلَالِ بْنِ أَبِي حُمَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا.

فائدة: قال الإمام القرطبي: فإن قيل: أخبر الله تعالىٰ عن الناس أنهم مجزيون محاسبون، وأخبر أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم بشيء فما القول في ذلك عندكم، وهل يكلمهم الله؟ فالجواب أن الله تعالىٰ أخبر أن الإنس والجن يسألون فقال خبرًا عما يقال لهم ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠] الآية وهذا سؤال فإذا ثبت بعض السؤال ثبت كله، ولما كانت الجن ممن يخاطب ويعقل، قال «منكم» وإن كانت الرسل من الإنس، وغلب الإنس في الخطاب كما يغلب المذكر علىٰ المؤنث، وأيضًا لما كان الحساب عليهم دون الخلق قال منكم فصير الرسل في مخرج اللفظ من الجميع لأن الثقلين قد ضمتهما عرضة القيامة، فلما صاروا في تلك العرضة في حساب واحد في شأن الثواب والعقاب خوطبوا يومئذ بمخاطبة واحدة كأنهم جماعة واحدة لأن بدء خلقهم للعبودية، كما قال تعالىٰ ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] والثواب والعقاب علىٰ العبودية إلا أن الجن أصلهم من مارج من نار، وأصلنا من تراب وخلقهم غير خلقنا، ومنهم مؤمن وكافر، وعدونا إبليس عدو لهم يعادي مؤمنهم ويوالي كافرهم، وفيهم أهواء شيعية وقدرية ومرجئة، وهو معنىٰ قوله: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا﴾ [الجن: ١١].

وقيل: إن الله تعالىٰ لما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢] دخل في الجملة الجن والإنس، فثبت للجن من وعد الجنة؛ لعموم الآية ما ثبت للإنس.

فإن قيل: فما الحكمة في ذكر الجنة مع الإنس في الوعيد وترك إفراده الإنس عنهم في الوعد؟.

فالجواب: أنهم قد ذكروا أيضًا في الوعد؛ لأنه سبحانه يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [الأحقاف: ١٨] ثم قال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأحقاف: ١٩]، وإنما أراد لكل من الإنس والجن فقد ذكروا في الوعد مع الإنس.

فإن قيل: فقد ذكر يخاطب الجن والإنس في النار لأن الله تعالىٰ قال: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ إلىٰ قوله ﴿وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢] ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٢٧] ولم يأت عن تفاوض الفريقين في الجنة خبر، قيل: إنما ذكر من تفاوضهم في النار أن الواحد من الإنس يقول للشيطان الذي كان قرينه في الدينا: إنه أطغاني وأضلني فيقول له قرينه: ربنا ما أطغيته ولكنه كان ضالًّا بنفسه، ولا سبب بين الفريقين يدعو أهل الجنة فيهما إلىٰ التفاوض فلذلك سكت عنهما، وأيضًا فإن الله تعالىٰ أخبر الناس أن عصاتهم يكونون قرناء الشياطين يتخاصمون في النار ليزجرهم بذلك عن التمرد والعصيان، وهذا المعنىٰ مقصود في الأخبار، فلهذا سكت عن ذلك في الوعد به.

القصاص يوم القيامة ممن استطال في حقوق الناس وفي حبسه لهم حتىٰ ينصفوا منه.

من شروط التوبة: أن ترد المظالم إلىٰ أهلها، ومن أبىٰ واستحل حقوق العباد فإن الله سبحانه يحبسه بهذه المظالم في هذا اليوم الرهيب حتىٰ يأخذ كل إنسان مظلمته، ولقد دل علىٰ ذلك طائفة من الأحاديث النبوية، منها: ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لتؤدن الحقوق إلىٰ أهلها يوم القيامة حتىٰ يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[1]، وفي البخاري عنه أن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٢).

رسول الله ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينارًا ولا درهما، إن كان له عمل صالح أخذه منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**»(١).

وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس**»؟ قالوا: المفلس من لا درهم له ولا متاع، قال: «**إن المفلس من أمتي، من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطىٰ هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»(٢).

وعن ابن عقيل أن جابر بن عبد الله حدثه أنه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ؛ فابتعت بعيرًا فشددت إليه رحلي شهرًا حتىٰ قدمت الشام فإذا عبد الله بن أنيس، فبعثت إليه أن جابرًا بالباب؛ فرجع الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم؛ فخرج فاعتنقني، قلت: حديث بلغني لم أسمعه خشيت أن أموت أو تموت، قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الله العباد أو الناس عراة غرلًا بُهمًا**» قلنا: ما بُهمًا؟ قال: «**ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد -أحسبه قال- كما يسمعه من قرب أنا الملك، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة**» قلت: وكيف وإنما نأتي الله عراة بُهمًا؟ قال: «**بالحسنات والسيئات**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

(٣) **صحيح بمجموع طرقه**: أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (٨٥١)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٠)، والحارث في مسنده (٤٤)، وغيرهم من طريق القاسم بن عبد الواحد، عن ابن عقيل، أن جابر بن عبد الله عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه مرفوعًا.

=

وروىٰ ابن ماجه عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما رجعت إلىٰ رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قال: «**ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة**»؟ فقال فتية منهم: بلىٰ يا رسول الل،ه بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل علىٰ رأسها قلة من ماء؛ فمرت بفتىٰ منهم، فجعل إحدىٰ يديه بين كفيه ثم دفعها فخرت علىٰ ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا، قال: يقول رسول الله ﷺ: «**صدقت صدقت كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم**»(١).

فائدة: قال الإمام القرطبي: أنكر بعض المتغفلة الذين اتبعوا أهواءهم بغير هدىٰ من الله إعجابًا برأيهم وتحكمًا علىٰ كتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه محمد ﷺ بعقول ضعيفة وأفهام سخيفة، فقالوا: لا يجوز في حكم الله تعالىٰ وعدله أن يضع سيئات من اكتسبها علىٰ من لم يكتسبها ويؤخذ حسنات من عملها فتعطىٰ من لم يعملها، وهذا زعموا جورًا، وأوَّلوا قول الله تعالىٰ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]؛ فكيف تصح هذه الأحاديث وهي تخالف ظاهر القرآن وتستحيل في العقل؟ والجواب: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لم يبن أمور الدين علىٰ عقول العباد، ولم يعد ولم يوعد علىٰ ما تحملته عقولهم ويدركونها بأفهامهم، بل وعدوا وعدًا بمشيئته وإرادته وأمر ونهي بحكمته، ولو كان كلما لا تدركه العقول مردودًا لكان أكثر الشرائع مستحيلًا علىٰ موضوع عقول العباد، وذلك أن الله تعالىٰ أوجب بخروج المني

= * فيه ابن عقيل: صدوق في حديثه لين كما قال ابن حجر.

قلت: وقد تابعه ابن المنكدر كما عند تمام في فوائده (٩٢٨) وفي إسناده ابن ثوبان، الراجح فيه أنه صدوق.

(١) **حسن بمجموع طرقه:** أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٠١٠)، وابن وضاح في البدع (٢٩٠)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٢٠٠٣)، وغيرهم من حديث جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

الذي هو طاهر عند بعض الصحابة وكثير من الأئمة، وأوجب غسل الأطراف من الغائط الذي لا خلاف بين الأئمة وسائر من يقول بالعقل وغيره في نجاسته وقذارته ونتنه، وأوجب بريح يخرج من موضع الحدث ما أوجب بخروج الغائط الكثير المتفاحش، فبأي عقل يستقيم هذا وبأي رأي تجب مساواة ريح ليس لها عين قائمة بما يقوم عينه وتزيد علىٰ الريح نتنًا وقذرًا، قد أوجب الله قطع يمين مؤمن بعشرة دراهم، وعند بعض الفقهاء بثلاثة دراهم ودون ذلك، ثم سوىٰ بين هذا القدر من المال وبين مائة ألف دينار، فيكون القطع فيهما سواء، وأعطىٰ الأم من ولدها الثلث، ثم إن كان للمتوفىٰ إخوة جعل لها السدس من غير أن ترث الإخوة من ذلك شيئًا، فبأي عقل يدرك هذا إلا تسليمًا وانقيادًا من صاحب الشرع إلىٰ غير ذلك فكذلك القصاص بالحسنات والسيئات، وقد قال وقوله الحق ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ﴾ [الأنبياء: ٤٧] الآية، وقال: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، وقال: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]، وهذا يبين قوله تعالىٰ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، أي: لا تحمل حاملة ثقل أخرىٰ إذا لم تتعد، فإذا تعدت واستطالت بغير ما أمرت فإنها تحمل عليها ويؤخذ منها بغير اختيارها، كما تقدم في أسماء القيامة عند قوله تعالىٰ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨].

وإذا تقرر هذا، فيجب علىٰ كل مسلم البدار إلىٰ محاسبة نفسه، كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا»، وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحًا ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله عَزَّ وَجَلَّ، ويرد المظالم إلىٰ أهلها حبة حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسطوته بقلبه، ويطيب قلوبهم حتىٰ يموت، ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، فإن مات قبل رد المظالم أحاط به

خصماؤه، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض علىٰ ناصيته، وهذا يتعلق بلبته، وهذا يقول ظلمتني، وهذا يقول شتمتني، وهذا يقول استهزأت بي، وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فأسأت جواري، وهذا يقول عاملتني فغششتني، وهذا يقول بايعتني وأخفيت عني عيب متاعك، وهذا يقول كذبت في سعر متاعك، وهذا يقول رأيتني محتاجًا وكنت غنيًّا فما أطعمتني، وهذا يقول وجدتني مظلومًا وكنت قادرًا علىٰ دفع الظلم فداهنت الظلم وما راعيتني، فبينما أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخاليبهم واحكموا في تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتىٰ لم يبق في عمرك أحد عاملته علىٰ درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو جناية أو نظر بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلىٰ سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار اليوم تجزىٰ كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة، وتوقن نفسك بالبوار، وتتذكر ما أنذرك الله به علىٰ لسان رسوله ﷺ حيث قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢] إلىٰ قوله ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم، وما أشد حسرتك في ذلك اليوم إذا وقف بك علىٰ بساط العدل، وشوفهت بخطاب السيئات، وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر علىٰ أن ترد حقًّا أو تظهر عذرًا، فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل إلىٰ أخصامك عوضًا عن حقوقهم، كما ورد في الأحاديث المذكورة في هذا الباب.

فانظر إلىٰ مصيبتك في مثل هذا اليوم؛ إذ ليس لك حسنة قد سلمت من آفات الرياء ومكائد الشيطان، فإن سلمت حسنة واحدة في مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها. ويقال: لو أن رجلًا له ثواب سبعين نبيًّا وله خصم بنصف دانق لم

يدخل الجنة حتىٰ يرضي خصمه، وقيل: يؤخذ بدانق قسط سبعمائة صلاة مقبولة فتعطىٰ للخصم؛ ذكره القشيري في التحبير له عند اسمه المقسط الجامع.

قال أبو حامد: ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب علىٰ صيام النهار وقيام الليل، لعلمت أنه لا يمضي عليك يوم إلا ويجري علىٰ لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك، فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشهوات والتقصير في الطاعات؟ وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء؟ ويقول الكافر: يا ليتني كنت ترابا، فكيف بك يا مسكين في يوم ترىٰ فيه صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك؟ فتقول: أين حسناتي؟ فيقال: نقلت إلىٰ صحيفة خصمائك، وترىٰ صحيفتك مشحونة بسيئات غيرك؛ فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط؛ فيقال: هذه سيئات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المعاملة والمبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة، فاتق الله في مظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وأبشارهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة المغفرة إليه أسرع، ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحال أرباب المظالم من حيث لا يطلع عليه إلا الله فليكثر من الاستغفار لمن ظلمه، فعساه أن يقربه ذلك إلىٰ الله فينال به لطفه الذي ادخره لأرباب المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم بإرضائه إياهم علىٰ ما يأتي بيانه في باب إرضاء الخصوم بعد هذا إن شاء الله تعالىٰ.

○ أول من يحاسب أمة محمد ﷺ:

روىٰ ابن ماجه بإسناد صحيح عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يقال: أين الأمة الأمية ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون**»[1].

---

(١) **صحيح:** أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٢٩٠)، من طريق حماد بن سلمة، عن الجريري، عن أبي =

الأخبار الدالة علىٰ أن أول ما يحاسب عليه العبد من عمله: الصلاة وأول ما يقضىٰ فيه بين الناس: الدماء، والمبينة أول من يدعىٰ للخصومة يوم القيامة.

روىٰ مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول ما يقضىٰ بين الناس يوم القيامة في الدماء**»، وأخرجه البخاري أيضًا[(١)]، وللنسائي عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضي بين الناس الدماء**»[(٢)].

وفي البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «أنا أول من يجثو يوم القيامة بين يدي الرحمن للخصومة» يريد قصته في مبارزته هو وصاحباه الثلاثة من كفار قريش، قال أبو ذر: وفيهم نزلت ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] الآية[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال يقول ربنا عز وجل لملائكته: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم أنقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئًا قال: انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال علىٰ ذلك**»[(٤)].

قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: أما إكمال الفريضة من التطوع فإنما يكون ذلك -والله أعلم- فيمن سها عن فريضة فلم يأت بها، أو لم يحسن ركوعها وسجودها ولم يدر قدر ذلك، وأما من تعمد تركها أو شيئًا منها ثم ذكرها فلم

= نضرة، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨).

(٢) أخرجه النسائي (٣٩٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٦٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٨٦٤).

يأت بها عامدًا واشتغل بالتطوع عن أداء فرضه وهو ذاكر له فلا تكمل له فريضته تلك من تطوعه، والله أعلم.

قلت: ينبغي للإنسان أن يحافظ علىٰ أداء فرضه فيصليه كما أمر من إتمام ركوع وسجود، وحضور قلب. فإن غفل عن شيء من ذلك فيجتهد بعد ذلك في نفله ولا يتساهل فيه ولا في تركه، ومن لا يحسن أن يصلي الفرض فأحرىٰ أن لا يحسن النفل لا جرم بل تنفل الناس في أشد ما يكون من النقصان والخلل في التمام لخفة النفل عندهم وتهاونهم به، ولعمر الله لقد يشاهد في الوجود من يشار إليه ويظن به العلم بنفله كذلك بل فرضه إذ ينقره نقر الديك، فكيف بالجهال الذين لا يعلمون. وإذا كان هذا فكيف يكمل بهذا النفل ما نقص من الفرض هيهات هيهات! فاعلموه أن الصلاة إذا كانت بهذه الصفة دخل صاحبها في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]! وقال جماعة من العلماء: التضييع للصلاة هو أن لا يقيم حدودها من مراعاة وقت وطهارة وتمام ركوع وسجود ونحو ذلك وهو مع ذلك يصليها، ولا يمتنع من القيام بها في وقتها وغير وقتها قالوا: فأما من تركها أصلًا ولم يصلها فهو كافر.

وروىٰ الترمذي عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود**»[1]، وقال: حديث حسن صحيح، والعمل علىٰ هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم يرون أن يقيم الرجل صلبه في الركوع والسجود.

قال الشافعي وأحمد وإسحاق: من لم يقم صلبه في الركوع والسجود فصلاته فاسدة؛ لحديث النبي ﷺ «**لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود**».

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٨٥٥)، والترمذي (٢٦٥).

وروىٰ البخاري عن زيد بن وهب عن حذيفة، ورأىٰ رجلًا لا يتم ركوعه ولا سجوده، فلما قضىٰ صلاته قال له حذيفة: ما صليت ولو مت مت علىٰ غير سنة محمد ﷺ[١]، وأخرج النسائي عن حذيفة: أنه رأىٰ رجلًا يصلي فخفف فقال له حذيفة: منذ كم تصلي هذه الصلاة؟ قال منذ أربعين عامًا، قال: ما صليت! ولو مت وأنت تصلي هذه الصلاة لمت علىٰ غير فطرة النبي، ثم قال: إن الرجل ليخفف الصلاة ويتم ويحسن[٢]، والأخبار في هذا المعنىٰ كثيرة جدًّا وهي تبين لك المراد من قوله تعالىٰ: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

○ ما جاء في شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما ولقائهما الله عَزَّوَجَلَّ:

قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥].

وقال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

وقال: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] الآية.

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة من حديث معاوية بن حيدة القرشي أن النبي ﷺ قال: «**تجيئون يوم القيامة علىٰ أفواهكم الفدام وأول ما يتكلم من الإنسان فخذه وكفه**»[٣]، وقد تقدم.

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «**هل تدرون لم أضحك**»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**من مخاطبة العبد ربه، يقول يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلىٰ، قال: فإني لا أجيز علىٰ نفسي إلا شاهدًا مني قال: كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيبًا وبالكرام الكاتبين**

(١) أخرجه البخاري (٣٨٩).

(٢) أخرجه النسائي (١٣١٢).

(٣) **إسناده حسن**: سبق (ص٣٥٠).

شهودًا، قال فيختم على فيه فيقال لأركانه انطق فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام قال: فيقول بعدًا لكن وسحقًا فعنكن كنت أناضل»(١).

وفي الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالًا وولدًا، وسخرت لك الأنعام، والحرث وترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول: لا. فيقول: اليوم أنساك كما أنسيتني**»(٢).

وفي البخاري ومسلم عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملك الأرض ذهبًا كنت تفتدى به؟ فيقول: نعم. فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك**»(٣).

○ ما جاء في سؤال الأنبياء وفي شهادة هذه الأمة للأنبياء على أممهم:

قال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦ - ٧]، وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]، فيبدأ بالأنبياء عليهم السلام فيقول: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩]، قيل: في تفسيرها كانوا قد علموا ولكن ذهبت عقولهم وعزبت أفهامهم ونسوا من شدة الهول وعظيم الخطب وصعوبة الأمر فقالوا: ﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، ثم يقربهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام، ويقال: إن الهيبة تأخذ بمجامع قلوبهم فيذهلون عن الجواب، ثم إن الله يثبتهم ويحدث لهم ذكرًا فيشهدون بما أجابت به أممهم، ويقال إنما قالوا ذلك تسليمًا كما فعل المسيح في قوله ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٢٨)، وأصله عند مسلم (٢٩٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٣٤)، ومسلم (٢٨٠٥).

نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١١٦]، والأول أصح؛ لأن الرسل يتفاضلون، والمسيح من أجلهم؛ لأنه كلمة الله وروحه، قاله أبو حامد.

وفي ابن ماجه بإسناد صحيح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، ويجيء النبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم. فيدعىٰ قومه فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: لا فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فتدعىٰ أمة محمد ﷺ، فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم فيقول: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا ﷺ بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه»**، قال فذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣][1].

وذكره البخاري أيضًا بمعناه كما في حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدعىٰ نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب؛ فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ»**، فذلك قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣][2].

❍ ما جاء في الشهداء عند الحساب:

قال القرطبي: قال العلماء: وتكون المحاسبة بمشهد من النبيين وغيرهم قال الله تعالىٰ ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩]، وقال

---

(١) **صحيح** : أخرجه ابن ماجه (٤٢٨٤)، وأصله عند البخاري (٣٣٣٩).

(٢) انظر: الحديث السابق.

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، وشهيد كل أمة نبيها، وقيل: إنهم كتبة الأعمال، وهو الأظهر فتحضر الأمة ورسولها، فيقال للقوم: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، ويقال للرسل ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩]؟ فتقول الرسل ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٩] علىٰ ما تقدم في الباب قبل، ثم يدعىٰ كل واحد علىٰ الانفراد؛ فالشاهد عليه صحيفة عمله وكاتبها فإنه قد أخبر في الدنيا أن عليه ملكين يحفظان أعماله وينسخانها.

○ ما جاء في عقوبة مانعي الزكاة وفضيحة الغادر والغال في الموقف وقت الحساب.

روىٰ الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صحفت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوىٰ بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتىٰ يقضىٰ بين العباد فيرىٰ سبيله إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار. قيل يا رسول الله: فالإبل؟ قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلًا واحدًا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع لا يفقد منها شيئًا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا غضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتىٰ يقضىٰ بين العباد فيرىٰ سبيله إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار**» وذكر الحديث[1]، وأخرجه البخاري بمعناه، قوله «فيكوي بها جنبه» الحديث إنما خص الجنب والجبهة

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٢)، ومسلم (٩٨٧)، من حديث أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

والظهر بالكي؛ لشهرته في الوجه وشناعته، وفي الجنب والظهر؛ لأنه آلم وأوجع، وقيل: خص الوجه لتقطيبه في وجه السائل أولًا، والجنب لازوراره عن السائل ثانيًا، والظهر لانصرافه إذا راد في السؤال وأكثر منه، فرتب الله تعالىٰ هذه العقوبات في هذه الأعضاء لأجل ذلك والله أعلم.

وروىٰ مالك موقوفًا والنسائي والبخاري مرفوعًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا** ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] الآية»(١)، وذكر مسلم من حديث جابر قال: «**ولا صاحب كنز لا يؤدي فيه حقه إلا جاء يوم القيامة شجاعًا أقرع يتبعه فاتحًا فاه فإذا أتاه فر منه فيناديه خذ كنزك الذي خبأته فأنا عنه غني فإذا رأىٰ أن لا بد له منه سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل**» وذكر الحديث(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول وعظم أمره ثم قال: «**لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته فرس له حمحمة يقول يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله: أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك،**

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٣).

(٢) أخرجه مسلم (٩٨٨).

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك»(١).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان ابن فلان**»(٢)، قوله «هذه غدرة فلان ابن فلان» دليل علىٰ أن الناس يدعون في الآخرة بأسمائهم وأسماء آبائهم وقد تقدم هذا في غير موضع، وفي هذا رد علىٰ من قال إنما يدعون بأسماء أمهاتهم؛ لأن في ذلك سترًا علىٰ آبائهم، وهذا الحديث خلاف قولهم، وخرجه البخاري ومسلم وحسبك.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة**»(٣).

فائدة: قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: قال علماؤنا رحمهم الله في قوله تعالىٰ ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] أن ذلك علىٰ الحقيقة كما بينه ﷺ أي: يأت به حاملًا له علىٰ ظهره ورقبته معذبًا بحمله وثقله ومرعوبًا بصوته وموبخًا بإظهار خيانته علىٰ رؤوس الأشهاد، وكذا مانع الزكاة كما في صحيح الحديث، **قال أبو حامد:** فمانع زكاة الإبل يحمل بعيرًا علىٰ كاهله له رغاء وثقل يعدل الجبل العظيم، ومانع زكاة البقر يحمل ثورًا علىٰ كاهله له خوار وثقل يعدل الجبل العظيم، ومانع زكاة الغنم يحمل شاة لها ثغاء وثقل يعدل الجبل العظيم والرغاء والخوار والثغاء كالرعد القاصف، ومانع زكاة الزرع يحمل علىٰ كاهله أعدالًا قد ملئت من الجنس الذي كان يبخل به برًّا كان أو شعيرًا أثقل ما يكون

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١).

(٢) البخاري (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٥)، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٣٨).

ينادي تحته بالويل والثبور، ومانع زكاة المال يحمل شجاعًا أقرع له زبيبتان وذنبه قد انساب في منخريه واستدارت بجيده وثقل علىٰ كاهله كأنه طوق وكل واحد ينادي مثل هذا فتقول الملائكة هذا ما بخلتم به في الدنيا رغبة فيه وشحًا عليه وهو قوله تعالىٰ ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

قلت: وهذه الفضيحة التي أوقعها الله بالغال ومانعي الزكاة نظير الفضيحة التي يوقعها بالغادر، وجعل الله هذه المعاقبات حسب ما يعهده البشر ويفهمونه ألا ترىٰ إلىٰ قول الشاعر:

أسمىٰ ويحك هل سمعت بغدرة رفع اللواء لنا بها في المجمع

فكانت العرب ترفع للغادر لواء في المحافل ومواسم الحج، وكذلك يطاف بالجاني مع جنايته، وذهب بعض العلماء إلىٰ أن ما يجيء به الغال يحمله عبارة عن وزر ذلك وشهرة الأمر أي: يأتي يوم القيامة قد شهر الله أمره كما يشهر لو حمل بعيرًا له رغاء أو فرسًا له حمحمة.

قلت: وهذا عدول عن الحقيقة إلىٰ المجاز والتشبيه، وقد أخبر النبي ﷺ بالحقيقة فهو أولىٰ، وقد روىٰ أبو داود بإسناد حسن عن سمرة بن جندب قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصاب غنيمة أمر بلالًا فنادىٰ في الناس فيجيئون بغنائمهم فيخمسها ويقسمها، فجاء رجل يومًا بعد النداء بزمام من شعر، فقال يا رسول الله: هذا كان فيما أصبناه من الغنيمة. قال: «**أسمعت بلالًا ثلاثًا**»؟ قال: نعم قال: «**فما منعك أن تجيء به**»؟ فاعتذر إليه، فقال: «**كلا أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله منك**»[1].

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٢٧١٢).

باب الإيمان بحوض النبي ﷺ في الموقف وسعته وكثره أوانيه

عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «**أَنَا عِنْدَ حَوْضِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» قَالَ: فَسُئِلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ عَنْ سَعَةِ الْحَوْضِ؟ فَقَالَ: «**مِثْلُ مَا بَيْنَ مَقَامِي هَذَا إِلَىٰ عَمَّانَ**» قَالَ سَعِيدٌ: مَا بَيْنَهُمَا شَهْرٌ أَوْ نَحْوَهُ، وَسُئِلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ عَنْ شَرَابِهِ؟ فَقَالَ: «**أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، يَغُبُّ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ مِدَادُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ وَرِقٍ، وَالْآخَرُ مِنْ ذَهَبٍ**»(١).

وعَنْه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَرِدُونَ عَلَىٰ الْحَوْضِ، وَأَنَا أَرُدُّ عَنْهُ النَّاسَ بِعَصَايَ**» **قُلْنَا**: يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَرَضُهُ؟ قَالَ: «**كَمَا بَيْنَ مَقَامِي إِلَىٰ عَمَّانَ**» **قُلْنَا**: مَا آنِيَتُهُ؟ قَالَ: «**عَدَدُ النُّجُومِ، فِيهِ مِيزَابَانُ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا**»، قَالَ ثَوْبَانُ: فَادْعُو اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَكُمْ وَارِدِيهِ(٢).

وعن عَبْد اللهِ بْن عَمْرٍو: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا**»(٣).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِنَهَرٍ يَجْرِي،**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠١) من حديث ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه الدولابي في الكنىٰ والأسماء (١٥٥٧) من طريق مُسْلِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ أَبَا سَلَّام، قَالَ: حَدَّثَنَا ثَوْبَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* قال ابن أبىٰ حاتم: سمعت أبىٰ يقول: روىٰ ممطور عن ثوبان مرسل. قلت: قد صرح بالتحديث من ثوبان كما عند الحاكم في المستدرك (٧٣٧٤)، والدولابي في الكنىٰ والأسماء (١٥٥٧)، وابن ماجه في سننه (٤٣٠٣)، وغيره.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

بَيَاضُهُ بَيَاضُ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَحَافَّتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي، فَإِذَا الثَّرَىٰ مِسْكٌ أَذْفَرُ، فَقُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللهُ»(١).

وعنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي، حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي، فَلَيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(٢).

وعنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ»(٣).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُضْحِيَةِ مِنْ آنِيَةِ الْجَنَّةِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانُ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَىٰ أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ»(٤).

وعن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا»(٥).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ، فَلَأُنَازِعَنَّ رِجَالًا مِنْكُمْ، وَلَأُغْلَبَنَّ عَلَيْهِمْ، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(٦).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ يَأْتِي مِنْ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ فِي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلَا

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٤٧٣)، من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤) من حديث أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٠٣)، وغيرهما من طريق قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٠٠)، من طريق حديث أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ...فذكره.

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٨٣)، ومسلم (٢٢٩٠).

(٦) أخرجه البخاري (٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٩٧).

يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ، فَلَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ»(١).

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ، وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ وَالْجَارِيَةُ تَمْشُطُنِي، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ»، فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي، فَقَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ، فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ فَإِيَّايَ لَا يَأْتِي أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنْهُ كَمَا يُذَبُّ عَنْهُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ»(٢).

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُونِي فَأَنَا عَلَىٰ الْحَوْضِ، وَحَوْضِي: قَدْرُ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَىٰ مَكَّةَ»(٣).

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ ابْنِ زِيَادٍ، وَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ الْحَوْضَ، فَلَمَّا رَأَوْنِي طَلَعْتُ عَلَيْهِمْ، قَالُوا: قَدْ جَاءَكُمْ أَنَسٌ فَقَالُوا: يَا أَنَسُ مَا تَقُولُ فِي الْحَوْضِ؟ فَقُلْتُ: «وَاللهِ مَا شَعَرْتُ أَنِّي أَعِيشُ حَتَّىٰ أَرَىٰ أَمْثَالَكُمْ تَشُكُّونَ فِي الْحَوْضِ، لَقَدْ تَرَكْتُ عَجَائِزَ بِالْمَدِينَةِ، مَا تُصَلِّي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ صَلَاةً إِلَّا سَأَلَتْ رَبَّهَا عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُورِدَهَا حَوْضَ مُحَمَّدٍ ﷺ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩) وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٩٥)، وغيره من حديث أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مرفوعًا.

(٣) حسن: أخرجه أحمد في مسنده (١٤٧١٩)، والبزار في مسنده (٢٩٧٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٧٧١)، وغيرهم من حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

* فيه أبو الزبير: صدوق، ويدلس، وصرح بالتحديث.

(٤) صحيح: أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٦٠٩)، والحاكم في مستدركه (٢٦٠)، والبيهقي في البعث والنشور (١٥٨) من طريق حُمَيْدٌ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ موقوفًا.

وعنه أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «**هُوَ نَهَرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، فِيهِ طُيُورٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُزُرِ**»، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهَا لَنَاعِمَةٌ فَقَالَ: «**آكِلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا**»(١).

وعنه قال: أَغْفَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِغْفَاءَةً فَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَإِمَّا قَالَ لَهُمْ وَإِمَّا قَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ، فَقَرَأَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ » حَتَّىٰ خَتَمَهَا، فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهَرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، عَلَيْهِ حَوْضٌ يَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ الْكَوَاكِبِ**»(٢).

وعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَحِمَهَا اللهُ: «**الْكَوْثَرُ نَهَرٌ أُعْطِيَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بُطْنَانِ الْجَنَّةِ** قَالَ: قُلْتُ: وَمَا بُطْنَانُ الْجَنَّةِ؟ قَالَتْ: وَسَطُ الْجَنَّةِ، شَاطِئَاهُ دُرٌّ مُجَوَّفٌ أَوْ دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ»(٣).

❍ من فقه الباب:

ذهب صاحب «القوت»(٤) وغيره إلىٰ أن حوض النبي ﷺ إنما هو بعد

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه الترمذي في سننه (٢٥٤٢)، وأبو الفضل الزهري في حديثه (٤٥)، والبيهقي في البعث والنشور (٢٦٥)، من حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه عبد الله بن مسلم: صدوق.

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٠)، وغيره من طريق المختار عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) **صحيح**: أخرجه النسائي في الكبرىٰ (١١٦٤١)، والآجري في الشريعة (١٠٩٠) من طريق أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ:...فذكرته موقوفًا.

* قلت: والحديث لا يقال من باب الرأي.

(٤) انظر: «التذكرة» للقرطبي.

الصراط، والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين: أحدهما في الموقف قبل الصراط، والثاني في الجنة وكلاهما يسمىٰ كوثرًا، والكوثر في كلام العرب الخير الكثير، واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر، فقيل: الميزان قبل، وقيل: الحوض، قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل.

قلت (القرطبي): والمعنىٰ يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم كما تقدم، فيقدم قبل الصراط والميزان والله أعلم، وقال أبو حامد في كتاب «كشف علوم الآخرة»: وحكىٰ بعض السلف من أهل التصنيف: أن الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله، وقد روىٰ البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**بينا أنا نائم إذا زمرة، حتىٰ إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت أين؟ قال إلىٰ النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك علىٰ أدبارهم القهقرىٰ، ثم إذا زمرة، حتىٰ إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وينهم فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلىٰ النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك علىٰ أدبارهم القهقرىٰ فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم**»(١).

فهذا الحديث مع صحته أدل دليل علىٰ أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط؛ لأن الصراط إنما هو جسر علىٰ جهنم ممدود يجاز عليه، فمن جازه سلم من النار علىٰ ما يأتي، وكذا حياض الأنبياء عليهم السلام تكون أيضًا في الموقف علىٰ ما يأتي.

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أمامكم حوضًا كما بين جربًا وأذرح فيه أباريق كنجوم السماء من ورد فشرب منه لم يظمأ بعدها أبدًا**»، قال عبيد الله: فسألته فقال: قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٩٩).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن حوضي أبعد من أيلة إلىٰ عدن لهو أشد بياضًا من الثلج وأحلىٰ من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه**»، قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: «**نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون علي غرا محجلين من أثر الوضوء**»(١).

تنبيه: ظن بعض الناس أن في هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف وليس كذلك، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطبًا لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، فيقول لأهل الشام ما بين أذرح وجربًا، ولأهل اليمن من صنعاء إلىٰ عدن. وهكذا وتارة آخرىٰ يقدر بالزمان فيقول: مسيرة شهر، والمعنىٰ المقصود أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات فخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها، والله أعلم(٢).

❍ ذكر من يطرد عن حوض النبي ﷺ:

بين لنا الرسول ﷺ في غير حديث أن الذين يتركون هديه ﷺ ويميلون إلىٰ الابتداع ويتركون الإتباع يطردون عن حوضه ﷺ كما في البخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتىٰ إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي، فيقال لي: لا تدرلي ما أحدثوا بعدك**»(٣).

وعن أبي هريرة أنه كان يتحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**يرد علي الحوض**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) انظر: «التذكرة» للقرطبي.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤) من حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رهط من أصحابي فيخلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا علىٰ أدبارهم القهقري»[١].

وفي مسلم عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إني علىٰ الحوض حتىٰ أنظر من يرد علي منكم، وسيؤخذ ناس دوني فأقول: يا رب مني ومن أمتي فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون علىٰ أعقابهم**»[٢]، وفي حديث أنس «**فيختلج العبد منهم فأقول: يا رب من أمتي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[٣].

قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج علىٰ اختلاف فرقها، والروافض علىٰ تباين ضلالها، والمعتزلة علىٰ أصناف أهوائها فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي. وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع، ثم البعد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد، وعلىٰ هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به، ثم يقال لهم سحقًا، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا علىٰ عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان ويسرون الكفر فيأخذهم بالظاهر. ثم يكشف لهم الغطاء فيقول لهم: سحقًا سحقًا، ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد مبطل ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان.

وقد يقال: إن من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكبائر إنه، وإن ورد الحوض

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٧).

(٢) أخرجه مسلم بعد (٢٢٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٤٠٠).

وشرب منه فإنه إذا دخل النار بمشيئة الله تعالىٰ لا يعذب بعطش، والله أعلم[(١)].

○ **ما جاء في الكوثر الذي أعطيه ﷺ في الجنة:**

روىٰ البخاري عن أنس بن مالك عن النبي قال: «**بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر في الجنة حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه أو طينته مسك أذفر - شك هدبة**»[(٢)] - وخرجه أبو عيسىٰ الترمذي بمعناه وزاد «**ثم رفعت إلىٰ سدرة المنتهىٰ فرأيت عندها نورًا عظيمًا**»[(٣)].

وفي الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلىٰ من العسل وأبيض من الثلج**»[(٤)]. هذا حديث حسن.

باب الإيمان بالميزان وأنه حق توزن به الحسنات والسيئات والعباد

قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨-٩].

---

(١) انظر: التذكرة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨١)، وغيره من حديث أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٦٠).

(٤) **صحيح**، وإسناده ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٣٦١)، وابن ماجه (٤٣٣٤)، وأحمد في مسنده (٥٩١٣)، وغيرهم من طريق عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما مرفوعًا.

* فيه عطاء بن السائب: صدوق اختلط. وأصل الحديث في الصحيحين.

وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥].

وقال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

وقال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦-١١].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ**»(١).

وعَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ**»، قَالَ: «**فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ**»(٢).

---

(١) **صحيح:** أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٩٩)، والترمذي في سننه (٢٠٠٣)، والطيالسي في مسنده (١٠٧١)، وغيرهم من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) **صحيح:** أخرجه الترمذي في سننه (٢٦٣٩)، وابن ماجه في سننه (٤٣٠٠)، وأحمد في مسنده (٦٩٩٤) وغيرهم من طريق عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما مرفوعًا.

وعن عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ فِي حِجْرِي، فَذَكَرْتُ قُرْبَهُ مِنِّي فِي الدُّنْيَا، وَتبَاعُدَ النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، فبَكَيْتُ، فَقَالَ لِي: «**مَا يُبْكِيكِ يَا عَائِشَةُ؟**» فَقُلْتُ: ذَكَرْتُ قُرْبَكَ مِنِّي فِي الدُّنْيَا، وَتبَاعُدَ النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، هَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ، إِذَا تَطَايَرَتِ الصُّحُفُ، وَقِيلَ** ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] **لَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ أَحَدًا حَتَّىٰ يَعْلَمَ: أَبِيَمِينِهِ يُعْطَىٰ أَمْ بِشِمَالِهِ؟ وَإِذَا وُضِعَتِ الْأَعْمَالُ فِي الْمِيزَانِ لَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ أَحَدًا، حَتَّىٰ يَعْلَمَ: أَيَثْقُلُ مِيزَانُهُ أَمْ يَخِفُّ؟ وَإِذَا حُمِلَ النَّاسُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ لَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ أَحَدًا، حَتَّىٰ يَعْلَمَ: يَنْجُو أَمْ لَا؟**»(١).

وعن النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يَرْفَعُ أَقْوَامًا، وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٢).

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: «**اللهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا**» فَلَمَّا انْصَرَفَ، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: «**أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا عَائِشَةُ**

---

(١) **حسن بمجموع طرقه**: أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٥٥)، وأحمد في مسنده (٢٤٦٩٦)، والحاكم في مستدركه (٨٧٢٢) من طريق الْحَسَنِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا.

* فيه الحسن لم يسمع من عائشة.

- وأخرجه أحمد في مسنده (٢٤٧٩٣)، والآجري في الشريعة (٩٠٥)، ومن طريق يَحْيَىٰ بْن إِسْحَاق، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ.

* فيه ابن لهيعة: مدلس، وقد اختلط.

- وأخرجه أسد بن موسىٰ في الزهد (٦٧) من طريق مروان بن معاوية، قال: أنا أبو الفيض، قال: سمعت الشعبي، يقول: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا.

* فيه الشعبي يروىٰ عن عائشة مرسلًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه في سننه (١٩٩)، وأحمد في مسنده (١٧٦٣٠)، والنسائي في الكبرىٰ (٧٦٩١) من حديث النَّوَّاس بْن سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

هَلَكَ، وَكُلُّ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ، يُكَفِّرُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ عَنْهُ، حَتَّىٰ الشَّوْكَةُ تَشُوكُهُ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ. وَقَالَ: اقْرَءُوا إِن شِئْتُم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»(٢).

وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيم»(٣).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ»(٤).

❍ **من فقه الباب:**

قال العلماء: وإذا انقضىٰ الحساب كان بعد وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، قال الله تعالىٰ ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧] الآية.

وقال ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٦-٨] إلىٰ آخر السورة.

وقال ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ الآيتين، في الأعراف والمؤمنين.

---

(١) **صحيح:** أخرجه أحمد في مسنده (٢٤٢١٥)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٩٠٩)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٨٥)، وغيرهم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا.

(٢) البخاري (٤٧٢٩)، واللفظ له، ومسلم (٢٧٨٥).

(٣) البخاري (٦٦٨٢)، واللفظ له، ومسلم (٢٦٩٤).

(٤) **صحيح:** أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي (٢٠٠٢).

وهذه الآيات إخبار لوزن أعمال الكفار؛ لأن عامة المعنيين بقوله ﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ في هذه الآيات هم الكفار، وقال في سورة المؤمنين ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٥] وفي الأعراف ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩]، وقال ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾ [القارعة: ٩]، وهذا الوعيد بإطلاقه للكفار، وإذا جمع بينه وبين قوله ﴿وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ثبت أن الكفار يسألون عما خالفوا فيه الحق من أصل الدين وفروعه؛ إذ لم يسألوا عما خالفوا فيه أصل دينهم من ضروب تعاطيهم ولم يحاسبوا به ولم يعتد بها في الوزن أيضًا، فإذا كانت موزونة دل علىٰ أنهم يحاسبون بها وقت الحساب، وفي القرآن ما يدل أنهم مخاطبون بها مسؤولون عنها محاسبون بها مجزيون علىٰ الإخلال بها؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦ - ٧]؛ فتوعدهم علىٰ منعهم الزكاة وأخبر عن المجرمين أنهم يقال لهم ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢] ؛ فبان بهذا أن المشركين مخاطبون بالإيمان والبعث وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأنهم مسؤولون عنها محتسبون مجزيون علىٰ الإخلال بها.

وفي البخاري، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة واقرأوا إن شئتم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾** [الكهف: ١٠٥]»[(١)].

قال العلماء: معنىٰ هذا الحديث أنه لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين يوم القيامة، ومن لا حسنة له فهو في النار، قال أبو سعيد الخدري: يؤتىٰ بأعمال كجبال تهامة فلا تزن شيئًا، وقيل: يحتمل أن يريد المجاز والاستعارة كأنه قال: فلا قدر لهم عندنا يومئذ، والله أعلم، وفيه من الفقه ذم السمن لمن تكلفه لما في ذلك من تكلف المطاعم والاشتغال بها عن المكارم.

---

(١) سبق في أول الباب (ص٤٤٢).

❍ **بيان كيفية الميزان ووزن الأعمال فيه ومن قضى لأخيه حاجة:**

روىٰ الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يستخلص رجلًا من أمتي علىٰ رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئًا، أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أفلك عذر؟ فقال: لا يا رب فيقول: بل إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم. قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء**»، قال: حديث حسن غريب، وأخرجه ابن ماجه في سننه وقال بدل قوله في أول الحديث «**إن الله يستخلص رجلًا من أمتي علىٰ رؤوس الخلائق يوم القيامة**» «**يصاح برجل من أمتي علىٰ رؤوس الخلائق**» وذكر الحديث[1]، وقال محمد بن يحيىٰ: البطاقة: الرقعة. أهل مصر يقولون للرقعة بطاقة.

ومما سبق يتبين لكل ذي لب أن الميزان حق، ولا يكون في حق كل أحد بدليل قوله ﷺ: «**فيقال يا محمد ادخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه**»، الحديث، وقوله تعالىٰ ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١] الآية، وإنما يكون لمن بقي من أهل المحشر ممن خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا من المؤمنين وقد يكون للكافرين علىٰ ما ذكرنا ويأتي.

وقال أبو حامد: والسبعون ألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان، ولا يأخذون صحفًا، وإنما هي براءات مكتوبة لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذه براءة فلان ابن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا يشقىٰ بعدها فما

---

(١) سبق في أول الباب (ص٤٤٠).



مر عليه شيء أسر من ذلك المقام.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن قيل: أما وزن أعمال المؤمنين فظاهر وجهه فتقابل الحسنات بالسيئات فتوجد حقيقة الوزن والكافر لا يكون له حسنات، فما الذي يقابل بكفره وسيئاته وأن يتحقق في أعماله الوزن؟.

فالجواب: إن ذلك على الوجهين:

أحدهما: أن الكافر يحضر له ميزان فيوضع كفره أو كفره وسيئاته في إحدى كفتيه، ثم يقال له: هل لك من طاعة تضعها في الكفة الآخرى؟ فلا يجدها فيشال الميزان فترتفع الكفة الفارغة وتقع الكفة المشغولة، فذلك خفة ميزانه وهذا ظاهر الآية، لأن الله تعالى وصف الميزان بالخفة لا الموزون، وإذا كان فارغًا فهو خفيف.

والوجه الآخر: أن الكافر يكون منه صلة الأرحام ومؤاساة الناس وعتق المملوك ونحوهما مما لو كانت من المسلم لكانت قربة وطاعة، فمن كان له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنها تجمع وتوضع في ميزانه، غير أن الكفر إذا قابلها رجح بها ولم يخل من أن يكون الجانب الذي فيه الخيرات من ميزانه خفيفًا ولو لم يكن له إلا خيرًا واحد أو حسنة واحدة لأحضرت ووزنت كما ذكرنا.

فإن قيل: لو احتسبت خيراته حتى يوزن لجوزي بها جزاء مثلها وليس له منها جزاء، لأن رسول الله ﷺ سئل عن عبد الله بن جدعان وقيل له: إنه كان يقري الضيف، ويصل الرحم، ويعين في النوائب، فهل ينفعه ذلك؟ فقال: «**لا؛ لأنه لم يقل يومًا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»[1]؛ فدل أن الخيرات من الكافر ليست بخيرات وأن وجودها وعدمها بمنزلة واحدة سواء.

والجواب: أن الله تعالى قال ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ

(١) أخرجه مسلم (٢١٤).

شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ولم يفصل بين نفس ونفس، فخيرات الكافر توزن ويجزىٰ بها، إلا أن الله تعالىٰ حرم عليه الجنة؛ فجزاؤه أن يخفف عند بدليل حديث أبي طالب فإنه قيل له: يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ فقال: «**نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلىٰ ضحضاح ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»(١)، وما قاله ﷺ في ابن جدعان وأبي عدي إنما هو في أنهما لا يدخلان الجنة ولا يتنعمان بشيء من نعيمها، والله أعلم.

قال علماؤنا رحمهم الله: الناس في الآخرة، ثلاث طبقات، متقون لا كبائر لهم، ومخلطون وهم الذين يوافون بالفواحش والكبائر، والثالث الكفار.

فأما المتقون: فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة وصغائرهم إن كانت لهم الكفة الآخرىٰ، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنًا وتثقل الكفة النيرة حتىٰ لا تبرح، وترتفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالي.

وأما المخلطون، فحسناتهم توضع في الكفة النيرة وسيئاتهم في الكفة المظلمة، فيكون لكبائرهم ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصؤابة دخل الجنة وإن كانت السيئات أثقل ولو بصؤابة دخل النار إلا أن يغفر الله، وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف علىٰ ما يأتي هذا إن كانت للكبائر فيما بينه وبين الله، وأما إن كانت عليه تبعات وكانت له حسنات كثيرة فإنه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات لكثرة ما عليه من التبعات فيحمل عليه من أوزار من ظلمه، ثم يعذب علىٰ الجميع. هذا ما تقتضيه الأخبار علىٰ ما تقدم ويأتي.

قال أحمد بن حرب: يبعث الناس يوم القيامة علىٰ ثلاث فرق: فرقة أغنياء بالأعمال الصالحة، وفرقة فقراء، وفرقة أغنياء ثم يصيرون فقراء مفاليس في شأن التبعات.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

وقال سفيان الثوري: إنك أن تلقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بسبعين ذنبًا فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد.

قال القرطبي: هذا صحيح؛ لأن الله غني كريم وابن آدم فقير مسكين محتاج في ذلك اليوم إلىٰ حسنة يدفع بها سيئة إن كانت عليه، حتىٰ ترجح ميزانه فيكثر خيره وثوابه.

وأما الكافر، فإنه يوضع كفره في الكفة المظلمة ولا يوجد له حسنة توضع في الكفة الأخرىٰ، فتبقىٰ فارغة لفراغها وخلوها عن الخير، فيأمر الله بهم إلىٰ النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وآثامه.

وأما المتقون، فإن صغائرهم تكفر باجتنابهم الكبائر ويؤمر بهم إلىٰ الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وطاعته، فهذان الصنفان هما المذكوران في القرآن في آيات الوزن؛ لأن الله تعالىٰ لم يذكر إلا من ثقلت موازينه ومن خفت موازينه، وقطع لمن ثقلت موازينه بالإفلاح والعيشة الراضية ولمن خفت موازينه بالخلود في النار بعد أن وصفه بالكفر، وبقي الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا فبينهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسب ما ذكرناه.

وإنما توزن أعمال المؤمن المتقي لإظهار فضله، كما توزن أعمال الكافر لخزيه وذله، فإن أعماله توزن تبكيتًا له علىٰ فراغه وخلوه عن كل خير، فكذلك توزن أعمال المتقي تحسينًا لحاله وإشارة لخلوه من كل شر وتزيينًا لأمره علىٰ رؤوس الأشهاد. وأما المخلط السيء بالصالح فإن دخل النار فيخرج بالشفاعة علىٰ ما يأتي.

فإن قيل: أخبر الله عن الناس أنهم محاسبون مجزيون، وأخبر أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين، ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم بشيء؛ فما القول في ذلك عندكم وهل توزن أعمالهم؟.

فالجواب: أنه قد قيل إن الله تعالىٰ لما قال ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٢] دخل في الجملة الجن والإنس، فثبت للجن من وعد الجنة بعموم الآية ما ثبت للإنس، وقال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٨]، ثم قال ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأحقاف: ١٩]، وإنما أراد لكل من الجن والإنس فقد ذكروا في الوعد والوعيد مع الإنس، وأخبر تعالىٰ أن الجن يسألون فقال خبرًا عما يقال لهم ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وهذا سؤال، وإذا ثبت بعض السؤال ثبت كله، وقد تقدم هذا، وقال تعالىٰ ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] إلىٰ قوله ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣١ – ٣٢]، وهذا يدل صريحًا علىٰ أن حكمهم في الآخرة كالمؤمنين، وقال حكاية عنهم ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ ﴾ [الجن: ١٤] الآيتين.

ولما جعل رسول الله ﷺ زادهم كل عظم، وعلف دوابهم كل روث فلا تستنجوا بهما؛ فإنهما طعام إخوانكم الجان فجعلهم إخواننا، وإذا كان كذلك فحكمهم كحكمنا في الآخرة سواء، والله أعلم.

باب الإيمان بأن كل أمة تتبع ما كانت تعبد فإذا بقي في هذه الأمة منافقون امتحنوا وضرب الصراط

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول ألا ليتبع كل إنسان ما كان**

يعبد، فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقىٰ المسلمون» وذكر الحديث بطوله[١].

وعن عطاء بن يزيد الليثي، أن أبا هريرة، أخبره أن ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فإنكم ترونه، كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقىٰ هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالىٰ في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتىٰ يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالىٰ في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوىٰ الرسل يومئذ: اللهم سلم، سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟» قالوا: نعم يا رسول الله قال: «فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم المؤمن بقي بعمله، ومنهم المجازىٰ حتىٰ ينجىٰ..»[٢] وذكر الحديث.

باب الإيمان بالصراط

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٥٤٣)، وأحمد (٨٦٣٦) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري (٧٤٣٧)، وصحيح مسلم (١٨٢).

وعَنْ أبي هريرة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ في حَديثِ الرؤيةِ: «... **وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلا الرُّسُلُ، وَدَعْوَىٰ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهمَّ! سَلِّمْ، سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ لسَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قال: «**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُجَازَىٰ حَتَّىٰ يُنَجَّىٰ**»[١].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**»، قال: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لا، يَا رَسُولَ اللهِ!. قال: «**مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلا يَبْقَىٰ أَحَدٌ، كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَغُبَّرِ أَهْلِ الكِتَابِ. فَيُدْعَىٰ اليَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا! فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَىٰ النَّصَارَىٰ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا، يَا رَبَّنَا! فَاسْقِنَا، قال فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ:**

---

(١) انظر: الحديث السابق.

ألا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَىٰ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ ﷻ فِي أَدْنَىٰ صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا. قال: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا! فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، لا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا – مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا– حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ. فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَىٰ قَفَاهُ. ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهمَّ! سَلِّمْ، سَلِّمْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا الجِسْرُ؟ قال: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلالِيبُ وَحَسَكٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ المُؤْمِنُونَ، كَطَرْفِ العَيْنِ وَكَالبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. حَتَّىٰ إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ، فِي اسْتِقْصَاءِ الحَقِّ، مِنَ المُؤْمِنِينَ للهِ يَوْمَ القِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِم الَّذِينَ فِي النَّارِ. يَقُولُونَ: رَبَّنَا! كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ. فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَىٰ النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَىٰ نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ

يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا». وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الحَدِيثِ فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠]، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «شَفَعَتِ المَلائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ألا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَىٰ الحَجَرِ أَوْ إِلَىٰ الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَىٰ الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَىٰ الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَىٰ بِالبَادِيَةِ. قال: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، هَؤُلاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا! أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا! أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»(١).

❍ من فقه الباب:

الصراط: هو الجسر المنصوب علىٰ ظهر جهنم ليعبر المؤمنون عليه إلىٰ الجنة.

❍ صفة الصراط:

عَنْ أبي هريرة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ في حَديثِ الرؤيةِ: «... **وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ**

---

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)، واللفظ له.

بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلا الرُّسُلُ، وَدَعْوَىٰ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهمَّ! سَلِّمْ، سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟». قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قال: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُجَازَىٰ حَتَّىٰ يُنَجَّىٰ»(١).

❍ الذين يمرون على الصراط:

دلت النصوص السابقة أن الذين يمرون علىٰ الصراط هم المؤمنون، أما الكفار والمشركون فتتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا من الأصنام والأوثان والشياطين وغيرها من الآلهة الباطلة، فترد النار مع معبودها أولًا، ثم يبقىٰ بعد ذلك من كان يعبد الله وحده في الظاهر، سواء كان صادقًا أم منافقًا، وهؤلاء الذين ينصب لهم الصراط، ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم عن السجود، وانقطاعهم عن المؤمنين في الظلمة، وَتَمَيُّز المؤمنين عنهم بالنور، فيعود المنافقون إلىٰ الوراء إلىٰ النار، ويعبر المؤمنون الصراط إلىٰ الجنة، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا وإياكم وعموم المسلمين منهم.

❍ صفة المرور على الصراط:

يمر المؤمنون والمنافقون علىٰ الصراط، فيسقط المنافقون في النار، ويعبر المؤمنون الصراط إلىٰ الجنة.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ

---

(١) سبق تخريجه قريبًا وهو متفق عليه.

جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٣-١٥].

○ وقت المرور على الصراط:

يكون المرور علىٰ الصراط بعد الحساب، ووزن الأعمال، والفراغ من كل ذلك، ثم يضطر الناس إلىٰ المرور علىٰ الصراط.

○ أول من يعبر الصراط:

لا يعبر الصراط إلا المؤمنون، وأول من يعبر الصراط محمد ﷺ وأمته؛ فيعطىٰ المؤمنون نورهم علىٰ قدر إيمانهم وأعمالهم، ثم يمرون علىٰ الصراط بحسب ذلك.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي حَدِيثِ الرؤيةِ: «**وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلا الرُّسُلُ، وَدَعْوَىٰ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهمَّ! سَلِّمْ، سَلِّمْ**»(١).

○ ثلاثة مواطن لا يخطئها النبي ﷺ لعظم الأمر فيها وشدته:

عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة قال: «**أنا فاعل إن شاء الله**»، قال: فأين أطلبك؟ قال: «**أول ما تطلبني علىٰ الصراط**»، قلت: فإن

---

(١) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢)، واللفظ له.

لم ألقك؟ قال: «**فاطلبني عند الميزان**» قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن**»(١).

○ ذكر الصراط الثاني وهو القنطرة التي بين الجنة والنار:

اعلم رحمك الله أن في الآخرة صراطين: أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب أو من يلتقطه عنق النار فإذا خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم حبسوا علىٰ صراط آخر خاص لهم ولا يرجع إلىٰ النار من هؤلاء أحد إن شاء الله؛ لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب علىٰ متن جهنم الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأربىٰ علىٰ الحسنات بالقصاص جرمه.

كما في البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون علىٰ قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتىٰ إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدىٰ بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا**»(٢).

ومعنىٰ يخلص المؤمنون من النار أي يخلصون من الصراط المضروب علىٰ النار، ودل هذا الحديث علىٰ أن المؤمنين في الآخرة مختلفو الحال.

---

(١) حسن: الترمذي (٢٤١٦) وغيره وانظر: مشكاة المصابيح (٥٥٩٥).

(٢) صحيح البخاري (٦٥٣٥).

باب الإيمان بأن من دخل النار من الموحدين مات واحترق ثم يخرجون بالشفاعة

عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناسًا أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم الله إماتة حتىٰ إذا كانوا فحمًا أذن لهم في الشفاعة فيجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا علىٰ أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل فقال رجل من القوم كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية**»(١).

❍ **من فقه الباب:**

قال الإمام القرطبي: هذه الموتة للعصاة موتة حقيقية؛ لأنه أكدها بالمصدر، وذلك تكريمًا لهم حتىٰ لا يحسوا ألم العذاب بعد الاحتراق بخلاف الحي الذي هو من أهلها ومخلد فيها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، وقيل: يجوز أن تكون إماتتهم عبارة عن تغييبه إياهم عن آلامها بالنوم، ولا يكون ذلك موتًا علىٰ الحقيقة، فإن النوم قد يغيب عن كثير من الآلام والملاذ، وقد سماه الله موتًا؛ فقال الله تعالىٰ ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]؛ فهو وفاة وليس بموت علىٰ الحقيقة الذي هو خروج الروح عن البدن، وكذلك الصعقة قد عبر الله بها الموت في قوله تعالىٰ ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

وأخبر عن موسىٰ ﵇ أنه خر صعقًا ولم يكن ذلك موتًا علىٰ الحقيقة غير أنه لما غيب عن أحوال المشاهدة من الملاذ والآلام جاز أن يسمىٰ موتًا، وكذلك يجوز أن يكون أماتهم غيبهم عن الآلام وهم أحياء بلطيفة يحدثها الله

---

(١) صحيح مسلم (١٨٣).

فيهم، كما غيب النسوة اللاتي قطعن أيديهن بشاهد ظهر لهن فغيبهن فيه عن آلامهن، والتأويل الأول أصح لما ذكرناه على الحقيقة كما أن أهلها أحياء على الحقيقة وليسوا بأموات.

فإن قيل: فما معنى إدخالهم النار وهم فيها غير عالمين؟ قيل: يجوز أن يدخلهم تأديبًا لهم وإن لم يعذبهم فيها، ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم كالمحبوسين في السجون، فإن الحبس عقوبة لهم وإن لم يكن معه غل ولا قيد، والله أعلم، وقوله: «ضبائر ضبائر» معناه جماعات جماعات، الواحدة ضبارة بكسر الضاد وهي الجماعة من الناس، وبثوا: فرقوا. والحبة بكسر الحاء: بزر البقول وحميل السيل ما احتمله من غثاء وطين.

○ الشفعاء وذكر الجهنميين:

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه بعد قوله في نار جهنم: «**حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد منا شدة لله تعالى في استيفاء الحق من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار**»[1].

وأخرجه ابن ماجه وغيره بإسناد صحيح ولفظه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «**إذا خلص الله المؤمنين من النار وآمنوا فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا أشد مجادلة من المؤمنين الذين دخلوا النار. قال يقول ربنا إخواننا كانوا، فذكره بمعناه، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، ثم يقول الله عز وجل: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن**

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٠٥).

أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا به، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا ربنا لم نذر فيها خيرًا».

وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: فمن لم يصدق هذا، فليقرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠] فيقول الله تعالىٰ: «**شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين**»، وفي رواية: «**وبقيت شفاعتي** -بدل قوله: **ولم يبق إلا أرحم الراحمين**- **فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط عادوا حممًا فيلقيهم في نهر علىٰ أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلىٰ الحجر أو الشجر ما يكون إلىٰ الشمس أصفر وأخضر، وما يكون منها إلىٰ الظل يكون أبيض**، قالوا: يا رسول الله، كأنك كنت ترعىٰ بالبادية. قال: **فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»[1].

فائدة: قال القرطبي: هذا الحديث بين أن الإيمان يزيد وينقص حسب ما بيناه في آخر سورة آل عمران من كتاب «جامع أحكام القرآن» فإن قوله: «**أخرجوا من في قلبه مثقال دينار ونصف دينار وذرة**» يدل علىٰ ذلك قوله: «**من خير**» يريد من إيمان، وكذلك ما جاء ذكره في الخبر في حديث قتادة عن أنس «**وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ما يزن برة ما يزن ذرة**» أي: من الإيمان

---

(١) البخاري (٧٤٣٩)، واللفظ له، ومسلم (١٨٣).

بدليل الرواية الأخرىٰ التي رواها معبد بن هلال العنبري عن أنس وفيها «**فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فأفعل**». الحديث بطوله أخرجه مسلم فقوله: «من إيمان» أي: من أعمال الإيمان التي هي أعمال الجوارح، فيكون فيه دلالة علىٰ أن الأعمال الصالحة من شرائع الإيمان، ومنه قوله تعالىٰ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي صلاتكم.

وقد قيل: إن المراد في هذا الحديث أعمال القلوب كأنه يقول: أخرجوا من عمل عملًا بنية من قلبه كقوله الأعمال بالنيات، وفي هذا المعنىٰ خبر عجيب يأتي ذكره آنفًا إن شاء الله تعالىٰ.

ويجوز أن يراد به، رحمة علىٰ مسلم رقة علىٰ يتيم خوفًا من الله رجاء له، توكلًا عليه ثقة به مما هي أفعال القلوب دون الجوارح، وسماها إيمانًا لكونها في محل الإيمان.

والدليل علىٰ أنه أراد بالإيمان ما قلنا ولم يرد مجرد الإيمان الذي هو التوحيد له ونفي الشركاء والإخلاص بقوله لا إله إلا الله ما في الحديث نفسه من قوله «أخرجوا» «أخرجوا» ثم هو سبحانه بعد ذلك يقبض قبضة فيخرج قومًا لم يعملوا خيرًا قط يريد إلا التوحيد المجرد عن الأعمال، وقد جاء هذا مبينًا فيما رواه الحسن عن أنس وهي الزيادة التي زادها علي بن معبد في حديث الشفاعة «**ثم أرجع إلىٰ ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدًا قال: فيقال لي محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب أئذن لي فيمن قال لا إله إلا الله. قال: ليس ذاك لك أو قال ليس ذلك إليك وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبروتي لأخرجن من قال لا إله إلا الله**».

وفي البخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**يخرج قوم من النار بعد ما**

مَسَّهُم منها سفعٌ فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين»[١].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[٢].

○ معرفة المشفوع فيهم بأثر السجود:

قال القرطبي: قد تقدم من حديث أبي سعيد الخدري أن المؤمنين يقولون: «**ربنا إخواننا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون أدخلتهم النار، فيقول لهم: اذهبوا فمن عرفتم أخرجوه**» وذكر الحديث.

وخرج مسلم من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ وفيه بعد قوله منهم المجازى «**حتىٰ ينجىٰ إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود، وحرم الله علىٰ النار أن تأكل آثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل**» وذكر الحديث[٣].

وخرج عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن قومًا يخرجون من النار يحترقون فيها إلا درات وجوههم حتىٰ يدخلوا الجنة**»[٤].

○ من ثمرات اليقين بيوم القيامة:

يقول الفاضل عبد العزيز الجليل[٥]:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٥٩).

(٢) **صحيح**: سبق (ص٣٩٠).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٩١).

(٥) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم الجزء الثاني الرسالة التاسعة.

إن في اليقين باليوم الآخر وأنبائه العظيمة لآثارًا واضحة وثمارًا طيبة، لا بد أن تظهر علىٰ قلب العبد ولسانه وجوارحه، وعلىٰ حياته كلها، ولكن هذا اليقين وحده لا يكفي حتىٰ ينضم إليه الصبر ومجاهدة الشهوات والعوائق؛ لأن الواحد منا مع يقينه باليوم الآخر وأهواله إلا أن ثمرات هذا اليقين ضعيفة، فلا بد إذن من سبب لهذا الضعف.

ويجلي هذه المسألة الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ، فيقول: (فإن قلت: كيف يجتمع التصديق الجازم الذي لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار ويتخلف العمل؟ وهل في الطباع البشرية أن يعلم العبد أنه مطلوب غدًا إلىٰ بين يدي بعض الملوك ليعاقبه أشد عقوبة، أو يكرمه أتم كرامة، ويبيت ساهيًا غافلًا! ولا يتذكر موقفه بين يدي الملك، ولا يستعد له، ولا يأخذ له أهبته؟! قيل: هذا لعمر الله سؤال صحيح وارد علىٰ أكثر الخلق؛ فاجتماع هذين الأمرين من أعجب الأشياء، **وهذا التخلف له عدة أسباب:**

أحدها: ضعف العلم ونقصان اليقين، ومن ظن أن العلم لا يتفاوت، فقوله من أفسد الأقوال وأبطلها، وقد سأل إبراهيم الخليل ربه أن يريه إحياء الموتىٰ عيانًا بعد علمه بقدرة الرب علىٰ ذلك؛ ليزداد طمأنينة، ويصير المعلوم غيبًا شهادة، وقد روىٰ أحمد في مسنده عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس المخبر كالمعاين**»[1]؛ فإذا اجتمع إلىٰ ضعف العلم عدم استحضاره أو غيبته عن القلب في كثير من أوقاته أو أكثرها لاشتغاله بما يضاده، وانضم إلىٰ ذلك تغاضي الطبع، وغلبات الهوىٰ، واستيلاء الشهوة، وتسويل النفس، وغرور الشيطان، واستبطاء الوعد، وطول الأمل، ورقدة الغفلة، وحب العاجلة، ورخص التأويل،

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١٨٤٢).

وإلف العوائد، فهناك لا يمسك الإيمان إلا الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، وبهذا السبب يتفاوت الناس في الإيمان والأعمال، حتىٰ ينتهي إلىٰ أدنىٰ مثقال ذرة في القلب.

وجماع هذه الأسباب يرجع إلىٰ ضعف البصيرة والصبر، ولهذا الله سبحانه أهل الصبر واليقين، وجعلهم أئمة الدين، فقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وبعد هذه المقدمة التي لابد منها حول ثمرات اليقين بالنبأ العظيم نذكر ما تيسر من هذه الثمرات، والله ولي التوفيق:

١- الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ والمتابعة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إن الموقن بلقاء الله عَزَّ وَجَلَّ يوم الفزع الأكبر لا تلقاه إلا حريصًا علىٰ أعماله، خائفًا من كل ما يحبطها من أنواع الشرك الأكبر، أو الشرك الأصغر؛ حيث إن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، فتصير هباء منثورًا، والشرك الأصغر يحبط العمل الذي حصل فيه هذا النوع من الشرك كيسير الرياء والعجب والمن وطلب الجاه والشرف في الدنيا، فكلما كان العبد موقنًا بلقاء ربه كان منه الحرص الشديد علىٰ ألا تضيع منه أعماله الصالحة في موقف القيامة، يوم أن يكون في أشد الأوقات حاجة إليها؛ ولذلك فهو يجاهد نفسه بحماية أعماله في الدنيا بالإخلاص فيها لله تعالىٰ، لعل الله عَزَّ وَجَلَّ أن ينفعه بها.

كما أن اليقين بالرجوع إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ يجعل العبد في أعماله كلها متبعا للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير مبتدع ولا مبدل؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا صوابًا، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

٢- الحذر من الدنيا والزهد فيها والصبر على شدائدها وطمأنينة القلب وسلامته:

إذا أكثر العبد ذكر الآخرة وكانت منه دائما علىٰ بال، فإن الزهد في الدنيا والحذر منها ومن فتنتها سيحلان في القلب، وحينئذ لا يكترث بزهرتها، ومن ثم لا يحزن علىٰ فواتها، ولا يمدن عينيه إلىٰ من متعهم الله بها ليفتنهم فيها.

وهذه الثمرة يتولد عنها بدورها ثمار أخرىٰ مباركة طيبة؛ منها القناعة، وسلامة القلب من الحرص والحسد والغل والشحناء؛ لأن الذي يعيش بتفكيره في الآخرة وأنبائها العظيمة لا تهمه الدنيا الضيقة المحدودة؛ إنها في نظره كالجحر الضيق؛ فكيف يتنافس مع غيره أو يحسد غيره علىٰ جحر ضيق زائل وهو يعيش في هذا الأفق الواسع الرحب، أفق الآخرة والحياة الأبدية فيها.

كما يتولد أيضا من هذا الشعور، الراحة النفسية والسعادة القلبية وقوة الاحتمال والصبر علىٰ الشدائد والابتلاءات، ذلك للرجاء فيما عند الله عَزَّوَجَلَّ من العوض والثواب، وأنه مهما جاء من شدائد الدنيا فهي منقطعة ولها أجل، فهو ينتظر الفرج ويرجو الثواب الذي لا ينقطع يوم الرجوع إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

٣- التزود بالأعمال الصالحة وأنواع القربات واجتناب المعاصي والمبادرة بالتوبة والاستغفار:

سبق أن مر بنا في مقدمة الحديث عن الثمرات أنه لا يمكن أن يوجد اليقين بالآخرة، وما أعد الله فيها من النعيم لأوليائه ومن العذاب لأعدائه، ثم مع ذلك يتخلف العمل الصالح الذي يثمر رضا الله عَزَّوَجَلَّ وجنته.

ولو وجد تقصير في العمل الصالح أو جرأة علىٰ ما يسخط الله سبحانه فإنما يدل هذا علىٰ ضعف في اليقين والبصيرة، أو ضعف في الصبر والإرادة، أما من رجا

النعيم في الدار الآخرة فلا بد أن يعد لذلك عدته، يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئًا رجاؤه ثلاثة أمور، أحدها: محبته ما يرجوه، الثاني: خوفه من فواته، الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني والرجاء شيء والأماني شيء آخر فكل راج خائف والسائر علىٰ الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات وفي «جامع الترمذي» من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله: «**من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة**»(١)، وهو سبحانه كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة فكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة فعلم إن الرجاء والخوف النافع هو ما اقترن به العمل، قال الله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١]، وقد روىٰ الترمذي في جامعه عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: سألت رسول الله عن هذه الآية؛ فقلت: أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرفون؟ فقال: «**لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون أن لا يتقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات**»(٢)، وقد روىٰ من حديث أبىٰ هريرة أيضًا والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن. اهـ من «الجواب الكافي».

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٥٠)، وعبد بن حميد في مسنده (١٤٦٠)، والحاكم في مستدركه (٧٨٥١) من حديث هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٧٥).

٤- حصول الأمن والاستقرار والألفة بين الناس بالحكم بشريعة الله:

إن مجتمعًا يسود بين أهله الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ واليقين بالآخرة والجزاء والحساب لا شك أن ذلك سيثمر السلام والمحبة بين أهله؛ لأن تعظيم الله سبحانه وتعظيم الوقوف بين يديه سيجعل هذه النفوس لا ترضىٰ بغير شرع الله عَزَّوَجَلَّ بديلا، ولا تقبل الاستسلام إلا لحكمه.

وهذا بدوره سيضفي الأمن والآمان علىٰ مثل هذه المجتمعات؛ لأن أهلها يخافون الله ويخافون يوم الفصل والجزاء، فلا تحاكم إلا لشرع الله، ولا تعامل إلا بأخلاق الإسلام الفاضلة فلا خيانة ولا غش ولا ظلم، ولا يعني هذا ألا يوجد في المجتمعات المسلمة من يظلم أو يخون أو يغش، فهذا لم يسلم منه عصر النبوة ولا الخلافة الراشدة، لكن هذه المعاصي تبقىٰ فردية، يؤدب أفرادها بحكم الله عَزَّوَجَلَّ وحدوده، إذا لم يردعهم وازع الدين والخوف من الله.

٥- تقصير الأمل وحفظ الوقت:

إن من أخطر الأبواب التي يدخل منها الشيطان علىٰ العبد طول الأمل، والأماني الخادعة التي تجعل صاحبها في غفلة شديدة عن الآخرة، واغترار بزينة الحياة الدنيا، وتضييع ساعات العمر النفيسة في اللهث وراءها حتىٰ يأتي الأجل الذي يقطع هذه الآمال، وتذهب النفس حسرات علىٰ ما فرطت في عمرها، وأضاعت من أوقاتها، ولكن اليقين بالرجوع إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والتذكر الدائم لقصر الحياة الدنيا، وأبدية الآخرة وبقائها هو العلاج النافع لطول الأمل وضياع الأوقات.

يقول ابن قدامة رحمه الله تعالىٰ: «واعلم: أن السبب فىٰ طول الأمل شيئان: أحدهما: حب الدنيا، والثاني: الجهل.

أما حب الدنيا فإن الإنسان إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها، ثقل علىٰ قلبه مفارقتها، فامتنع قلبه من الفكر فىٰ الموت الذي هو سبب مفارقتها،

وكل من ذكره شيئًا دفعه عن نفسه، والإنسان مشغول بالأماني الباطلة، فيمنى نفسه أبدا بما يوافق مراده من البقاء في الدنيا، وما يحتاج إليه من مال وأهل ومسكن وأصدقاء وسائر أسباب الدنيا، فيصير قلبه عاكفًا على هذا الفكر، فيلهو عن ذكر الموت، ولا يقدر قربه. فإن خطر له الموت في بعض الأحوال والحاجة إلى الاستعداد له، سَوَّف بذلك ووعد نفسه، وقال: الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب، وإذا كبر قال: إلى أن تصير شيخًا، وإن صار شيخًا، قال: إلى أن يفرغ من بناء هذه الدار، وعمارة هذه الضيعة، أو يرجع من هذه السفرة، فلا يزال يُسَوِّف ويؤخر، ولا يحرص في إتمام شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال، وهكذا على التدريج يؤخر يومًا بعد يوم، ويشتغل بشغل بعد شغل، إلى أن تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه، فتطول عند ذلك حسرته.

وأكثر صياح أهل النار من «سوف» يقولون: واحسرتاه! من سوف ، وأصل هذه الأماني كلها، حب الدنيا والأنس بها، والغفلة.

السبب الثاني: الجهل، وهو أن الإنسان يعول على شبابه، ويستبعد قرب الموت مع الشباب، أو ليس يتفكر المسكين في أن مشايخ بلده لو عدوا كانوا أقل من العشر؟ وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر، وإلى أن يموت شيخ قد يموت ألف صبي وشباب وقد يغتر بصحته، ولا يدري أن الموت يأتي فجأة، وإن استبعد ذلك، فإن المرض يأتي فجأة، وإذا مرض لم يكن الموت بعيدًا، ولو تفكر وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص، من صيف وشتاء وربيع وخريف وليل ونهار، ولا هو مقيد بسن مخصوص، من شاب وشيخ أو كهل أو غيره، لعظم ذلك عنده واستعد للموت».

ويقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى: فإذا علم الإنسان ـ وإن بالغ في الجد ـ بأن الموت يقطعه عن العمل، عمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته. فإن كان له شيء من الدنيا وقف وقفًا، وغرس غرسًا، وأجرى نهرًا، ويسعى في تحصيل ذرية تذكر الله

بعده، فيكون الأجر له. أو أن يصنف كتابًا من العلم، فإن تصنيف العالم ولده المخلد، وأن يكون عاملًا بالخير، عالمًا فيه، فينقل من فعله ما يقتدي الغير به.اهـ

وعن قيمة الوقت وتفاوت أهل اليقظة فيه يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالىٰ:

سبحان من فاوت بين أهل اليقظة في قوة البر وضعفه، وفي استغراق جميع الأوقات في العبادة وعدمه، منهم من يكون سيره مستقيما في ليله ونهاره، ومع ذلك يتخير من الأعمال أفضلها وأكملها، ولا ينزل من فاضلها إلىٰ مفضولها، إلا لمصلحة تقترن بالمفضول، توجب أن يساوي العمل الفاضل، ويزيد عليه، وقد يكون المباح في حق هذا عبادة لكمال إخلاصه، ونيته بذلك المباح أن يجم به نفسه، ويتقوىٰ به علىٰ الخير، فتراه يتنقل من مقامات العبودية في كل وقت بما يناسبه ويليق به، لا فرق عنده بين العبادة المتعلقة بحقوق الله المحضة، وبين العبادة المتعلقة بحقوق الخلق علىٰ اختلاف مراتبهم وأحوالهم.

ولقد ذكرت في هذا المقام كلامًا لبعض الشيوخ لما رأىٰ كثرة المجتمعين ببعض أصحابه قال مؤدبًا لهم مقومًا: يا مناخ البطالين، يريد أنهم يقطعون عليه وقته عن الخير، وكلامًا أيضًا للشيخ أبي الفرج ابن الجوزي في سياق الخبر عن نفسه بحفظ الوقت، وأنه رأىٰ مما لا بد منه أن يتنابه أناس للزيارة، وأنه لما رأىٰ أن هذه الحال تقطع عليه وقته أعد للوقت الذي يجتمعون فيه إليه أشياء من أمور الخير لا تمنع من زيارتهم، ولا تقطع عليه وقته، مثل تقطيع الأوراق، وصنع المداد، وبري الأقلام التي لابد له منها لتصنيف العلوم النافعة، وهي لا تمنع الحديث مع الناس والاستئناس بهم.

فقلت: سبحان مَن مَنَّ علىٰ هؤلاء السادة بحفظ أوقاتهم، وبقوة العزيمة والنشاط علىٰ الخير، ولكن كل كمال يقبل التكميل والرقي إلىٰ حالة أرفع منه، فلو أن هؤلاء الأجلاء الفضلاء جعلوا اجتماعهم مع الناس للزيارة والدعوات

وغيرها من المجالس العادية فرصة يغتنمون فيها إرشاد من اجتمع بهم إلىٰ الخير والبحث في العلوم النافعة، والأخلاق الجميلة، والتذكر لآلاء الله ونعمه، ونحو ذلك من المواضيع المناسبة لذلك الوقت، ولذلك الاجتماع؛ بحسب أحوال الناس وطبقاتهم، وأنهم وطنوا أنفسهم لهذا الأمر، وتوسلوا بالعادات إلىٰ العبادات، وبرغبتهم إلىٰ الاجتماع بهم إلىٰ انتهاز الفرصة في إرشادهم، لحصلوا بذلك خيرًا كثيرًا، وربما زادتهم هذه الاجتماعات مقامات عالية، وأحوالًا سامية مع ما في ذلك من النفع العظيم للعباد؛ لأنه ليس من شروط نفع العالم أن يرشد فقط المستعدين لطلب العلم من المتعلمين، بل يكون مستعدًّا لإرشاد الخلق أجمعين بحسب أحوالهم واستعدادهم، وعلمهم وجهلهم، وإقبالهم وإعراضهم، وأن يعامل كل حالة بما يليق بها من الدعوة إلىٰ الخير والتسبب لفعله، وتعطيل الشر وتقليله، وأن يستعين الله علىٰ ذلك.

فمن كانت هذه حاله، لم يتبرم باجتماعه بالخلق مهما كان حريصًا علىٰ حفظ وقته؛ لأن التبرم والتثاقل إنما هو للحالة التي يراها العبد ضررًا عليه، ومفوتة لمصالحه، والله الموفق وحده لا شريك له. اهـ من الفتاوىٰ السعدية.

٦- سلامة الفكر وانضباط الموازين وسمو الأخلاق:

لا يستوي من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويوقن بيوم الحساب والجزاء، ولا يغفل عنه، لا يستوي هو ومن لا يؤمن بالآخرة أو يؤمن بها ولكنه في لهو وغفلة عنها، إنهما لا يستويان أبدًا لا في الدنيا ولا في الآخرة، أما في الآخرة فيوضحه قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

وأما في الحياة الدنيا، فلا يلتقي أبدًا من يعلم أن له غاية عظيمة في هذه الحياة، وأن مرده إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في يوم الجزاء والحساب والنشور مع من لا يعلم من هذه الحياة الدنيا إلا ظاهرها، وأنها كل شئ عنده، وهو عن الآخرة من الغافلين.

إنهما لا يلتقيان لا في التفكير ولا في الميزان، الذي توزن به الأشياء والأحداث، ولا في الأحكام، وبالتالي فبقدر ما تسمو أخلاق الأول وتعلو همته لسمو منهجه وميزانه بقدر ما تسفل وترذل أخلاق الآخر لسفالة تصوره وفساد ميزانه، قال تعالىٰ في وصف أهل الدنيا: ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

«ومن ثم لا يلتقي إنسان يؤمن بالآخرة ويحسب حسابها، مع آخر يعيش لهذه الدنيا وحدها، ولا ينتظر ما وراءها، لا يلتقي هذا وذاك في تقدير أمر واحد من أمور هذه الحياة، ولا قيمة واحدة من قيمها الكثيرة، ولا يتفقان في حكم واحد علىٰ حادث أو حالة أو شأن من الشئون، فلكل منهما ميزان، ولكل منهما زاوية للنظر، ولكل منهما ضوء يرىٰ عليه الأشياء والأحداث والقيم والأحوال ... هذا يرىٰ ظاهرا من الحياة الدنيا، وذلك يدرك ما وراء الظاهر من روابط وسنن، ونواميس شاملة للظاهر والباطن، والغيب والشهادة، والدنيا والآخرة، والموت والحياة، والماضي والحاضر والمستقبل، وعالم الناس والعالم الأكبر الذي يشمل الأحياء وغير الأحياء»[١].

إن الإيمان بالحياة الآخرة واليقين بما فيها نعمة عظيمة لا يدركها إلا من رأىٰ وسمع أحوال الغافلين عن الدار الآخرة؛ حيث فساد الموازين، واختلال المواقف، وهبوط الأخلاق، ولا يمكن أن يتوقع من أهل الدنيا الغافلين عن الآخرة إلا مثل هذا، فهم لا يرون إلا هذه الحياة، فهم يتنافسون وينطلقون في جميع أمورهم من هذا الجحر الضيق فإن وزنوا أمورهم فبميزان الدنيا يزنون، وإن اتخذوا مواقفهم وبنوا أحكامهم، فهم من هذه الدنيا ينطلقون، وإن كان لديهم شيء من الأخلاق فهي بقدر ما يحقق لهم مصالحهم وشهواتهم فحسب، أما ذلك المؤمن بربه والموقن بلقائه، فيختلف كل الاختلاف عن أهل الدنيا

(١) في ظلال القرآن تفسير آية (٧) من سورة الروم.

وموازينهم، فهو يزن الأمور، ويتخذ المواقف، ويبني الأحكام انطلاقًا من كونه عبدًا لله مستسلمًا لشرعه، واقفًا عند حدوده، ناظرًا إلىٰ الدنيا كما وصفها الله عَزَّوَجَلَّ، وحذر منها، وأنها مزرعة الآخرة، وأن التفاضل فيها بالتقوىٰ والعمل الصالح، لا بالمال والجاه، وبالتالي فهو صاحب الأخلاق العالية، التي تلازمه في كل زمان ومكان؛ لإيمانه بمراقبة الله عَزَّوَجَلَّ له في جميع الأحوال، ورجوعه إليه يوم القيامة، فهل يستويان مثلًا؟!

وأختم هذه الثمرة العظيمة بمثالين اثنين، قصهما الله عَزَّوَجَلَّ علينا في كتابه الكريم يوضحان دور اليوم الآخر في سلامة الموازين.

المثال الأول: قصة قارون مع قومه:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٧٦-٨٠].

يذكر الله سبحانه في هذه القصة صنفين من قوم قارون: الصنف الأول الذي يمثله قارون في عتوه واستكباره، وركونه إلىٰ الدنيا، وغفلته عن الآخرة، فكان ميزانه ميزان الدنيا الهابط السافل ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ﴾ فلم ينسب النعمة والعطاء إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، بل جحد ذلك، وخرج علىٰ قومه فرحًا وبطرًا، وهذا هو شأن أهل الدنيا وموازينهم.

كما يتبع قارون في هذه المواقف الهابطة أولئك الذين انخدعوا بزينته وتمنوا مكانه، فقالوا: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾؛ حيث جعلوا ميزان الحظ والنصيب هذه الدنيا الفانية.

أما الصنف الثاني: فيمثل أهل الآخرة الذين صحت موازينهم، وربطوها بنظرتهم لهذه الدنيا وفنائها، وبالآخرة ودوامها، وأنها أكبر درجات وأكبر تفضيلا، فقالوا لقارون مقولتهم الكريمة: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [القصص: ٧٦-٧٧].

كما ظهر هذا الميزان النظيف في نصيحة أهل العلم من قوم قارون لمن اغتر بزينة قارون فقالوا لهم: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠].

المثل الثاني: قصة موسىٰ ﷺ مع سحرة فرعون:

وقد قص الله سبحانه هذه القصة في أكثر من سورة من القرآن؛ في سورة الأعراف وطه والشعراء. والشاهد منها ما ذكره سبحانه عن موقف السحرة قبل الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ والدار الآخرة، وموقفهم بعد إيمانهم بالله والدار الآخرة عندما ألقي موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عصاه ورأوا الآيات الدالة علىٰ الإيمان بالله ورسوله، وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ موقفين لسحرة فرعون.

الموقف الأول قبل إيمانهم بالله والدار الآخرة، فكانت موازينهم واهتماماتهم موازين الدنيا وزخرفها وفكرهم فيها وحدها. قال تعالىٰ ـ عن حالتهم هذه ـ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١-٤٢] فهمهم قبل الإيمان المنصب والأجر، هذا كل اهتماماتهم.

أما بعد وضوح الحق وإيمانهم بالله سبحانه والدار الآخرة، فكان لهم شأن

آخر وميزان آخر، ألا وهو ميزان الآخرة، والطمع في مغفرة الله والثواب الجزيل في جنات النعيم. قال تعالىٰ عن موقفهم من فرعون عندما هددهم بالقتل والصلب بعد سجودهم لله تعالىٰ: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [طه: ٧٢-٧٤].

٩- الفوز برضا الله وجنته والنجاة من سخطه والنار:

وهذه ثمرة الثمار، وغاية الغايات، ومسك الختام في مبحث الثمار، قال تعالىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالىٰ في تفسيره ١/ ١٥٩ عند قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]: أي حصل له الفوز العظيم بالنجاة من العذاب الأليم والوصول إلىٰ جنات النعيم التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر ومفهوم الآية أن من لم يزحزح عن النار ويدخل الجنة فإنه لم يفز بل قد شقي الشقاء الأبدي وابتلي بالعذاب السرمدي وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلىٰ نعيم البرزخ وعذابه وأن العاملين يجزون فيه بعض الجزاء مما عملوه ويقدم لهم أنموذج مما أسلفوه.اهـ من تفسير السعدي.

فالإنسان الذي يوقن باليوم الآخر ويستعد للقاء الله تعالىٰ فيسير علىٰ طاعة الله علىٰ نور من الله يرجو ثواب الله ويترك معصية الله علىٰ نور من الله يخاف عقاب الله يحظىٰ بخير الدنيا والآخرة ومن ثم يفوز فوزًا عظيمًا بدخوله جنة الرحمن ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] نسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا من أهل النجاة ويرزقنا العلم والعمل ويجعلنا من الفائزين بجنات عدن إنه سميع قريب مجيب والحمد لله رب العالمين.

باب الإيمان بأن أول من يدخل الجنة فقراء المهاجرين

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَىٰ بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ، وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي، لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَىٰ بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ، وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً» قَالَ: «فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعْلَمُونَ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ يَسْتَفْتِحُونَ فَيَقُولُ لَهُمُ الخَزَنَةُ: أَوَحُوسِبْتُمْ؟، قَالُوا: بِأَيِّ شَيْءٍ يُحَاسِبُونَا إِنَّمَا كَانَتْ أَسْيَافُنَا عَلَىٰ عَوَاتِقِنَا فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّىٰ مِتْنَا عَلَىٰ ذَلِكَ، قَالَ: فَتُفْتَحُ لَهُمْ، قَالَ: فَيَقِيلُونَ فِيهَا أَرْبَعِينَ عَامًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا النَّاسُ»(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٦٥٧٠) وابن حبان في صحيحه (٧٤٢١) والطبراني في الكبير (١٣/ ٦١) وغيرهم من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.
* فيه مَعْرُوفُ بْنُ سُوَيْدٍ الْجُذَامِيُّ: لم يرو فيه جرح ولا تعديل، وروىٰ عنه جمع من الثقات،
- وتابعه عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ - وهو ثقة - كما عند ابن منده في التوحيد (٢٠١).
- وتابعه ابن لهيعة كما عند أحمد في مسنده (٦٥٧١).

(٢) صحيح: أخرجه أبو عوانة في مستخرجه (٧٤٧١)، والحاكم في مستدركه (٢٣٨٩)، والبيهقي في الشعب (٣٩٥٥) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

باب فيمن يدخل الجنة بلا حساب ولا سابقة عذاب

عن حُصَيْنٍ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لاَ رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ، فَذَكَرْتُهُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّىٰ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَىٰ الأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**» ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ القَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ، فَقَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» فَقَالَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»[1].

وعن أَبِي أُمَامَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِهِ**»[2].

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**وَهَكَذَا**» وَجَمَعَ كَفَّهُ، قَالَ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**وَهَكَذَا**»، فَقَالَ عُمَرُ حَسْبُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ

---

(١) صحيح البخاري (٥٧٠٥)، وصحيح مسلم (٢١٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٣٧)، وابن ماجه في سننه (٤٢٨٦)، وأحمد في مسنده (٢٢٣٠٣)، وغيرهم من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

أَبُو بَكْرٍ: دَعْنِي يَا عُمَرُ، وَمَا عَلَيْكَ أَنْ يُدْخِلَنَا اللهُ الْجَنَّةَ كُلَّنَا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ اللهَ إِنْ شَاءَ أَدْخَلَ خَلْقَهُ الْجَنَّةَ بِكَفٍّ وَاحِدٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَ عُمَرُ**»[1].

❍ من فقه الباب:

قوله «**السَّوَادُ**»: الشَّخْصُ، وَالْمَالُ الْكَثِيرُ، وَمِنَ الْبَلْدَةِ قُرَاهَا، وَالْعَدَدُ الْكَثِيرُ، وَمِنَ النَّاسِ عَامَّتُهُمْ. تحفة الأحوذي - (ج ٦/ ص ٢٣٨).

قوله «**ولا تيطيرون**»: الْمُرَادُ أَنَّهُمْ لَا يَتَشَاءَمُونَ، كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فتح (١٨/ ٣٨٩).

قَوْله «وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُفَسِّرَةً لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ تَرْكِ الِاسْتِرْقَاءِ وَالِاكْتِوَاءِ وَالطِّيَرَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَامِّ بَعْدَ الْخَاصِّ لِأَنَّ صِفَةَ كُلِّ وَاحِدَة مِنْهَا صِفَةٌ خَاصَّةٌ مِنَ التَّوَكُّلِ، وَهُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُ: قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ: لَا يَسْتَحِقُّ اسْمُ التَّوَكُّلِ إِلَّا مَنْ لَمْ يُخَالِطْ قَلْبَهُ خَوْفُ غَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ حَتَّىٰ لَوْ هَجَمَ عَلَيْهِ الْأَسَدُ، لَا يَنْزَعِجُ، وَحَتَّىٰ لَا يَسْعَىٰ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، لِكَوْنِ اللهِ ضَمِنَهُ لَهُ، وَأَبَىٰ هَذَا الْجُمْهُورُ، وَقَالُوا: يَحْصُلُ التَّوَكُّلُ بِأَنْ يَثِقَ بِوَعْدِ اللهِ، وَيُوقِنَ بِأَنَّ قَضَاءَهُ وَاقِعٌ، وَلَا يَتْرُكَ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ فِي ابْتِغَاءِ الرِّزْقِ مِمَّا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، مِنْ مَطْعَمٍ وَمُشْرَبٍ وَتَحَرُّزٍ مِنْ عَدُوٍّ بِإِعْدَادِ السِّلَاحِ، وَإِغْلَاقِ الْبَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَمَعَ ذَلِكَ، فَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَىٰ الْأَسْبَابِ بِقَلْبِهِ، بَلْ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا لَا تَجْلِبُ بِذَاتِهَا نَفْعًا، وَلَا تَدْفَعُ ضُرًّا بَل السَّبَبُ وَالْمُسَبَّبُ: فِعْلُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالْكُلُّ بِمَشِيئَتِهِ، فَإِذَا وَقَعَ مِنَ الْمَرْءِ رُكُونٌ إِلَىٰ السَّبَبِ، قَدَحَ فِي تَوَكُّلِهِ. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ فِيهِ عَلَىٰ قِسْمَيْنِ: وَاصِلٌ، وَسَالِكٌ،

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (١٢٦٩٥)، ومعمر بن راشد في جامعه (٢٠٥٥٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٩٠)، وغيرهم من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

فَالْأَوَّلُ: صِفَةُ الْوَاصِلِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ الْأَسْبَابِ وَلَوْ تعَاطَاهَا، وَأَمَّا السَّالِكُ: فَيَقَعُ لَهُ الِالْتِفَاتُ إِلَىٰ السَّبَبِ أَحْيَانًا، إِلَّا أَنَّهُ يَدْفَعُ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ بِالطُّرُقِ الْعِلْمِيَّةِ، وَالْأَذْوَاقِ الْحَالِيَّةِ، إِلَىٰ أَنْ يَرْتَقِيَ إِلَىٰ مَقَامِ الْوَاصِلِ، وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ: التَّوَكُّلُ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ، وَأَمَّا الْحَرَكَةُ الظَّاهِرَةُ فَلَا تُنَافِيهِ إِذَا تَحَقَّقَ الْعَبْدُ أَنَّ الْكُلَّ مِنْ قِبَلِ اللهِ، فَإِنْ تَيَسَّرَ شَيْءٌ، فَبِتَيْسِيرِهِ، وَإِنْ تَعَسَّرَ، فَبِتَقْدِيرِهِ. فتح الباري (١١/ ٤١٠).

بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ أَقْوَامًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ وَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَشَفَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ

عن حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَسَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ قَوْمًا بِالشَّفَاعَةِ**»؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»(١).

وعن عِمْرَان بْن حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ قَوْمًا بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّينَ**»(٢).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَأَمَّا نَاسٌ مِنَ النَّاسِ فَإِنَّ النَّارَ تَأْخُذُهُمْ عَلَىٰ قَدْرِ ذُنُوبِهِمْ فَيَحْتَرِقُونَ فِيهَا فَيَصِيرُونَ فَحْمًا، ثُمَّ يَأْذَنُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ ضَبَائِرَ فَيُبَثُّونَ أَوْ يُنْثَرُونَ عَلَىٰ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ فَيُؤْمَرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَيُفِيضُونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ، فَتَنْبُتُ لُحُومُهُمْ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١) من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا موقوفًا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٦٦)، وغيره من حديث عِمْرَان بْن حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِرَحْمَتِهِ: انْظُرُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَأُخْرِجُوا، وَقَدْ عَادُوا حِمَمًا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهرٍ يُسَمَّىٰ نَهرَ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْغُثَاءُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَوْ إِلَىٰ جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَأْتِي صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً»[1].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ قَوْمٌ بَعْدَ مَا يُصِيبُهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، يُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّينَ»[2].

وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيُخْرَجَنَّ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ قَدْ مَحَشَتْهُمُ النَّارُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ، يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ»[3].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ يَكُونُ لَهُ الْحَقُّ عَلَىٰ صَاحِبِهِ أَشَدُّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، إِخْوَانُنَا الَّذِينَ كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيُصُومُونَ مَعَنَا وَيَحُجُّونَ؟ أَدخَلُوا النَّارَ؟ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَيُخْرِجُونَهُمْ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَخرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ، حَتَّىٰ يَقُولَ: نِصفُ مِثْقَالٍ حَتَّىٰ يَقُولَ: خَرْدَلَةٌ حَتَّىٰ يَقُولَ: ذَرَّةٌ ثُمَّ يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: شَفَعَتِ الْأَخْيَارُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَقِيَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، ثُمَّ يَقْبِضُ قَبْضَةً أَوْ قَبْضَتَيْنِ مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٥٩)، وغيرهم من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) **صحيح، وإسناده حسن**: أخرجه الطيالسي في مسنده (٤٢٠)، وأحمد في مسنده (٢٣٣٢٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٣٥)، وغيرهم من طريق حَمَّادِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* حماد بن أبي سليمان: مستقيم الحديث فيما رواه عنه شعبة.

(٤) **صحيح**: أخرجه النسائي في سننه (٥٠١٠)، وابن ماجه في سننه (٦٠)، أحمد في مسنده (١١٨٩٨)، =

❍ **من فقه الباب:**

قَالَ الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِجَمِيعِ ذُرِّيَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ بِأَنْ يُخْرَجَ مِنَ النَّارِ كُلُّ مُوَحِّدٍ ثُمَّ يَشْفَعُ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ، ثُمَّ الْمُؤْمِنُونَ فَنَعُوذُ بِاللهِ مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا، لَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا، وَخَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا.

عن مَعْبَدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَنَزِيُّ، قَالَ: انْطَلَقْنَا إِلَىٰ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَتَشَفَّعْنَا بِثَابِتٍ فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي الضُّحَىٰ، فَاسْتَأْذَنَ لَنَا ثَابِتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَأَجْلَسَ ثَابِتًا مَعَهُ عَلَىٰ سَرِيرِهِ، فَقَالَ: لَهُ يَا أَبَا حَمْزَةَ، إِنَّ إِخْوَانَكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تُحَدِّثَهُمْ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ، فَيُؤْتَىٰ مُوسَىٰ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيُؤْتَىٰ عِيسَىٰ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأُوتَىٰ، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ، أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَىٰ رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ،**

= ومعمر بن راشد في جامعه (٢٠٨٥٧)، وغيرهم من طريق زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَىٰ رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»، هَذَا حَدِيثُ أَنَسٍ الَّذِي أَنْبَأَنَا بِهِ، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرِ الْجَبَّانِ، قُلْنَا: لَوْ مِلْنَا إِلَىٰ الْحَسَنِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ فِي دَارِ أَبِي خَلِيفَةَ، قَالَ: فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ، جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَبِي حَمْزَةَ، فَلَمْ نَسْمَعْ مِثْلَ حَدِيثٍ حَدَّثَنَاهُ فِي الشَّفَاعَةِ، قَالَ: هِيَهِ، فَحَدَّثْنَاهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: هِيَهِ قُلْنَا: مَا زَادَنَا، قَالَ: قَدْ حَدَّثَنَا بِهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ، وَلَقَدْ تَرَكَ شَيْئًا مَا أَدْرِي أَنَسِيَ الشَّيْخُ، أَوْ كَرِهَ أَنْ يُحَدِّثَكُمْ، فَتَتَّكِلُوا، قُلْنَا لَهُ: حَدِّثْنَا، فَضَحِكَ وَقَالَ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، مَا ذَكَرْتُ لَكُمْ هَذَا إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ، «ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَىٰ رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ - أَوْ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ - وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي، لَأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، قَالَ: فَأَشْهَدُ عَلَىٰ الْحَسَنِ أَنَّهُ حَدَّثَنَا بِهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أُرَاهُ قَالَ: قَبْلَ عِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ[1].

بَابُ ذِكْرِ شَفَاعَةِ الْعُلَمَاءِ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ: عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣)، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

تِسْعُ خِصَالٍ، يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّىٰ حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ الْفَزَعَ الْأَكْبَرَ، وَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ»[(١)].

وعن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي مِثْلُ أَحَدِ الْحَيَّيْنِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ» قَالَ: وَكَانَ الْمَشْيَخَةُ يَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه[(٢)].

باب الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ وَأَنَّ نَعِيمَ الْجَنَّةِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْ أَهْلِهَا أَبَدًا وَأَنَّ عَذَابَ النَّارِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْ أَهْلِهَا أَبَدًا

قال تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وَقَالَ عز وجل فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ

---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه الترمذي في سننه (١٦٦٣) بلفظ (ست خصال)، وابن ماجه في سننه (٢٧٩٩) بلفظ (ست خصال)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٥٥٩) بلفظ (تسع خصال)، وابن أبي عاصم في الجهاد (٢٠٤) بلفظ (سبع خصال)، وغيرهم من طريق إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ: حَدَّثَنَا بَحِيرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه مرفوعًا.

* فيه إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ الحمصي: صدوق في أهل بلده، مخلط في غيرهم، وبحير بن سعد حمصي.

(٢) حسن: أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٢١٥)، والطبراني في الكبير (٧٦٣٨)، والآجري في الشريعة (٨١٧)، وغيرهم من طريق حَرِيز بْن عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَيْسَرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ رضي الله عنه مرفوعًا.

* فيه عبد الرحمن بن ميسرة، قال أبو داود: شيوخ حريز كلهم ثقات. قلت: هذا عام وربما تنخرم في بعض أفرادها، وقد روىٰ عنه جمع من الثقات، وعليه ربما يحسن حديثه.

أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧]

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ طه ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١١٦- ١٢١] وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ ص لِإِبْلِيسَ ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ [ص: ٧٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ الْجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَىٰ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ عَزَّوَجَلَّ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُجِبَتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُجِبَتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَىٰ النَّارِ وَإِلَىٰ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا**»(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ**»(٢).

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٤٤)، والترمذي في سننه (٢٥٦٠)، والنسائي في سننه (٣٧٦٣)، وغيرهم من طريق مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه محمد بن عمرو بن علقمة: صدوق.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٢٢) وغيره من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»(١).

وعن ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، وَإِلَىٰ النَّارِ أَوْ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءُ»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: مَالِي يَدْخُلُنِي الْمُتَكَبِّرُونَ وَأَصْحَابُ الْأَمْوَالِ؟ وَقَالَتِ: الْجَنَّةُ: مَالِي لَا يَدْخُلُونِي إِلَّا الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ؟ فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْجَنَّةِ: أَنْتَ رَحْمَتِي، أُدْخِلُكِ مَنْ شِئْتُ، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتَ عَذَابِي، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ شِئْتُ، كِلَاكُمَا سَأَمْلَأُ»(٣).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَىٰ مَقْعَدِهِ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّىٰ يَبْعَثَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ، وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ قَالَ: فَيَقُولُونَ ذَلِكَ حَتَّىٰ تَخْرُجَ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ قَالَ: فَيَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ ثُمَّ يُقَالُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: فِي الْإِسْلَامِ قَالَ: فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ قِبَلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَآمَنَّا وَصَدَّقْنَا، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةً مِنْ قِبَلِ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَىٰ مَا وَقَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٧) وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٧)، وغيره من حديث ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

يُفَرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَىٰ زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ»(١).

وعن كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أنه كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**إِنَّمَا نَسَمُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ يُرْجِعَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ**»(٢).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغْ إِخْوَانَنَا عَنَّا: أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ، لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ؟ قَالَ فَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ**: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠]» **الْآيَةَ**(٣).

---

(١) **صحيح، وإسناده حسن**: أخرجه الترمذي في سننه (١٠٧١)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٦٤)، وابن حبان في صحيحه (٣١١٧)، وغيرهم من طريق عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدٌ الْمَقْبُرِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ: صدوق.

- وأخرجه هناد بن السري في الزهد (٣٣٨)، وأبو بكر بن الخلال في السنة (١١٧٦)، والحاكم في مستدركه (١٤٠٣)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٦٧)، وغيرهم من طريق مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه محمد بن عمرو بن علقمة: صدوق.

(٢) **صحيح**: أخرجه النسائي في سننه (٢٠٧٣)، وابن ماجه في سننه (٤٢٧١)، وأحمد في مسنده (١٥٧٧٨)، وغيرهم من طريق ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ أَبَاهُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ كَانَ يُحَدِّثُ...فذكره مرفوعًا.

(٣) **إسناده حسن بهذا اللفظ**: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٩٣٣٢)، وهناد بن السري في الزهد (١٥٥)، وغيرهما من طريق محمد بن فضيل عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

=

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنِ اسْتَجَارَ اللهَ تَعَالَىٰ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ النَّارُ: اللهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ**»(١).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**»(٢).

وعنه قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ يَوْمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ سَمِعْنَا وَجْبَةً فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: هَذَا حَجَرٌ أُرْسِلَ فِي جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا الْآنَ حِينَ انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَعْرِهَا»(٣).

وعنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوقِدُ بَنُو آدَمَ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**» فَقِيلَ: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةٌ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا**»(٤).

= * فيه أبو الزبير المكي: قال ابن أبي حاتم، عن أبيه يقولون: إنه لم يسمع من ابن عباس، قال أبي: رآه رؤية. قلت: وقد صرح بالتحديث ابن إسحاق كما في سيره ابن هشام (٢/ ١١٩).

- وأخرجه ابن أبي عاصم في الجهاد (٥٢)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٢٣٣١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٧٥)، وغيرهم من طريق عبد الله بن إدريس عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

قلت: القول قول عبد الله بن إدريس فهو ثقة فقيه عابد كما قال ابن حجر، وقال الذهبي: أحد الأعلام. أما ابن فضيل فهو صدوق لا بأس به.

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (٢٥٧٢)، والنسائي في سننه (٥٥٢١)، وابن ماجه في سننه (٤٣٤٠)، وغيرهم من طريق بُرَيْدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩) من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٤) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

❍ **من فقه الباب:**

قوله عن الجنة إنها حفت بالمكاره: أَيْ جُعِلَتْ سُبُلُ الْوُصُول إِلَيْهَا الْمَكَارِه وَالشَّدَائِد عَلَىٰ الْأَنْفُس، كَالصَّوْمِ وَالزَّكَاة وَالْجِهَاد، وَلَعَلَّ لِهَذِهِ الْأَعْمَال وُجُودًا مِثَالِيًّا ظَهَرَ بِهَا فِي ذَلِكَ الْعَالَم، وَأَحَاطَتْ بِالْجَنَّة مِنْ كُلّ جَانِب، وَقَدْ جَاءَ الْكِتَاب وَالسُّنَّة بِمِثْلِهِ، وَمِنْ جُمْلَة ذَلِكَ قَوْله تَعَالَىٰ ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ [البقرة: ٣١] أَيْ: الْمُسَمَّيَات عَلَىٰ الْمَلَائِكَة، وَمَعْلُومٌ أَنَّ فِيهَا الْمَعْقُولَات وَالْمَعْدُومَات، وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَم. شرح سنن النسائي - (ج ٥/ ص ٢٨٨).

قوله عن النار إنها حفت بالشهوات: أَيْ أَنَّ الشَّهَوَاتِ جُعِلَتْ عَلَىٰ حِفَافَيْ النَّار، وَهِيَ جَوَانِبُهَا، فَالْأَعْمَىٰ عَنْ التَّقْوَىٰ الَّذِي قَدْ أَخَذَتْ الشَّهَوَاتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، يَرَاهَا وَلَا يَرَىٰ النَّار الَّتِي هِيَ فِيهَا، وَذَلِكَ لِاسْتِيلَاءِ الْجَهَالَةِ وَالْغَفْلَةِ عَلَىٰ قَلْبِهِ، فَهُوَ كَالطَّائِرِ يَرَىٰ الْحَبَّةَ فِي دَاخِلِ الْفَخِّ وَهِيَ مَحْجُوبَةٌ بِهِ، وَلَا يَرَىٰ الْفَخَّ، لِغَلَبَةِ شَهْوَةِ الْحَبَّةِ عَلَىٰ قَلْبِهِ، وَتَعَلُّقِ بَالِهِ بِهَا. فتح الباري (ج ١٨/ ص ٣١٧).

قوله يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ: أَيْ الْعَاجِزُونَ عَنْ طَلَب الدُّنْيَا، وَالتَّمَكُّن فِيهَا، وَالثَّرْوَة وَالشَّوْكَة، وَالْمُرَاد بِهِ أَهْل الْإِيمَان الَّذِينَ لَمْ يَتَفَطَّنُوا لِلشُّبَهِ، وَلَمْ تُوَسْوِس لَهُمْ الشَّيَاطِين بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ أَهْل عَقَائِد صَحِيحَة، وَإِيمَان ثَابِت، وَهُمْ الْجُمْهُور، وَأَمَّا أَهْل الْعِلْم وَالْمَعْرِفَة فَهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ قَلِيل. (فتح) - (ج ٢١/ ص ٢٢).

بَابُ دُخُولِ النَّبِيِّ ﷺ الْجَنَّةَ

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ،**

الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ»(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَرُفِعَ لِي فِيهَا قَصْرٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَظَنَنْتُ أَنِّي أَنَا هُوَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُوَ؟ فَقَالُوا: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ»(٢).

وعن بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيُّ قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «إِنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ الْبَارِحَةَ، فَرَأَيْتُ فِيهَا قَصْرًا مُرَبَّعًا مِنْ ذَهَبٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقِيلَ: لِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ، فَقُلْتُ: فَأَنَا مِنَ الْعَرَبِ، فَلِمَنْ هُوَ؟ فَقِيلَ: لِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقُلْتُ: فَأَنَا مُحَمَّدٌ، فَلِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقِيلَ: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَلَوْلا غَيْرَتُكَ يَا عُمَرُ لَدَخَلْتُ الْقَصْرَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كُنْتُ لِأَغَارَ عَلَيْكَ»(٣).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ شَوْهَاءَ يَعْنِي: حَسْنَاءَ إِلَىٰ جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَىٰ عُمَرُ فَقَالَ: بِأَبِي وَأُمِّي، أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨١)، وغيره من حديث أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (٣٦٨٨)، وأحمد في مسنده (١٢٠٤٦)، وابن حبان في صحيحه (٥٤)، والطبراني في الأوسط (٩٠٠٥) من طريق حميد عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه حميد الطويل: يدلس عن أنس، وفي هذا الحديث لم يصرح بالتحديث، ولكنه توبع من قتادة وهو مدلس أيضًا لكنه صرح بالتحديث، وأبي عمران الجوني، وهذا الحديث متفق عليه من حديث جابر وأبي هريرة.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (٣٦٨٩)، وأحمد في مسنده (٢٢٩٩٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٩٩٤)، وغيرهم من طريق عَبْد اللهِ بْن بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٤٢)، ومسلم (٢٣٩٥) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»(١).

بَابُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدًا وَأَنَّ أَهْلَ النَّارِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدًا

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] الْآيَةَ.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠-٢١].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٠] الْآيَةَ.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْحِجْرِ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٧-٤٨].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧)، وغيره من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ.

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ لَمْ يَكُنْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [البينة: ٧-٨] إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.

وقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥١-٥٦].

وقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٨-١٦٩].

وقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤] إِلَىٰ أَخِرِ الْآيَةِ.

وقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

وقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية: ٣١ - ٣٥].

وقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٤] الْآيَةَ.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، تَعْرِفُونَ هَذَا: فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ هَذَا الْمَوْتُ، وَيُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ تَعْرِفُونَ هَذَا: فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ هَذَا الْمَوْتُ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ»** ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩][1].

باب الإيمان بأن مَراتِب النَّاسِ فِي الجَنَّةِ وَالنَّار بحَسَبِ أعمَالِهِم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ١٨-٢٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ

---

(١) البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٢-٤٣].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٢-٧٣].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ٦٣].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨-١٩].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٣٧-٤٢].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم: ٣٦-٤١].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الانشقاق: ٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٩].

وعن رَبِيعَة بْن كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «**سَلْ**» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: «**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ**» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «**فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩)، وغيره من حديث رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه مرفوعًا.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَفِي حَدِيثِ بَكْرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟**» قَالُوا: لَا يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «**فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا**»[1].

وعَنْ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ السُّلَمِيِّ قَالَ: آخَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقُتِلَ أَحَدُهُمَا، وَمَاتَ الْآخَرُ بَعْدَهُ بِجُمُعَةٍ، أَوْ نَحْوِهَا، فَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا قُلْتُمْ؟**» فَقُلْنَا: دَعَوْنَا لَهُ، وَقُلْنَا: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَأَلْحِقْهُ بِصَاحِبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَأَيْنَ صَلَاتُهُ بَعْدَ صَلَاتِهِ، وَصَوْمُهُ بَعْدَ صَوْمِهِ؟** - شَكَّ شُعْبَةُ فِي صَوْمِهِ- **وَعَمَلُهُ بَعْدَ عَمَلِهِ، إِنَّ بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**»[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَىٰ أَحَدٍ يُدْعَىٰ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَىٰ أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**»[3].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٢٤)، والنسائي في سننه (١٩٨٥)، وأحمد في مسنده (١٦٠٧٤)، وغيرهم من حديث عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.

الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «**بَلَىٰ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**»(١).

وعن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللهِ الْمَنْزِلَةُ، فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ فَمَا يَزَالُ اللهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ، حَتَّىٰ يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا**»(٢).

وعَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**»(٣).

❍ من فقه الباب:

قوله في الحديث «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ»: فِيهِ إِشَارَة إِلَىٰ أَنَّ الْمُرَادَ مَا يُتَطَوَّع بِهِ مِنْ الْأَعْمَال الْمَذْكُورَة، لَا وَاجِبَاتهَا لِكَثْرَةِ مَنْ يَجْتَمِع لَهُ الْعَمَل بِالْوَاجِبَاتِ كُلِّهَا، بِخِلَافِ التَّطَوُّعَات، فَقَلَّ مَنْ يَجْتَمِع لَهُ الْعَمَل بِجَمِيعِ أَنْوَاع التَّطَوُّعَات، ثُمَّ مَنْ يَجْتَمِعُ لَهُ ذَلِكَ إِنَّمَا، يُدْعَىٰ مِنْ جَمِيع الْأَبْوَاب عَلَىٰ سَبِيل التَّكْرِيم لَهُ، وَإِلَّا فَدُخُولُهُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ بَابٍ وَاحِد، وَلَعَلَّهُ بَابُ الْعَمَلِ الَّذِي يَكُون أَغْلَبُ عَلَيْهِ وَاللهُ أَعْلَمُ، وَأَمَّا مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِم عَنْ عُمَر «**مَنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ أَشْهَد أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ**.. الْحَدِيث، وَفِيهِ: **فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَاب الْجَنَّة يَدْخُل مِنْ أَيّهَا شَاءَ**»(٤)، فَلَا يُنَافِي مَا تَقَدَّمَ، وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُه أَنَّهُ يُعَارِضُهُ، لِأَنَّهُ يُحْمَلُ عَلَىٰ أَنَّهَا تُفْتَحُ لَهُ عَلَىٰ سَبِيلِ

---

(١) البخاري (٣٢٥٦) ومسلم (٢٨٣١) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) حسن: أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده (٦٠٩٥)، وابن حبان في صحيحه (٢٩٠٨)، والحاكم في مستدركه (١٢٧٤)، وغيرهم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.

* فيه يونس بن بكير: لا بأس به كما قال ابن حجر رحمه الله.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٤).

التَّكْرِيم، ثُمَّ عِنْدَ دُخُولِه لَا يَدْخُلُ إِلَّا مِنْ بَابِ الْعَمَل الَّذِي يَكُونُ أَغْلَبُ عَلَيْهِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَاللهُ أَعْلَمُ. فتح الباري (ج١٠ص٤٦٤).

قوله في الحديث «**مَا عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ ضَرُورَةٍ مِنْ أَيِّهَا دُعِيَ**»: لَيْسَ ضَرُورَةً وَاحْتِيَاجًا عَلَىٰ مَنْ دُعِيَ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ إِنْ لَمْ يُدْعَ مِنْ سَائِرِهَا لِحُصُولِ الْمَقْصُودِ، وَهُوَ دُخُولُ الْجَنَّةِ، وَهَذَا النَّوْعُ تَمْهِيدُ قَاعِدَةِ السُّؤَالِ فِي قَوْلِهِ: «فَهَلْ يُدْعَىٰ أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟»، أَيْ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِي بِأَنْ لَا ضَرُورَةَ وَلَا اِحْتِيَاجَ لِمَنْ يُدْعَ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ إِلَىٰ الدُّعَاءِ مِنْ سَائِرِ الْأَبْوَابِ، إِذْ يَحْصُلُ مُرَادُهُ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ. تحفة (٩/ ٨٥).

قَوْله فِي الحديث: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله**» فِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ اِشْتِرَاطِ النُّطْقِ بِالتَّوْحِيدِ، فَإِنْ قِيلَ: فَكَيْف لَمْ يَذْكُر الرِّسَالَة؟

فَالْجَوَاب: أَنَّ الْمُرَادَ: الْمَجْمُوع، وَصَارَ الْجُزْءُ الْأَوَّل عَلَمًا عَلَيْهِ، كَمَا تَقُول: قَرَأْتُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، أَيْ: السُّورَةَ كُلَّهَا. فتح (١/ ٧٠).

قَوْله فِي الحديث «مِنْ خَيْر» قَدْ جَاءَ فِي بَعْض الرِّوَايَات «مِنْ إِيمَان» أَيْ: لَا يَقُولُ بِمُجَرَّدِ النِّفَاق، بَلْ رَجُلٌ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنْ إِيمَانٍ. حاشية السندي علىٰ ابن ماجه (ج ٨/ ص ١٦٤).

معنىٰ **البُرَّة**: الْقَمْحَة. (فتح – ح٤٤).

المراد بالذَّرَّة: أَقَلُّ الْأَشْيَاءِ الْمَوْزُونَة. وَقِيلَ: هِيَ الْهَبَاءُ الَّذِي يَظْهَرُ فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ مِثْلَ رُءُوسِ الْإِبَر. وَقِيلَ: هِيَ النَّمْلَة الصَّغِيرَة.

باب وجوب الإيمان بالقدر

قال تعالىٰ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال تعالىٰ ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠].

وقال تعالىٰ ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١٢].

قال تعالىٰ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلىٰ: ١-٣].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ**»(١).

وعَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: لَهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، قَالَ: «**لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ**»، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ(٢).

وعن مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَهُوَ يَخْطُبُ يَقُولُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللهُ**»(٣).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا**

---

(١) **حسن**: أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٤٩٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٤٦)، والفريابي في القدر (٢٠٠)، وغيرهم من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٤٦٩٩)، وابن ماجه في سننه (٧٧)، وأحمد في مسنده (٢١٥٨٩)، وغيرهم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) وغيرهما من حديث مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه.

إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ جَنَازَةٍ، فَقَالَ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا، وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيرِنَا، وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، اللهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَىٰ الْإِيمَانِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، اللهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ**»(٢).

وفي حديث جبريل المشهور فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(٣).

❍ من فقه الباب:

قَالَ الآجري رَحِمَهُ اللهُ: فَإِنَّ سَائِلًا سَأَلَ عَنْ مَذْهَبِنَا فِي الْقَدَرِ؟ فَالْجَوَابُ فِي ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نُخْبِرَهُ بِمَذْهَبِنَا أَنَّا نَنْصَحُ لِلسَّائِلِ، وَنُعَلِّمُهُ أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ بِالْمُسْلِمِينَ التَّنْقِيرُ وَالْبَحْثُ عَنِ الْقَدَرِ؛ لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنْ سِرِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، بَل الْإِيمَانُ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَاجِبٌ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، ثُمَّ لَا يَأْمَنُ الْعَبْدُ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْقَدَرِ فَيُكَذِّبُ بِمَقَادِيرِ اللهِ الْجَارِيَةِ عَلَىٰ الْعِبَادِ، فَيَضِلُّ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ.... وَلَوْلَا أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لَمَّا بَلَغَهُمْ عَنْ قَوْمٍ ضُلَّالٍ شَرَدُوا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَكَذَّبُوا بِالْقَدَرِ، فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ، وَسَبُّوهُمْ وَكَفَّرُوهُمْ، وَكَذَلِكَ التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ سَبُّوا مَنْ تَكَلَّمَ بِالْقَدَرِ وَكَذَّبَ بِهِ وَلَعَنُوهُمْ وَنَهَوْا عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ، وَكَذَلِكَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ مُجَالَسَةِ الْقَدَرِيَّةِ وَعَنْ مُنَاظَرَتِهِمْ وَبَيَّنُوا لِلْمُسْلِمِينَ قَبِيحَ مَذَاهِبِهِمْ فَلَوْلَا أَنَّ هَؤُلَاءِ رَدُّوا عَلَىٰ الْقَدَرِيَّةِ لَمْ يَسَعْ مَنْ بَعْدَهُمُ الْكَلَامُ عَلَىٰ الْقَدَرِ،

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٢٧١٧) من حديث ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٣٢٠١)، وابن ماجه في سننه (١٤٩٨)، والنسائي في الكبرىٰ (١٠٨٥٢) من طريق أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) سبق تخريجه (ص٢٠٢).

بَلِ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَاجِبٌ قَضَاءٌ وَقَدَرٌ، وَمَا قُدِّرَ يَكُنْ، وَمَا لَمْ يَقَدَّرْ لَمْ يَكُنْ، فَإِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ بِطَاعَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، عَلِمَ أَنَّهَا بِتَوْفِيقِ اللهِ لَهُ فَيَشْكُرُهُ عَلَىٰ ذَاكَ وَإِنْ عَمِلَ بِمَعْصِيَتِهِ نَدِمَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَعَلِمَ أَنَّهَا بِمَقْدُورٍ جَرَىٰ عَلَيْهِ، فَذَمَّ نَفْسَهُ وَاسْتَغْفَرَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، هَذَا مَذْهَبُ الْمُسْلِمِينَ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ حُجَّةٌ، بَلْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ عَلَىٰ خَلْقِهِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩] ثُمَّ اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ مَذْهَبَنَا فِي الْقَدَرِ أَنَّ الْقَدَرَ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ النَّارَ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَهْلًا، وَأُقْسِمُ بِعِزَّتِهِ أَنَّهُ يملأ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ هُوَ خَالِقُهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ جَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ فَرِيقًا فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقًا فِي السَّعِيرِ وَخَلَقَ إِبْلِيسَ، وَأَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْجُدُ لِلْمَقْدُورِ، الَّذِي قَدْ جَرَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الشِّقْوَةِ الَّتِي قَدْ سَبَقَتْ فِي الْعِلْمِ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، لَا مُعَارِضَ لِلَّهِ الْكَرِيمِ فِي حُكْمِهِ، يَفْعَلُ فِي خَلْقِهِ مَا يُرِيدُ عَدْلًا مِنْ رَبِّنَا قَضَاؤُهُ وَقَدَرُهُ، وَخَلَقَ آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، لِلْأَرْضِ خَلَقَهُمَا، وَأَسْكَنَهُمَا الْجَنَّةَ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَأْكُلَا مِنْهَا رَغَدًا مَا شَاءَا، وَنَهَاهُمَا عَنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ أَنْ لَا يَقْرَبَاهَا، وَقَدْ جَرَىٰ مَقْدُورُهُ أَنَّهُمَا سَيَعْصِيَانِهِ بِأَكْلِهِمَا مِنَ الشَّجَرَةِ، فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الظَّاهِرِ يَنْهَاهُمَا، وَفِي الْبَاطِنِ مِنْ عِلْمِهِ: قَدْ قَدَّرَ عَلَيْهِمَا أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ مِنْهَا: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] لَمْ يَكُنْ لَهُمَا بُدٌّ مِنْ أَكْلِهِمَا، سَبَبًا لِلْمَعْصِيَةِ، وَسَبَبًا لِخُرُوجِهِمَا مِنَ الْجَنَّةِ، إِذْ كَانَا لِلْأَرْضِ خُلِقَا، وَأَنَّهُ سَيَغْفِرُ لَهُمَا بَعْدَ الْمَعْصِيَةِ، كُلُّ ذَلِكَ سَابِقٌ فِي عِلْمِهِ، لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ يَحْدُثُ فِي جَمِيعِ خَلْقِهِ، إِلَّا وَقَدْ جَرَىٰ مَقْدُورُهُ بِهِ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا قَبْلَ كَوْنِهِ أَنَّهُ سَيَكُونُ خَلَقَ الْخَلْقَ كَمَا شَاءَ لَمَّا شَاءَ، فَجَعَلَهُمْ شَقِيًّا وَسَعِيدًا قَبْلَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ إِلَىٰ الدُّنْيَا، وَهُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَكَتَبَ آجَالَهُمْ، وَكَتَبَ أَرْزَاقَهُمْ، وَكَتَبَ أَعْمَالَهُمْ، ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ إِلَىٰ الدُّنْيَا، وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَسْعَىٰ فِيمَا كَتَبَ لَهُ وَعَلَيْهِ، ثُمَّ

بَعَثَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ وَحْيَهُ، وَأَمَرَهُمْ بِالْبَلَاغِ لِخَلْقِهِ، فَبَلَّغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، وَنَصَحُوا قَوْمَهُمْ، فَمَنْ جَرَىٰ فِي مَقْدُورِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُؤْمِنَ آمَنَ، وَمَنْ جَرَىٰ فِي مَقْدُورِهِ أَنْ يَكْفُرَ كَفَرَ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢] أَحَبَّ مَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ، فَشَرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَمَقَتَ آخَرِينَ، فَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ لَهُ يَفْعَلُ فِي خَلْقِهِ مَا يُرِيدُ، غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، جَلَّ ذِكْرُهُ أَنْ يُنْسَبَ رَبُّنَا إِلَىٰ الظُّلْمِ مَنْ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ بِمِلْكٍ، وَأَمَّا رَبُّنَا تَعَالَىٰ فَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ، وَلَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، جَلَّ ذِكْرُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، أَحَبَّ الطَّاعَةَ مِنْ عِبَادِهِ وَأَمَرَ بِهَا، فَجَرَتْ مِمَّنْ أَطَاعَهُ بِتَوْفِيقِهِ لَهُمْ، وَنَهَىٰ عَنِ الْمَعَاصِي، وَأَرَادَ كَوْنَهَا مِنْ غَيْرِ مَحَبَّةٍ مِنْهُ لَهَا، وَلَا لِلْأَمْرِ بِهَا، تَعَالَىٰ عَزَّوَجَلَّ عَنْ أَنْ يَأْمُرَ بِالْفَحْشَاءِ، أَوْ يُحِبَّهَا وَجَلَّ رَبُّنَا وَعَزَّ مِنْ أَنْ يَجْرِي فِي مُلْكِهِ مَا لَمْ يُرِدْ أَنْ يَجْرِيَ، أَوْ شَيْءٌ لَمْ يَحُطْ بِهِ عِلْمُهُ قَبْلَ كَوْنِهِ، قَدْ عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَبَعْدَ أَنْ خَلَقَهُمْ، قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا قَضَاءً وَقَدَرًا قَدْ جَرَىٰ الْقَلَمُ بِأَمْرِهِ تَعَالَىٰ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ بِمَا يَكُونُ، مِنْ بِرٍّ أَوْ فُجُورٍ، يُثْنِي عَلَىٰ مَنْ عَمِلَ بِطَاعَتِهِ مِنْ عَبِيدِهِ، وَيُضِيفُ الْعَمَلَ إِلَىٰ الْعِبَادِ، وَيَعِدُهُمْ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ الْعَظِيمَ، وَلَوْلَا تَوْفِيقُهُ لَهُمْ مَا عَمِلُوا بِمَا اسْتَوْجَبُوا بِهِ مِنْهُ الْجَزَاءُ، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، وَكَذَا ذَمَّ قَوْمًا عَمِلُوا بِمَعْصِيَتِهِ، وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِهَا وَأَضَافَ الْعَمَلَ إِلَيْهِمْ بِمَا عَمِلُوا، وَذَلِكَ بِمَقْدُورٍ جَرَىٰ عَلَيْهِمْ، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ. هَذَا مَذْهَبُنَا فِي الْقَدَرِ الَّذِي سَأَلَ عَنْهُ السَّائِلُ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا الْحُجَّةُ فِيمَا قُلْتَ؟ قِيلَ لَهُ: كِتَابُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ، وَسُنَّةُ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَقَوْلُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

بَابُ الإيمان بأن اللهُ تَعَالَى يَخْتِمُ عَلَى قُلُوبِ مَنْ أَرادَ مِنْ عِبادِهِ

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦-٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَاۚ﴾ [الأنعام: ٢٥] **الْآيَةَ**.

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦] **إِلَىٰ قَوْلِهِ** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [النحل: ١٠٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ

وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦] الْآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ [الكهف: ٥٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [الشعراء: ١٩٨-٢٠١]

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ يس: ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يس: ٧-١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي حم الْجَاثِيَةِ: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [محمد: ١٦].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣].

○ من فقه الباب:

قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ تدل الْعُقَلَاءَ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِ قَوْمٍ، وَطَبَعَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُرِدْهَا لِعِبَادَتِهِ، وَأَرَادَهَا لِمَعْصِيَتِهِ، فَأَعْمَاهَا عَنِ الْحَقِّ فَلَمْ تُبْصِرْهُ، وَأَصَمَّهَا عَنِ الْحَقِّ فَلَمْ تَسْمَعْهُ، وَأَخْزَاهَا وَلَمْ يُطَهِّرْهَا، يَفْعَلُ بِخَلْقِهِ مَا يُرِيدُ لَا يَجُوزُ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: لِمَ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ؟ فَمَنْ قَالَ ذَلِكَ، فَقَدْ

عَارَضَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فِي فِعْلِهِ، فَضَلَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، ثُمَّ اختص مِنْ عِبَادِهِ مَنْ أَحَبَّ، فَشَرَحَ قُلُوبَهُمْ لِلْإِيمَانِ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧-٨]: اعْقِلُوا يَا مُسْلِمِيْنَ مَا يُخَاطِبُكُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ يُعَلِّمُكُمْ أَنِّي مَالِكُ لِلْعِبَادِ، أَخْتَصُّ مِنْهُمْ مَنْ أُرِيدُ، فَأُطَهِّرُ قَلْبَهُ، وَأَشْرَحُ صَدْرَهُ، وَأُزَيِّنُ لَهُ طَاعَتِي، وَأُكَرِّهُ إِلَيْهِ مَعْصِيَتِي، لَا لِيَدٍ تَقَدَّمَتْ مِنْهُ إِلَيَّ، أَنَا الْغَنِيُّ عَنْ عِبَادِي، وَهُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَيَّ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١] وَالْمِنَّةُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ مَنْ هَدَاهُ لِلْإِيمَانِ، أَلَمْ تَسْمَعُوا رَحِمَكُمُ اللهُ إِلَىٰ قَوْلِ مَوْلَاكُمُ الْكَرِيمِ حِينَ امْتَنَّ قَوْمٌ بِإِسْلَامِهِمْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

بَابُ الإيمان بأن اللّٰه عَزَّوَجَلَّ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يَهْدُونَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللّٰهِ أَنَّهُ يَهْدِيهِ

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٨٨].

وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٣]

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرعد: ٣١].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [النحل: ٣٦-٣٧].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الإسراء: ٩٧].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٣-١٤].

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٦].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ النُّورِ: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥] ثُمَّ قَالَ ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩].

وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ السُّورَةِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٦-٣٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ حم الْمُؤْمِنُ: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١].

❍ من فقه الباب:

قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعْلَمُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ مَوْلَاكُمُ الْكَرِيمَ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، فَيُوَصِّلُ إِلَىٰ قَلْبِهِ مَحَبَّةَ الْإِيمَانِ، فَيُؤْمِنُ وَيُصَدِّقُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، فَلَا يَقْدِرُ نَبِيٌّ وَلَا غَيْرُهُ عَلَىٰ هِدَايَتِهِ بَعْدَ أَنْ أَضَلَّهُ اللهُ عَنِ الْإِيمَانِ.

بَابُ الإيمان بأن اللهُ تَعَالَى أَرسَلَ الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُضِلُّونَهُمْ وأنهم لا يَضُرُّونَ أَحدًا إِلَّا بإذْنِ اللهِ

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ وَالصَّافَاتِ: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦١-١٦٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الزُّخْرُفِ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧].

❍ من فقه الباب:

قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: قَدْ أَخْبَرَكُمُ اللهُ تَعَالَىٰ يَا مُسْلِمُونَ أَنَّهُ يُرْسِلُ الشَّيَاطِينَ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَجْرِ لَهُ فِي مَقْدُورِهِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَيُضِلُّهُمْ بِالشَّيَاطِينِ، فَيُزَيِّنُونَ لَهُمْ قَبِيحَ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي فَتَنَ قَوْمَ مُوسَىٰ، حَتَّىٰ عَبَدُوا الْعِجْلَ بِمَا قَبَضَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ، فَأَضَلَّهُمْ بِمَا عَمِلَ لَهُمْ مِنَ الْعِجْلِ، أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَىٰ قَوْلِهِ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥] وَقَالَ تَعَالَىٰ: فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] وَقَالَ تَعَالَىٰ: فِي سُورَةِ حم الْمُؤْمِنُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ﴾ [غافر: ٣٧].

بَابُ الإيمان بأن مَشِيئَةَ الْخَلْقِ تَبَعٌ لِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾

وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٦-١٠٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ النُّورِ: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

وَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي سُورَةِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٢-٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ حم عسق: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ﴾ [الشورى: ٨].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٤-٥٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠-٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»(١).

وعن النَّوَّاسُ بْنُ سَمْعَانَ الْكِلَابِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ**»(٢).

○ من فقه الباب:

قَالَ الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: ومَا قاله الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ خِلَافَ مَا قَالَتْهُ الْقَدَرِيَّةُ: قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ لَمَّا قَالُوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٢-٣٤] وَقَالَ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨-٨٩] الْآيَةَ وَقَالَ شُعَيْبٌ أَيْضًا لِقَوْمِهِ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] وَقَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (٢١٤٠)، وأحمد في مسنده (١٢١٠٧) من طريق الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه في سننه (١٩٩)، وأحمد في مسنده (١٧٦٣٠)، والنسائي في الكبرىٰ (٧٦٩١) من حديث النَّوَّاس بْن سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤] وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وَقَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا دَعَا عَلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٨٨ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا﴾ [يونس: ٨٨-٨٩] وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيمَا أَخْبَرَ عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾ [إبراهيم: ٢١]. فَقَدْ أَقَرَّ أَهْلُ النَّارِ أَنَّ الْهِدَايَةَ مِنَ اللهِ لَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ. اعْتَبِرُوا رَحِمَكُمُ اللهُ قَوْلَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَقَوْلَ أَهْلِ النَّارِ، كُلُّ ذَلِكَ حُجَّةٌ عَلَىٰ الْقَدَرِيَّةِ، وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ رُسُلَهُ، وَأَمَرَهُمْ بِالْبَلَاغِ، حُجَّةً عَلَىٰ مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ إِلَّا مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ الْهِدَايَةُ، وَمَنْ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ مِنَ اللهِ الْهِدَايَةُ، وَفِي مَقْدُورِهِ أَنَّهُ شَقِيٌّ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ يُجِبْهُمْ، وَثَبَتَ عَلَىٰ كُفْرِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكُمُ اللهُ تَعَالَىٰ يَا مُسْلِمُونَ بِذَلِكَ، نَعَمْ، وَقَدْ حَرَصَ نَبِيُّنَا ﷺ، وَالْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِهِ، عَلَىٰ هِدَايَةِ أُمَمِهِمْ، فَمَا يَقَعُ حِرْصُهُمْ، إِذَا كَانَ فِي مَقْدُورِ اللهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: بَيِّنْ لَنَا هَذَا الْفَصْلَ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَإِنَّا نَحْتَاجُ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ، قِيلَ لَهُ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦] ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [النحل: ٣٧] ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ، وَقَدْ أَحَبَّ هِدَايَةَ بَعْضِ مَنْ يُحِبُّهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] وَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَيْضًا: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ

فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]. هَذَا بَيَّنَ لَكُمُ الرَّبُّ تَعَالَىٰ بِهِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ إِنَّمَا بُعِثُوا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَحُجَّةً عَلَىٰ الْخَلْقِ، فَمَنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ الْإِيمَانَ آمَنَ، وَمَنْ لَمْ يَشَأْ لَهُ الْإِيمَانَ لَمْ يُؤْمِنْ، قَدْ فَرَغَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، قَدْ كَتَبَ الطَّاعَةَ لِقَوْمٍ، وَكَتَبَ الْمَعْصِيَةَ عَلَىٰ قَوْمٍ، وَيَرْحَمُ أَقْوَامًا بَعْدَ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَيَتُوبُ عَلَيْهِمْ، وَقَوْمٌ لَا يَرْحَمُهُمْ، وَلَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. قَدْ ذَكَرْنَا الْحُجَّةَ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ فِيمَا ابْتَدَأْنَا بِذِكْرِهِ مِنْ أَمْرِ الْقَدَرِ،... لَقَدْ شَقِيَ مَنْ خَالَفَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ، وَهُمُ الْقَدَرِيَّةُ. وَيُقَالُ لِمَنْ خَالَفَ هَذَا الْمَذْهَبَ الَّذِي بَيَّنَّاهُ فِي إِثْبَاتِ الْقَدَرِ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ: اعْلَمْ يَا شَقِيُّ أَنَّا لَسْنَا أَصْحَابَ كَلَامٍ، وَالْكَلَامُ عَلَىٰ غَيْرِ أَصْلٍ لَا تَثْبُتُ بِهِ حُجَّةٌ، وَحُجَّتُنَا كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ وَسُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ ذَكَرْنَا مَا حَضَرَنَا ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] فَقَدْ بَيَّنَ ﷺ لِأُمَّتِهِ مَا فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ، مِنْ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ، وَلَمْ يَدَعْهُمْ سُدًىٰ لَا يَعْلَمُونَ، بَلْ بَيَّنَ لَهُمْ شَرَائِعَ دِينِهِمْ، فَكَانَ مِمَّا بَيَّنَهُ لَهُمْ: إِثْبَاتُ الْقَدَرِ عَلَىٰ نَحْوِ مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ، وَهِيَ سُنَنٌ كَثِيرَةٌ لَا تَخْفَىٰ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا، وَلَا يُنْكِرُهَا عَالِمٌ، بَلْ إِذَا نَظَرَ فِيهَا الْعَالِمُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ زَادَتْهُ إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا، وَإِذَا نَظَرَ فِيهَا جَاهِلٌ بِالْعِلْمِ، أَوْ بَعْضُ مَنْ قَدْ سَمِعَ مِنْ قَدَرِيٍّ جَاهِلٍ بِكِتَابِ اللهِ ﷻ، وَسُنَنِ رَسُولِهِ ﷺ، وَسُنَنِ أَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَائِرِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ﵃، فَإِنْ أَرَادَ اللهُ ﷻ بِهِ خَيْرًا كَانَ سَمَاعُهُ لَهَا سَبَبًا لِرُجُوعِهِ عَنْ بَاطِلِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَىٰ فَأَبْعَدَهُ اللهُ وَأَسْحَقَهُ.

بَابُ الإيمان بأنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ خَلْقَهُ مَنْ شَاءَ خَلَقَهُ لِلْجَنَّةِ وَمَنْ شَاءَ خَلَقَهُ لِلنَّارِ، فِي عِلْمٍ قَدْ سَبَقَ

عن أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﵁: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَعْمَلُ فِي

شَيْءٍ نَأْتَنِفُهُ، أَوْ فِي شَيْءٍ فُرِغَ مِنْهُ؟ قَالَ: «**بَلْ فِي شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ**» قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: «**يَا عُمَرُ، لَا يُدْرَكُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَمَلِ**» قَالَ: إِذًا نَجْتَهِدُ يَا رَسُولَ اللهِ(١).

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي جِنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ قَالَ: فَأَتَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ رَأْسَهُ، وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَقَالَ: «**اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَمُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَمُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠](٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَىٰ: «**هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَىٰ آخِرِهِمْ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ**

---

(١) **صحيح**: أخرجه الآجري في الشريعة (٣٢٥) من طريق هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه هشام بن عمار: صدوق ربما تلقن.

- وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (١٣٥٣)، وابن وهب في القدر (١٩) عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

* فيه أسامة بن زيد الليثي: صدوق.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٤٩) ومسلم (٢٦٤٧) وغيرهما من حديث عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أَبَدًا، وَقَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ: هَذَا كِتَابُ أَهْلِ النَّارِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَىٰ آخِرِهِمْ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُمْ أَبَدًا»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَ قَدْ فَرَغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ» ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ فَنَبَذَهَا ثُمَّ قَالَ: «قَدْ فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِبَادِ، ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]»(١).

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَامَ سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ أَعْمَالِنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا السَّاعَةَ: أَشَيْءٌ ثَبَتَ بِهِ الْكِتَابُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ أَمْ شَيْءٌ نَسْتَأْنِفُهُ؟ قَالَ: «لَا بَلْ شَيْءٌ ثَبَتَ بِهِ الْكِتَابُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ»(٢).

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعُلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»(٣).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، وَأَلْقَىٰ عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَىٰ بِهِ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ» قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: وَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ(٤).

وعَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ، أَرَأَيْتَ مَا

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (٢١٤١)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٤٠٩)، وأحمد في مسنده (٦٥٦٣)، وغيرهم من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

* فيه أبو قبيل: الراجح أنه ثقة، وثقه أحمد، وأبو زرعة، ويحيىٰ بن معين، وغيرهم.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٤٨)، وغيره طريق جَابِرٍ عن سراقة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) البخاري (٦٥٩٦)، ومسلم (٢٦٤٩) من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (٢٦٤٢)، وأحمد في مسنده (٦٦٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٤١)، وغيرهم من حديث عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَىٰ عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَىٰ عَلَيْهِمْ، قَالَ فَقَالَ: أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا؟ قَالَ: فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللهِ وَمِلْكُ يَدِهِ، فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، فَقَالَ لِي: يَرْحَمُكَ اللهُ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزِرَ عَقْلَكَ، إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَىٰ فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: **«لَا، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَىٰ فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا»**[1].

○ **من فقه الباب:**

فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ كُلِّهَا دَلَالَاتٌ ظَاهِرَةٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي إِثْبَاتِ الْقَدَرِ، وَأَنَّ جَمِيعَ الْوَاقِعَاتِ بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقَدَرِهِ؛ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، وَنَفْعِهَا وَضَرِّهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] فَهُوَ مُلْكُ للهِ تَعَالَىٰ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَلَا اعْتِرَاضَ عَلَىٰ الْمَالِكِ فِي مُلْكِهِ، وَلِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا عِلَّةَ لِأَفْعَالِهِ. قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيُّ: سَبِيلُ مَعْرِفَةِ هَذَا الْبَابِ: التَّوْقِيفُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، دُونَ مَحْضِ الْقِيَاسِ، وَمُجَرَّدِ الْعُقُولِ، فَمَنْ عَدَلَ عَنِ التَّوْقِيفِ فِيهِ ضَلَّ، وَتَاهَ فِي بِحَارِ الْحَيْرَةِ، وَلَمْ يَبْلُغْ شِفَاءَ النَّفْسِ، وَلَا يَصِلُ إِلَىٰ مَا يَطْمَئِنُّ بِهِ الْقَلْبُ؛ لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّتِي ضُرِبَتْ مِنْ دُونِهَا الْأَسْتَارُ، وَاخْتَصَّ اللهُ بِهِ وَحَجَبَهُ عَنْ عُقُولِ الْخَلْقِ وَمَعَارِفِهِمْ؛ لِمَا عَلِمَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ، وَوَاجِبُنَا أَنْ نَقِفَ حَيْثُ حَدَّ لَنَا، وَلَا نَتَجَاوَزَهُ، وَقَدْ طَوَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عِلْمَ الْقَدَرِ عَنِ الْعَالَمِ، فَلَمْ يَعْلَمْهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ. وَقِيلَ: إِنَّ سِرَّ الْقَدَرِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٠) وغيره من حديث عِمْرَان بْن الْحُصَيْنِ رضي الله عنه مرفوعًا.

يَنْكَشِفُ لَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ، وَلَا يَنْكَشِفُ قَبْل دُخُولِهَا، وَاللهُ أَعْلَم. وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيث النَّهْيُ عَنْ تَرْكِ الْعَمَلِ وَالِاتِّكَالِ عَلَىٰ مَا سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ، بَلْ تَجِبُ الْأَعْمَالُ وَالتَّكَالِيفُ الَّتِي وَرَدَ الشَّرْع بِهَا، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ غَيْره، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْل السَّعَادَةِ، يَسَّرَهُ الله لِعَمَلِ السَّعَادَة، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْل الشَّقَاوَةِ، يَسَّرَهُ اللهُ لِعَمَلِهِمْ، كَمَا قَالَ: (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَلِلْعُسْرَىٰ) وَكَمَا صَرَّحَتْ بِهِ هَذِهِ الْأَحَادِيث. شرح النووي (ج ٨/ ص ٤٩٤).

بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللهُ تَعَالَى قَدَّرَ الْمَقَادِيرَ عَلَى الْعِبَادِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ**»(١).

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «**اقْبَلُوا الْبُشْرَىٰ يَا بَنِي تَمِيمٍ**»، قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «**اقْبَلُوا الْبُشْرَىٰ يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ**»، قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ؟ قَالَ: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ**» فَنَادَىٰ مُنَادٍ: ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ابْنَ الْحُصَيْنِ، فَانْطَلَقْتُ، فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ، فَوَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣)، وغيره من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.
(٢) أخرجه البخاري (٣١٩١)، وغيره من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

باب الإيمان أن العزُّ بقَدَر، والذُّلُّ بقَدَر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللهِ مَلأَىٰ لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ، وَبِيَدِهِ المِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**»(١).

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، قَالَ: «**مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَخْفِضَ آخَرِينَ**»(٢).

باب الإيمان أن الأَرْزَاقُ بقَدَر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣].

وعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلًّا مُيَسَّرٌ لِمَا كُتِبَ لَهُ مِنْهَا**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٤) واللفظ له، ومسلم (٩٩٣).

(٢) **حسن**: أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٠٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٠١)، والطبراني في الأوسط (٣١٤٠)، وغيرهم من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه وزير بن صبيح: قال دحيم: ليس بشيء. وقال أبو حاتم: صالح الحديث.

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه في سننه (٢١٤٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٤١٨)، والحاكم في مستدركه (٢١٣٣)، وغيرهم من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ الْعَبْدُ حَتَّىٰ يَبْلُغَهُ آخِرُ رِزْقٍ هُوَ لَهُ، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ: أَخْذِ الْحَلَالِ، وَتَرْكِ الْحَرَامِ**»(١).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَأَىٰ تَمْرَةً عَائِرَةً، فَأَعْطَاهَا سَائِلًا وَقَالَ: «**لَوْ لَمْ تَأْتِهَا لَأَتَتْكَ**»(٢).

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «**سَلُوا اللهَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّىٰ الشِّسْعَ؛ فَإِنَّ اللهَ إِنْ لَمْ يُيَسِّرْهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ**»(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ سُلَيْمَانَ عليه السلام كَانَ لَهُ سِتُّونَ امْرَأَةً، فَقَالَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَىٰ نِسَائِي فَلْتَحْمِلْنَ كُلُّ امْرَأَةٍ، وَلْتَلِدْنَ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَطَافَ عَلَىٰ نِسَائِهِ، فَمَا وَلَدَتْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَلَدَتْ شِقَّ غُلَامٍ. قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**لَوْ كَانَ سُلَيْمَانُ اسْتَثْنَىٰ لَحَمَلَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ، فَوَلَدَتْ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(٤).

بَابُ الْإِيمَانِ بِمَا جَرَى بِهِ الْقَلَمُ مِمَّا يَكُونُ أَبَدًا

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ الْقَلَمَ وَأَمَرَهُ فَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ**»(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٢٣٩)، والحاكم في مستدركه (٢١٣٤)، والبيهقي في الشعب (١١٤٢)، وغيرهم من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) **إسناده حسن**: أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٦٥)، وابن حبان في صحيحه (٣٢٤٠)، والبيهقي في الشعب (١١٤٦)، وغيرهم من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما مرفوعًا.

* فيه هزيل بن شرحبيل: صدوق.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد (١١٣٠)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٤٥٦٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٥٥)، وغيرهم من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها موقوفًا.

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٦٩)، ومسلم (١٦٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده (٢٣٢٩)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٨٥٤)، الدارمي في الرد علىٰ الجهمية (٢٥٣)، وغيرهم من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما مرفوعًا.

بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدَّرَ عَلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَعْصِيَةَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ، أَرِنَا أَبَانَا آدَمَ الَّذِي أَخْرَجْنَا وَنَفْسَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَرَاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ آدَمَ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ آدَمُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَنْتَ الَّذِي نَفَخَ اللهُ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَعَلَّمَكَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، ثُمَّ أَمَرَ مَلَائِكَتَهُ فَسَجَدُوا لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَىٰ أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ لَهُ آدَمُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَىٰ، قَالَ: نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ أَنْتَ الَّذِي كَلَّمَكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَلِمَ تَلُومُنِي فِي شَيْءٍ قَدْ سَبَقَ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ الْقَضَاءُ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ» عَلَيْهِمَا السَّلَامُ[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي أَغْوَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ، وَاصْطَفَاكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَاتِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَلِمَ تَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟»[2].

بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ السَّعِيدَ وَالشَّقِيَّ مَنْ كُتِبَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ:

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٠٢)، والدارمي في الرد علىٰ الجهمية (٢٩٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١٣٧)، وغيرهم من حديث عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

فيه هشام بن سعد: صدوق.

قلت: والحديث له طرق كثيرة في الصحيحين وغيرهما يصحح بها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).

«إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»[(١)].

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَىٰ النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَصِيرُ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ، أَوْ بِخَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، مَا هَذَا: أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: اكْتُبْ، فَيُكْتَبُ ثُمَّ يَقُولُ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَىٰ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: اكْتُبْ، فَيُكْتَبُ ثُمَّ يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَعَمَلَهُ وَمُصِيبَتَهُ، ثُمَّ تُطْوَىٰ الصُّحُفُ فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يَنْقُصُ»[(٢)].

وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَنُطْفَةٌ؟ أَيْ رَبِّ أَعَلَقَةٌ؟ أَيْ رَبِّ، أَمُضْغَةٌ؟ فَإِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا قَالَ: يَقُولُ الْمَلِكُ؟ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَىٰ، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَيُكْتَبُ ذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»[(٣)].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْتَقَىٰ هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَىٰ عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالُوا: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدًا، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ، كُلَّمَا وَقَفَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، مسلم (٢٦٤٣) من حديث عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٤٤)، وغيره من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٨)، ومسلم (٢٦٤٦) من حديث أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَىٰ سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا: «**أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ حَتَّىٰ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(١).

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تُعْجَبُوا بِأَحَدٍ حَتَّىٰ تَنْظُرُوا بِمَ يُخْتَمُ لَهُ فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عُمُرِهِ، أَوْ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ، يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عُمْرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ النَّارَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ: «**يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ**»(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: اللهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ**» قَالَ: وَذُكِرَتْ عِنْدَهُ الْقِرَدَةُ، قَالَ مِسْعَرٌ:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١١٢) من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (١٢٢١٤)، وعبد بن حميد في مسنده (١٣٩٣)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٣٧٥٦)، وغيرهم من طريق حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه مرفوعًا.

وَأُرَاهُ قَالَ: وَالْخَنَازِيرُ مِنْ مَسْخٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلًا وَلَا عَقِبًا، وَقَدْ كَانَتِ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ**»(١).

○ من فقه الباب:

قوله في الحديث «الصادق المصدوق»: أي الصَّادِقُ فِي قَوْلِه، الْمَصْدُوقُ فِيمَا يَأْتِيهِ مِنْ الْوَحْي الْكَرِيم. النووي (٨/ ٤٨٩).

قوله «يُجْمَعُ في بطن أمه»: قَالَ اِبْن الْأَثِير فِي النِّهَايَة: يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْجَمْعِ مُكْثَ النُّطْفَةِ فِي الرَّحِم، أَيْ: تَمْكُثُ النُّطْفَةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تُخَمَّر فِيهِ، حَتَّىٰ تَتَهَيَّأَ لِلتَّصْوِيرِ، ثُمَّ تُخْلَقُ بَعْدَ ذَلِكَ فتح الباري - (ج ١٨/ ص ٤٣٧).

العَلَقَة: الدَّمُ الْجَامِدُ الْغَلِيظ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِلرُّطُوبَةِ الَّتِي فِيهِ، وَتَعَلُّقِهِ بِمَا مَرَّ بِهِ. فتح الباري - (ج ١٨/ ص ٤٣٧).

المُضْغَة: قِطْعَةُ اللَّحْم سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا قَدْرُ مَا يَمْضُغُ الْمَاضِغ. فتح (١٨/ ٤٣٧).

قوله «**مِثْلَ ذَلِكَ**»: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ تَصَيُّرَهَا شَيْئًا فَشَيْئًا، فَيُخَالِطُ الدَّمُ النُّطْفَةَ فِي الْأَرْبَعِينَ الْأُولَىٰ بَعْد اِنْعِقَادِهَا وَامْتِدَادِهَا، وَتَجْرِي فِي أَجْزَائِهَا شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّىٰ تَتَكَامَلَ عَلَقَةً فِي أَثْنَاء الْأَرْبَعِينَ، ثُمَّ يُخَالِطُهَا اللَّحْم شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَىٰ أَنْ تَشْتَدَّ فَتَصِير مُضْغَة، وَلَا تُسَمَّىٰ عَلَقَةً قَبل ذَلِكَ مَا دَامَتْ نُطْفَة، وَكَذَا مَا بَعْد ذَلِكَ مِنْ زَمَان الْعَلَقَةِ وَالْمُضْغَة. فتح الباري - (ج ١٨/ ص ٤٣٧).

حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ بِجَمِيعِ طُرُقِهِ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْجَنِينَ يَتَقَلَّبُ فِي مِائَة وَعِشْرِينَ يَوْمًا فِي ثَلَاثَة أَطْوَار، كُلُّ طَوْرٍ مِنْهَا فِي أَرْبَعِينَ، ثُمَّ بَعْدَ تَكْمِلَتِهَا يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ الْأَطْوَارَ الثَّلَاثَةَ مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِمُدَّةٍ فِي عِدَّةِ سُوَرٍ، مِنْهَا فِي الْحَجِّ، وَدَلَّتْ الْآيَةُ الْمَذْكُورةُ عَلَىٰ أَنَّ التَّخْلِيقَ يَكُونُ لِلْمُضْغَةِ، وَبَيَّنَ الْحَدِيثُ أَنَّ ذَلِكَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٣) وغيره من حديث أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مرفوعًا.

يَكُونُ فِيهَا إِذَا تَكَامَلَتْ الْأَرْبَعِينَ، وَهِيَ الْمُدَّة الَّتِي إِذَا انْتَهَتْ سُمِّيَتْ مُضْغَة، وَذَكَرَ اللهُ النُّطْفَة، ثُمَّ الْعَلَقَة، ثُمَّ الْمُضْغَة فِي سُوَرٍ أُخْرَىٰ، وَزَادَ فِي سُورَةِ (المؤمنون) بَعْد الْمُضْغَة ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤-١٥] الْآيَةَ وَيُؤْخَذُ مِنْهَا وَمِنْ حَدِيث الْبَاب أَنَّ تَصَيُّرَ الْمُضْغَةِ عِظَامًا بَعْد نَفْخ الرُّوح. فتح الباري - (ج ١٨/ ص ٤٣٧).

المراد بِجَمِيعِ مَا ذُكِرَ مِنْ الرِّزْقِ وَالْأَجَل وَالشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ وَالْعَمَل وَالذُّكُورَةِ وَالْأُنُوثَة، أَنَّهُ يَظْهَرُ ذَلِكَ لِلْمَلَكِ، وَيَأمُرُهُ اللهُ بِإِنْفَاذِهِ وَكِتَابَتِه، وَإِلَّا فَقَضَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ سَابِقٌ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَعِلْمُهُ وَإِرَادَتُه لِكُلِّ ذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي الْأَزَل، وَاللهُ أَعْلَم. شرح النووي علىٰ مسلم - (ج ٨/ ص ٤٩٣).

* اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّ نَفْخَ الرُّوح لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَشْهُر، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ الْحِكْمَةُ فِي عِدَّةِ الْمَرْأَةِ مِنْ الْوَفَاةِ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُر وَعَشْر، وَهُوَ الدُّخُولُ فِي الشَّهْر الْخَامِسِ. وَمَعْنَىٰ إِسْنَادِ النَّفْخِ لِلْمَلَكِ: أَنَّهُ يَفْعَلُهُ بِأَمْرِ الله، وَالنَّفْخُ فِي الْأَصْل: إِخْرَاجُ رِيحٍ مِنْ جَوْفِ النَّافِخ، لِيَدْخُلَ فِي الْمَنْفُوخ فِيهِ. فتح الباري - (ج ١٨/ ص ٤٣٧).

بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ لِعَبْدٍ الْإِيمَانُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ

عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، أَنَّهُ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي شَكَكْتُ فِي بَعْضِ الْقَدَرِ فَحَدِّثْنِي لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي عِنْدَكَ فَرَجًا قَالَ زَيْدٌ: نَعَمْ يَا ابْنَ أَخِي، إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ إِيَّاهُمْ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنَّ لِامْرِئٍ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّىٰ يُنْفِدَهُ، لَا يُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ دَخَلَ النَّارَ**»(١).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (٢١٦١١) وابن أبي شيبة في مسنده (١٣٠)، وغيرهما من طريق =

وعن عبد الله بن عمرو: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ، حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا»، فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤](٢).

وعن عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، فَأَتَىٰ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُقَالُ لَهُ: حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الْغِفَارِيُّ، فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: وَكَيْفَ يَشْقَىٰ رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَىٰ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَىٰ مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ»(٣).

= ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: لَقِيتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه...فذكره مرفوعًا.

(١) حسن: أخرجه أحمد في مسنده (٦٧٠٣)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٩١٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١٣٤)، وغيرهم من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا.

* فيه عمرو بن شعيب: صدوق.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢١٨)، وغيره من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٤٥)، وغيره من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه مرفوعًا.

بَابُ الْإِيمَانِ أَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»(١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ الْكُفَّارِ، الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ يَعْنِي الْعَقْلَ؟ قَالَ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ إِذْ خَلَقَهُمْ**»(٢).

وعن عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي قَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَتْ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْهُمْ فَقَالَ: «**هُمْ مَعَ آبَائِهِمْ**» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِلَا عَمَلٍ؟ فَقَالَ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»(٣).

وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: دُعِيَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ جِنَازَةِ صَبِيٍّ يُصَلِّي عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ طُوبَىٰ لَهُ، عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ، وَلَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ، وَلَمْ يُدْرِكه فَقَالَ: «**أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، وَخَلَقَهُمْ لَهَا، وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، وَخَلَقَهُمْ لَهَا، وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ**»(٤).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: يَحْمَدُ اللهَ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ يَقُولُ: «**مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، أَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيِ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩٩)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٣)، ومسلم (٢٦٦٠) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعا.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٤٧١٢)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١٦٧١)، والفريابي في القدر (١٧٠)، وغيرهم من حديث عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ مرفوعًا.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٦٢)، وغيره من حديث عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مرفوعًا.

(٥) أخرجه مسلم (٨٦٧).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «عَلَّمَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: التَّشَهُّدَ فِي الْحَاجَةِ: إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ»(١).

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ لَوْلَاكَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا»(٢).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»(٣).

وعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّىٰ الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ»(٤).

وعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو عَطِيَّةَ عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقُلْنَا لَهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»، فَأَيُّنَا يُحِبُّ الْمَوْتَ؟ فَقَالَتْ: يَرْحَمُ اللهُ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ، حَدَّثَ أَوَّلَ الْحَدِيثِ وَأَمْسَكَ عَنْ آخِرِهِ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تُحَدِّثُ

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود في سننه (١٠٩٧)، والترمذي في سننه (١١٠٥)، والنسائي في سننه (٣٢٧٧)، وغيرهم من طريق أَبِي الأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٠٤)، ومسلم (١٨٠٣)، من حديث البَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه الترمذي في سننه (٢٥١٦)، وأحمد في مسنده (٢٦٦٩)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٢٥٥٦) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

* فيه قيس بن الحجاج: صدوق. وللحديث طرق كثير يصح بها.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٥٥)، وغيره من حديث عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعا.

فَقَالَتْ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا قَبْلَ مَوْتِهِ بِعَامٍ يُسَدِّدُهُ وَيُوَفِّقُهُ حَتَّىٰ يَمُوتَ عَلَىٰ خَيْرِ أَحَايِينِهِ، فَيَقُولُ النَّاسُ: مَاتَ فُلَانٌ عَلَىٰ خَيْرِ أَحَايِينِهِ، فَإِذَا حَضَرَ وَرَأَىٰ مَا أُعِدَّ لَهُ، جَعَلَ يَتَهَوَّعُ نَفْسَهُ مِنَ الْحِرْصِ عَلَىٰ أَنْ يَخْرُجَ، هُنَاكَ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ غَيْرَ ذَلِكَ، قَيَّضَ لَهُ شَيْطَانًا قَبْلَ مَوْتِهِ بِعَامٍ يُغْوِيهِ وَيَصُدُّهُ حَتَّىٰ يَمُوتَ عَلَىٰ شَرِّ أَحَايِينِهِ، فَيَقُولُ النَّاسُ: مَاتَ فُلَانٌ عَلَىٰ شَرِّ أَحَايِينِهِ، فَإِذَا حَضَرَ وَرَأَىٰ مَا أُعِدَّ لَهُ حَتَّىٰ يَبْتَلِعَ نَفَسَهُ، كَرَاهِيَةَ أَنْ تَخْرُجَ، هُنَاكَ: كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنِّي رَجُلٌ شَابٌّ، وَأَنَا أَخَافُ عَلَىٰ نَفْسِي الْعَنَتَ، وَلَا أَجِدُ مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ النِّسَاءَ، فَأْذَنْ لِي أَخْتَصِي قَالَ: فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ فَاخْتَصِ عَلَىٰ ذَلِكَ أَوْ ذَرْ»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا»(٣).

❍ **من فقه الباب:**

قوله في حديث ابن عباس «احْفَظْ اللهَ»: أَيْ احْفَظْ اللهَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

---

(١) صحيح: أخرجه الآجري في الشريعة (٥٦٤)، والبيهقي في القضاء والقدر (٤٧٧) من طريق الْأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، وَعُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو عَطِيَّةَ عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، والحديث وإن كان موقوفًا فله حكم الرفع.

(٢) صحيح: أخرجه ابن وهب في القدر (١٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١١٠)، والفريابي في القدر (٤٣٧)، حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

قوله «**يَحْفَظْكَ**»: أَيْ يَحْفَظْك فِي الدُّنْيَا مِنْ الْآفَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَفِي الْعُقْبَىٰ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِقَابِ وَالدَّرَكَاتِ. تحفة الأحوذي - (ج ٦/ ص ٣٠٨).

قوله «**تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**»: أَيْ رَاعِ حَقَّ اللهِ، وَتَحَرَّ رِضَاهُ، تَجِدْهُ تُجَاهَك، أَيْ: مُقَابِلَك وَحِذَاءَك، أَيْ: اِحْفَظْ حَقَّ اللهِ تَعَالَىٰ، حَتَّىٰ يَحْفَظَك اللهُ مِنْ مَكَارِهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. تحفة الأحوذي - (ج ٦/ ص ٣٠٨).

قوله «**فَاسْأَلْ اللهَ**»: أَيْ اسْأَلْ اللهَ وَحْدَهُ، لِأَنَّ غَيْرَهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَىٰ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَدَفْعِ الضَّرَرِ وَجَلْبِ النَّفْعِ. تحفة الأحوذي - (ج ٦/ ص ٣٠٨).

قوله «**وَإِذَا اسْتَعَنْتَ**»: أَيْ أَرَدْتَ الِاسْتِعَانَةَ فِي الطَّاعَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. تحفة (٦/ ٣٠٨).

قوله «**رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»: أَيْ: كُتِبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا كُتِبَ مِنْ التَّقْدِيرَاتِ، وَلَا يُكْتَبُ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ شَيْءٌ آخَرُ، فَعَبَّرَ عَنْ سَبْقِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ بِرَفْعِ الْقَلَمِ، وَجَفَافِ الصَّحِيفَةِ، تَشْبِيهًا بِفَرَاغِ الْكَاتِبِ فِي الشَّاهِدِ مِنْ كِتَابَتِهِ. تحفة الأحوذي (٦/ ٣٠٨).

* قَالَ الآجري رَحِمَهُ اللهُ: هَذِهِ السُّنَنُ المذكورة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ تَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنَىٰ مَا فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَدُلُّ كُلَّ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّ بَعْضَهَا يُصَدِّقُ بَعْضًا، كَمَا أَنَّ الَّذِيَ ذَكَرْنَاهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، يَدُلُّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَىٰ مَعْنَىٰ مَا أَعْلَمْنَاكَ مِنْ مَذْهَبِنَا فِي الْقَدَرِ وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ إِذَا خَطَبَ: «**مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ**» كَذَا رَوَىٰ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَقُولُونَ فِي خُطَبِهِمْ، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَيَقِينًا، لَا يَشُكُّ فِي ذَلِكَ أَهْلُ الْإِيمَانِ.

وقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فَهَذَا طَرِيقُ أَهْلِ الْعِلْمِ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَاقِعٌ مِنَ اللهِ بِمَقْدُورٍ جَرَىٰ بِهِ، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾

[الأنبياء: ٢٣] وَأَمَّا الْحُجَّةُ فِي تَرْكِ مُجَالَسَةِ الْقَدَرِيَّةِ وَلَا يُفَاتَحُونَ بِكَلَامٍ، وَلَا بِمُنَاظَرَةٍ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَإِثْبَاتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَتَبْكِيتِهِمْ، أَوْ يَسْتَرْشِدُ مِنْهُمْ مُسْتَرْشِدٌ لِلِاسْتِرْشَادِ فَيُرْشَدُ، وَيُوقَفُ عَلَىٰ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَيَحْذَرُ طَرِيقَ الْبَاطِلِ، فَلَا بَأْسَ بِالْبَيَانِ عَلَىٰ هَذَا النَّعْتِ....فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَنْ أَئِمَّةُ الْقَدَرِيَّةِ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟ قِيلَ لَهُ: قَدْ أَجَلَّ اللهُ تَعَالَىٰ الْمُسْلِمِينَ عَنْ مَذَاهِبِهِمْ، وَأَئِمَّتُهُمْ فِي مَذَاهِبِهِمُ الْقَدَرِيَّةُ: مَعْبَدُ الْجُهَنِيُّ بِالْبَصْرَةِ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ علىٰ مَا قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ، وَقَبْلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ كَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، ثُمَّ تَنَصَّرَ، فَأَخذَ عَنْهُ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ الْقَدَرَ، كَذَا قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، وَأَخَذَ غَيْلَانُ عَنْ مَعْبَدٍ، وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ وَمَا ذَمَّهُ الْعُلَمَاءُ وَهَجَرُوهُ وَكَفَّرُوهُ، هَؤُلَاءِ أَئِمَّتُهُمُ الْأَنْجَاسُ وَالْأَرْجَاس...ثُمَّ اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ الْقَدَرِيَّ لَا يَقُولُ: اللهُمَّ وَفِّقْنِي، وَلَا يَقُولُ: اللهُمَّ اعْصِمْنِي، وَلَا يَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ لِأَنَّ عِنْدَهُ أَنَّ الْمَشِيئَةَ إِلَيْهِ، إِنْ شَاءَ أَطَاعَ وَإِنْ شَاءَ عَصَىٰ، فَاحْذَرُوا مَذَاهِبَهُمْ لَا يَفْتِنُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ... يُقَالُ لِلْقَدَرِيِّ: يَا مَنْ لَعِبَ بِهِ الشَّيْطَانُ، يَا مَنْ يُنْكِرُ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ الشَّرَّ، أَلَيْسَ إِبْلِيسُ أَصْلَ كُلِّ شَرٍّ؟ أَلَيْسَ اللهُ خَلَقَهُ؟ أَلَيْسَ اللهُ تَعَالَىٰ خَلَقَ الشَّيَاطِينَ وَأَرْسَلَهُمْ عَلَىٰ مَنْ أَرَادَ لِيُضِلُّوهُمْ عَنْ طَرِيقِ الرُّشْدِ؟ فَأَيُّ حُجَّةٍ لَكَ يَا قَدَرِيُّ؟ يَا مَنْ قَدْ حُرِمَ التَّوْفِيقَ، أَلَيْسَ اللهُ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٥]؟ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧] وَقَالَ تَعَالَىٰ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]؟

وقال رَحِمَهُ اللهُ: فَإِنِ اعْتَرَضَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْقَدَرِيَّةِ بِتَأْوِيلِهِ الْخَطَأَ، فَقَالَ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] فَيَزْعُمُ أَنَّ السَّيِّئَةَ مِنْ نَفْسِهِ، دُونَ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَىٰ قَضَاهَا وَقَدَّرَهَا عَلَيْهِ، قِيلَ لَهُ: يَا جَاهِلُ، إِنَّ الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ هُوَ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهَا مِنْكَ، وَهُوَ الَّذِي بَيَّنَ لَنَا جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ

ذِكْرُنَا لَهُ مِنْ إِثْبَاتِ الْقَدَرِ، وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ الَّذِينَ شَاهَدُوا التَّنْزِيلَ ﷺ، هُمُ الَّذِينَ بَيَّنُوا لَنَا وَلَكَ إِثْبَاتَ الْمَقَادِيرِ بِكُلِّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَقِيلَ: لَوْ عَقَلْتَ تَأْوِيلَهَا لَمْ تُعَارِضْ بِهَا، وَلَعَلِمْتَ أَنَّ الْحُجَّةَ عَلَيْكَ لَا لَكَ فَإِنْ قَالَ: كَيْفَ؟ قِيلَ لَهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩] أَلَيْسَ اللهُ تَعَالَىٰ أَصَابَهُ بِهَا: خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا؟ فَاعْقِلْ يَا جَاهِلُ، أَلَيْسَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ﴾ [يوسف: ٥٦] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠] وَقَالَ تَعَالَىٰ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢] وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُخْبِرُنَا أَنَّ كُلَّ مُصِيبَةٍ تَكُونُ بِالْعِبَادِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فَاللهُ يُصِيبُهُمْ بِهَا، وَقَدْ كَتَبَ مُصَابَهُمْ فِي عِلْمٍ قَدْ سَبَقَ، وَجَرَىٰ بِهِ الْقَلَمُ عَلَىٰ حَسْبِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ، فَاعْقِلُوهُ يَا مُسْلِمُونَ فَإِنَّ الْقَدَرِيَّ مَحْرُومٌ مِنَ التَّوْفِيقِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي يَحْتَجُّ بِهَا الْقَدَرِيُّ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَنَا كَتَبْتُهَا عَلَيْكَ.

وقال رَحِمَهُ اللهُ أيضا: اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَمَرَ الْعِبَادَ بِاتِّبَاعِ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَنْ لَا يَعْوَجُّوا عَنْهُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، فَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨] فَفِي الظَّاهِرِ أَنَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ أَمَرَهُمْ بِالِاسْتِقَامَةِ وَاتِّبَاعِ سَبِيلِهِ وَجَعَلَ فِي الظَّاهِرِ إِلَيْهِمُ الْمَشِيئَةَ، ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّكُمْ لَنْ تَشَاءُوا إِلَّا أَنْ أَشَاءَ أَنَا لَكُمْ مَا فِيهِ هِدَايَتُكُمْ، وَإِنَّ مَشِيئَتَكُمْ تَبَعٌ لِمَشِيئَتِي، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ مَشِيئَتَهُمْ تَبَعٌ لِمَشِيئَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [البقرة: ١٤٢] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ

فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]. انْقَطَعَتْ حُجَّةُ كُلِّ قَدَرِيٍّ قَدْ لَعِبَ بِهِ الشَّيْطَانُ فَهُوَ فِي غَيِّهِ يَتَرَدَّدُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَاهُمْ بِهِ، وَبَعْدُ فَقَدِ اجْتَهَدْتُ وَبَيَّنْتُ فِي إِثْبَاتِ الْقَدَرِ بِمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَبِمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ، الْمُبِينُ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ، وَذَكَرْتُ قَوْلَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَقَوْلَ التَّابِعِينَ، وَكَثِيرًا مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَذَا فَهُوَ مِمَّنْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

باب الأمر بالتَّوكُّلُ عَلَى اللهِ مَعَ الْأَخْذِ بالْأَسْبَاب

قال تعالىٰ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

وقال تعالىٰ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

وقال تعالىٰ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقال تعالىٰ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].

وقال تعالىٰ ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢-٣].

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ، فَقَالَ: «**أَلَا تُصَلُّونَ؟**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ، يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَيَقُولُ ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤][١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ أَهْلُ اليَمَنِ يَحُجُّونَ وَلاَ يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ المُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧][٢].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»**[٣].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، خَرَجَ إِلَىٰ الشَّامِ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أَهْلُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ فَدَعَوْتُهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَىٰ أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا نَرَىٰ أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَىٰ هَذَا الْوَبَاءِ فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِي الْأَنْصَارِ فَدَعَوْتُهُمْ لَهُ، فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَىٰ أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَىٰ هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَىٰ عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَىٰ ظَهْرٍ، فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ - وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلَافَهُ -

---

(١) البخاري (١١٢٧)، ومسلم (٧٧٥) من حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢٣) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٤٤)، وابن ماجه في سننه (٤١٦٤) والنسائي في الكبرىٰ (١١٨٠٥) وغيرهم من حديث عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَىٰ قَدَرِ اللهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالْأُخْرَىٰ جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي مِنْ هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**» قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ثُمَّ انْصَرَفَ(١).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**» وقَالَ أَبُو النَّضْرِ: «لَا يُخْرِجُكُمْ إِلَّا فِرَارٌ مِنْهُ»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(٣).

○ من فقه الباب:

قوله تعالىٰ ﴿خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]: أَيْ تَزَوَّدُوا، وَاتَّقُوا أَذَىٰ النَّاسِ بِسُؤَالِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَالْإِثْمَ فِي ذَلِكَ. وَفِي الْآيَةِ وَالْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ ارْتِكَابَ الْأَسْبَابِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ، بَلْ هُوَ الْأَفْضَلُ. وَفِيهِ أَنَّ التَّوَكُّلَ لَا يَكُونُ مَعَ السُّؤَالِ، وَإِنَّمَا التَّوَكُّلُ الْمَحْمُودُ: قَطْعُ النَّظَرِ عَنْ الْأَسْبَابِ، بَعْدَ تَهْيِئَةِ الْأَسْبَابِ. فتح (٥/ ١٦١).

قوله في الحديث «**حَقَّ تَوَكُّلِهِ**»: أَيْ بِأَنْ تَعْلَمُوا يَقِينًا أَنْ لَا فَاعِلَ إِلَّا اللهُ، وَأَنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٢٩) ومسلم (٢٢١٩) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٢٨) ومسلم (٢٢١٨) من حديث أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.

لَا مُعْطِيَ وَلَا مَانِعَ إِلَّا هُوَ، ثُمَّ تَسْعَوْنَ فِي الطَّلَبِ بِوَجْهٍ جَمِيلٍ وَتَوَكُّلٍ. تحفة الأحوذي - (ج ٦/ ص ١٢٩).

قوله في الحديث «**وَتَرُوحُ بِطَانًا**»: البطان جَمْعُ بَطِينٍ، وَهُوَ عَظِيمُ الْبَطْنِ، وَالْمُرَادُ: شِبَاعًا، قَالَ الْمُنَاوِيُّ: أَيْ: تَغْدُو بَكْرَةً وَهِيَ جِيَاعٌ، وَتَرُوحُ عِشَاءً وَهِيَ مُمْتَلِئَةُ الْأَجْوَافِ، فَالْكَسْبُ لَيْسَ بِرَازِقٍ، بَلْ الرَّازِقُ هُوَ اللهُ تَعَالَىٰ، فَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَىٰ أَنَّ التَّوَكُّلَ لَيْسَ التَّبَطُّلَ وَالتَّعَطُّلَ، بَلْ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ التَّوَصُّلِ بِنَوْعٍ مِنْ السَّبَبِ، لِأَنَّ الطَّيْرَ تُرْزَقُ بِالسَّعْيِ وَالطَّلَبِ، وَلِهَذَا قَالَ أَحْمَدُ: لَيْسَ فِي الْحَدِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ تَرْكِ الْكَسْبِ بَلْ فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ طَلَبِ الرِّزْقِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ: لَوْ تَوَكَّلُوا عَلَىٰ اللهِ فِي ذَهَابِهِمْ وَمَجِيئِهِمْ وَتَصَرُّفِهِمْ، وَعَلِمُوا أَنَّ الْخَيْرَ بِيَدِهِ، لَمْ يَنْصَرِفُوا إِلَّا غَانِمِينَ سَالِمِينَ كَالطَّيْرِ. تحفة الأحوذي - (ج ٦/ ص ١٢٩).

قول عمر في الحديث السابق «**مُصْبِحٌ عَلَىٰ ظَهْرٍ**»: أَيْ مُسَافِرٌ رَاكِبٌ عَلَىٰ ظَهْرِ الرَّاحِلَة، رَاجِعٌ إِلَىٰ وَطَنِي، فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، وَتَأَهَّبُوا لَهُ. شرح النووي علىٰ مسلم - (ج ٧/ ص ٣٧٠).

قول عمر في الحديث السابق «**لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا**»: أَيْ لَوْ قَالَهَا غَيْرُكَ لَمْ أَتَعَجَّب مَعَهُ، وَإِنَّمَا أَتَعَجَّبُ مِنْ قَوْلِك أَنْتَ ذَلِكَ مَعَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ الْعِلْمِ وَالْفَضْل. شرح النووي علىٰ مسلم (ج ٧/ ص ٣٧٠).

وقوله «**وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ**»: تَثْنِيَة عُدْوَة، وَهُوَ الْمَكَان الْمُرْتَفِع مِنْ الْوَادِي، وَهُوَ شَاطِئُهُ. ذَكَرَ لَهُ عُمَر دَلِيلًا وَاضِحًا مِن الْقِيَاس الْجَلِيّ الَّذِي لَا شَكَّ فِي صِحَّته، وَلَيْسَ ذَلِكَ اِعْتِقَادًا مِنْهُ أَنَّ الرُّجُوع يَرُدُّ الْمَقْدُور، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّ الله تَعَالَىٰ أَمَرَ بِالِاحْتِيَاطِ وَالْحَزْم، وَمُجَانَبَةِ أَسْبَابِ الْهَلَاك، كَمَا أَمَرَ ﷻ بِالتَّحَصُّنِ مِنْ سِلَاحِ الْعَدُوّ، وَتَجَنُّبِ الْمَهَالِك، وَإِنْ كَانَ كُلٌّ وَاقِعٌ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ السَّابِقِ فِي عِلْمِه، وَقَاسَ عُمَرُ عَلَىٰ رَعْيِ الْعُدْوَتَيْنِ، لِكَوْنِهِ وَاضِحًا لَا يُنَازِعُ فِيهِ أَحَد، مَعَ مُسَاوَاتِه لِمَسْأَلَةِ النِّزَاع، فمَقْصُودُ عُمَرَ أَنَّ النَّاس رَعِيَّةٌ لِي، اِسْتَرْعَانِيهَا اللهُ تَعَالَىٰ،

فَيَجِبُ عَلَيَّ الِاحْتِيَاطُ لَهَا، فَإِنْ تَرَكْتُ الِاحْتِيَاطَ، نُسِبْتُ إِلَىٰ الْعَجْزِ، وَاسْتَوْجَبْتُ الْعُقُوبَةَ. شرح النووي علىٰ مسلم - (ج ٧/ ص ٣٧٠).

قوله في حديث أبي هريرة «المؤمن القوي...»: الْمُرَاد بِالْقُوَّةِ هُنَا: عَزِيمَةُ النَّفْسِ، وَالْقَرِيحَةُ فِي أُمُورِ الْآخِرَة، فَيَكُونُ صَاحِبُ هَذَا الْوَصْفِ أَكْثَرَ إِقْدَامًا عَلَىٰ الْعَدُوِّ فِي الْجِهَاد، وَأَسْرَعَ خُرُوجًا إِلَيْهِ، وَذَهَابًا فِي طَلَبِهِ، وَأَشَدَّ عَزِيمَةً فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِي كُلِّ ذَلِكَ، وَاحْتِمَالِ الْمَشَاقِّ فِي ذَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَرْغَبَ فِي الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْأَذْكَارِ وَسَائِرِ الْعِبَادَات، وَأَنْشَطَ طَلَبًا لَهَا، وَمُحَافَظَةً عَلَيْهَا، وَنَحْو ذَلِكَ. شرح النووي علىٰ مسلم - (ج ٩/ ص ١٩).

وقوله «**وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**»: أَيْ فِي كُلّ مِنْ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ خَيْرٌ، لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْإِيمَان، مَعَ مَا يَأْتِي بِهِ الضَّعِيف مِنْ الْعِبَادَات. شرح النووي علىٰ مسلم - (ج ٩/ ص ١٩).

باب عدم منافاة التداوي للتوكل

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً**»(١).

وعَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(٢).

وعَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: عَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا بِهِ جُرْحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ادْعُوا لَهُ طَبِيبَ بَنِي فُلَانٍ**»، قَالَ: فَدَعَوْهُ فَجَاءَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَيُغْنِي الدَّوَاءُ شَيْئًا؟ فَقَالَ: «**سُبْحَانَ اللهِ، وَهَلْ أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ فِي**

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٨)، وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٤)، وغيرهم من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

الْأَرْضِ، إِلَّا جَعَلَ لَهُ شِفَاءً»[١].

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ كَأَنَّمَا عَلَىٰ رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ، فَجَاءَ الْأَعْرَابُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَتَدَاوَىٰ؟ فَقَالَ: **«تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ»**[٢].

❍ من فقه الباب:

قله في حديث جابر «**بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ**»: كَأَنَّهُ ﷺ نَبَّهَ بِآخِرِ كَلَامِهِ عَلَىٰ مَا قَدْ يُعَارَضُ بِهِ أَوَّلَهُ، فَيُقَال: قُلْتَ: لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاء، وَنَحْنُ نَجِدُ كَثِيرِينَ مِن الْمَرْضَىٰ يُدَاوَوْنَ فَلَا يَبْرَءُونَ، فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ لِفَقْدِ الْعِلْمِ بِحَقِيقَةِ الْمُدَاوَاةِ، لَا لِفَقْدِ الدَّوَاءِ، وَهَذَا وَاضِح. يَقُول بُقْرَاط: الْأَشْيَاء تُدَاوَىٰ بِأَضْدَادِهَا، وَلَكِنْ قَدْ يَدِقّ وَيَغْمُضُ حَقِيقَةُ الْمَرَضِ، وَحَقِيقَةُ طَبْعِ الدَّوَاء، فَيَقِلُّ الثِّقَةُ بِالْمُضَادَّةِ، وَمِنْ هَاهُنَا يَقَعُ الْخَطَأُ مِنْ الطَّبِيبِ فَقَطْ، فَقَدْ يَظُنُّ الْعِلَّةَ عَنْ مَادَّةٍ حَارَّةٍ، فَيَكُون عَنْ غَيْرِ مَادَّة، أَوْ عَنْ مَادَّةٍ بَارِدَةٍ، أَوْ عَنْ مَادَّةٍ حَارَّةٍ دُونَ الْحَرَارَة الَّتِي ظَنَّهَا، فَلَا يَحْصُلُ الشِّفَاء. النووي (٧/ ٣٤٤).

باب وجوب الرِّضَا بقَضَاءِ اللّه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (٢٣١٥٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧١٥٠) من طريق مَنْصُورٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، عَنْ ذَكْوَانَ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ...فذكره.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود في سننه (٣٨٥٥)، والترمذي في سننه (٢٠٣٨)، وابن ماجه في سننه (٣٤٣٦)، وغيرهم من طريق زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وعَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

وعن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ يَقُولُ: إِنَّ رَجُلًا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الْإِيمَانُ بِاللهِ وَتَصْدِيقٌ بِهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ**». قَالَ: أُرِيدُ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**السَّمَاحَةُ وَالصَّبْرُ**». قَالَ: أُرِيدُ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**لَا تَتَّهِمِ اللهَ فِي شَيْءٍ قَضَىٰ لَكَ بِهِ**»(٢).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ**» ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَىٰ أُمِّ سَيْفٍ، امْرَأَةِ قَيْنٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو سَيْفٍ، فَانْطَلَقَ يَأْتِيهِ وَاتَّبَعْتُهُ، فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ أَبِي سَيْفٍ وَهُوَ يَنْفُخُ بِكِيرِهِ، قَدِ امْتَلَأَ الْبَيْتُ دُخَانًا، فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَيْفٍ أَمْسِكْ، جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَمْسَكَ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّبِيِّ، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ مَا شَاءَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) وغيره من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٧١٧)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٥٩٩)، والبيهقي في الشعب (٩٢٦٣)، وغيرهم من طريق ابن لَهِيعَةَ، حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبَاحٍ أَنَّهُ: سَمِعَ جُنَادَةَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رضي الله عنه مرفوعًا.

* فيه ابن لهيعة: صدوق اختلط.

- وأخرجه أحمد في مسنده (١٧٨١٤)، من طريق رِشْدِينُ، حَدَّثَنِي مُوسَىٰ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه مرفوعًا.

* فيه رشدين بن سعد: ضعيف.

اللهُ أَنْ يَقُولَ، فَقَالَ أَنَسٌ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **«تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَىٰ رَبَّنَا، وَاللهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ»**(١).

❍ من فقه أبواب الإيمان بالقضاء والقدر:

(١) تعريف القدر وأهمية الإيمان به:

القدر: هو تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضت حكمته. وهو يرجع إلىٰ قدرة الله، وأنه علىٰ كل شيء قدير فعال لما يريد.

والإيمان به من الإيمان بربوبية الله ﷻ، وهو أحد أركان الإيمان التي لا يتم الإيمان إلا بها. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

قال ﷺ: **«كل شيء بقدر حتىٰ العجز والكيس، أو الكيس والعجز»**(٢).

(٢) مراتب القدر:

لا يتم الإيمان بالقدر إلا بتحقيق أربع مراتب هي:

أولًا: الإيمان بعلم الله الأزلي المحيط بكل شيء، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

ثانيًا: الإيمان بالكتابة في اللوح المحفوظ لما علم الله من المقادير، قال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال ﷺ: **«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»**(٣).

ثالثًا: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٣) ومسلم (٢٣١٥) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٥)، وغيره من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٣)، وغيره من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما مرفوعًا.

قال ﷺ لمن قال له ما شاء الله وشئت: «**أجعلتني لله ندًا بل ما شاء الله وحده**»(١).

رابعًا: الإيمان بأن الله خالق كل شيء، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وقال ﷺ: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**»(٢).

(٣) أقسام التقدير:

أ ـ التقدير العام لجميع الكائنات، وهو الذي كتب في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

ب ـ التقدير العمري، وهو تقدير كل ما يجرىٰ علىٰ العبد من نفخ الروح فيه إلىٰ نهاية أجله.

ج ـ التقدير السنوي، وهو تقدير ما يجري كل سنة، وذلك ليلة القدر من كل سنة. قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

د ـ التقدير اليومي، وهو تقدير ما يجري كل يوم من عز وذل وعطاء ومنع وإحياء وإماتة وغير ذلك. قال تعالىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩].

(٤) عقيدة السلف في القدر:

أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، قد قَدَّر مقادير الخلائق قبل أن

---

(١) **حسن**: أخرجه أحمد في مسنده (١٨٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، والنسائي في الكبرىٰ (١٠٧٥٩) وغيرهم من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه البزار في مسنده (٢٨٣٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٥٧)، والحاكم في مستدركه (٨٥)، والبيهقي في الشعب (١٨٧) من طريق أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ خِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

يخلقهم، قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ما يصيرون إليه من سعادة أو شقاوة، فكل شيء أحصاه في إمام مبين. فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهو قادر علىٰ كل شيء يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وأن للعباد مشيئة وقدرة يفعلون بها ما أقدرهم الله عليه مع اعتقادهم أن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وأن الله تعالىٰ خالق للعباد وأفعالهم وهم فاعلون لها حقيقة، فلا حجة لأحد علىٰ الله في واجب تركه ولا محرم فعله، بل له الحجة البالغة علىٰ العباد، ويجوز الاحتجاج بالقدر علىٰ المصائب لا علىٰ المعائب والذنوب. كما قال ﷺ في محاجة موسىٰ لآدم: «**تحاج آدم وموسىٰ، فقال موسىٰ: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة، فقال له آدم: أنت موسىٰ الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني علىٰ أمر قد قُدّر عليّ قبل أن أخلق فحج آدمُ موسىٰ**»(١).

(٥) أفعال العباد:

الأفعال التي يخلقها الله تعالىٰ في الكون تنقسم إلىٰ قسمين:

الأول: ما يجريه الله تبارك وتعالىٰ من أفعاله في مخلوقاته، فليس لأحد فيها مشيئة واختيار، وإنما المشيئة لله، مثل الإحياء والإماتة والمرض والصحة.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك: ٢]. الثاني: ما تفعله الخلائق كلها من ذوات الإرادة، فهذه تكون باختيار فاعليها وإرادتهم؛ لأن الله جعل ذلك إليهم، قال تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]. وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩]. فهم يُحمدون علىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).

المحمود منها ويذمون علىٰ المذموم، والله لا يعاقب إلا علىٰ أمر فيه اختيار للعبد، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]. والإنسان يعرف الفرق بين الاختيار والاضطرار، فينـزل من السطح بالسلم نزولًا اختياريًا، وقد يسقطه غيره من السطح، فالأول اختيار والثاني إجبار.

(٦) الجمع بين خلق الله وفعل العبد:

الله خلق العبد وخلق أفعاله، وجعل له إرادة وقدرة، فالعبد فاعل حقيقة لفعله مباشر له؛ لأن له إرادة وقدرة، فإذا آمن فهو بمشيئته وإرادته، وإذا كفر فهو كافر بمشيئته وإرادته التامة، كما إذا قلنا: هذه الثمرة من هذه الشجرة، وهذا الزرع من هذه الأرض، بمعنىٰ أنه حدث منها، ومن الله بمعنىٰ أنه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض، وبهذا يتفق شرع الله وقدره.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠].

(٧) الواجب على العبد في القدر:

يجب علىٰ العبد في القدر أمران:

الأول: أن يستعين بالله في فعل المقدور واجتناب المحذور، وأن يدعوه بأن ييسره لليسرىٰ ويجنبه العسرىٰ، ويتوكل عليه ويستعيذ به، فيكون مفتقرًا إليه في جلب الخير وترك الشر. قال ﷺ: «**احرص علىٰ ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[1].

الثاني: عليه أن يصبر علىٰ المقدور فلا يجزع، فيعلم أن ذلك من عند الله فيرضىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا.

ويسلم، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. قال ﷺ: «**وأعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك**»[١].

(٨) الرضا بالقضاء والقدر:

ينبغي الرضا بالقدر؛ لأنه من تمام الرضا بربوبية الله، فينبغي لكل مؤمن أن يرضىٰ بقضاء الله؛ لأن فعل الله وقضاءه خير كلّه وعدل وحكمة، فمن اطمأنت نفسه إلىٰ أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه خلت نفسه من الحيرة والتردد، وانتفىٰ من حياته القلق والاضطراب، فلا يحزن علىٰ ما فاته، ولا يتهيب من مستقبله، ويكون بذلك أسعد الناس حالًا وأطيبهم نفسًا وأهدأهم بالًا، فمن عرف أن أجله محدود ورزقه معدود فلا الجبن يزيد في عمره، ولا الشح يزيد في رزقه، فالكل مكتوب صبر علىٰ ما أصابه من المصائب واستغفر لما فعله من الذنوب والمعائب، ورضي بما قدره الله، فيجمع بين طاعة الأمر والصبر علىٰ المصائب.

قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥].

(٩) الهداية نوعان:

الأولىٰ: هداية دلالة علىٰ الحق وإرشاد، وهي لجميع الخلق، وهي التي يقدر عليها الرسل وأتباعهم. قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

الثانية: هداية توفيق وتثبيت من الله منّة منه وفضلًا لعباده المتقين، وهي التي لا يقدر عليها إلا الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

---

(١) **صحيح:** سبق (ص٤٩٤).

(١٠) الإرادة في كتاب الله نوعان:

الأولىٰ: إرادة كونية قدرية، وهي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهي تستلزم وقوع المراد، ولا تستلزم المحبة والرضىٰ إلا إذا تعلقت بها الإرادة الشرعية، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

الثانية: الإرادة الدينية الشرعية، وهي محبة المراد وأهله والرضا عنهم، ولا تستلزم وقوع المراد إلا إذا تعلقت بها الإرادة الكونية، قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والإرادة الكونية أعم مطلقًا؛ لأن كل مراد شرعي وقع فهو مراد كونًا، وليس كل مراد كوني وقع مرادًا في الشرع، فإيمان أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثلًا تحقق فيه الإرادتان، وما تحققت فيه الإرادة الكونية فقط مثلًا كفر أبي جهل، وما لم يتحقق فيه الإرادة الكونية وإن كان يراد شرعًا إيمان أبي جهل. فالله وإن كان يريد المعاصي قدرًا ويشاؤها كونًا فهو لا يرضاها دينًا ولا يحبها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويكرهها وينهي عنها ويتوعد فاعلها، وكل ذلك من قدره.

وأما الطاعات والإيمان فإنه سبحانه يحبها ويأمر بها ويعد صاحبها بالثواب والجزاء الحسن، فهو سبحانه لا يعصىٰ بغير إرادته، ولا يقع إلا ما يريد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

(١١) الأسباب التي تدفع القدر:

جعل الله لهذه المقادير أسبابًا تدفعها وترفعها من الدعاء والصدقة والأدوية وأخذ الحذر واستعمال الحزم، إذ كل من قضاء الله وقدره حتىٰ العجز والكيس.

(١٢) مسألة القدر سر الله في خلقه:

القول بأن القدر سر الله في خلقه محصور في الجانب الخفي من القدر، فحقائق الأشياء لا يعلمها إلا الله، ولا يطلع عليها البشر، مثل أن الله أضل وهدىٰ وأمات وأحيا ومنع وأعطىٰ.

أما جوانب القدر الأخرىٰ وحكمه العظيمة ومراتبه ودرجاته وآثاره، فهذه يجوز بيانها للناس ومعرفتها؛ لأن القدر أحد أركان الإيمان التي ينبغي تعلمها ومعرفتها. كما قال الرسول ﷺ لما ذكر أركان الإيمان لجبريل عليه السلام: قال: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[(١)].

(١٣) الاحتجاج بالقدر:

علم الله تعالىٰ السابق بما سيكون غيب لا يعلمه إلا هو، مجهول للمكلفين، فلا حجة لأحد فيه، ولا يجوز ترك العمل اتكالًا علىٰ ما سبق به القضاء، فالقدر ليس حجة لأحد علىٰ الله ولا علىٰ خلقه، ولو جاز لأحد أن يحتج بالقدر علىٰ ما يفعله من السيئات لم يُعاقب ظالم، ولم يُقتل مشرك، ولم يُقم حدّ، ولم يُكف أحد عن ظلم وهذا من الفساد في الدين والدنيا المعلوم ضرره.

ونقول لمن يحتج بالقدر ليس عندك علم متيقن أنك من أصحاب الجنة أو النار، ولو كان عندك علم لما أمرناك ولا نهيناك، ولكن اعمل وعسىٰ الله أن يوفقك لأن تكون من أصحاب الجنة.

قال بعض الصحابة لما سمع أحاديث القدر: ما كنت بأشد اجتهاد منىٰ الآن. قال ﷺ لما سئل عن احتجاج بالقدر: اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من طريق يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠](١).

(١٤) الأخذ بالأسباب:

ما يعرض للعبد أمران، أمر فيه حيلة فلا يعجز عنه، وأمر لا حيلة فيه فلا يجزع منه، فالله ﷻ يعلم بالمصائب قبل وقوعها، وعلمه بها ليس هو الذي أوقع المصاب في المصيبة، وإنما وقعت بالأسباب المترتبة علىٰ وقوعها، فإن كان وقوعها بسبب تقصير من الشخص بإهمال الأسباب والوسائل التي تقيه من الوقوع فيها ويأمره دينه باستعمالها فإنه ملام علىٰ تقصيره في حماية نفسه وعدم استعماله للأسباب الطبيعية التي تحفظه، وإن كان لا طاقة له في دفع هذه المصيبة فإنه معذور.

فالأخذ بالأسباب لا ينافي القدر والتوكل بل هو جزء منه، ولكن إذا وقع القدر وجب الرضا به والتسليم له، ويلجأ إلىٰ قوله: «قدّر الله وما شاء فعل» وأما قبل أن يقع فإن سبيل المكلف هو الأخذ بالأسباب المشروعة ومدافعة الأقدار بالأقدار، فالأنبياء أخذوا بالأسباب والوسائل التي تحفظهم من عدوهم مع أنهم مؤيدون بالوحي والحفظ من الله، وكان رسول الله ﷺ سيد المتوكلين يأخذ بالأسباب مع قوة توكله علىٰ ربه.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

قال ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص علىٰ ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩) ومسلم (٢٦٤٧) وغيرهما من حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه.

كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله ما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»(١).

(١٥) حكم من أنكر القدر:

من أنكر القدر فقد جحد أصلًا من أصول الشريعة وقد كفر بذلك. قال بعض السلف رَحِمَهُ اللَّهُ: ناظروا القدرية بالعلم، فإن جحدوه كفروا، وإن أقروا به خصموا.

(١٦) ثمرات الإيمان بالقدر:

للإيمان بالقضاء والقدر ثمار طيبة وآثار حسنة، تعود علىٰ الأمة والفرد بالصلاح فمنها:

أ ـ أنه يثمر أنواع العبادات الصالحة والصفات الحميدة، كالإخلاص لله، والتوكل عليه، والخوف منه والرجاء وإحسان الظن به، والصبر وقوة الاحتمال، ومحاربة اليأس، والرضا بالله، وإفراد الله بالشكر والفرح بفضله ورحمته، والتواضع لله عَزَّوَجَلَّ، وترك الكبر والخيلاء، ويثمر الإنفاق في أوجه الخير ثقة بالله، والشجاعة والإقدام، والقناعة وعزة النفس، وعلو الهمة، والحزم، والجد في الأمور، والاعتدال في السراء والضراء، والسلامة من الحسد والاعتراض، وتحرير العقول من الخرافات والأباطيل وراحة النفس وطمأنية القلب.

ب ـ أن المؤمن بالقدر يمضي في حياته علىٰ منهج سوي، فلا تبطره النعمة، ولا ييأس بالمصيبة، ويستيقن أن ما أصابه من ضراء فبتقدير الله ابتلاء، فلا يجزع بل يصبر ويحتسب.

ج ـ أنه يحمي من أسباب الضلال وسوء الخاتمة إذ يثمر له المجاهدة الدائمة علىٰ الاستقامة والإكثار من الصالحات، ومجانبة المعاصي والموبقات.

د ـ أنه يثمر للمؤمنين مواجهة المصاعب والأهوال بقلب ثابت ويقين تام مع فعل الأسباب.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

قال ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»(١).

باب وجوب الولاء والبراء

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦].

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالىٰ في موالاة الأنصار لإخوانهم المهاجرين: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) وغيره من حديث صهيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النساء: ٨٩].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

وعن جرير بن عبد الله، قال: «**بايعت رسول الله ﷺ علىٰ إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم**»(١).

وعن البراء بن عازب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوثق عرىٰ الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»(٢).

❍ من فقه الباب:

الولاء: مصدر ولي بمعنىٰ قرب منه، والمراد به هنا القرب من المسلمين بمودتهم وإعانتهم ومناصرتهم علىٰ أعدائهم والسكنىٰ معهم.

والبراء: مصدر برىٰ، بمعنىٰ قطع. ومنه برىٰ القلم بمعنىٰ قطعه. والمراد هنا قطع الصلة مع الكفار فلا يحبهم ولا يناصرهم ولا يقيم في ديارهم إلا لضرورة.

الولاء والبراء من حقوق التوحيد: يجب علىٰ المسلم أن يوالي في الله وأن يعادي في الله وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله، فيحب المسلمين ويناصرهم ويعادي الكافرين ويبغضهم ويتبرأ منهم. قال تعالىٰ في وجوب موالاة المؤمنين: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]. وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ

---

(١) صحيح البخاري (٢٠٦٧) وصحيح مسلم (١٠٨).

(٢) حسن: مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٦٧٠).

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ويتضح من هذه الآيات الكريمة وجوب موالاة المؤمنين وما ينتج عن ذلك من الخير ووجوب معاداة الكفار والتحذير من موالاتهم وما تؤدي إليه موالاتهم من شر.

مكانة الولاء والبراء في الدين: إن للولاء والبراء في الإسلام مكانة عظيمة، فهو أوثق عرىٰ الإيمان كما مر معنا في الحديث. ومعناه توثيق عرىٰ المحبة والألفة بين المسلمين ومفاصلة أعداء الإسلام.

الفرق بين المداهنة والمداراة وأثرهما علىٰ الولاء والبراء: المداهنة: هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومصانعة الكفار والعصاة من أجل الدنيا والتنازل عما يجب علىٰ المسلم من الغيرة علىٰ الدين. ومثاله الاستئناس بأهل المعاصي والكفار ومعاشرتهم وهم علىٰ معاصيهم أو كفرهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه. قال الله تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [المائدة: ٧٨-٨٠].

المداراة: هي درء المفسدة والشر بالقول اللين وترك الغلظة أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له؛ كالرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلىٰ تأليفه. وفي الحديث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رجلا استأذن علىٰ النبي ﷺ فلما رآه قال: «**بئس أخو العشيرة. وبئس ابن العشيرة**»، فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما

انطلق الرجل قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه. فقال ﷺ: «**يا عائشة متىٰ عهدتني فحاشًا، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره**»[1]؛ فالنبي ﷺ دارىٰ هذا الرجل لما دخل عليه مع ما فيه من الشر لأجل المصلحة الدينية، فدل علىٰ أن المداراة لا تتنافىٰ مع الموالاة إذا كان فيها مصلحة راجحة من كف الشر والتأليف أو تقليل الشر وتخفيفه، وهذا من مناهج الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، ومن ذلك مداراة النبي ﷺ للمنافقين في المدينة خشية شرهم وتأليفًا لهم ولغيرهم.

وهذا بخلاف المداهنة فإنها لا تجوز إذ حقيقتها مصانعة أهل الشر لغير مصلحة دينية وإنما من أجل الدنيا.

حكم موالاة العصاة والمبتدعين: إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر. فقد يجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطىٰ من بيت المال ما يكفيه لحاجته ويتصدق عليه. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة.

هل يدخل في الموالاة معاملة الكفار في الأمور الدنيوية: دلت النصوص الصحيحة علىٰ جواز التعامل مع الكفار في المعاملات الدنيوية كمسائل البيع والشراء والإيجار والاستئجار والاستعانة بهم عند الحاجة والضرورة علىٰ أن يكون ذلك في نطاق ضيق وأن لا يضر بالإسلام والمسلمين «**فقد استأجر النبي ﷺ عبد الله بن أُرَيْقط هاديًا خِرِّيتًا**»[2]، والخريت هو الخبير بمعرفة الطريق.

---

(١) البخاري (٦٠٣٢).

(٢) البخاري حديث رقم (٢٢٦٣).

ورهن النبي ﷺ درعه عند يهودي في صاع من شعير، وأجر علي رضي الله عنه نفسه ليهودية يمتح لها الماء من البئر فمتح لها ست عشرة دلوًا كل دلو بتمرة، وقد استعان النبي ﷺ باليهود الذين كانوا في المدينة في قتال المشركين، واستعان بخُزاعة ضد كفار قريش، وهذا كله لا يؤثر على الولاء والبراء في الله على أن يلتزم الكفار الذين يقيمون بين المسلمين بالآداب العامة وأن لا يدعوا إلى دينهم.

باب حقوق الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتهم

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨-١٠].

وعن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «**آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق**

بغض الأنصار»[١].

وعنه رضي الله عنه أن رجلًا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متىٰ الساعة؟ فقال النبي ﷺ: «**وماذا أعددت لها**»؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقَال النبي ﷺ: «**أنت مع من أحببت**»، فقال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «**أنت مع من أحببت**»، قال أنس: «فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم»[٢].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة**»[٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُد أحدهم ولا نصيفه**»[٤].

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه الذي جاء فيه أن النبي ﷺ قال: «**أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[٥].

وعن ابن عباس، قال: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، عاصب رأسه بخرقة، فقعد علىٰ المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: «**إنه ليس من الناس أحد أمن علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذًا من الناس خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن خلة الإسلام أفضل،**

---

(١) البخاري (١٧).

(٢) البخاري (٣٦٨٨).

(٣) مسلم (٢٤٩٦).

(٤) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠، ٢٥٤١).

(٥) رواه أحمد (٤/ ١٢٦- ١٢٧)، والترمذي (٧/ ٤٣٨) بسند صحيح.

سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد، غير خوخة أبي بكر»[١].

وعن عائشة، عن النبي ﷺ، أنه كان يقول: «**قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم**»[٢]، ومعنىٰ محدّثون: مُلْهَمُون.

وعن عائشة في حيث طويل قالت فيه: دخل أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وعندما رآه الرسول جلس وسوىٰ ثيابه فسألته عائشة فقال: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»[٣].

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال عشية خيبر: «**لأعطين الراية غدًا رجلا يحب الله ورسولَه، ويحبه الله ورسولُه يفتَح الله علىٰ يديه... فقال: ادعوا لي عليًّا**... فدفع الراية إليه ففتح الله عليه»[٤].

وعن عبد الرحمن بن الأخنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن سعيد بن زيد قال: أشهد علىٰ رسول الله ﷺ أني سمعته وهو يقول: «**عشرة في الجنة، النبي ﷺ في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة**»، ولو شئت لسميت العاشر. قال: فقالوا: من هو؟ فسكت قال: فقالوا: من هو؟ فقال: هو سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥].

❍ **من فقه الباب:**

الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مسلمًا ومات علىٰ ذلك.

---

(١) صحيح البخاري (٤٥٧).

(٢) صحيح مسلم (٢٣٩٨).

(٣) صحيح مسلم (٢٤٠١).

(٤) البخاري (٣٧٠٢). ومسلم (٢٤٠٥).

(٥) رواه أحمد (١/ ١٨٨)، وأصحاب السنن بسند صحيح.

○ وجوب محبة الصحابة وموالاتهم:

الصحابة هم خير القرون، وصفوة هذه الأمة وأفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، ويجب علينا أن نتولاهم ونحبهم ونترضىٰ عنهم وننزلهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة علىٰ كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقربىٰ إلىٰ الرحمن، وبغضهم كفر وطغيان. فهم حملة هذا الدين، فالطعن فيهم طعن في الدين كله لأنه وصلنا عن طريقهم بعد أن تلقوه غضًّا طريًّا عن رسول الله ﷺ مشافهة ونقلوه لنا بكل أمانة وإخلاص ونشروا الدين في كافة ربوع الأرض في أقل من ربع قرن وفتح الله علىٰ أيديهم بلاد الدنيا فدخل الناس في دين الله أفواجًا.

وقد دل الكتاب والسنة علىٰ وجوب موالاة الصحابة ومحبتهم وأنها دليل صدق إيمان الرجل. فمن الكتاب قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. وإذا كان أصحاب النبي ﷺ مقطوعًا بإيمانهم بل هم أفضل المؤمنين لتزكية الله ورسوله لهم فإن موالاتهم ومحبتهم دليل إيمان من قامت به هذه الصفة.

ومن السنة حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «**آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار**»(١).

والنصوص في هذا كثيرة جدًّا لا يسع المقام ذكرها علىٰ أنه يحسن التنبيه هنا علىٰ ما يترتب علىٰ موالاة الصحابة رضوان الله عليهم من الآثار الطيبة في الدنيا والآخرة مما يشحذ الهمم علىٰ تحقيق موالاتهم.

فمن آثار موالاتهم الطيبة في الدنيا الفلاح والغلبة والنصر كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]. قال ابن كثير: «كل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصور في الدنيا والآخرة».

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٤٨).

ومن ثمار محبتهم في الآخرة ما يُرجىٰ لمُحبّهم من الحشر معهم لقول النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم، فقال رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**»(١).

ولذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يتقربون إلىٰ الله بمحبة أبي بكر وعمر ويعدون ذلك من أفضل أعمالهم وأرجاها عند الله، روىٰ الإمام البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه «أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متىٰ الساعة؟ فقال النبي ﷺ: «**وماذا أعددت لها**»؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال النبي ﷺ: «**أنت مع من أحببت**»، فقال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «**أنت مع من أحببت**». قال أنس: «فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم»(٢).

❍ وجوب اعتقاد فضلهم وعدالتهم والكف عما شجر بينهم:

لقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ الصحابة ورضي عنهم ووعدهم الحسنىٰ. كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٤٨).

(٢) البخاري (٣٦٨٨).

بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ٨-١٠].

فقد دلت الآيات الكريمة علىٰ فضل الصحابة والثناء عليهم من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة وكل من حصل علىٰ شرف الصحبة، ووصف الذين جاؤوا من بعدهم بأنهم يستغفرون لمن سبقهم من الصحابة ويدعون الله تعالىٰ ألا يجعل في قلوبهم غلًّا للذين آمنوا.

كما تضمنت الآيات وغيرها مما لا يمكن حصره من الترضي عنهم وبشارتهم بالجنة وحصولهم علىٰ الفوز العظيم ومدحهم وذكر بعض صفاتهم من الحب والإيثار والكرم والجود وحب إخوانهم المسلمين ونصرهم لدين الله ونحو ذلك من الأوصاف العظيمة والذكر الجميل ما هم أهل له.

وقد أثنىٰ عليهم رسول الله ﷺ بأحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة**»(١)، وقد جاءت أحاديث بعضها عامة في فضل جميع الصحابة وبعضها في فضل أهل بدر، وبعضها في أفراد بخصوصهم.

فالواجب علىٰ المسلمين تطبيق هذه النصوص وتولي الصحابة جميعًا، ومحبتهم والترضي عنهم، وذكرهم بكل جميل، والاقتداء بهم والسير علىٰ منهجهم.

○ وجوب الكف عما شجر بين الصحابة وحكم سبهم:

عرفنا أن أصحاب رسول الله ﷺ هم الصفوة المختارة من هذه الأمة بعد نبينا ﷺ، فهم السابقون إلىٰ الإسلام وهم أعلام الهدىٰ ومصابيح الدجىٰ، وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده وأبلوا بلاءً حسنًا في الذود عن حياض الإسلام حتىٰ مكن الله لهذا الدين في الأرض علىٰ أيديهم. فمن تنقصهم أو سبهم أو نال من أحد منهم فهو من شر الخليقة؛ لأن عمله هذا اعتداء علىٰ الدين كله، ومن كفرهم أو

---

(١) مسلم (٢٤٩٦).

اعتقد ردتهم فهو أولىٰ بالكفر والردة وإنه مهما عمل أحدٌ بعدهم من عمل فإنه لن يبلغ شيئًا من فضلهم. فقد ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُد أحدهم ولا نصيفه**»(١)، فقد دل الحديث علىٰ تحريم سب أصحاب رسول الله ﷺ والتأكيد علىٰ أنه لن يبلغ أحد مبلغهم مهما قدم من عمل.

فالواجب علىٰ المسلمين اعتقاد عدالتهم والترضي عنهم والكف عما شجر بينهم وعدم الخوض فيما جرىٰ بينهم من خلاف وترك سرائرهم إلىٰ الله تعالىٰ. قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «أولئك قوم طهر الله أيدينا من دمائهم، فلنطهر ألسنتنا من أعراضهم».

وخلاصة القول أن أهل السنة يوالون الصحابة كلهم وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، لا بالهوىٰ والتعصب. فإن ذلك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد.

الخلفاء الراشدون هم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب (الفاروق)، وذو النورين عثمان بن عفان، وأبو السبطين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأرضاهم.

مكانتهم ووجوب اتباعهم: الخلفاء الراشدون هم أفضل الصحابة، وهم الخلفاء الراشدون المهديون الذين أمر الرسول ﷺ باتباعهم، والتمسك بهديهم. كما ثبت ذلك من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه السابق ذكره وجاء فيه أن النبي ﷺ قال: «**أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»(٢).

فضلهم: أجمع أهل السنة والجماعة علىٰ أن التفضيل بين الخلفاء بحسب

---

(١) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠، ٢٥٤١).

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٢٩- ١٢٧)، والترمذي (٧/ ٤٣٨) بسند صحيح.

ترتيبهم في الخلافة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي. وقد ورد في فضل كل واحد منهم أحاديث كثيرة سبق ذكرها قريبا.

العشرة المبشرون بالجنة عرفنا فيما سبق فضل الصحابة وأنهم جميعًا عدول، وأنهم يتفاضلون في الصحبة، وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين، وأبو السبطين علي بن أبي طالب، ثم عبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام حواريّ رسول الله ﷺ، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد بن نفيل رضي الله عنهم أجمعين.

وقد جاءت في فضلهم أحاديث عامة ومنهم من جاء فيه حديث بخصوصه. ومن الأحاديث العامة في فضلهم ما رواه أحمد وأصحاب السنن عن عبد الرحمن بن الأخنس رضي الله عنه عن سعيد بن زيد قال: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته وهو يقول: «**عشرة في الجنة، النبي ﷺ في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة**»، ولو شئت لسميت العاشر. قال: فقالوا: من هو؟ فسكت قال: فقالوا: من هو؟ فقال: هو سعيد بن زيد رضي الله عنه(١).

وقد بشر النبي ﷺ آخرين غير هؤلاء العشرة بالجنة، مثل عبد الله بن مسعود، وبلال بن رباح، وعكاشة بن محصن، وجعفر بن أبي طالب، وغيرهم كثير. وأهل السنة والجماعة ينصون على من ورد النص من المعصوم فيه باسمه فيشهدون له بالجنة لشهادة رسول الله ﷺ له، ومن عداهم يرجون لهم الخير لوعد الله لهم جميعًا بالجنة كما قال تعالى بعد ذكر الصحابة وبيان فضل بعضهم على بعض ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥]. والحسنى هي الجنة. كما أن مذهب أهل السنة في عموم المسلمين عدم القطع لأحد منهم بجنة أو نار،

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٤٩).

وإنما يرجون للمحسنين الثواب ويخافون علىٰ المسيئين العقاب مع القطع لمن مات علىٰ التوحيد بعدم تخليده في النار لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

باب وجوب محبة آل بيت النبي

قال تعالىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٤].

وعن يزيد بن حيان، قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة، وعمر بن مسلم، إلىٰ زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا، رأيت رسول الله ﷺ، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه لقد لقيت، يا زيد خيرا كثيرا، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا، فلا تكلفونيه، ثم قال: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا، بماء يدعىٰ خمًّا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنىٰ عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «**أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدىٰ والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**» فحث علىٰ كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**» فقال له حصين: ومن أهل بيته؟ يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس

قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم[١].

وعن عمر بن أبي سلمة، ربيب النبي ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسنًا وحسينًا فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله، قال: «**أنت على مكانك وأنت على خير**»[٢].

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: لقيني كعب بن عجرة، فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى، فأهدها لي، فقال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»[٣].

وعن عمرو بن سليم الزرقي، أخبرني أبو حميد الساعدي رضي الله عنه، أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»[٤].

❍ **من فقه الباب:**

أهل البيت هم آل النبي ﷺ الذين حرّمت عليهم الصدقة، وهم: آل

---

(١) صحيح مسلم (٢٤٠٨).

(٢) **صحيح**: الترمذي (٣٢١١) وغيره بإسناد صحيح.

(٣) صحيح البخاري (٣٢٠٦) وصحيح مسلم (٦٤٣).

(٤) صحيح البخاري (٣٢٠٥).

علي بن أبي طالب، وآل جعفر، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب وأزواج النبي ﷺ.

❍ **أدلة فضل أهل البيت:**

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال ﷺ كما في الحديث السابق: «**أذكّركم الله في أهل بيتي**».

دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت: قال تعالىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٤]، قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤] أي واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالىٰ علىٰ رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة، قال قتادة وغير واحد: واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين النساء»(١).

❍ **الوصية بأهل البيت:**

تقدم حديث «**أذكركم الله في أهل بيتي**»؛ فأهل السنة يحبونهم ويكرمونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ؛ لأن ذلك من محبة النبي وإكرامه وذلك بشرط أن يكونوا متبعين للسنة مستقيمين علىٰ الملة كما كان سلفهم كالعباس

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤١١).

وبنيه وعلي وبنيه، أما من خالف السنة ولم يستقم علىٰ الدين فإنه لا يجوز موالاته، ولو كان من أهل البيت.

فموقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم ويتبرؤون ممن خالف السنة وانحرف عن الدين، ولو كان من أهل البيت، فإنّ كونه من أهل البيت ومن قرابة الرسول لا ينفعه شيئًا حتىٰ يستقيم علىٰ دين الله. فقد روىٰ أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. فقال: «**يا معشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا**»[1]، ولحديث: «**من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[2]، معنىٰ من بطأ: أي من تأخر.

ويتبرأ أهل السنة والجماعة من الذين يغلون في بعض أهل البيت ويدعون لهم العصمة، ومن الذين ينصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين، ويطعنون فيهم، ومن طريقة المبتدعين والخرافيين الذين يتوسلون بأهل البيت ويتخذونهم أربابًا من دون الله.

فأهل السنة في هذا الباب وغيره علىٰ المنهج المعتدل والصراط المستقيم الذي لا إفراط فيه ولا تفريط والحمد لله رب العالمين.

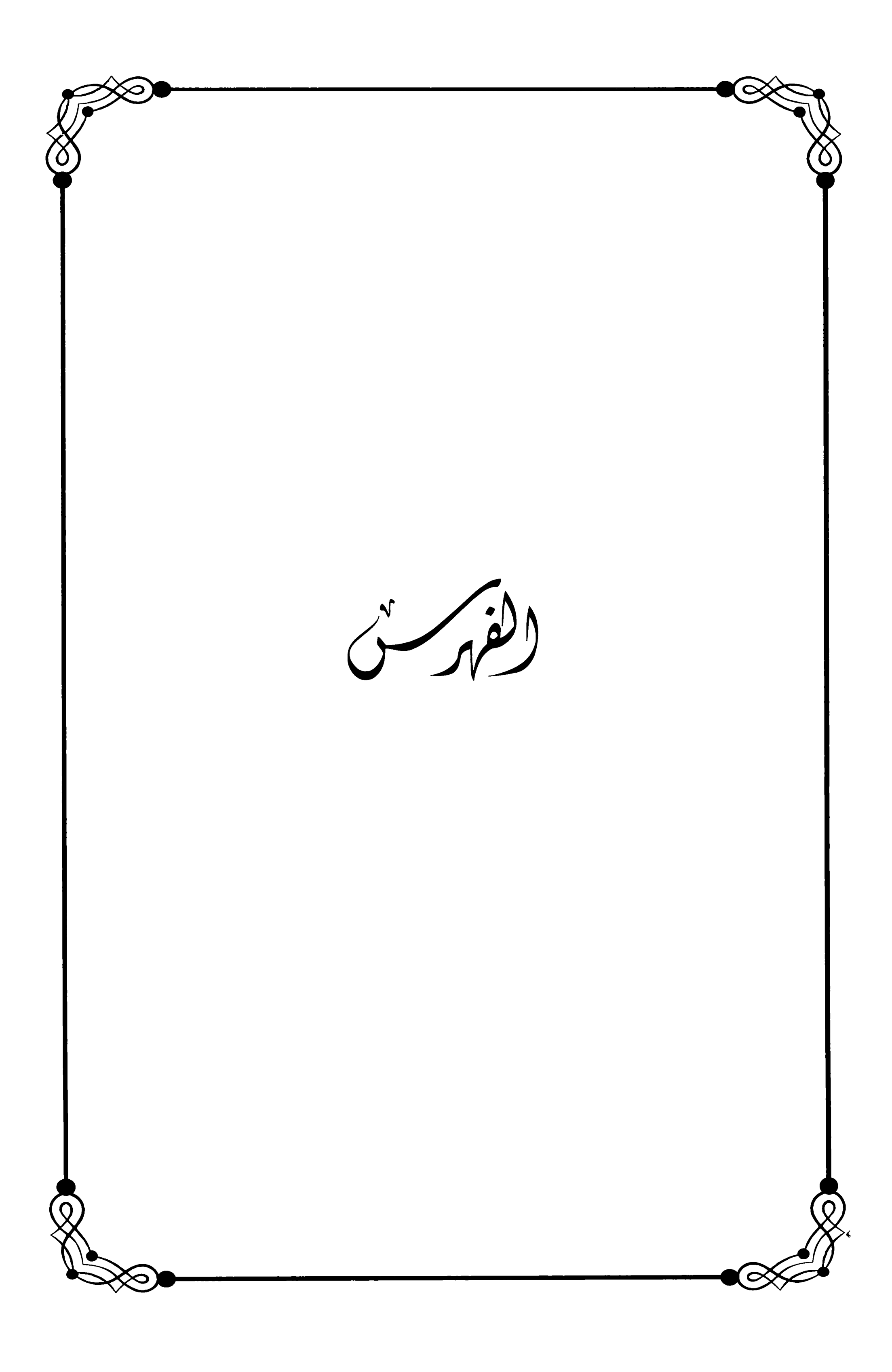
تم كتاب التوحيد والحمد لله رب العالمين



---

(١) البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٤).

(٢) مسلم (٢٦٩٩).



الفهرس

فهرس الموضوعات